www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

للمؤلف

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء التاسع عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران - شارع ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپي:

المكتبة الاسلامية

ناشر ديجيتالي:

مركز تحقيقات رايانه‌اي قائميه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۹ ----- ۸

مشخصات کتاب ----- ۸

تتمهٔ باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام و رسائله إلی أعدائه و أمرائه ----- ۸

تتمهٔ المختار الخامس و العشرون من کتبه و رسائله ----- ۹

خطبهٔ المؤلف ----- ۹

المصدر ----- ۱۱

المعنی ----- ۱۳

اشارهٔ ----- ۱۳

و فی المقام یبحث عن فروع فقهیّهٔ: ----- ۲۷

اشارهٔ ----- ۲۷

أمّا الفرع الأوّل ----- ۲۷

و أما الثانی ----- ۲۹

و أمّا الفروع الثالث ----- ۳۰

فرع فقهی ----- ۳۵

کلام فی الرجعهٔ ----- ۳۶

الترجمهٔ ----- ۴۱

و من عهد له علیه الصلاهٔ و السلام الی بعض عماله ----- ۴۳

اشارهٔ ----- ۴۳

المصدر ----- ۴۴

اللغهٔ ----- ۴۴

الاعراب ----- ۴۹

المعنی ----- ۵۱

الترجمهٔ ----- ۶۵

و من عهد له علیه الصلاة و السلام الی محمد بن ---- ۶۶
اشارة ---- ۶۶
ذکر ماخذ العهد و مصادره ---- ۶۸
اشارة ---- ۶۸
صورة العهد علی روایة أبی اسحاق فی کتاب الغارات ---- ۷۰
صورة ما کتب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام الی أهل مصر ---- ۷۱
کتاب أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) الی محمد بن أبی بکر و أهل مصر ---- ۷۲
صورة العهد علی ما فی تاریخ الطبری ---- ۷۷
صورة العهد علی ما فی تحف ابن شعبة ---- ۷۸
صورة العهد علی ما فی نسختی الشیخین ---- ۸۱
صورة العهد علی روایة أبی جعفر محمد بن أبی القاسم الطبری ---- ۸۸
اللغة ---- ۸۹
الاعراب ---- ۹۰
المعنی ---- ۹۱
الترجمة ---- ۹۸
اشارة ---- ۹۸
و برخی از این عهد این است: ---- ۹۹
و من کتاب له علیه السلام الی معاویة و هو من ---- ۱۰۰
اللغة ---- ۱۰۴
الاعراب ---- ۱۱۰
المصدر ---- ۱۱۱
المعنی ---- ۱۱۵
اشارة ---- ۱۱۵
حلف الفضول و سبب تسمیته کذلک ---- ۱۳۲
و صبیة أهل النار: ---- ۱۴۶
حمالة الحطب ---- ۱۵۰

الترجمة ---------- ۱۹۶
رسالة منفردة فی لقاء الله تعالی ---------- ۱۹۹
اشارة ---------- ۱۹۹
خاتمة ---------- ۲۹۱
و من کتاب له علیه السلام الی أهل البصرة و هو ---------- ۳۶۹
اشارة ---------- ۳۶۹
المصدر ---------- ۳۶۹
اللغة ---------- ۳۷۰
الاعراب ---------- ۳۷۲
المعنی ---------- ۳۷۲
الترجمة ---------- ۳۹۰
و من کتاب له علیه السّلام الی معاویة - و هو المختار ---------- ۳۹۰
اشارة ---------- ۳۹۰
المصدر ---------- ۳۹۱
اللغة ---------- ۳۹۲
الاعراب ---------- ۳۹۷
المعنی ---------- ۳۹۸
الترجمة ---------- ۴۰۳
درباره مرکز ---------- ۴۰۴

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد 19

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، 13 -

مشخصات ظاهری:20 ج.

شابک:150 ریال (ج. 8)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، 1386 ق.= 1344.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، 1292 - 1370.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP38/02 /خ9 1300ی

رده بندی دیویی:297/9515

شماره کتابشناسی ملی:199206

ص:1

تتمة باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام و رسائله إلی أعدائه و أمرائه

تتمة المختار الخامس و العشرون من كتبه و رسائله

خطبة المؤلف

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمـد لوليّ النعم، و منزل الكلم على قلوب من كرّم من بنى آدم، و له الحمـد على مـا أولانـا من مواهبه السـنيّة الوافرة، و رزقنـا من أيادى الاولى و الاخرة، و الصّلاة و السّلام على مهبط كلماته و مقسّم هباته، واقف مواقف الشهود محمّد المصطفى و آله امناء المعبود، و مظاهر أسمائه الحسنى، و صفاته العليا، و أعلام الهدى، و على من تمسّک بذيل ولايتهم و اقتفى بهديهم و هدايتهم.

و بعـد فيقـول العبـد الراجى لقـاء ربّه الكريم نجم الـدين الحسن بن عبـد اللّه الطـبرى الاـملى المـدعوّ بحسن زادهٔ آملى رزقه اللّه و جميع المؤمنين الفناء فى التوحيد، و هداهم إلى أمره الرّشيد السديد، و تغمّدهم بغفرانه و رضوانه: هذا هو السفر الخامس من تكملة منهاج البراعة فى شـرح نهـج البلاغة، قد من اللّه علينا بما أجرى على القلم فى شـرح طائفة من كلمات وليّه الأعظم باب مدينة العلم وصـىّ خير البشـر، فينتهى به المنهاج إلى التاسع عشر، ربّ أنعمت فزد و آتنا من لدنک رحمة و هيّىء لنا من أمرنا رشدا.

اللّهمّ إن كانت بضاعتنا هذه وجيهة عندک، و لها ثمن و قدر و قيمة من جزيل ثوابک و سـنىّ عطائک فاجعلها ذخرا لأساتيذى العظام الذين عطفت علينا قلوبهم و رزقتنا من مأدبة علومهم. اللهمّ اجعل الغابرين عندک فى أعلى علّيّين، و متّع الإسـلام و المسلمين ببقاء الباقين آمين ربّ العالمين.

ثمّ قـد تـأخّر تأليف هـذا المجلّد و طبعه و نشـره لما أقبل فى أثناء التأليف من تقبّلنا اصول الكافى لجعله معربا مشـكولا و كان أمرا صـعبا مشكلا، فانّه قد انجرّ الخلاص

منه إلى قرب سنتين و نصف مع أنّا قد بذلنا جهدنا فيه و أسهرنا أعيننا ليالى و أتعبنا أنفسنا متواليا، و ذلک الأمر و إن عوّق التكملة عن النشر لكن اصول الكافى بمنّ اللّه سبحانه و فضله قد برز اليوم على أحسن وجه يستقبل إليه العالم البصير و يشكره و يستنكف عنه الجاهل الضرير و يكفره، على أنّ الامور مرهونة بأوقاتها، فلنعد إلى ما كنّا فيه فنقول مستعينا من اللّه تعالى:

المصدر

روى هذه الوصية ثقة الإسلام الكلينى رضوان اللّه عليه فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاة من الجامع الكافى عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى عن حريز، عن بريد بن معاوية عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و رواها شيخ الطائفة الطوسى قدس سرّه فى باب من الزيادات فى الزكاة من التهذيب عن الكلينى بذلک الإسناد، و الكتابان من أصحّ الجوامع الروائيّة عند الاماميّة، و من الكتب الأربعة المعتبرة عندهم عليها مدار استنباطهم و إليها مراجع اجتهادهم.

ثمّ إنّ قول السيّد - ره -: «و إنما ذكرنا هنا جملا منها» صريح فى أنّه اختار منها فصولا و حذف منها فصولا، فالوصيّة طويلة و لكنّا لم نجدها بطولها مع طول الفحص و كثرة البحث فى ما حضرنا من الجوامع الروائيّة و ما أتى بها الكلينى و الشّيخ قريب ممّا فى النهج.

و العلاّمة المجلسى - ره - بعد نقلها من النهج فى ثامن البحار (ص 640 من الطبع الكمبانى، فى باب كتب أمير المؤمنين عليه السّلام و وصاياه إلى عمّاله و امراء أجناده) و فى المجلّد العشرين منه (فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاة ص 24). قال: أقول: أخرجته من الكافى فى كتاب أحواله عليه السّلام بتغيير ما رواه فى كتاب الغارات عن يحيى بن صالح عن الوليد بن عمرو عن عبد الرّحمن بن سليمان عن جعفر بن محمد قال: بعث علىّ عليه السّلام مصدقا من الكوفة إلى باديتها، إلى آخر ما قال و نقل طائفة من الرواية.

ص:3

و نقل الرواية من كتاب الغارات المحدث النورى – ره – فى باب ما يستحبّ للمصدّق و العامل استعماله من الاداب من كتاب الزكاة من مستدرک الوسائل.

و الروايات يخالف بعضها بعضا فدونكها على نسختى الكافى و التهذيب و نجعل ما فى التهذيب بين الهلالين.

قال الكلينى بالإسناد المقدم ذكره عن بريد بن معاوية قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بعث أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه مصدّقا من الكوفة إلى باديتها فقال له: يا عبد اللّه (يا أبا عبد اللّه) انطلق و عليک بتقوى اللّه وحده لا شريک له و لا تؤثرنّ دنياک على آخرتک و كن حافظا لما ائتمنک عليه راعيا لحقّ اللّه فيک حتّى تأتى نادى بنى فلان فاذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بسكينة و وقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، ثم قل لهم: يا عباد اللّه أرسلنى إليكم وليّ اللّه لاخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم فهل للّه فى أموالكم من حقّ فتؤدّون إلى وليّه (فهل للّه فى أموالكم حقّ فتؤدّوه إلى وليّه) فان قال لک قائل:

لا فلا تراجعه و إن أنعم لک منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلاّ خيرا فاذا أتيت ماله فلا تدخله إلاّ باذنه فإنّ أكثره له فقل له: يا عبد اللّه أ تأذن لى فى دخول مالک ؟ فان اذن لک (اذن له) فلا تدخل (فلا تدخله) دخول متسلط عليه فيه و لا عنف به فاصدع المال صدعين ثمّ خيّره أىّ الصدعين شاء فأيّهما اختار فلا تعرّض له، ثمّ اصدع الباقى صدعين ثمّ خيّره فأيّهما اختار فلا تعرّض له و لا تزل كذلک حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه تبارک و تعالى من ماله فاذا بقى ذلک فاقبض حقّ اللّه منه، و إن استقالک فأقله ثمّ اخلطها و اصنع مثل الذى صنعت أوّلا حتّى تأخذ حقّ اللّه فى ماله فاذا قبضته فلا توكل به إلاّ ناصحا شفيقا أمينا حفيظا غير معنف بشىء منها ثمّ احدر كلّ ما اجتمع (ثمّ احدر ما اجتمع) عندک من كل ناد إلينا نصيّره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ فاذا انحدر بها رسولک فأوعز إليه أن لا يحول بين ناقة و فصيلها و لا يفرّق بينهما و لا يمصرّن (و فى نسخة من التهذيب: و لا يمصّ لبنها) فيضرّ ذلک بفصيلها، و لا يجهد

بها ركوبا، و ليعـدل بينهنّ فى ذلک، و ليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، و لا يعـدل (و لا يبـدل) بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق (الطرق) فى الساعة الّتى تريح و تغبق، و ليرفق بهنّ جهده حتّى يأتينا باذن اللّه سـحاحا سـمانا غير متعبات و لا مجهدات فيقسّمهنّ باذن اللّه على كتاب اللّه و سـنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله على أولياء اللّه فإنّ ذلک أعظم لأجرک و أقرب لرشدک ينظر اللّه إليها و إليک و إلى جهدک و نصيحتک لمن بعثک و بعثت فى حاجة فإنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قال: ما ينظر اللّه إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعة و النصيحة له و لإمامه (و النصـيحة لإمامه) إلاّ كان معنا فى الرفيق الأعلى، قال: ثمّ بكى أبو عبد اللّه عليه السّلام ثمّ قال: يا بريد لا و اللّه (يا بريد و اللّه) ما بقيت للّه حرمة إلاّ انتهكت و لا عمل بكتاب اللّه، و لا سـنة نبيّه فى هذا العالم، و لا اقيم فى هذا الخلق حدّ منذ قبض اللّه أمير المؤمنين صلوات اللّه و سـلامه عليه، و لا عمل بشـىء من الحقّ إلى يوم الناس هـذا. ثمّ قال: أما و اللّه لا تذهب الأيّام و الليالى حتّى يحيى اللّه الموتى و يميت الأحياء و يردّ اللّه الحقّ إلى أهله و يقيم دينه الذى ارتضاه لنفسه و نبيّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلاّ فى أيديكم.

و الرّوايـة على نسـخة كتاب الغارات على ما فى المسـتدرک تنتهى إلى الرفيق الأعلى و لم ينقل بعـده، و هى توافق النسـختين المذكورتين تقريبا.

و روى شطرا منها الشيخ قدس سرّه فى المسألة 26 من زكاة الخلاف هكذا:

أنزل مـاءهم من غير أن تخالـط أبيـاتهم ثمّ قـل: هـل للّه فى أموالكم من حقّ ؟ فـان أجابک مجيب فامض معه و إن لم يجبک فلا تراجعه. انتهى. و احتمال النقل من حيث المعنى بعيد، ثمّ حرفت كلمتا مائهم و أبياتهم فى النسخ المطبوعة من الخلاف بمالهم و أموالهم.

المعنى

اشارة

قد أوصـى عليه السّلام من يسـتعمله على جباية الصدقات بامور يراعى بعضـها فى حقّ نفسه، و بعضـها فى الرّعيّة، و بعضها فى الأنعام. و يستفاد منها أحكام عديدة فقهيّة و آداب كثيرة أخلاقية اجتماعية، و قوانين عدليّة حقّة إلهيّة لا يأتيها الباطل من

بين يديها و لا من خلفها.

و هذا هو السلطان العادل الذى كان ظلّ اللّه تعالى فى أرضه، و للّه درّ الرّضى قائلا: ليعلم بها أنّه عليه السّلام كان يقيم عمّاد الحقّ و يشرع أمثلة العدل فى صغير الامور و كبيرها و دقيقها و جليلها، و لا ريب أنّ السياسة إذا كانت بيده أو بيد من يقوم مقامه و يجلس مجلسه و يجرى أوامره ممّن حاز هذه الرتبة العظمى و الدرجة العليا كان الزمان نورانيّا، و إذا خلى الزمان عن تدبير مدبّر إلهى كانت الظلمات غالبة.

قوله عليه السّلام:(انطلق على تقوى اللّه وحده لا شريک له) كان من دأبه عليه السّلام فى أكثر وصاياه أن يصدرها بالأمر بتقوى اللّه و قد مضى الكلام فى ذلک فى شرح المختار الثّانى عشر فراجع.

قوله عليه السّلام:(و لا تروعنّ مسلما) لما جعله عليه السّلام واليا على جباية الصدقات و الولاية إمارة توجب البغى و الطغيان على الناس إلاّ واليا عصمه اللّه تعالى عن اتباع الهوى نهاه عن أن يفزع مسلما. و قد ذاق المسلمون فزعا شديدا مرّة بعد مرّة فى أمارة الثالث حتّى ضاق عليهم العيش فأجمعوا على قتله و قتلوه.

قوله عليه السّلام:(و لا تختارنّ عليه كارها إلخ) اى لا تختارنّ على المسلم أمرا يكرهه بل ارفق به و خيّره فيه و كأنّ هذا الكلام توطئة لما سيأتى فى وصيّته له:

و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره إلخ، و إن كان مفهومه أعمّ منه يشمل النهى عن الاختيار عليه كلّ ما يكرهه.

هذا على نسخة الرّضى، و أما على نسخ اخرى أعنى تجتازن بالجيم و الزاى المعجمة فمعناه لا تسلک و لا تسر على أرض المسلم أو ماله أو بيته و نحوها يكره مرورک بها، فكلمة كارها على الأوّل منصوب على المفعولية، و على الثّانى منصوب على الحال من الضمير المجرور و المراد من حقّ اللّه الزكاة.

و هذا هو الملک العادل الالهى ينهى عامله عن أن يمرّ ببيوت أحد من المسلمين يكره مروره بها و إن كان ذلک المسلم من رعاة الأغنام و من أهل البادية

من طبقة أنزل العوام و ما هذا إلاّ أدب اللّه و أدب رسوله، و اين هذا و من ملک ينتحل إلى الإسلام و يأمر عمّاله أن يجتازوا على أحبار الامّة و حملـة القرآن ليلاـ و ينهبوا بيوتهم اغتيالاـ و ينفوهم من أوطانهم و يميلوا عليهم ميلا، و القرآن الفرقان ينادى بأعلى صوته: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيها أَحَداً فَلا تَدْخُلُوها حَتّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَ إِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكى لَكُمْ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (النور 28، 29).

و فى تفسير الدر المنثور: أخرج ابن شيبة و الحكيم الترمذى و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن مردويه عن أبى أيوب قال: قلت: يا رسول اللّه أرأيت قول اللّه: حتّى تستأنسوا و تسلّموا على أهلها، هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس ؟ قال: يتكلّم الرجل بتسبيحة و تكبيرة و تحميدة و يتنحنح فيؤذن أهل البيت.

و فى تفسير مجمع البيان: روى أنّ رجلاـ قال للنبى صلّى اللّه عليه و آله أستأذن على امّى ؟ فقال: نعم، قال: إنّها ليس لها خادم غيرى أ فأستأذن عليها كلّما دخلت ؟ قال:

أ تحبّ أنّ تراها عريانة ؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن عليها.

قوله عليه السّلام:(فاذا قدمت على الحىّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم إلخ). و فى رواية أخرى عنه عليه السّلام كما فى المجلّد العشرين من البحار «ص 23 من الطبع الكمبانى» أنه قال: يؤخذ صدقات أهل البادية على مياههم و لا يساقون. يعنى لا يساقون من مواضعهم الّتى هم فيها إلى غيرها. و هذا أدب آخر غير ما فى النهج و أمّا ما فى النهج فمعناه أنه عليه السّلام أمره أن لا يخالط بيوتهم ابتداء بل ينزل بمياهم أولا ثمّ يمض إليهم بالسكينة و الوقار.

أمره بالنزول بمائهم لأنّ من عادة عرب البادية بل من عادة غير العرب من أهل البادية أيضا أن تكون مياههم بارزة عن بيوتهم، و لا ريب أن الإنسان يكره أن يخالط غيره بيته على حين غفلة من أهله و ذلک لتنفر الطباع الإنسانيّة عن أن يطلع الغير على أسراره و بواطن أحواله.

على أنّ النزول كـذلک يوجب خوف النسوان و فزع الأطفال و لذا أردفه أن يقدم عليهم بعد النزول بمائهم بالسـكينة و الوقار و يسـلّم عليهم تحيّة كاملة قال تعالى: «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللّهِ مُبارَكَةً طَيِّبَةً ».

و قال صلّى اللّه عليه و آله: السّلام اسم من أسماء اللّه فافشوه بينكم الخبر.

و بالجملة أنّ تلک الامور توجب تأليف قلوبهم، و عدم نفارهم من أداء حقّ اللّه فى مالهم، و فوائد كثيرة اخرى لا تخفى على اولى النهى.

قوله عليه السّلام:(ثمّ تقول: عباد اللّه إلخ) أمره أن يرفق بالرعيّة فى أخذ حقّ اللّه فى أموالهم بأن يقول: أرسلنى إليكم وليّ اللّه و خليفته لاخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم، و فى الكلام ملاطفة لطيفة توجب استيناسـهم و ذلک لأنّ وليّ اللّه و خليفته لا يظلم أحدا و لا يعدل عن الحقّ مثقال ذرّة، و لا يسلط ظالما على أحد من آحاد الرعيّة.

ثمّ أمره أن يسألهم هل تعلّقت بأموالهم زكاة فيؤدّوه إلى وليّ اللّه أم لا؟ فان قال قائل من ربّ المال: لا، فلا يراجعه بل ينصرف عنه لأنّ القول قول ربّ المـال مـا لم يعلم كـذبه و الأصـل يعاضـده، و لأنّهـا عبادة يقبل قوله فيها فلا يفتقر أداؤها إلى اليمين كغيرها من العبادات، و لأنّه أمين، و لأنّ له ولايـة الاخراج فيكون قوله مقبولا كالوكيل، و نحوه روايـة غياث بن إبراهيم: كان عليّ عليه السّلام إذا بعث مصـدّقه قال: إذا أتيت على ربّ المـال فقـل له تصـدّق رحمـک اللّه ممّـا أعطاک اللّه فان ولى عنک فلا تراجعه انتهى فلو قال ربّ المال: لم يحل على مالى الحول أو قـد أخرجت ما وجب عليّ أو تلف ما ينقص تلفه النصاب أو لا حقّ عليّ أو أنّ المال عندى وديعة أو نحو ذلک قبل منه و لم يكن عليه بيّنـة و لا يمين كما أنّه عليه السّلام أمر عامله بقبول قول ربّ المال و لم يأمر باسـتظهار و لا باليمين و إليه ذهب فقهاؤنا الإمامية فراجع إلى زكاة الشـرائع و القواعد و شروحهما و إلى خلاف الشّيخ و منتهى العلاّمة، و إن أنعم لک منعم أى إن قال: نعم فى مالى زكاة فانطلق معه من غير أن تخيفه إلخ و فى المقام روايات أنيقة فى باب أدب المصدّق من

البحار (ص 22 ج 20) قوله عليه السّلام:(فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضة) يمكن أن يستفاد من هذا الكلام جواز إخراج الزكاة من قيمة الأنعام ذهبا و ورقا كما يستفاد منه جواز إخراج قيمة الغلات كذلک بل أيّ شيء كانت القيمة لأنّ ذكر قيمة خاصّة لا يخصّها بها كما لا يخفى، و المقصود من الزكاة دفع حاجة الفقير و كما يحصل بدفع العين فكذا يحصل بدفع القيمة حتّى أنّ العلاّمة قال فى المنتهى: إذا كان البعير بقيمة الشاة فأخرجه أجزأ عندنا و عند الشافعى أما نحن فللمساواة فى القيمة إلخ و قال فى البحث السابع من المقصد الثّانى من زكاة المنتهى: يجوز إخراج القيمة فى الزكاة سواء كان ما وجبت الزكاة فيه ذهبا أو فضة أو أحد الحيوانات و هو اختيار الشّيخ رحمه اللّه و أكثر علمائنا انتهى. و قال فى القواعد: يجوز إخراج القيمة فى الأصناف التسعة و العين أفضل.

و قد قسم المفيد رحمه اللّه كما فى المختلف للعلامة قدّس سرّه الأموال إلى الأنعام و غيرها و منع من إخراج القيمة فى الأوّل إلاّ أن تعدم الأصناف المخصوصة كما فى المعتبر للمحقّق قدّس سرّه، و سوّغه فى الثّانى فإنّه الظاهر من كلام ابن الجنيد فانه قال: و لا بأس بأن يخرج عن الواجب من الصدقة و الحقّ فى أرض العنوة ذهبا و ورقا بقيمة الواجب يوم أخذه. و يردّهما قوله عليه السّلام هذا، و اطلاق روايات اخرى مذكورة فى محلّها.

بل يستفاد من اطلاقها جواز إخراج القيمة فى الزكوات كلّها و فى الفطرة أيّ شيء كانت القيمة. و قال الشافعى و أصحابه: إخراج القيمة فى الزكاة لا يجوز و إنما يخرج المنصوص عليه و لفقهاء العامّة فى المقام وجوه اخرى من الاختلاف فراجع إلى المسألة 58 من زكاة خلاف الشّيخ.

ثمّ إنّ قوله عليه السّلام فخذ ما أعطاک من ذهب أو فضة، يفيد جواز الإخراج من القيمة فهل يعتبر قيمة وقت تعلق الزكاة بالمال، أو قيمة يوم أخذها، أو يقيد ذلک بما إذا لم يقوم المالک الزكاة على نفسه، و لوقومها على نفسه و ضمن القيمة فالواجب هو ما ضمنه زاد السوق قبل الإخراج أو انخفض و البحث مشبعا موكول إلى الفقه.

ص:9

و لقائل أن يقول: إنّ قوله عليه السّلام: فإن كان له ماشـية أو إبل فلا تـدخلها إلاّ باذنه – إلخ، ظاهر فى أنّه جعل زكاة الأنعام مقابل غيرها من الزكوات فجوّز إخراج القيمة فى الأولى دون الثانية و لم يشـعر كلامه فى الثانية إلى جواز إخراج القيمة أصـلا بل يظهر منه خلافه كما ذهب إليه المفيد – ره – و غيره.

و لكن يجاب عنه بأنّ إطلاق قوله عليه السّلام فهل للّه فى أموالكم من حقّ ، يشـمل القسمين كليهما و كذلک إطلاق قوله: فخذ ما أعطاک من ذهب و فضـة، و قوله: فإن كان له ماشـية أو إبل – إلـخ – يفسّر أحد القسـمين أعنى زكاة الأنعام كما هو الظاهر من كلمة الفاء على هذا التقدير أى إن أعطاک زكاة الأنعام من جنسها من المواشى و الإبل فحكمها كذلک و يجب أن تكون سيرتک فيها كذلک فليتأمل جيّدا.

ثمّ إنّ الماشـية و الإبل تعمّ أنواعهما من معز و ضأن و بقر و جاموس و عراب و بخاتى و لا تشمل الماشية البغال و الحمير و الرقيق و الخيل فلا يجب فيها الزكاة بل و لا يسـتحب فى الثلاثـة الاول و انما يسـتحب فى إناث الخيل السّائمـة فقط عن كلّ عتيق ديناران و عن كلّ برذون دينار واحـد. و كـذا لا تشـمل بقر الوحش لأنّها تنصـرف باطلاقها إلى الأهليّـة، و خالف فيه بعض العامّـة فراجع إلى المسألة 62 من زكاة الخلاف، و إلى زكاة المنتهى.

قوله عليه السّلام:(فإنّ أكثرها له إلخ) علّل إذنه بأنّ أكثر الماشية و الإبل له. و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بأنّ قوله: فأنّ أكثرها له، كلام لا مزيد عليه فى الفصاحة و الرياسة و الدين و ذلک لأنّ الصدقة المسـتحقة جزء يسـير من النّصاب و الشـريک إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل و يتصرّف إلاّ باذن شريكه فكيف إذا كان له الأقلّ ، انتهى.

أقول: كلام الأمير عليه السّلام هـذا ظاهر فى أنّ الزكاة تجب فى عين المال لا الذمّـة، كما أنّ قوله عليه السّلام: و اصدع المال صدعين ثمّ خيّره – إلخ – ظاهر أيضا فى أنّ الخيار إلى ربّ المال لا إلى السّاعى أعنى أنّ ربّ المال مخيّر فى أن

يعيّن ذلک فی أیّ جزء شاء کما ذهب إلیهما شیخ الطائفة قدّس سرّه فی زکاة الخلاف (مسئلة 28) و نصّ بالأوّل العلاّمة فی القواعد و المحقّق فی الشرائع و المعتبر بقولهما: الزّکاة تجب فی العین لا فی الذمّة و الروایات الاخری صریحة أیضا بأنّ الفریضة تتعلق بالأعیان لا بالذمّة و الأصل براءة الذمّة. و هو المشهور من الإمامیّة بل لم ینقل الخلاف فیه صریحا عن أحد منهم بل ادّعی غیر واحد منهم الاجماع علیه.

ثمّ المراد بوجوبها فی العین تعلقها بها أعنی أنّ العین هی مورد هذا الحقّ لا الذّمة، لا وجوب إخراج الزکاة منها لما علمت آنفا من جواز إخراج القیمة فی الزّکوات کلّها. و فی المقام بحث فقهیّ أتی به صاحب الجواهر – ره – فی زکاة الجواهر، و الفقیه الهمدانی – ره – فی کتاب الزّکاة من مصباح الفقیه. أعرضنا عنه خوفا للإطناب و لخروجه عن موضوع الکتاب فلیرجع الطالب إلیهما.

قوله علیه السّلام:(و اصدع المال صدعین إلخ) ثمّ علّم السّاعی کیفیة استخراج الزّکاة من المال و أمره أن یفرّقها فرقتین و یخیّر ربّ المال فی اختیار إحدی الفرقتین و أن لا یتعرّض لما اختار و هکذا إلی أن یبقی منها مقدار حقّ اللّه فیها. ثمّ أمره بتسهیل الأمر له و عدم تشدیده علیه بقوله (فان استقالک فأقله) ثمّ أمره أن یستأنف العمل رأسا بعد الاقالة بأن یخلط المال ثمّ یصدعه صدعین و یخیّره فی اختیار أیّ شقین شاء، ثمّ یقسّم الشق الباقی قسمین و هکذا إلی أن ینتهی أحد الصدعین إلی مقدار الواجب من حقّ اللّه فیقبض.

قال الشّیخ – ره – فی المسألة 21 من زکاة الخلاف: یفرق المال فرفتین و یخیّر ربّ المال و یفرق الاخر کذلک و یخیّر ربّ المال إلی أن یبقی مقدار ما فیه کمال ما یجب علیه فیؤخذ منه، و قال عمر بن الخطّاب: یفرق المال ثلاث فرق یختار ربّ المال واحدة منها و یختار السّاعی الفریضة من الاخری، و قال الشافعی: لا یفرق المال ذکر ذلک فی القدیم، دلیلنا اجماع الفرقة و الخبر المروی عن أمیر المؤمنین علیه الصّلاة و السّلام فیما قاله لعامله عند تولیته إیاه و وصّاه به و هو

معروف. انتهى.

ثمّ إنّ إطلاق كلامه عليه السّلام فى خيار ربّ المال فى إخراج الفريضة من أىّ صدعين شاء يقتضى عدم الفرق فى جواز الاخراج من أحد الصدعين بين ما إذا تساوت قيمتهما أو اختلفت و بهذا التعميم جزم غير واحد من الإمامية منهم العلاّمة فى جملة من كتبه كما حكى و المحقّق فى المعتبر و الشرائع حيث قال فيه:

و المالک بالخيار فى إخراج الفريضة من أىّ الصّنفين شاء. و قال صاحب المدارک:

و هو متّجه لصدق الامتثال بإخراج مسمّى الفريضة و انتفاء ما يدلّ على اعتبار ملاحظة القيمة مطلقا كما اعترف به الأصحاب فى النوع المتّحد. انتهى.

ثمّ يستفاد من كلامه عليه السّلام: و اصدع المال صدعين، إلخ فرع فقهى آخر كما ذكره العلاّمة فى المنتهى (ص 481) فى زكاة الإبل و استشهد بهذا الكلام حيث قال: لو اجتمع فى مال ما يمكن إخراج الفريضتين كا المأتين يعنى المأتين من الإبل يتخيّر المالک ذهب إليه علماؤنا إن شاء أخرج الحقاق الأربع، و إن شاء أخرج خمس بنات لبون - ثمّ نقل أقوال العامّة فيه إلى أن قال: لنا ما رواه الجمهور فى قول النّبى عليه السّلام فى كتاب الصدقات: فإذا كانت مأتين ففيها أربع حقاق أو خمس بنات لبون أىّ الصّنفين وجدت أخذت. و قوله عليه السّلام لمعاذ: إياک و كرائم أموالهم. و من طريق الخاصّة ما رواه الشّيخ فى الحسن عن بريد بن معاوية قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: بعث أمير المؤمنين عليه السّلام مصدّقا من الكوفة إلى باديتها - فنقل الرّواية بكمالها ثمّ قال بعده: و لأنّ الامتثال يحصل مع إخراج المالک أىّ النّصفين شاء فيخرج به عن العهدة، و لأنّها زكاة ثبت فيها الخيار فكان ذلک للمالک - إلخ.

قوله عليه السّلام:(و لا تأخذنّ عودا إلخ) ثمّ نهى عليه السّلام السّاعى عن أن يأخذ فى الفريضة تلک المعيبات الخمس. قد علمت فى بيان اللّغة أنّ العود المسنّ من الإبل و هو الّذى جاوز فى السنّ البازل و المخلف. و الهرم هو كبر السنّ . و فى منتهى الأرب: يقال: جمل بازل و ناقة بازل - و اين در سال نهم باشد - و ليس بعده سنّ يسمّى

و يقـال بعـد ذلک بازل عام و بازل عامين. مخلف كمحسن: شتر كه از نه سالگى در گذشـته باشـد. عود: كلانسال از شتر و كوسـپند، هرم ككتف: نيک پير خرف.

قال العلاّمة قدّس سرّه فى زكاة المنتهى (ص 485 ج 1): مسـئلة و لا يؤخذ المريضة من الصحاح و لا الهرمة من غيرها و لا الهرمة الكبيرة و لاـ ذات العوار من السـليم و ذات العوار هى المعيبـة و لاـ نعلم فيه خلافـا قـال اللّه تعـالى: «وَ لاـ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ». و روى الجمهور عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله أنه قال: و لا يؤخـذ فى الصدقـة هرمـة و لا ذات عوار و لا تيس إلا أن يشاء المصـدّق. و من طريق الخاصّـة ما رواه الشّـيخ فى الصّـحيح عن محمّـد بن قيس عن أبى عبـد اللّه عليه السّـلام قال: و لا يؤخـذ هرمـة و لا ذات عوار إلاّ أن يشاء المصدّق، و لأنّ فى ذلک ضررا للفقراء. انتهى.

أقول: قوله – ره –: و لا الهرمة من غيرها و لا الهرمة الكبيرة يشير إلى قوله عليه السّلام: و لا تأخذن عودا و لا هرمة. و المشهور فى المصدّق بكسـر الـدّال و ذكره الخطائى بفتحها، قال: و كان أبو عبيـد يرويه إلاّ أن يشاء المصدّق بفتح الدّال يريد صاحب الماشـية، أفاده ابن الأثير فى النهاية، و الطريحى فى المجمع و النّراقى قدّس سرّه فى المستند ثمّ قال: و احتمله – يعنى فتح الدّال – فى الذّخيرة.

أقول: لكن الصّواب هو الأوّل كما عليه المشـهور فإنّ المراد من قول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و صحيحى أبى بصير و محمّد بن قيس إلاّ أن يشاء المصـدّق أنّ تلک المعيبات لا يؤخذ فى الفريضة إلاّ أن يقبلها المصدّق لأنّ العاملين على الزكاة من الأصـناف الثمانية من مسـتحقى الزّكـاة قال اللّه تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبـة: 61) فهو يكون مسـتحقّا للزّكاة فيعطيها بدل الصّـحيح من الماشـية و الإبل و ليس فى ذلک ضـرر للفقراء فالرّوايات قائلة بجواز أخذ تلک المعيبات مع مشيّة المصدّق بمعنى قبوله إيّاها له، و كيف يصحّ حمل الرّواية على معنى إلاّ أن يشاء صاحب الماشية مع أنّ قوله فى ذلک لا يسمع و الأصحاب صرّحوا من غير ذكر خلاف بل ادّعوا الاجماع

عليه أنّه لا يكفى فى الفريضـة المريضـة من الصـحاح و الهرمة من الفتيات و ذات العوار من السـليمة مضافا إلى قوله تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ وَ مِمّا أَخْرَجْنا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (البقرة: 272).

على أنّ إطلاق المصدّق بالكسـر على السّاعى الّذى يأخذ الفريضة ممّا أجمعت عليه أئمّة اللّغة و عامّة الرواة. و قال ابن الأثير فى النهاية: و خالف أبا عبيد عامّة الرواة فقالوا: بكسر الدّال و هو عامل الزّكاة الّذى يستو فيها من أربابها يقال: صدّقهم يصدّقهم فهو مصدّق.

و فى الكافى فى باب آداب المصدّق باسـناده عن محمّد بن خالد أنه سأل أبا عبد اللّه عليه السّلام عن الصّدقة، فقال: إنّ ذلک لا يقبل منک، فقال: إنّى أحمل ذلک فى مالى فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام: مر مصدّقک أن لا يحشر من ماء إلى ماء. الحديث.

و فى ذلک الباب منه أيضا باسـناده عن حريز، عن محمّد، عن أبى عبـد اللّه عليه السّلام انه سـئل أ يجمع الناس للمصـدّق أم يأتيهم على مناهلهم ؟ قال: لا بل يأتيهم على مناهلهم فيصدّقهم.

و فيه أيضا باسناده عن غياث بن ابراهيم، عن جعفر، عن أبيه، عليهما السّلام قال:

كان علىّ عليه السّلام إذا بعث مصدّقه قال: إذا أتيت على ربّ المال فقل له: تصدّق رحمک اللّه ممّا أعطاک اللّه، فان ولى عنک فلا تراجعه.

و قال الجوهرى فى الصـحاح: المصـدّق الّذى يصـدّقک فى حديثک و الّذى يأخذ صدقات الغنم، و المتصدّق الّذى يعطى الصّدقة. و فى أساس البلاغة للزمخشرى: أخذ المصدّق الفريضة، قال:

ودّ المصدّق من بنى عبر أنّ القبائل كلّها غنم

و فى منتهى الأرب: تصديق: راستگو داشتن كسيرا و صدقات گرفتن مصدّق كمحدّث صدقات گيرنده نعتست از آن.

فبما قدّمنا علم أيضا أنّ ضبط المصدّق فى الرواية كما ذهب إليه أبو موسى على

ما فی النهایـة الأثیریّـة علی تشدید الصاد و الدال معا و کسـر الدّال بمعنی صاحب المال و أصـله المتصدق فادغمت التاء فی الصاد، لیس بصواب أیضا.

قال قطب الـدّین الراونـدی رحمه اللّه تعالی - علی ما نقله عنه الشارح البحرینی - ره -: الظاهر من کلامه علیه السّلام أنه کان یأمر باخراج کلّ واحد من هذه الأصناف المعیبة من المال قبل أن یصدع بصدعین. انتهی.

و قـال الشـارح المعتزلی: و ینبغی أن یکون المعیبات الخمس و هی المهلوسـة و المکسورة و أخواتهما یخرجها المصـدّق من أصل المال قبل قسمته و الاّ فربّما وقعت فی سهم المصدّق إذا کان یعتمد ما أمره به من صدع المال مرّة بعد مرّة. انتهی.

أقول: إذا کان أخـذ تلک المعیبات فی الفریضة منهیا عنه فهی خارجة عن الفریضة رأسا سواء اخرجت قبل صدع المال أو بعده نعم إخراجها قبـل الصـدع تسـهیل للأـمر و إلاّـ فلیس هو أحـد الأحکـام أو الاداب المعتبرة فی الزکاة کما لم یتعرض علیها أحـد من الفقهاء فی الکتب الفقهیة.

ثمّ إنّ للامام أن یسـتأجر الساعی بأجرة معلومـة مدة معلومة و أن یجعل له جعالة علی عمله إذا أوفی العمل دفع إلیه العوض فلم یکن له فی هـذا الوجه أخـذ شـیء من الصدقات، و أمّا فی غیر هذا الوجه فربما لم تقع الفریضة فی سـهمه بل تقع فی سـهم الفقراء فلو یخلو فی کلام الشارح المعتزلی و إلاّ فربّما وقعت فی سـهم المصدّق من دغدغة لأنّ کلامه ینبیء أنّ النهی عن أخذ المعیبات الخمس فی الفریضة یکون من حیث وقوعها فی سهم المصدّق و قد علمت تحقیق القول فیه.

ثمّ إنه هل یجوز للهاشـمی أن یکون عاملا؟ منع أصـحابنا الامامیّـة من ذلک لأنّ ما یأخـذه زکاة و هی محرّمة علیهم و لمّا سأل الفضل بن العبـاس و المطّلب ابن ربیعـة النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله أن یولّیهما العمالـة قال لهما: الصدقـة أوساخ الناس و انها لا تحلّ لمحمّـد و آل محمّد، کما فی المنتهی، و فی صحیحة العیس بن القاسم عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اناسا من بنی هاشم أتوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فسألوه أن یستعملهم

على صدقات المواشـى و قالوا: يكون لنا هذا السهم الّذى جعله اللّه عزّ و جلّ للعاملين عليها فنحن أولى به، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا بنى عبد المطّلب إنّ الصدقة لا تحلّ لى و لا لكم و لكن قد وعدت الشـفاعة. و قال الشيخ قدّس سرّه: هذا مع تمكّنهم من الخمس أمّا مع قصورهم فيجوز لهم.

أقول: مرادهم من عدم جواز كون الهاشـمى عاملا إذا لم يكن الزكاة من الهاشميّين لأنّ زكاة غير الهاشميّين محرّمة على بنى هاشم لا مطلق الزكاة، كما فى زكاة الفطرة.

قال العلاّمـة فى المنتهى: قد وقع الخلاف بين الفقهاء فى وجه اسـتحقاق العاملين على الزكاة، فعندنا أنه يسـتحق نصـيبا من الزكاة، و به قال الشافعى و قال أبو حنيفة: يعطى عوضا و أجرة لا زكاة.

لنـا: قوله تعـالى: «إِنَّمـا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها » و العطف بالواو يقتضـى التسويـة فى المعنى و الاعراب و ما رواه الجمهور عن النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أنّ اللّه تعـالى لم يرض فى قسـمتها نبىّ مرسـل و لا ملک مقرّب حتّى قسّـمها بنفسه فجزّاها ثمانية أجزاء، و من طريق الخاصّـة ما رواه زرارة و محمّد بن مسـلم فى الحسن عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قالا: قلنا له: أرأيت قوله تعالى: «إِنَّمَا الصَّدَقـاتُ لِلْفُقَراءِ » الايـة أ كلّ هولاء يعطى ؟ فقال: إنّ الإمام يعطى هؤلاء جميعا، و عن سـماعة قال: سألت أبا عبـد اللّه عليه السّـلام عن الزكـاة لمن يصـلح أن يأخـذها؟ قال: هى تحلّ للّـذين وصف اللّه تعالى فى كتابه: للفقراء و المساكين إلى آخرها. و لأنّه لو اسـتحقّها على سبيل الاجرة لافتقر إلى تقـدير العمل أو المدّة و تعيين الاجرة و ذلک منفىّ إجماعا لأنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و الأئمة عليهم السّـلام بعده لم يعينوا شيئا من ذلک.

و لأنّه لو كان اجرة لما منع منها الهاشمى.

احتجّ أبو حنيفة بأنّه لا يعطى إلاّ مع العمل و لو فرّقها المالک أو الإمام لم يكن له نصـيب، و لأنّه يأخذها مع الغنى و الصدقة لا تحلّ لغنى. و الجواب كونهم لا يأخذون إلاّ مع العمل لا ينافى استحقاقهم منها و نحن ندفعها إليهم على

وجه استحقاقهم لها بشرط العمل لأنها عوض عن عملهم لعدم اعتبار التقدير و إعطاؤه لا ينافى غناه لأنّه يأخذها باعتبار عمله لا باعتبار فقره كما يعطى ابن السبيل مع غنائه فى بلده و يدخل فى العاملين الكاتب و القسّام و الحاسب و الحافظ و العريف أمّا الإمام و القاضى و نائب الامام فلا. انتهى.

ثمّ إنّ النهى عن أخذ المعيبات منصرف عمّا إذا كان النصاب كلّه كذلک فلو كان كلّه كذلک لم يكلّف شراء الصحيح، على أنّ قوله تعالى «منه» فى الاية يدلّ على أنّ الخبيث بعض المال، و كذا الظاهر من قوله تعالى «وَ لا تَيَمَّمُوا » فانّ القصد إلى الخبيث ظاهر فى وجود غيره أيضا، كما أنّ المرجع فى صدق الأصناف المعيبة إلى العرف فانّ صدق المعيب على مثل العرج القليل أو مقطوع الاذن أو القرن و نحوها بحيث يشملها النهى فى الاية و فى قوله عليه السّلام و فى الأخبار الاخرى مشكل بل خلافه ظاهر أو متعيّن.

قوله عليه السّلام:(و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق به، إلخ)ثمّ أكّده بقوله: و لا توكل بها إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا إلخ. نهى عليه السّلام عامله عن أن يولى على مال المسلمين من ليس محلاّ للأمانة، و الأمانة أحد الشروط المعتبرة فى العاملين و قد اشترطوا فى العامل البلوغ و العقل و الاسلام و العدالة و الفقه و اعتبر بعضهم الحرّية أيضا و قد علمت آنفا أنه لا يجوز للهاشمى أن يكون عاملا، و يقتصر فى الفقه فيمن يتولاّه على ما يحتاج إليه.

قال فى المدارک: لا ريب فى اعتبار استجماع العامل لهذه الصفات الأربع التكليف و الايمان و العدالة و الفقه لأنّ العمالة تتضمّن الاستيمان على مال الغير و لا أمانة لغير العدل، و لقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخبر المتقدم: فاذا قبضته فلا توكل به إلاّ ناصحا شفيقا و أمينا حفيظا. و إنما يعتبر الفقه فيمن يتولّى ما يفتقر إليه و المراد منه معرفته بما يحتاج إليه من قدر الواجب و صفته و مصرفه و يختلف ذلک باختلاف حال العامل بالنسبة إلى ما يتولاّه من الأعمال. قال: و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إلى عدم اعتبار الفقه فى العامل و الاكتفاء فيه بسؤال العلماء و استحسنه فى

البيان و لا بأس به.

قال: و شرط كونه غير هاشمى إنما يعتبر فى العامل الذى يأخذ النصيب لا فى مطلق العمالة فلو كان العامل من ذوى القربى و تبرّع بالعمل أو دفع إليه الإمام شيئا من بيت المال جاز، لأنّ المقتضى للمنع الأخذ من الزكاة و هو منتف هنا.

و كذا لو تولى عمالة قبيلة أو مع قصور الخمس، و يدلّ على اعتبار هذا الشرط ما رواه الشيخ فى الصحيح عن العيص بن القاسم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اناسا من بنى هاشم أتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فسألوا أن يستعملهم على صدقات المواشى الخبر.

قال: و حكى الشيخ فى المبسوط عن قوم جواز كون العامل هاشميا لأنه يأخذ على وجه الاجرة، فكان كسائر الإجارات و هو ضعيف جدا قاله فى المختلف و الظاهر أنّ القوم الّذين نقل الشيخ عنهم من الجمهور إذ لا أعرف قولا لعلمائنا فى ذلك.

قال: و اختلف الأصحاب فى اعتبار شرط الحرّية فذهب الشيخ إلى اعتباره و استدلّ له فى المعتبر بأنّ العامل يستحقّ نصيبا من الزكاة و العبد لا يملك و مولاه لم يعمل ثمّ أجاب عنه بأنّ عمل العبد كعمل المولى، و قوى العلاّمة فى المختلف عدم اعتبار هذا الشرط لحصول الغرض بعمله و لأنّ العمالة نوع اجارة و العبد صالح لذلك مع اذن سيّده، و يظهر من المحقق فى المعتبر الميل إليه و لا بأس به، أمّا المكاتب فلا ريب فى جواز عمالته لأنّه صالح للملك و التكسّب انتهى كلامه - ره -.

قال العلاّمة - ره - فى المنتهى فى وجه اشتراط الاسلام بأنّ الكافر ليس أهلا للأمانة قال اللّه تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ » و رفع أبو موسى الأشعرى إلى عمر حسابا فاستحسنه فقال من كتب هذا؟ فقال: كاتبى، قال: فأين هو؟ قال: على باب المسجد، فقال: أجنب هو؟ قال: لا- و لكنّه نصرانى فقال: لا- تأتمنوهم و قد خوّنهم اللّه و لا تقرّبوهم و قد بعّدهم اللّه. و لأنّ ذلك ولاية على المسلمين و قد قال اللّه تعالى: «وَ لَنْ يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ».

قوله عليه السّلام (حتّى توصله إلى وليّهم فيقسمه بينهم) إن بنى الفعل الأوّل على

الخطـاب فهو راجع إلى العامـل، و على الغيبـة إلى من فى قوله: إلاّـ من تثق به و أما الثانى فالصواب فيه أن يقرأ على الغيبـة لكى يرجع إلى الولىّ و أراد بـالولىّ نفسه. قال اللّه تبارک و تعالى: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » «المائدة» و الاية من الأدلّة الواضـحة على أنّ أمير المؤمنين عليه السّـلام هو ولىّ المسـلمين بعد اللّه تبارک و رسوله صلّى اللّه عليه و آله فالاية دالّة على إمامته عليه السّلام بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله بلا فصل فراجع إلى كتب التفسير.

و أفاد الفاضل الشارح المعتزلى فى المقام حيث قال: قد كرّر عليه السّـلام قوله: لنقسـمها على كتاب اللّه و سنة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فى ثلاثة مواضع من هذا الفصل الأوّل قوله: حتّى يوصـله إلى وليهم ليقسـمه بينهم، الثانى قوله: نصـيره حيث أمر اللّه به، الثالث قوله: ليقسمها على كتاب اللّه، و البلاغة لا تقتضى ذلک و لكنّى أظنه أحبّ أن يحتاط و أن يدفع الظنة عن نفسه فانّ الزمان كان فى عهده قد فسد و ساءت ظنون الناس لا سيما مع ما رواه من عثمان و استيثاره بمال الفىء.

قوله عليه السّـلام (ثمّ احـدر إلينا إلـخ) ثمّ أمر عليه السّـلام المصـدّق بأن يسوق إليه سـريعا ما اجتمع عنـده من حقّ اللّه يقال: حدر يحدر كينصر و يضرب إذا أسرع، إنما أمره كذلک لأنّ فى تأخيره خوف التلف، أو لشدّة احتياج المستحقّين إليه.

و فى المقام يبحث عن فروع فقهيّة:

اشارة

أحدها أنّ الظاهر من كلامه عليه السّلام: احدر إلينا جواز نقل مال الزكاة إلى بلد آخر.

و ثانيها حمل الزكاة وجوبا إلى الولىّ عليه السّلام أو إلى من قام مقامه.

و ثالثها عدم جواز التصرف فى الزكاة للساعى، و فى الفروع اختلاف بين الفقهاء و نكتفى بنقل طائفة من أقوالهم دون أدلّتهم تفصيلا.

أمّا الفرع الأوّل

ففى المختلف قال الشـيخ فى الخلاف: لا يجوز نقل مال الزكاة من بلد إلى بلد مع وجود مسـتحقه فان نقله كان ضامنا له إن هلک، و إن لم يجد له مسـتحقا جاز له نقله و لا ضـمان عليه أصـلا. و فى المبسوط : و إذا وجب عليه زكاة فعليه أن يفرّقها فى فقراء أهل بلده فان نقلها إلى بلد آخر مع وجود المستحق

فی بلده و وصل إلیهم أجزأه و إن هلک ضـمن و إن لم یجد مستحقا فی بلده جاز حملها إلی بلد آخر و لا ضمان علی حال و لا فرق بین أن ینقلها إلی قریب أو بعید فإنّه لا یجوز نقلها عن البلد مع وجود المستحق إلاّ بشرط الضمان و مع عدم المستحق یجوز بالإطلاق.

و فی النهایة: متی لم یجد من تجب علیه الزکاة مسـتحقّا عزلها من ماله و انتظر بها مستحقها فان لم یکن فی بلده جاز أن یبعث بها إلی آخر فإن اصـیب فی الطریق أجزأه، و إن کان قد وجد فی بلده مستحقا فلم یعطه و آثر من یکون فی بلد آخر کان ضامنا لها إن هلکت وجب علیه إعادتها.

و قال المفیـد: إذا جاء الوقت فعدم المسـتحق عزلها من ماله إلی أن یجد من یسـتحقها من أهل الفقر و الایمان و إن قدر علی إخراجها إلی بلد یوجد فیه مستحق أخرجها و لم ینتظر بها وجود مستحقها ببلده إلاّ أن یغلب علی ظنه فوت وجوده و یکون أولی بها ممّن یحمل إلیه من أهـل الزکـاة فان هلکت فی الطریق المحمول فیها إلی مسـتحقها أجزأت عن صاحب المال و لا یجزیه ذلک إذا حملها و هلکت و قـد کان واجدا لمستحقها فی بلده و إنما أخرجها منه إلی غیره لاختیار أهل الاستحقاق و وضعها فی بعض من یؤثره منهم دون من حضره.

و قال صاحب الوسیلة فیها: إذا وجد المستحق فی بلده کره له نقلها إلی آخر فان نقل ضمن، و إن لم یوجد لم یضمن.

و قال أبو الصـلاح: و أهل المصر أولی من قطّان غیره، فان لم یکن فی المصر من یتکامل فیه صفات مستحقها اخرجت إلی من یستحقها، و إذا ارید حملها إلی مصـر آخر مع فقد من یسـتحقها فی المصر فلا ضمان علی مخرجها فی هلاکها و إن کان السبیل مخوفا لم یجز حملها إلاّ بإذن الفقیر، فان نقلت من غیر إذنه فهی مضـمونة حتّی تصل إلیه، و إن کان فی مصـره من یستحقها فحملها إلی غیره فهی مضمونة حتّی تصل إلی من حملت إلیه إلاّ أن یکون حملها إلیه باذنه فیسقط الضمان.

و أما الثانى

ففى المختلف أيضا قال المفيـد رحمه اللّه تعالى: فرض على الامّة حمل الزكاة إلى النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و الامام خليفته و قائم مقامه فاذا غاب الخليفة كان الفرض حملها إلى من ينصـبه خليفة من خاصّته فاذا عدم السفراء بينه و بين رعيّته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته. و قال أبو الصـلاح: يجب على كلّ من تعيّن عليه فرض زكاة أو فطرة أو خمس أو أنفال أن يخرج ما وجب عليه من ذلک إلى سلطان الإسـلام المنصوب من قبله تعالى إو إلى من ينصـبه لقبض ذلک من شـيعته ليضعه مواضعه، فان تعذّر الأمران فإلى الفقيه المأمون فـإن تعـذّر و أثر المكلف تولّى ذلـک بنفسه فمسـتحق الزكاة و الفطرة الفقير المؤمنين، و هـذا الكلام منهما يشـعر بوجوب حمل الزكاة إلى الإمام أو نائبه أو الفقيه على ما رتّبناه.

و قال ابن البراج: و إذا كان الإمام ظاهرا وجب حمل الزكاة إليه ليفرّقها فى مسـتحقها، فان كان غائبا فإنّه يجوز لمن وجبت عليه أن يفرّقها فى خمسة أصناف و هو يدلّ على الوجوب أيضا.

و قال الشيخ رحمه اللّه تعالى: الأموال ضربان: ظاهرة و باطنة، فالباطنة الدنانير و الدراهم و أموال التجارات، فالمالک بالخيار بين أن يدفعها إلى الإمـام أو من ينوب عنه و بين أن يفرّقهـا بنفسه على مسـتحقها بلاـ خلاف فى ذلک. و أما زكاة الأموال الظاهرة مثل المواشـى و الغلاّت فالأفضل حملها إلى الإمام إذا لم يطلبها، و إن تولّى ففرّقها بنفسه فقد أجزأ عنه.

و قال السـيّد المرتضـى: الأفضل و الأولى إخراج الزكاة لا سـيما فى الأموال الظاهرة كالمواشى و الحرث و الغرس إلى الإمام و إلى خلفائه النائبين عنه [و إن تولّى ظ] من وجبت عليه بنفسه من دون الإمام جاز.

ثمّ قال العلاّمـة رحمه اللّه تعالى: و الحقّ الاسـتحباب إلاّ مع الطلب فيجب كما اختاره الشـيخ و هو قول ابن إدريس، إلى أن قال: لو طلبها الإمام فلم يدفعها إليه و فرّقها بنفسه قال الشيخ لا يجزيه و هو الذى يقتضيه قول كلّ من أوجب الدفع إليه مع غير الطلب، و قيل: يجزيه.

لنا أنّها عبادة لم يأت بها على وجهها المطلوب شرعا فيبقى فى عهدة التكليف أمّا أنها عبادة فظاهر، و أمّا أنّه فعلها على غير الوجه المطلوب فللاجماع على وجوب الدفع إلى الإمام مع الطلب فاذا فرّقها بنفسه لم يأت به على وجهه.

احتجّ الاخرون بأنّه دفع مالا إلى مستحقه فيخرج عن العهدة، و الجواب إنما يخرج عن العهدة لو دفعه إليه على الوجه المطلوب منه.

و أمّا الفروع الثالث

ففى المنتهى: إذا قبض السّاعى الصدقة و حملها إلى الإمام أو فرّقها إن كان قد أذن له فى التفريق فليس له أن ينتفع منها شيئا إلاّ مع الحاجة و العذر كما إذا مرضت الشاة فيخاف عليها التلف قبل اتّصالها إلى المستحق أو كان التفريق مخوفا أو احتاج فى نقله إلى مؤنة يستوعبه فأمّا لغير عذر فلا يجوز لقوله عليه السّلام لمعاذ بن جبل: أعملهم أنّ عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم، و لما بعث أمير المؤمنين عليه السّلام المصدق قال له: ثمّ احدر ما اجتمع عندک من كلّ ناد إلينا نصيّره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ ، و لما عدل عن البيع الّذى هو الأرفق إلى الأشقّ دلّ على أنّ الواجب ذلک، أمّا مع العذر فلا بأس لأجل الضرورة، و قد روى الشيخ رحمه اللّه تعالى عن محمّد بن خالد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام بيع الصدقة، و هو محمول على ما قلناه، إذا ثبت هذا فإن باع لا للضرورة لم يصحّ البيع فان كانت العين باقية استرجعت و ان نقصت ضمن الأرش، و إن كانت تالفة ضمن المشترى المثل فان تعذّر أو لم يكن مثله ضمن القيمة.

قوله عليه السّلام:(فاذا أخذها أمينک إلخ) فيه زيادة تأكيد لقوله الماضى آنفا:

و لا تأمننّ عليها إلاّ من تثق بدينه، حيث ذكره بالوصف مشعرا بذلک من كونه أمينا ثمّ أمره أن يوعز إلى أمينه و يوصى إليه بحال الماشية و الإبل بأن يراعى فيها عدّة امور:

أحدها أن لا يحول بين ناقة و فصيلها طمعا فى اللّبن.

و ثانيها أن لا يحلب كلّ ما فى ضرعها فيضرّ ذلک بولدها فيبقى جائعا.

و ثالثها أن لا يتعبنّها ركوبا.

ص:22

و رابعهـا أن يعـدل بين صواحباتها و بينها فى الركوب أى لا يخصّ بالركوب واحـدة بل تارة يركب عليها و اخرى على غيرها. هـذا إذا جعلنا ذلـک مشـيرا إلى الركوب كمـا هو الظاهر المنساق من العبارة، و يمكن أن يكون مشـيرا إلى كلّ واحـد من الركوب و حلب الضـرع أى كما يجب عليه العدل بينها فى الركوب يجب عليه العدل فى الحلب أيضا بأن لا يخصّ واحدة منها فى ذلک بل تارة يحلب هذه و اخرى اخرى.

و خامسها أن يرفه على اللاّغب أى أن يريح المعيى و يدعه و يعفّه عن الركوب ليستريح.

و سادسـها أن يسـتأنى بالنقب، و هو الّذى رقّت أخفافه فيشق عليه المشـى لأنّ الأرض تجرحه حينئذ، و كذلک أن يستأنى و يرفق بالظالع و هو الذى يظلع أى يغمز فى مشيه.

و سابعها أن يوردها ما تمرّ به من الغدر أى لا يمنعها من الماء.

و ثامنها أن لا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق أى لا يمنعها من الكلاء.

و كانت نسـختا الكافى و التهذيب فى هذا القسم هكذا: و لا يعدل - او و لا يبدل - بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّريق فى الساعة الّتى تريح و تغبق.

و صاحب المدارک - ره - نقل الخبر بطوله من الكافى فى زكاة المدارک (ص 281 من الطبع على الحجر) و قال بعد نقل الخبر: و نقلنا هذا الحـديث بطوله لما فيه من الفوائـد، ثمّ قال: قال ابن إدريس - ره - فى سـرائره بعد ان أورد هذا الخبر: قوله عليه السّلام: و لا تعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعـة الّتى تريـح فيها و تعنق قال محمّد بن إدريس: سـمعت من يقول: تريح و تغبق بالغين المعجمة و الباء يعتقد أنه من الغبوق و هو الشـرب بالعشـى، و هذا تصحيف فاحش و خطاء قبيح و انما هو بالعين غير المعجمة و النون المفتوحة و هو ضرب من سير الابل شديد قال الرّاجز:

يا ناق سيرى عنقا فسيحا إلى سليمان فتستريحا

لأنّ معنى الكلام أنّه لا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ الطرق فى الساعات الّتى لها فيها راحة و لا فى الساعات الّتى عليها فيها مشقة و لأجل هذا قال تريح من الراحة و لو كان من الرواح لقال تروح و ما كان يقول تريح و لأنّ الرواح عند العشاء يكون قريبا منه و الغبوق و هو شرب العشى على ما ذكرناه و لم يبق له معنى و انما المعنى ما قلناه و انما أوردت هذه اللفظة فى كتابى لأنّى سمعت جماعة من أصحابنا الفقهاء يصحفونها. انتهى كلامه – ره –. انتهى ما أتى به السيّد – ره – فى المدارک.

و قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى (ص 22 ج 6) فى بيان الحديث: و الغبوق بالغين المعجمة و الباء الموحّدة شرب آخر النهار، و ضبطه صاحب كتاب السرائر تعنق بالعين المهملة و النون من العنق و هو شدّة سير الابل و جعل جعله تغبق تصحيفا فاحشا و خطاء قبيحا معلّلا بانّ يريح من الراحة ليس من الرواح.

ثمّ قال الفيض – ره – قال استاذنا رحمه اللّه: كون ذلک تصحيفا غير معلوم بل يحتمل الأمرين. انتهى كلام الفيض. و مراده من استاذه هو استاذه فى العلوم النقلية السيّد ماجد بن هاشم الصادقى البحرانى طاب ثراه كما نصّ عليه فى ص 14 ج 6 من زكاة الوافى.

و تاسعها أن يروّحها فى ساعات الرّواح.

و عاشرها أن يمهلها عند وصولها إلى النطاف و الأعشاب، و النطاف المياه القليلة الصّافية جمع النطفة، و الأعشاب جمع العشب و هو الكلاء الرطب.

ثمّ إنّ كلامه عليه السّلام:(و لا يمصر لبنها فيضرّ ذلک بولدها و لا يجهدنّها ركوبا) يفيد أنّ للسّاعى أن ينتفع من الصدقة على مقدار الحاجة كما تقدّم الكلام آنفا فى الفرع الثالث.

و ينبغى التأمل جدّا فى ما أمره عليه السّلام و نهاه فى حقّ البهائم سيّما فيما أوصى من رعاية العدل فى الركوب و الحلب فيها ليعلم أنّ اللّه يحبّ العدل فى حقّها أيضا، و أنّه سبحانه بيّن كلّ ما يتعلق بأفعال المكلّفين و لم يترک شيئا إلاّ و له فيه

حكم. و هذا هو خليفته أوصى فى أخسّ خليفته ما أوصى، فما ظنّک بأشرفها و أكرمها.

فلنذكر فى المقام عدّة روايات منقولة من أئمة الدّين عليهم السّلام فى حقّ الدابة على صاحبها و آداب ركوبها و حملها، ففى الكافى و الفقيه (الوافى ص 66 ج 8) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال لقمان لابنه: يا بنىّ إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرک و امورهم - إلى أن قال: و لا تنامنّ على دابّتک فانّ ذلک سريع فى دبرها و ليس ذلک من فعل الحكماء إلاّ أن تكون فى محمل يمكنک التمدّد لاسترخاء المفاصل، و إذا قربت من المنزل فانزل عن دابّتک و ابدأ بعلفها قبل نفسک فانّها نفسک إلخ. قال الفيض قدّس سرّه: الدّبر محركة قرحة الدابّة، و انما جعل الدابّة نفسه لأنّ هلاكها يستلزم هلاكها.

و فى الخصال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: للدابّة على صاحبها خصال ستّ :

يبدأ بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضرب وجهها فانّها تسبّح بحمد ربّها، و لا يقف على ظهرها إلاّ فى سبيل اللّه عزّ و جلّ ، و لا يحملها فوق طاقتها، و لا يكلّفها من المشى إلاّ ما تطيق.

و فى البحار - باب حق الدابة على صاحبها و آدابها و حملها ص 701 ج 14 من طبع الكمبانى - من المحاسن عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

لا تضربوا وجوه الدّواب و كلّ شىء فيه الروح فانه يسبّح بحمد اللّه.

و فيه من مجالس الصدوق عن الصادق عليه السّلام قال: للدابّة على صاحبها سبعة حقوق: لا يحملها فوق طاقتها، و لا يتّخذ ظهرها مجلسا يتحدّث عليها، و يبدأ بعلفها إذا نزل، و لا يسمها فى وجهها فانها تسبّح، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضربها على النفار، و يضربها على العثار لأنها ترى ما لا ترون.

و فيه من المحاسن و الفقيه عن ابن فضّال عن حمّاد اللحام قال: مرّ قطار لأبى عبد اللّه عليه السّلام فرأى زاملة قد مالت فقال: يا غلام اعدل على هذا الجمل فانّ اللّه يحبّ العدل.

و فيه من نوادر الراوندى عن علىّ عليه السّلام قال: للدّابّة على صاحبها ستّ خصال: يبدأ بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضربها إلاّ على حقّ و لا يحملها إلاّ ما تطيق، و لا يكلّفها من السير إلاّ طاقتها، و لا يقف عليها فواقا.

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لا تتّخذوا ظهور الدواب كراسى فربّ دابة مركوبة خير من راكبها و أطوع للّه تعالى و أكثر ذكرا.

و فيه من الفقيه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه تبارك و تعالى يحبّ الرفق و يعين عليه فاذا ركبتم الدواب العجاف فانزلوها منازلها فان كانت الأرض مجدبة فانجوا عليها، و ان كانت مخصبة فانزلوها منازلها. فقال صلّى اللّه عليه و آله: من سافر منكم بدابّة فليبدأ حين ينزل بعلفها و سقيها.

و فى الكافى باسناده عن عمرو بن جميع عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تتورّكوا على الدّواب و لا تتّخذوا ظهورها مجالس.

و فى البحار عن أبى الدرداء أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله قال: من قال إذا ركب دابّة:

«بسم اللّه الّذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض و لا فى السماء سبحانه ليس سمىّ له سبحان الّذى سخّر لنا هذا و ما كنّا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله عليهم السّلام» إلاّ قالت الدابّة: بارك اللّه عليك من مؤمن خففت على ظهرى و أطعت ربّك و أحسنت إلى نفسك بارك اللّه لك و أنجح حاجتك.

و قد مضى كلام الأمير عليه السّلام حين يركب فى شرح المختار الخامس عشر من باب الكتب «ص 169 ج 18» فراجع. و فى المقام روايات عديدة أتى بها المجلسى - ره - فى البحار فراجع «ص 701 ج 14 - إلى ص 708 من طبع الكمبانى».

قوله عليه السّلام:(حتّى يأتينا باذن اللّه إلخ) ثمّ ذكر عليه السّلام غاية ما أمر العامل أن يوصى إلى أمينه بما مرّ فى أمر الدوابّ ، أى له أن يراعى فيها بتلك الامور حتّى يأتينا إلخ. فقوله: حتّى يأتينا متعلق بقوله: فأوعز إليه، و المنقيات اسم فاعل من انقت الابل اذا سمنت يقال: انقت الابل أى سمنت و صارت ذات نقى بكسر النون

فسكون القاف أى ذات مخّ . ثمّ اتبعه عليه السّلام تشديدا فى حفظ مال المستحقّين و تأكيدا لما أوصى مرارا من قسمته على ما أوجب اللّه تعالى بقوله:(لنقسمها على كتاب اللّه و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله) ثمّ وعده بما يترتب على عمله هذا من الأجر العظيم و القرب من الرشد و الهداية و الصواب، و قال عليه السّلام:(إنّ ذلک أعظم أجرا) لأنّ فيه كثرة مشقّة لا تخفى و لأنّ ذلک أحفظ لمال المستحقّين فثواب حافظه و أجره أقرب رشدا لأنّ فيه اتّباع ولىّ الأمر على نهج رضاه فيه أكثر، و لأنّ اختيار عمل فيه كثرة مشقة يدلّ غالبا على خلوص العامل و صدق نيّته فى إطاعة الامر.

و كفى فى عظم الأجر ما وعد عليه السّلام على ما فى روايتى الكافى و التهذيب المقدّمتين فى ذكر المصدر حيث قال عليه السّلام: فانّ ذلک أعظم لأجرک و أقرب لرشدک ينظر اللّه إليها و إليک و إلى جهدک و نصيحتک لمن بعثک و بعثت فى حاجة فانّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما ينظر اللّه إلى ولىّ له يجهد نفسه بالطاعة و النصيحة له و لإمامه إلاّ كان معنا فى الرفيق الأعلى. قال الفيض قدّس سرّه فى الوافى «ص 22 ج 6» فى بيان الرفيق الأعلى: أى فى الرفقة العالية و هم الأنبياء و المرسلون و الملائكة المقربون.

فرع فقهى

روى المسلم فى آخر كتاب الزكاة من صحيحه باسناده عن عبد اللّه بن أبى أوفى قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهمّ صلّ عليهم» فأتاه أبى أبو أوفى بصدقته فقال: «اللهمّ صلّ على آل أبى أوفى». انتهى.

أقول: قوله صلّى اللّه عليه و آله: اللهمّ صلّ عليهم يشير إلى قوله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » - توبة: 104». ثمّ إنّ الأمير عليه السّلام لم يأمر العامل بالدّعاء بعد أخذ الصدقة لصاحبها و لو كان واجبا لذكره اللهمّ إلاّ أن يقال: إنّ الرضىّ أسقطه على دأبه فى النهج بل صرّح فى المقام بانه ذكر هنا جملا منها كما دريت، و نسخة الكافى كالتهذيب كانت قريبة منه، و مع فرض ذكره فى الوصيّة القول بوجوبه مشكل بل الحق فى المقام أنّ الدّعاء مستحب و ليس الدّعاء موقتا.

قال العلاّمة – ره – فی المنتهی «ص 515»، مسئلة و إذا أخذ الساعی أو الامام الصّدقة دعا لصاحبها قال اللّه تعالی: «خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِها وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ » و تردّد الشّیخ فی الوجوب فقال فی الخلاف به(1) و هو مذهب داود بن علیّ بن خلف الاصبهانی لظاهر الایة و قال فی المبسوط بالاستحباب و هو مذهب أکثر الجمهور و هو أولی لأنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمّا بعث معاذا إلی الیمن قال له: أعلمهم أنّ علیهم صدقة تؤخذ من أغنیائهم فتردّ فی فقرائهم، و لم یأمره بالدّعاء و لو کان واجبا لذکره، و لأنّه براءة للذمّة، و لأنّ الفقراء لو أخذوا الصّدقة بأنفسهم لم یجب علیهم الدّعاء فتاتیهم أولی (کذا فی المنتهی و فی العبارة تصحیف) «الظاهر: فنائبهم م» و لأنّ هذا أداء عبادة فلا یجب الدّعاء لها کالصّلاة، و الایة محمولة علی الاستحباب و لا شیء موقت فی هذا الدّعاء و أیّ دعاء ذکره کان حسنا.

و فی المستند للنراقی – قدّه –: یستحب للعامل و الفقیه و الفقیر الدّعاء للمالک بعد أخذ الزکاة، أمّا من حیث استحباب الدّعاء مطلقا فظاهر، و أمّا من جهة خصوص المورد فلفتوی جمع من الأصحاب، و لا یجب قطعا للأصل و عدم الدلیل سوی الایة المخصوص بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله خطابا و تعلیلا بقوله سبحانه: «إِنَّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ » مضافا إلی عدم معلومیّة شمول مرجع الضمیر لجمیع المؤمنین و عدم صراحة الایة فی کون الصّلاة المأمور بها لأجل أداء الزکاة و بعد مضیها بل عدم ظهورها فیه أیضا.

کلام فی الرجعة

و اعلم أنّ ظاهر قوله علیه السّلام فی ذیل هذه الوصیّة علی نسختی الکافی و التهذیب حیث قال علیه السّلام: – أما و اللّه لا تذهب الأیّام و اللّیالی حتی یحیی اللّه الموتی و یمیت الأحیاء و یردّ اللّه الحقّ إلی أهله و یقیم دینه الذی ارتضاه لنفسه و نبیّه فابشروا ثمّ ابشروا فو اللّه ما الحقّ إلاّ فی أیدیکم – یدلّ علی الرجعة.

1– (1) ثم مال عنه و قال فی کتاب قسمة الصدقات من الخلاف أیضا بالاستحباب کما فی المبسوط . منه.

و قـال الفيض – ره – فى الوافى «ص 22 ج 6»: قوله يحيى اللّه الموتى و يميت الأحياء، إمّا محمول على الحقيقـة بناء على الرجعـة، و إمّا تجوّز، شـبّه الشـيعة لقلّتهم و خفائهم و عدم تمكّنهم من اظهار دينهم بالموتى انتهى كلامه – ره – أقول: حمل العبارة على التجوّز بعيد من صوب الصواب جـدّا و تكلّفه واضـح و لو جـاز حمل العبارة على هـذا النحو من التجوّز لا يبقى لظاهر الألفاظ معنى، و لا للرجعـة محلّ لامكان حمل كلّ خبر قائل بالرجعة على نحو هذا المعنى المتكلّف فيه.

ثمّ إنّ لعلمائنا الاماميّة رسائل عديدة منفردة فى إثبات الرجعة و ربّما أتوا بالبحث عنها فى أثناء كتبهم الكلاميّة تمسّكوا فى إثباتها بعدّة آيات و بروايات كثيرة.

و قال المحدّث الخبير الشّيخ الحرّ العاملى طيّب اللّه رمسه فى أوّل كتابه فى الرجعة المسمّى بالإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، و هو أطول كتـاب عمـل فى الرجعـة ممّا حضـرنا من المؤلّفات فيها ما هـذا لفظه: و قـد نقل جماعـة من علمائنا إجماع الإماميّـة على اعتقاد صحتها و اطباق الشيعة الاثنى عشريّة على نقل أحاديثها و روايتها و تأوّلوا معارضها على شذوذ و ندور بالحمل على التقيّة إذ لا قائل بها من غير الشيعة الإماميّة، و ذلک دليل واضح على صحتها، و برهان ظاهر على ثبوتها و نقل روايتها.

و قال فى آخر كتابه هذا: فهذا ما خطر بالبال و اقتضاه الحال من الكلام فى إثبات الرجعة و دفع شـبهاتها على ضـعفها و عدم صـراحتها فى ابطال الرجعـة و قوّة أحاديث الرجعـة و أدلّتها كما رأيت فانّها وصـلت إلى حـدّ التواتر بل تجاوزت بمراتب فأوجبت القطع و اليقين بل كلّ حديث منها موجب لذلک لكثرة القرائن القطعيّة من موافقة القرآن و الأدلة و السـنة النبوية و تعاضدها و كثرتها و صـراحتها و اشتمالها على ضروب من التأكيـدات و موافقتها لاجماع الاماميّـة و إطباق جميع الرواة و المحـدّثين على نقلها و وجودها فى جميع الكتب المعتمـدة و المصنّفات المشهورة المذكورة سابقا و غيرها، و عدم وجود معارض صريح لها أصلا و عدم

احتمالها للتقية، و استحالة اتفاق رواتها على الكذب، و لعدم قول أحد من العامّة المخالفين للاماميّة بها، و لعدالة أكثر رواتها و جلالتهم، و لصحة طرق كثيرة من أحاديثها، و لكون أكثر رواتها من أصحاب الإجماع الذين اجتمعت الامامية على تصحيح ما يصحّ عنهم و تصديقهم و أقرّوا لهم بالعلم و الفقه، و للعلم القطعى بأنّ كثيرا من هذه الأحاديث كانت مروية فى الاصول المجمع على صحتها الّتى عرضت على الأئمة عليهم السّلام فصحّحوها و أمروا بالعمل بها، و لكثرة تصانيف علماء الإماميّة فى إثبات الرجعة، و لم يبلغنا أنّ أحدا منهم صرّح بردّها و إنكارها فضلا عن تأليف شىء فى ذلک.

و إنّى مع قلّة تتبّعى لو أردت الان لأضفت إلى أحاديث هذه الرسالة ما يزيد عليها فى العدد فتتضاعف الأحاديث لأنّى لم أنقل من رسائل المتأخّرين شيئا مع أنّه حضرنى منها ثلاث رسائل و فيما ذكرنا بل فى بعضه كفاية إن شاء اللّه تعالى فقد ذكرنا فى هذه الرسالة من الأحاديث و الايات و الأدلّة ما يزيد على ستّة مائة و عشرين، و لا أظنّ شيئا من مسائل الاصول و الفروع يوجد فيه من النصوص أكثر من هذه المسألة. انتهى كلامه – ره –.

و قال الاحسائى فى شرح الزيارة الجامعة «ص 268 من الطبع على الحجر 1276 ه » فى شرح قول الامام عليه السّلام «مصدّق برجعتكم» بعد نقل طائفة من الكلام فى الرجعة: مع ما ورد فى الرجعة من النصوص الكثيرة منها ما تقدّم ذكره عن السيّد نعمة اللّه الجزائرىّ أنّه قال: وقفت على ستّمائة و عشرين حديثا فى هذا الباب. و الشّيخ عبد اللّه بن نور اللّه البحرانى الّذى تقدّم ذكره و بعض كلامه و قلنا يأتى تمامه قال: و كيف يشكّ مؤمن بحقيقة الأئمة الأطهار عليهم السّلام فيما تواتر عنهم فى قريب من مأتى حديث صريح رواها نيّف و أربعون من الثّقات العظام و العلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم كثقة الإسلام الكلينى، و الصدوق محمّد بن بابويه، و الشّيخ أبى جعفر الطوسى، و المرتضى و النّجاشى و الكياشى و العيّاشى و علىّ بن إبراهيم و سليم الهلالى و الشّيخ المفيد و الكراجكى و النعمانى و الصفّار

و سعد بن عبد اللّه و ابن قولويه و علىّ بن عبد الحميد و السيّد علىّ بن الطاوس و ولده صاحب كتاب زوائد الفرائد، و محمّد بن علىّ بن إبراهيم و فرات بن إبراهيم مؤلف كتاب التنزيل و التحريف و أبى الفضل الطبرسى و أبى طالب الطبرسى و إبراهيم بن محمّد الثقفى و محمّد بن العبّاس بن مروان و البرقى و ابن شهرآشوب و الحسن بن سليمان و القطب الراوندى و العلاّمة الحلّى و السيّد بهاء الدّين و علىّ بن عبد الكريم و أحمد بن داود بن سعيد و الحسن بن علىّ بن أبى حمزة و الفضل بن شاذان و الشّيخ الشّهيد محمّد بن مكّى و الحسين بن حمدان و الحسن بن محمّد بن الجمهور العمى مؤلّف كتاب الواحدة و الحسن بن محبوب و جعفر بن محمّد بن مالك الكوفى و طهر بن عبد اللّه و شاذان بن جبرئيل صاحب كتاب الفضائل و مؤلف كتاب العتيق و مؤلف كتاب الخطب و غيرهم من مؤلفى الكتب عندنا و لم نعرف مؤلّفه على التّعيين و لذا لم ننسب الأخبار إليهم و إن كان موجودا فيها - إلى أن قال البحرانى المذكور:

و لنذكر لمزيد التشييد و التأكيد أسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدّعى و صنّف فيه أو احتجّ على المنكرين أو خاصم المخالفين سوى ما ظهر ممّا قد منافى ضمن الأخبار و اللّه الموفق فمنهم أحمد بن داود بن سعيد الجرجانى قال الشيخ فى الفهرست: له كتاب المتعة و الرّجعة، و منهم الحسن بن علىّ بن أبى حمزة البطائى و عدّ النّجاشى من جملة كتبه كتاب الرجعة. و منهم الفضل بن الشاذان النيسابورى ذكر الشّيخ فى الفهرست و النّجاشى أنّ له كتابا فى إثبات الرجعة. و منهم الصّدوق محمّد بن علىّ بن بابويه فانّه عدّ النّجاشى من كتبه كتاب الرجعة. و منهم محمّد بن مسعود العيّاشى ذكر النّجاشى و الشيخ فى الفهرست كتابه فى الرجعة. و منهم الحسن بن سليمان على ما روينا عنه الأخبار. و أما سائر الأصحاب فانهم ذكروها فيما صنفوا فى الغيبة و لم يفردوا لها رسالة و أكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفردوا كتابا فى الغيبة و قد عرفت سابقا من روى ذلك من عظماء الأصحاب و أكابر المحدثين الذين ليس فى جلالتهم شكّ و لا ارتياب. و قال العلاّمة - ره - فى خلاصة الرّجال فى ترجمة ميسر بن عبد العزيز: و قال العقيقى

أثنى عليه آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هو ممّن يجاهد فى الرجعة انتهى.

و قال علم المهدى سيّد المرتضى: إنّ الّذى تذهب الشيعة الامامية إليه أنّ اللّه تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدى عليه السّلام قوما ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهدة دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم فيلتذّوا بما يشاهدون من ظهور الحقّ و علوّ كلمة أهله.

و الدلالة على صحّة هذا المذهب أنّ الّذى ذهبوا إليه ممّا لا شبهة على عاقل فى أنه مقدور للّه تعالى غير مستحيل فى نفسه فانا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة، و إذا ثبت جواز الرجعة و دخولها تحت المقدور فالطريق إلى إثباتها إجماع الإماميّة على وقوعها فانهم لا يختلفون فى ذلک و إجماعهم قد بيّنا فى مواضع من كتبنا أنّه حجة لدخول قول الإمام عليه السّلام فيه إلى آخر ما قال، و قد نقل كلامه تماما المجلسى - ره - فى الثالث عشر من البحار الكمبانى «ص 235».

و قال المجلسى - ره - «ص 231 ج 13 من البحار الكمبانى»: اعلم يا أخى أنّى لا أظنک ترتاب بعد ما مهّدت و أوضحت لک فى القول بالرجعة التى أجمعت الشيعة عليها فى جميع الأعصار و اشتهرت بينهم كالشمس فى رابعة النهار حتّى نظموها فى أشعارهم و احتجّوا بها على المخالفين فى جميع أمصارهم و شنع المخالفون عليهم فى ذلک و أثبتوه فى كتبهم و أسفارهم، منهم الرازى و النيسابورى و غيرهما، و قد مرّ كلام ابن أبى الحديد حيث أوضح مذهب الإماميّة فى ذلک و لو لا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيرا من كلماتهم فى ذلک. و كيف يشكّ مؤمن بحقيقة الأئمّة الأطهار عليهم السّلام فيما تواتر عنهم فى قريب من مأتى حديث صريح - إلى آخر ما تقدّم من الشيخ البحرانى المذكور آنفا..

الترجمة

از جملهٔ وصیّت آن حضرت علیه السّلام است که آنرا برای کسی که او را بر گرفتن زکاة عامل می گردانید می نوشت، و ما در اینجا پارهٔ از آنرا آورده ایم تا بان دانسته شود که آن حضرت ستون حق را بپا می داشت و در کارهای کوچک و بزرگ و پنهان و آشکار أحکام عدل را ظاهر میکرد:

برو بر تقوی خدای یکتای بی همتا، مسلمانی را مترسان، و آنچه را که ناخوش دارد بر او مگزین، و بیش از حقّی که خدا در مال او دارد از او مگیر، و چون بقبیله ای رسیدی بکنار آبشان فرود آی بدون این که بخانهایشان در آیی، و بعد از آن برو بسویشان بارامی تن و جان تا در میانشان بایستی پس بر آنان سلام کن و تحیّت و درود را برایشان کم و ناقص مگردان، بعد از آن میگوئی ای بندگان خدا ولیّ خدا و خلیفهٔ او مرا بسوی شما فرستاده تا حق خدا را در اموال شما از شما بستانم آیا در اموال شما برای خدا حقّیست که آنرا بولیّ او بدهید؟ اگر کسی گفت:

نه باز مگرد بر او و دوباره سخن را بر او اعاده مکن، و اگر کسی گفت: آری هست با او برو بدون این که او را بیم دهی و بترسانی، یا بر او سخت گیری یا دشواری را بر او تکلیف کنی، آنچه که از طلا و نقره بتو داده بگیر، اگر او را گاو و گوسفند و شتر است بدون اذنش داخل در آنها مشو زیرا بیشتر آنها مال او است و هر گاه با اذن او بر سر آنها رفتی چون کسی که بر آنها تسلط دارد و درشت کردار است مرو، و حیوانی را مرمان و مترسان و صاحبش را در حق آن مرنجان.

و مال را بدو بخش کن و صاحبش را مخیّر کن تا هر کدام بخش را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرد متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو، دوباره آن باقی را بدو قسم کن باز او را مخیّر کن تا هر کدام قسم را که خواهد اختیار کند و چون اختیار کرده متعرض آنچه را که اختیار کرده است مشو و همچنین پیوسته این کار را میکنی تا آن قدر بماند که وفا کند بحق خدا در مال او، پس حق خدا را از او می گیری پس اگر خواهش فسخ کرده بپذیر و دوباره آنها را درهم آمیز،

سپس آن چنان کن که در اوّل کردی تا حق خدا را در مال او بگیری.

و نگیر شتر پیر را و نه کهن سال را و نه شکسته را و نه سل دار یا بمرض از پای در افتاده را و نه عیبناک را.

و أمین مگردان بر آن مالها مگر کسی را که بدین او وثوق داری که بمال مسلمانان رفق و مدارا کند و مهربان باشد تا مال را به ولیّ مسلمانان برساند که در میانشان قسمت کند، و وکیل مگردان بر آن مواشی و ابل مگر کسی را که نیکوخواه و مهربان و امین و نگهبان باشد، درشتی به آنها نکنـد و زیان نرسانـد، نرنجاند و خسـته نکند، پس آنچه که از أموال زکاة در نزد تو گرد آمده زود آنها را بسوی ما بفرست تا در هر جا که خدا بدان امر فرموده است بگردانیم و صرف کنیم.

پس چون آنها را امین تو برای آوردن گرفت بأو سفارش کن که بطمع شیر میان شتر و بچهٔ شیرخوارش جدائی نیندازد، و همه شیر آنرا ندوشد که به بچه اش ضرر برسد، و آنرا بسوار شدن خسته نگرداند، و بین او و دیگر شتران در سوار شدن و دوشیدن بعدل رفتار کند (یعنی گاهی بر او سوار شود و گاهی بر دیگران و گاهی از او بدوشـد و گاهی از دیگران نه شـیر یکی را تمام بدوشـد و در همه راه بر یکی سوار شود) و باید آسان گردانـد و رفاهت دهـد خسـته را و او را آسایش دهـد، و بر حیوانی که پایش سوده شد و از رفتار وامانده و بتنگ آمده آهسـتگی کند و درنگ و تأنّی نماید، و باید آنها را به غدیرها و حوضـهای آب که می گذرند فرود آورد و وارد سازد و آنها را از زمین گیاهدار به راههایی که از گیاه خالی است نگرداند، و باید آنها را در هر چند ساعتی در چراگاهها راحت دهد تا بفراغت اکل و شـرب نمایند، و باید آنها را در نزد آبها و گیاهها مهلت دهد تا باذن خدا فربه و پر مغز نه رنج دیده و خسـته در نزد ما آورد که آنها را علی کتاب اللّه و سنّت پیمبر خدا قسمت کنیم که باین طور گفتیم عمل شود إنشاء اللّه برای پاداش تو بزرگتر و برشد و رستگاریت نزدیکتر است.

ص:34

و من عهد له عليه الصلاة و السلام الى بعض عماله

اشارة

و قد بعثه على الصدقة – و هو المختار السادس

و العشرون من باب كتبه عليه السّلام و رسائله

أمره بتقوى اللّه فى سرائر اموره و خفيّات أعماله حيث لا شهيد غيره، و لا وكيل دونه. و أمره أن لا يعمل بشيىء من طاعة اللّه فيما ظهر فيخالف إلى غيره فيما أسرّ، و من لم يختلف سرّه و علانيته و فعله و مقالته فقد أدّى الأمانة، و أخلص العبادة. و أمره ألاّ يجبههم و لا يعضههم و لا يرغب عنهم تفضّلا بالإمارة عليهم فإنّهم الإخوان فى الدّين، و الأعوان على استخراج الحقوق. و إنّ لک فى هذه الصّدقة نصيبا مفروضا، و حقّا معلوما، و شركاء أهل مسكنة، و ضعفاء ذوى فاقة، و إنّا موفّوک حقّک فوفّهم حقوقهم، و إلاّ فإنّک من أكثر النّاس خصوما يوم القيامة و بؤسا لمن خصمه عند اللّه الفقراء و المساكين و السّائلون و المدفوعون و الغارم و ابن السّبيل، و من استهان بالأمانة و رتع فى الخيانة و لم

ص:35

ينزّه نفسه و دينه عنها فقد أخلّ بنفسه فى الدّنيا و هو فى الاخرة أذلّ و أخزى، و إنّ أعظم الخيانة خيانة الأمنة، و أفظع الغشّ غشّ الأئمّة.

المصدر

رواه القاضى نعمان المصرى رحمه اللّه تعالى المتوفّى 363 ه ق - مسندا فى دعائم الاسلام كما فى الباب 12 من كتاب الزكاة من مستدرک الوسائل للمحدّث المتضلع الحاج الميرزا حسين النورى الطبرسى - ره - (ص 516 ج 1)، و فى باب أدب المصدّق من كتاب الزكاة من البحار للعلاّمة المجلسى - ره - (ص 22 ج 20 من الطبع الكمبانى) و نقله من النهج فى المجلّد الثامن من البحار (ص 642) و المنقول عن الدعائم أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام أوصى مخنف بن سليم الأزدى و قد بعثه على الصدقة بوصيّة طويلة أمره فيها بتقوى اللّه ربّه فى سرائر اموره و خفيات أعماله و أن يتلقاهم (يلقاهم - نسخة) ببسط الوجه و لين الجانب، و أمره أن يلزم التواضع و يجتنب التكبر فانّ اللّه يرفع المتواضعين و يضع المتكبّرين.

ثمّ قال له (و قال له. خ) يا مخنف بن سليم إنّ لک فى هذه الصدقة حقا و نصيبا مفروضا (نصيبا و حقا مفروضا. خ) و لک فيها شركاء فقراء و مساكين و غارمون و مجاهدون و أبناء سبيل و مملوكون و متألّفون و إنّا موفّوک حقک فوفّهم حقوقهم و إلاّ فانک من أكثر الناس يوم القيامة خصما و بؤسا لامرىء خصمه مثل هؤلاء. انتهى.

أقول: لم نجد الوصيّة بطولها فيما عندنا من الجوامع الروائية و غيرها مع كثرة الفحص و الجدّ فى الطلب، و لم يحضرنا دعائم الاسلام و لعلّ اللّه يحدث بعد ذلک أمرا.

اللغة

(لا يجبههم) أى لا يزجرهم أصله من الجبه بمعنى مقابلة الانسان بما

یکرهه. قال ابن الأثیر فی النهایـة: الجبه هو الاسـتقبال بالمکروه و أصـله من اصابة الجبهة یقال: جبهته إذا أصـبت جبهته. انتهی قوله. و قال الشـارح المعتزلی: و أن لا ـ یجبههم: لا ـ یواجههم بمـا یکرهونه و أصل الجبه لقاء الجبهـة أو ضـربها فلما کان المواجه غیره بالکلام القبیح کالضـارب جبهته سـمّی بـذلک جبها. انتهی. و فی القاموس: جبهه کمنعه ضـرب جبهته و ردّه أو لقیه بما یکره. انتهی. و فی منتهی الأرب جبهه (من باب فتـح): زد بر پیشانی او و رد کرد آن را، و بمکروه پیش آمد او را و نابایست آورد بر وی. انتهی. و قال امیّة بن أبی الصّـلت فی ابن له عقّه:(1)

غذوتک مولودا و علتک یافعا تعلّ بما ادنی إلیک و تنهل

إذا لیلة نابتک بالشکو لم أبت لشکوک إلاّ ساهرا أتململ

کأنّی أنا المطروق دونک بالّذی طرقت به دونی و عینی تهمل

فلمّا بلغت السنّ و الغایة الّتی إلیها مدی ما کنت فیک اؤمّل

جعلت جزائی منک جبها و غلظة کأنک أنت المنعم المتفضّل

فلیتک إذ لم ترع حقّ ابوّتی فعلت کما الجار المجاور یفعل

تراه معدّا للخلاف کأنّه بردّ علی أهل الصّواب موکّل

(و لا یعضـههم) ای لا یرمیهم بالبهتان و الکذب و فی القاموس عضه کمن عضها و یحرک و عضیهة و عضهة بالکسر کذب و سحر و نمّ و جاء بالإفک و البهتان کأعضه و فلانا بهته و قال فیه ما لم یکن انتهی. و قال المتوکل اللیثی (الحماسة 442 من شرح المرزوقی).

احذر وصال اللّئیم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و قال المرزوقی فی شـرحه: احذر مواصـلة اللئیم و مؤاخاته لأنّه إذا انقطع حبل وصـله و انصـرم ما یجمعک و إیّاه من ودّه یتکذّب علیک و یخلق من الإفک فیک ما لم تکتسبه لا بیدک و لا لسانک، و العضه ذکر القبیح کذبا و زورا و یقال:

1- (1) الابیات من الحماسة فراجع الی شرح الحماسة للمرزوقی. الحماسة 254. منه.

عضهته إذا رميته بالزّور. و أعضه الرجل أتى بالعضيهة و هى الإفک، و من كلامهم يا للعضيهة و يا للأفيكة.

(بؤسا) قال الجوهرى فى الصحاح نقلا عن أبى زيد فى كتاب الهمزة: بئس الرجل يبأس بؤسا و بئيسا اشتدّت حاجته فهو بائس. أنشد أبو عمرو:

بيضاء من أهل المدينة لم تذق بئسا و لم تتبع حمولة مجحد

و هو اسم وضع موضع المصدر. و قال الشّارح المعتزلى: قال الراوندى بؤسا أى عذابا و شدّة ثمّ خطأه بقوله: فظنّه منوّنا و ليس كذلک بل هو بؤسى على وزن فعلى كفضلى و نعمى و هى لفظة مؤنثة يقال: بؤسى بفلان، قال الشاعر:

أرى الحلم بؤسى للفتى فى حياته و لا عيش إلاّ ما حباک به الجهل

انتهى قوله. و أقول: نسخة الرّضى تطابق ما اختاره الراوندى و اللّغة أيضا توافقه و انتصابه على المصدر كما يقال سحقا لک و بعدا لک، فما صحّحه الراوندى ليس بخطاء. نعم ما فسّره الراوندى بقوله: أى عذابا و شدّة، مخدوش لأنّ العذاب و الشدّة ليس من معانى البؤس بل هما من معانى البأس.

(الفقراء و المساكين) قال عزّ من قائل: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ » الاية «التوبة 60» قد ذهب جماعة إلى انهما مترادفان، و لكن الحقّ كما هو الظاهر من كلام الحقّ تعالى أنّهما متغايران و ذهب إليه أكثر العلماء و لكنّهم اختلفوا فى معناهما على أقوال كثيرة بعد ما اتفقوا على استحقاقهما من الزكاة و الأصح أنّ المسكين أسوأ حالا من الفقير و أنه المحتاج الّذى يسأل و الفقير المحتاج الّذى لا يسأل، لما رواه الكلينى قدّس سرّه فى الصحيح عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السّلام أنه سأله عن الفقير و المسكين فقال: الفقير الذى لا يسأل و المسكين الذى هو أجهد منه الّذى يسأل.

و عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: قول اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ »، قال: الفقير الّذى لا يسأل النّاس و المسكين أجهد منه و البائس أجهدهم.

أقول: يعطى معنى المسكين الّذى قاله الامام عليه السّلام من أنه الّذى أجهد منه قوله تعالى: «أَوْ مِسْكِيناً ذا مَتْرَبَةٍ » و ذكر أهل اللّغة و التفسير: المتربة الحاجة الشديدة. و من أنّه الّذى يسأل قوله تعالى: «فَانْطَلَقُوا وَ هُمْ يَتَخافَتُونَ أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ » – القلم – 26»، و قوله تعالى: «وَ إِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً » – النساء – 10» و قوله تعالى: «وَ لا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبى وَ الْمَساكِينَ وَ الْمُهاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ » الاية – النور – 23».

و يعطى معنى الفقير من أنه الّذى لا يسأل قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيماهُمْ لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إِلْحافاً » – البقرة – 277» و قوله تعالى:

«إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » – البقرة – 275»، و قوله تعالى: «لِلْفُقَراءِ الْمُهاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً » – الاية – الحشر – 9».

ثمّ إنّ المسكين بحسب النسبة أعمّ من الفقير لأنّ الفقير مقابل الغنى أى الّذى ليس له مال و المسكين من كانت به المسكنة أيضا. و بعد فى المقام بحث طويل الذيل أعرضنا عنه لخروجه من موضوع الكتاب و خوفا من الاسهاب و الاطناب، فراجع إلى تفاسير القرآن الكريم و فى زكاة الكتب الفقهية، و قد أشبع الكلام السيّد صاحب المدارك عند قول المحقّق – ره – فى زكاة الشرائع: أصناف المستحقين للزكاة سبعة: الفقراء و المساكين إلخ. (ص 277 من الطبع الرحلى على الحجر).

(المدفوعون) جمع المدفوع من دفعه إذا نحّاه و أبعده و ردّه. قيل: المراد منه هنا الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه و سيأتى بقيّة الكلام فيه فى المعنى.

و قال المجلسى – ره – فى البحار (ص 643 ج 8 من الطبع الكمبانى) و فى بعض النسخ: المدقعون بالقاف، قال فى القاموس: المدقع كمحسن الملصق

بالدّقعاء و هو التراب. انتهى.

و أقول: منه قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله للنساء: إنّكنّ إذا جعتنّ دقعتنّ و إذا شبعتنّ خجلتنّ ، و لكن الصواب ما اخترناه و هو الّذى موافق لنسخة الرضى - ره -.

(الغارم) الّذى علاه الدّين لا يجد القضاء. (رتع) كمنع اى أكل و شرب ما شاء فى خصب و سعة. (فقد أخلّ بنفسه فى الدّنيا و هو فى الاخرة أذلّ و أخزى) هذا هو المطابق للنسخة الّتى قوبلت بنسخة الشريف الرضى - ره - و هو أخلّ بالخاء المعجمة من غير ذكر الخزى كما فى بعض النسخ، و من غير ذكر الذلّ و الخزى كما فى نسخ اخرى. و فى أكثر النسخ المطبوعة فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الذلّ و الخزى بالحاء المهملة فى أحلّ ، و فى بعضها الاخر فقد أذلّ نفسه فى الدنيا الخزى.

و فى نسخة اخرى مخطوطة، فقد أحلّ بنفسه فى الدّنيا الخزى. و جعل بعضهم الخزى بضم الخاء و فتح الزاى جمع الخزية بفتح الخاء أى البليّة و لكن الصواب ما اخترناه موافقا للرضى - ره -.

قال فى القاموس: أخلّ بالشىء أجحف و بالمكان و غيره غاب عنه و تركه و الوالى بالثغور قلّل الجند بها و بالرجل لم يف له و الخلّة الحاجة و الفقر و الخصاصة، و فى المثل: الخلّة تدعو إلى السلّة أى إلى السرقة. خلّ و اخلّ بالضم احتاج و رجل مخلّ و مختلّ و خليل و أخلّ معدم فقير و اختلّ إليه احتاج و ما أخلّك اللّه إليه ما أحوجك و الأخلّ الأفقر. و ما يناسب المقام هو المعنى الأوّل أعنى الإجحاف. (الأمنة) قال الجوهرى فى الصحاح: الأمنة الأمن و منه أمنة نعاسا و الأمنة أيضا الّذين يثق بكلّ أحد و فى منتهى الأرب: أمنة محركة بى بيمى و راستى ضدّ خيانت و بمعنى امنة كهمزه است ثمّ قال: امنة كهمزة آنكه بر هر كس ايمن باشد و اعتماد كند و آنكه بروى هر كس اعتماد كند در هر كارى انتهى.

و هذا المعنى الأخير هو المراد إن قلنا أنّ المصدر مضاف إلى الفاعل، و إن قلنا أنّه مضاف إلى المفعول به فمعناها هو الذى يثق بكلّ أحد كما سيأتى.

و فى عدّة نسخ من المخطوطة و المطبوعة الامّة مكان الأمنة إلاّ نسخة

الرضى رضوان اللّه عليه و هى الّتى اخترناها.

الاعراب

كلمة أمره فى المواضع الثلاثة من العهد مشكولة فى نسخة عندنا قوبلت بنسخة الرّضى بفتح الهمزة و الميم و الراء، و فى غيرها من النسخ الّتى عندنا آمره بمدّ الهمزة و ضمّ الميم و الراء، فعلى الأول فعل ماض مغايب و على الثانى متكلّم من المضارع، و الصواب هو الأوّل و ذلک لأنّ اسلوب كلامه عليه السّلام فى هذا العهد على وزان عهده الّذى كتبه إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاّه مصر و هو: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاّه مصر أمره بتقوى اللّه و الطاعة فى السرّ و العلانية - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يجبى خراج الأرض - إلى أن قال عليه السّلام: و أمره أن يحكم بين النّاس بالحقّ - إلى آخر العهد. أتى به فى جمهرة رسائل العرب (ص 532 ج 1) ناقلا عن تاريخ الطبرى (ص 231 ج 5) و شرح ابن أبى الحديد (ص 25 ج 2) فضمير أمر يرجع إلى الاسم الظاهر و هو عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام و كذا الكلام فى هذا العهد لأنّه كما دريت طويل و لم يذكره الرضى كاملا، و كانت الكلمة على نسخة الرضى على هيئة الماضى فالمختار هو المتعيّن.

(فيخالف) الفعل منصوب لأنّه وقع بعد الفاء الّتى وقعت جوابا للنّفى أعنى لا يعمل و قد قرّر فى النحو أنّ المضارع ينصب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الّتى وقعت جوابا لنفى أو طلب، قال ابن مالک فى باب اعراب الفعل من الألفية:

و بعد فا جواب نفى أو طلب محضين أن و سترها حتم نصب

(تفضلا) انتصب على المفعول له. و الظاهر أنّ قوله بالامارة متعلق بلا يرغب و إن امكن تعلقه بالأفعال الثلاثة جميعا. (فانّهم الأخوان) تعليل لما أمره ثالثا.

قال الشارح الفاضل المعتزلى: انتصب أهل مسكنة لأنّه صفة شركاء و فى التحقيق أنّ شركاء صفة أيضا موصوفها محذوف فيكون صفة بعد صفة و قال: قال

الراوندى: انتصب أهل مسكنة لأنّه بدل من شركاء. ثمّ خطّأه بقوله: و هذا غلط لأنّه لا يعطى معناه ليكون بدلا منه. انتهى.

و أقول: إنّ ذوى فاقة بدل لقوله ضعفاء و لا ضير فى كون أهل مسكنة بدلا لقوله شركاء فانّ أهل مسكنة فى المقام هو المقصود بالذّات قال ابن مالک:

التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمّى بدلا

و كونه مقصودا بالذات لا يستلزم أن يكون المتبوع ساقطا رأسا أو يجعل فى حكم الساقط كما يشاهد فى بعض كتب النحو إلاّ فى بدل الغلط و ذلک لأنّ فى ذكر المتبوع أعنى المبدل منه فائدة لا محالة لم تحصل لو لم يذكر صونا لكلام الفصحاء عن اللغو و لا سيما كلامه تعالى و كلام نبيّه صلّى اللّه عليه و آله فادّعاء كونه غير مقصود بالنسبة مع كونه منسوبا إليه فى الظاهر و اشتماله على فائدة يصحّ أن ينسب إليه لأجلها دعوى خلاف الظاهر، كما أفاده العالم الأديب الرضى رحمه اللّه تعالى فى شرحه على الكافية. و تلک الفائدة هى تقوية الحكم و تقريره لأنّه بمنزلة إسناد الحكم إلى المحكوم عليه مرّتين كما أفاده الفاضل العالم السيّد عليخان رحمه اللّه تعالى فى شرحه على الصمدية.

ثمّ إنّ قول الفاضل الشارح: لأنه لا يعطى معناه ليكون بدلا منه، لا يجرى فى بدل الغلط ، على أنّ بعض النحاة ذهب إلى أنّ اثنين فى قوله تعالى: و «لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ » بدل كلّ معللا بقوله: لعدم اشتراط بدل الكلّ أن يكون متحدا مع المبدل فى المفهوم بل فى المصداق فمن حكم أنّه بدل بعض متمسكا بأنّ مفهومه بعض من مفهوم إلهين فقد أخطأ، أتى به الفاضل الميرزه أبو طالب فى تعليقته على باب النعت من شرح السيوطى على الألفية.

(فقد أخلّ) جواب لقوله: و من استهان. (و أفظع) منصوب بأن معطوف على أعظم.

(خيانة الأمنة) مصدر مضاف إلى الفاعل، أو مصدر مضاف إلى المفعول به و إن كان الأوّل أولى، و أمّا إذا كانت الامة مكان الأمنة فالثانى ليس إلاّ.

المعنى

قد أوصى أمير المؤمنين عليه السّلام مخنف بن سليم الأزدى بهذه الوصيّة لمّا بعثه على الصّدقة. قال الاسترابادى فى كتاب رجاله الكبير: مخنف بن سليم الأزديّ عربى كوفى و فى [د] مخنف بن سليم [الأزدى [ى] - جخ] من خواصّه عربى. و فى [ق] فى أصحابه من اليمن مخنف بن سليم الأزدى و كذا فى [صه] نقلا عنه و فى الجامع مخنف بن سليم الأزدى بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن الدول بن سعد بن مناة ابن غامد الغامدى ولاّه عليّ بن أبى طالب عليه السّلام اصفهان روى عنه ابنه أبو رملة و اسمه عامر عداده فى أهل البصرة و قيل فى أهل الكعبة. مخنف بكسر الميم و سكون الخاء المعجمة و فتح النون و بالفاء. سليم بضم السين و فتح اللام. و الدول بضم الدّال و باللاّم. و غامد بالغين المعجمة و رملة بفتح الراء و باللاّم. انتهى كلام الأسترابادى.

و أقول: ما حصل لنا من الجوامع و المجاميع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أوصى مخنف بن سليم بهذه الوصيّة لمّا بعثه على الصدقة، و كتب إليه كتابا لمّا كان عامله على اصبهان و همدان و ذلک أنّ الأمير عليه السّلام لمّا أجمع أن يسير إلى الشام لقتال معاوية كتب إلى عمّاله يستفزّهم فكتب إلى مخنف:

سلام عليک فانّى أحمد اليک اللّه الّذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه، و هبّ فى نعاس العمى و الضلال اختيارا به، فريضة على العارفين، إنّ اللّه يرضى عمّن أرضاه و يسخط على من عصاه. و إنّا قد هممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الّذين عملوا فى عباد اللّه بغير ما أنزل اللّه، و استأثروا بالفىء و عطّلوا الحدود، و أماتوا الحقّ ، و أظهروا فى الأرض الفساد، و اتّخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين، فاذا وليّ اللّه أعظم أحداثهم أبغضوه و أقصوه و حرموه و إذا ظالم ساعدهم على ظلمهم أحبّوه و أدنوه و برّوه، فقد أصرّوا على ظلمهم و أجمعوا على الخلاف و قديما صدّوا عن الحقّ و تعاونوا على الاثم و كانوا ظالمين فاذا أتيت بكتابى هذا فاستخلف على عملک أوثق أصحابک فى نفسک و أقبل إلينا

لعلّک تلقی معنا هـذا العدوّ المحلّ فتأمر بالمعروف و تنهی عن المنکر، و تجامع المحقّ ، و تباین المبطل فإنّه لا غنی بنا و لا بک عن أجر الجهاد و حسبنا اللّه و نعم الوکیل.

و کتبه عبید اللّه بن أبی رافع فی سنة سبع و ثلاثین.

فاستخلف مخنف علی اصبهان الحارث بن أبی الحارث بن الرّبیع، و استعمل علی همدان سعید بن وهب و کلاهما من قومه، و أقبل حتّی شهد مع علی علیه السّلام صفّین.

نقله فی جمهرة رسائل العرب (ص 458 ج 1) عن شرح ابن أبی الحدید (ص 282 ج 1).

قوله علیه السّلام:(أمره بتقوی اللّه إلخ) أمره علیه السّلام فی هذا الوصیّة بأوامر بعضها یبیّن وظیفته مع الخالق تعالی و بعضها یبیّن وظیفته مع الخلق، و ذکر للأوّل أمرین أحدهما قوله علیه السّلام: أمره بتقوی اللّه إلخ، و قد تقدّم منّا أنّه علیه السّلام کان یوصی فی أکثر کتبه و عهوده و وصایاه أوّلا بتقوی اللّه و کان هذا من دأبه علیه السّلام امتثالا لأمر اللّه سبحانه و اقتداء بکلامه حیث قال: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ » (النساء 132) فراجع إلی شـرح المختار الثانی عشر من باب الکتب (ص 84 ج 18) و إلی شرح المختار الخامس و العشرین.

و قـد أفاد بعض الأماجـد أنّ جمیع خیرات الـدّنیا و الاخرة جمعت فی کلمـة واحـدة هی التقوی. انظر إلی القرآن ما علّق علیها من خیر و ثواب و أضاف إلیها من سعادة و کرامة دنیویة و اخرویة:

الأوّل الثناء علیها قال اللّه سبحانه: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ».

الثانی الحفظ و الحراسة من الأعداء و الماکرین قال اللّه تعالی: «وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ».

الثالث التأیید و النصر قال اللّه تعالی: «إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ».

الرّابع النجاة من النار قال اللّه سبحانه: «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ».

الخامس الخلود فی الجنّة قال اللّه تعالی: «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ».

السّادس النجاة من الشدائد و الرزق الحلال قال اللّه تعالى: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ».

السّابع إصلاح العمل قال عزّ شأنه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ ».

الثامن غفران الذّنب قال اللّه جلّ جلاله: «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ».

التاسع محبّة اللّه تعالى عزّ اسمه: «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ».

العاشر قبول الأعمال قال اللّه عمّ نواله: «إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ».

الحادى عشر الاكرام و الإعزاز قال اللّه تبارک و تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ ».

الثانى عشر البشارة عند الموت قال اللّه عظم شأنه: «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرى فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الآخِرَةِ ».

و لأجل اجتماع تلک الخصال قال اللّه سبحانه: «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ ».

و أفاد نحوه مع زيادات من روايات و إشارات الشّيخ العالم الرّبانى جمال الدّين أحمد بن فهد الحلّى قدّس سرّه فى أواخر كتاب عدّة الداعى و نجاح السّاعى (ص 226) فراجع.

و المروىّ فى مجمع البيان فى تفسير القرآن عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال:

جماع التقوى فى قوله تعالى: «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (النحل 91). قال:

و قيل: المتّقى الّذى اتّقى ما حرم عليه و فعل ما أوجب عليه. و قيل: هو الّذى يتّقى بصالح أعماله عذاب اللّه. و سأل عمر بن الخطّاب كعب الأخبار عن التقوى فقال:

هل أخذت طريقا ذا شوک ؟ فقال: نعم، قال: فما عملت فيه ؟ قال: حذرت و تشمّرت فقال كعب: ذلک التقوى. و نظمه بعض الناس فقال:

خلّ الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التّقى

و اصنع كماش فوق أرض الشوک يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيرة إنّ الجبال من الحصى

و روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: انما سمّى المتّقون لتركهم مالا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس. و قال عمر بن عبد العزيز: التقىّ ملجم كالمحرم فى الحرم.

و قال بعضهم: التقوى أن لا يراک اللّه حيث نهاک و لا يفقدک حيث أمرک. انتهى ما فى المجمع فى المقام، و قد أتى به فى أوّل سورة البقرة.

و أقول: ما نقله من سؤال عمر عن التّقوى أتى به السيوطى فى الدرّ المنثور أيضا لكنّه قال: أخرج ابن أبى الدّنيا فى كتاب التقوى عن أبى هريرة أنّ رجلا قال له: ما التقوى ؟ قال: هل أخذت طريقا ذا شوک ؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت ؟ قال إذا رأيت الشوک عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاک التقوى انتهى. فليتأمّل.

ثمّ إنّ قول الشاعر: لا تحقرنّ صغيرة إنّ الجبال من الحصى، كأنه يشير إلى قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله حيث نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ايتونا بحطب فقالوا:

يا رسول اللّه نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب قال: فليأت كلّ انسان بما قدر عليه فجاءوا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هكذا تجتمع الذّنوب ثمّ قال: إياكم و المحقرات من الذّنوب فانّ لكلّ شىء طالبا ألا و إنّ طالبها يكتب ما قدّموا و آثارهم و كلّ شىء أحصيناه فى امام مبين. رواه الكلينى قدّس سرّه فى الكافى. و أتى به الفيض فى باب استصغار الذنب و الاصرار عليه من الوافى (ص 168 ج 3).

و فى أوّل سورة البقرة من تفسير الدرّ المنثور روايات و حكايات مفيدة فى التقوى و لكن رأسها ما وصفه إمام المتقين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام لهمّام بن شريح بن يزيد بن مرّة رضوان اللّه عليه و هو المختار 191 من باب الخطب من النهج أوّله:

روى أنّ صاحبا لأمير المؤمنين عليه السّلام يقال له همّام كان رجلا عابدا - إلخ. و قد

رواه ثقة الاسـلام الكلينى فى باب المؤمن و علاماته و صفاته من اصول الكافى ص 979 ج 2 من الكافى المشكول. و رواه الصّدوق – ره – فى المجالس أيضا. و الشّيخ الكراجكى – ره – فى كنز الفوائد. و هو مروىّ أيضا فى كتاب سليم بن قيس الكوفى ص 190 من طبع النجف. و راجع أيضا إلى باب صـفات الشـيعة و أصنافهم من المجلّد الخامس عشر من البحار (ص 154 من الطبع الكمبانى). و إلى باب صـفات المؤمن و علاماته من الوافى (ص 33 ج 3). و مرآة العقول (ص 201 ج 2) من المطبوع على الحجر.

ثمّ أوصى عليه السّلام أن يكون تقواه فى سرائر أمره و خفيّات عمله و ذلک لأنّ الانسان يأبى عن إتيان الفواحش فى مرئى الناس صونا عن أن يتطرق إليه ما لا يرضـى ممّا يضـرّه و يمنعه من الوصول إلى ما يهويه و يشتهيه. ثمّ علّل ذلک تنبيها له بقوله:(حيث لا شهيد غيره و لا وكيل دونه) فمن عرف أنّه تعـالى شـهيد و وكيـل لاـ غير و أنّه بـدّه اللازم و معه اينما كان فهو لا يفعل إلاّ ما أجازه تعالى و أمره به فهـذا العرفان و الشـهود أشدّ بمراحل من الحضور مع الناس بل أين هذا من ذلک فلا يرتكب المعاصـى إلاّ الغافل الّذى لا يدرى أنّه من هو و بين يدى من هو و مع من هو، فهو من الّـذين قـال عزّ من قائل: اسـتحوذ عليهم الشّـيطان فأنساهم ذكر اللّه. و بما قـدّمناه دريت أنّ ما ذهب إليه الشارح المعتزلى و فسّـر كلامه عليه السّـلام حيث لا شـهيد و لا وكيل بقوله يعنى يوم القيمة و هم، لأنّه تعالى شـهيد و وكيل فى الدّنيا و الاخرة. و تفسير الكلام هو ما بيّناه لا غير و ما فسّره الشارح المذكور يشابه كلام الظاهريين من المتكلّمين.

و روى ثقة الإسلام الكلينى – ره – فى الجامع الكافى عن إسحاق بن عمّار قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا إسحاق خف اللّه كأنّک تراه و إن كنـت لاـ تراه فـانه يراک، و ان كنت ترى أنّه لاـ يراک فقـد كفرت و إن كنت تعلم أنّه يراک ثم برزت له بالمعصـية فقـد جعلته من أهـون الناظرين عليک. و ما أجاد قول العارف عبد الرّحمن الجامى فى سبحة الأبرار حيث قال:

در مقامی که کنی قصد گناه گر کند کودکی از دور نگاه

شرم داری ز گنه در گذری پردهٔ عصمت خود را ندری

شرم بادت ز خداوند جهان که بود واقف أسرار جهان

بر تو باشد نظرش بیگه و گاه تو کنی در نظرش قصد گناه

و قد مضـی بحثنا عن رؤیته تعالی فی المختار الثامن من کتبه علیه السّلام و رسائله (ص 242 ج 17) فراجع. و سیأتی نقل رسالتنا منفردة فی لقائه تعالی فارتقب.

قوله: علیه السّلام (و أمره أن لا یعمل - إلخ) هذا ثانی الأمرین الذین ذکرهما بیانا لوظیفة العبد مع خالقه تعالی و حاصله أنّ العبد یجب له الاجتناب من الریاء و السـمعة و النفاق، ثمّ عرّف الأمین و المخلص ترغیبا للعباد إلیهما بقوله:(و من لـم یختلف سرّه - إلخ.) و قد روی ثقة الإسـلام الکلینی قدّس سـرّه فی الجامع الکافی باسـناده عن مسع بن عبد الملک عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما زاد خشوع الجسـد علی القلب فهو عنـدنا نفاق. رواه فی آخر باب صـفة النفاق و المنافق من کتاب الایمان و الکفر من اصول الکافی (ص 289 ج 2 من الکافی المشکول).

و الظاهر أنّ المراد بالأمانة فی المقام هو أمانة العامل علی الصدقات بأن یقال:

لمّا کان علیه السّلام بعث مخنف بن سـلیم علی الصّدقـة و اتّخـذه أمینا علی حفظها فی غیابه و بعض الناس یخالف سـرّهم علانیتهم قال ذلک تحریضا للأمین إلی أداء الأمانة و إخلاص العبادة. و لکلامه هذا أثر تامّ لمن یبعث علی عمل و حفظ مال و نحوهما حیث لا یعلم ما یعمل إلاّ اللّه الشهید الحفیظ .

قوله علیه السّلام:(و أمره أن لا یجبههم - إلخ) أخذ علیه السّلام فی بیان وظیفة العامل مع الخلق أمره أن لا یواجههم بما یکرهونه و لا یقول فیهم مـا لـم یکن فیهم بـأن یقول مثلاـ: مـا تعلق به الزکـاة من أموالکم کان أکثر من ذلک و انّما کتمتموها منّی أو ما تـدّعون من أنکم أدّیتم الزکـاة لا أتقبّل منکم و إنّما تقولون به فرارا من الزکاة و نحوها، و أن لا یعرض عنهم تفضـلا بالإمارة علیهم أی لا یوجب إمارته علیهم هـذه الامور کما هو دأب من غرّته الإمارة. ثمّ علّل علیه السّلام ما أمره به بقوله:

(فـإنّهم الاخوان فى الـدّين و الأعوان على اسـتخراج الحقوق) فالاعراض عنهم و مقابلتهم بما يكرهون و الإفک فيهم يوجب تفرّقهم و تنفّر طباعهم، و تعطيل الحقوق و تفرقة الاخوان مسـتلزمة لتخريب البلدان، و تضـييع الحقوق يؤدّى إلى مفاسد كثيرة، و قد أكّد عليه السّلام فى مواضع كثيرة بتأدية حقوق الإخوان و مراعاة أحوالهم، و بيّن منزلتهم ببيانات شافية وافية، و كلامه عليه السّلام فى ذلک فى النهج مشحون.

قوله عليه السّلام:(و إنّ لک فى هذه الصّدقة - إلخ) و ذلک لأنّ مخنف كان عامله على الصّدقة و قد قال عزّ من قائل فى سورة التوبة: «إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ».

ثمّ قـال له: إنّ لک و لغيرک فى هـذه الصّدقات نصـيبا مفروضا فوفّ حقوقهم كما أنّا موفّوک حقک فكما تحبّ أخـذ حقک كاملا محفوظا فاحفظ حقوقهم و لا تخنهم و أدّها إليهم، و وصف الشـركاء بأهل مسـكنة و الضعفاء بذوى فاقة تحريضا للعامل على الشفقة عليهم و حفظ أموالهم و تأدية حقوقهم و عدم خيانته إيّاهم.

ثمّ حـذّره عن سوء الخاتمه و نكال الاخرة بقوله:(و إلاّ فانک - إلـخ) أى و إن لم توفّ حقوقهم فإنک من أكثر الناس خصوما يوم القيامة. اى يكون خصومک أكثر الناس و هم مستحقّوا الزكاة من الفقراء و المساكين و غيرهم من أصناف المستحقّين.

ثمّ شدّد التحذير بقوله (و بؤسا لمن خصمه - إلخ) و الخصم هم أصناف المستحقين للزكاة كما هو الظاهر من كلامه عليه السّلام و هم فى القرآن الكريم ثمانية إلاّ أنّ المحقّق - ره - مال فى الشـرائع و جماعة إلى أنّهم سـبعة أصناف ظنّا منهم أنّ الفقراء و المساكين صنف واحد و أنّ هذين اللفظين أعنى الفقراء و المساكين مترادفان و قد دريت فى بيان اللّغة أنه و هم و الحقّ أنهما متغايران كما اختاره أكثر العلماء.

و ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام أربعة أصناف منهم بلفظ القرآن و هم: الفقراء

و المساكين و الغارمون و ابن السبيل و أشار إلى العاملين بقوله: و إنّ لک فی هـذه الصّدقـة نصـيبا مفروضا، فهؤلاء خمسة أصـناف و بقيت ثلاثة أصناف منهم و هم المؤلّفة قلوبهم و الرقاب و فی سبيل اللّه، و بقی من كلامه عليه السّلام أيضا السّائلون و المدفوعون.

فقال الشارح البحرينی: أنه عليه السّلام قـد ذكر ههنا فی معرض ايجاب الشـفقة و الرحمة له خمسة: و هم الفقراء و المساكين و يدخل فيه السائلون، ثمّ المدفوعون و يشبه أن يريد بهم العاملين عليها و سمّاهم مدفوعين باعتبار أنّم يدفعون لجباية الصّدقات أو لأنّهم إذا أتوا إلى من لا زكاة عليه فسألوه هل عليه زكاة أم لا دفعهم عن نفسه و ذكرهم هنا بهـذا الوصف لكونه وصف ذلّ و انقهار و كونه عليه السّلام فی معرض الأمر بالشـفقة عليهم. قال بعض الشارحين: أراد بهم الفقراء السائلين لكونهم يدفعون عند السؤال، ثمّ الغارم و ابن السبيل و انما ذكر هؤلاء الخمسة أو الأربعة لكونهم أضعف حالا من الباقين. انتهى كلامه.

و لكنّک علمت بما قـدّمنا أنّ الأمير عليه السّلام أشار إلى العاملين عليها بقوله و إنّ لک فی هـذه الصّدقـة نصـيبا مفروضا فلا حاجـة إلى التكلف الذی ارتكبه.

و قال الشارح المعتزلی: إنّه عليه السّلام إنّما أراد أن يـذكر الأصـناف المذكورة فی الاية فترک ذكر المؤلّفة قلوبهم لأنّ سـهمهم سـقط بعد موت رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله فقـد كان يـدفع إليهم حين الإسـلام ضـعيف(1) و قـد أعزّه اللّه سـبحانه فاسـتغنی عن تأليف قلوب المشركين و بقيت سبعة أصناف و هم الفقراء و المساكين و العاملون عليها و الرقاب و الغارمون و فی سبيل اللّه و ابن السبيل، فأما العاملون عليها فقد ذكره عليه السّلام فی قوله: و إنّ لک فی هذه الصّدقة نصـيبا مفروضا، فبقيت سـتّة أصناف أتی عليه السّلام بألفاظ القرآن فی أربعه أصـناف منهـا و هی: الفقراء و المسـاكين و الغـارم و ابن السبيـل و أبـدل لفظتين و همـا الرقـاب و فی سبيل اللّه بلفظتين و هما السائلون و المدفوعون.

و قال: و السائلون ههنا الرقاب المذكورون فی الاية و هم المكاتبون يتعذّر

1- (1) كذا فی الطبع على الحجر و كأن الصواب: حين كان الاسلام ضعيفا منه..

عليهم أداء مال الكتابة فيسئلون الناس ليتخلّصوا من ربقة الرّق و قيل: هم الاسارى يطلبون فكاك أنفسهم. و المدفوعون ههناهم الذين عناهم اللّه تعالى فى الاية بقوله: و فى سبيل اللّه، و هم فقراء الغزاة سمّاهم مدفوعين لفقرهم و المدفوع و المدفع الفقير لأنّ كلّ أحد يكرهه و يدفعه عن نفسه، و قيل: هم الحجيج المنقطع بهم سمّاهم مدفوعين لأنّهم دفعوا عن إتمام حجّهم أو دفعوا عن العود إلى أهلهم.

انتهى كلامه.

و أقول: إنّ فى اختصاص سهم المؤلفة قلوبهم بزمان النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كلاما أوّلا، و كذا فى اختصاص المؤلفة قلوبهم بالمشركين ثانيا، و كذا فى اختصاص الرقاب بالمكاتبين ثالثا، و كذا فى اختصاص سبيل اللّه بفقراء الغزاة رابعا، و فى كلّ واحد منها بحث فقهىّ يطول بالورود فيها الكتاب و ينجرّ إلى الاسهاب و انما الغرض الاشارة إليها حتى يراجع إلى محالها من شاء.

ثمّ إنّ اسلوب كلامه عليه السّلام على نسخة النهج يحكى بأنه ليس فى مقام بيان أصناف مستحقّى الزكاة حتى يوجّه كلامه بتلك الوجوه، بل أتى بأربعة أصناف منهم هم أسوء حالا من غيرهم ترغيبا للعامل الى مراعاة أحوالهم و الشفقة عليهم.

و السائلون و المدفوعون الفقراء و المساكين إلاّ أنّ السائل و المدفوع أسوء حالا من الفقراء و المسكين و المدفوع هو المطرود الذى يدفعه الناس و يطردونه و هو أسوء حالا من السائل و يؤيّده ما نقلنا من البحار آنفا من أنّ هذه الكلمة فى بعض النسخ كانت المدقعين مكان المدفوعين و المدقع الملصق بالتراب. فكأنه عليه السّلام قال: بؤسا لمن خصمه عند اللّه هؤلاء الّذين بلغوا إلى هذا المبلغ من الفقر و الضعف و العجز.

نعم على نسخة الدعائم كما تقدّم فى المصدر قد أتى بجميع أصناف المستحقين حيث قال: و إنّ لک فى هذه الصّدقة حقا - إلى قوله: و لک فيها شركاء فقراء و مساكين و غارمون و مجاهدون و أبناء سبيل و مملوكون و متألفون - إلخ فعلى نسخة الدعائم معنى العبارة بيّن لا يقبل التأويل و التوجيه. و بعد اللتيّا و الّتى فان

أبيت إلاّ حمل كلامه فى النهـج على أصـناف المسـتحقين أيضا فلا بدّ من شـمول السائلين و المدفوعين على الأصـناف الثلاثة الباقية أعنى المؤلّفة قلوبهم و الرقاب و فى سبيل اللّه بأحد الوجوه المتقدّمة أو نحوها، و لا وجه لإخراج المؤلّفة قلوبهم.

ثمّ إنّه عليه السّلام قال فى الوصـيّة المتقدّمة لعامله:(ثمّ احذر إلينا ما اجتمع عندک نصيّره حيث أمر اللّه به) و قال لعامله فى هذه الوصيّة:(و انّا موفّوک حقّک فوفّهم حقوقهم) و ظاهر كلامه ههنا يشـعر بأنّه عليه السّلام أمر عامله هـذا أعنى مخنف أن ينقل الصّدقات إلى مسـتحقّى بلدها اصفهان أو همدان و نواحيهما، و قد مرّ بعض المسائل الفقهية المربوطة فى الوصيّة المتقدّمة منها جواز نقل مال الزكاة من بلد إلى بلد آخر فراجع.

قوله عليه السّلام:(و من اسـتهان بالأمانة – إلخ) لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام:(و رتع فى الخيانة)فكانه عليه السّلام شبّه الخائن بدابّة ترعى فى مرعى لا تتدبّر فى مأكلها و مشربها و سوء خاتمتها.

قوله عليه السّلام:(فقد أخلّ بنفسه) أى أجحف بنفسـها فالخائن لا يخون إلاّ نفسه و كلّ نفس بما كسـبت رهينة و إذا كشف الغطاء عن هذه النفس الدنية فى يوم تبلى السرائر فهى أذلّ و أخزى لأنّها ليست فى الاخرة إلاّ ما كانت فى الاولى و لا نتعبک بالبحث عن الجزاء فى المعاد و إن شئت فراجع إلى كتابنا المسمى بالقيامة و نكتفى ههنا بنقل حديث شريف من الكلمة العلياء خاتم الأنبياء محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه و آله يهـدى إلى الرشـد لمن كان له قلب، رواه حملة الأحاديث فى جوامعهم الروائيّة و نحن نأتى به من كتاب الأمالى للعالم الجليل قدوة المحدثين الشـيخ الصدوق أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسـين بن بابويه القمّى قدّس سـرّه و هو الحديث الرّابع من المجلس الأوّل منه رواه باسـناده عن العلاء بن محمّد بن الفضل عن أبيه عن جدّه قال قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بنى تميم إلى النّبى صـلّى اللّه عليه و آله فدخلت و عنده الصـلصال بن الدلهمس فقلت: يا نبىّ اللّه عظنا موعظة ننتفع بها فانا قوم نعبر فى البرية، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: يا قيس إنّ مع العزّ ذلا، و إنّ مع الحياة موتا و إنّ

مع الدّنيا آخرة و إنّ لكلّ شيء حسيبا و على كلّ شيء رقيبا و إنّ لكلّ حسنة ثوابا و لكلّ سيّئة عقابا، و لكلّ أجل كتابا و إنّه لا بدّ لک يا قيس من قرين يدفن معک و هو حيّ و تدفن معه و أنت ميّت فان كان كريما أكرمک و إن كان لئيما أسلمک ثمّ لا يحشر إلاّ معک و لا تبعث إلاّ منه و لا تسئل إلاّ عنه فلا تجعله إلاّ صالحا فانه إن صلح انست به و إن فسد لا تستوحش إلاّ منه و هو فعلک. فقال: يا نبيّ اللّه احبّ أن يكون هذا الكلام فى أبيات من الشعر نفخر به على من يلينا من العرب و ندّخره فأمر النّبيّ صلى اللّه عليه و آله من يأتيه بحسّان قال: فأقبلت افكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر فاستتب لى القول قبل مجيء الحسّان فقلت: يا رسول اللّه قد حضرتنى أبيات أحسبها توافق ما تريد فقلت:

تخيّر خليطا من فعالک انما قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل

و لا بدّ بعد الموت من أن تعدّه ليوم ينادى المرء فيه فيقبل

فان كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغير الذى يرضى به اللّه تشغل

فلن يصحب الانسان من بعد موته و من قبله إلاّ الّذى كان يعمل

ألا إنّما الانسان ضيف لأهله يقيم قليلا بينهم ثمّ يرحل

و هذا الحديث و إن كان كلّه نورا و كلّ واحدة من جملها تفتح بابا من الحقيقة و تشير إلى سرّ لأهله و مع ذلک فينبغى لک التأمل جدا فى قوله صلّى اللّه عليه و آله:

و إنّ مع الدّنيا آخرة و لم يقل: و إنّ بعد الدّنيا آخرة حتّى يجعل الاخرة فى طول الدّنيا الزمانىّ فافهم، و فى قوله: من قرين يدفن معک و هو حيّ ، و قوله: لا يحشر إلاّ معک، و قوله: لا تستوحش إلاّ منه، لا سيما فى قوله: و هو فعلک أى ذلک القرين الحيّ المحشور معک هو فعلک. و نعم ما قيل:

نهفته معنى نازک بسى است در خط يار تو فهم آن نكنى اى أديب من دانم

و فى آخر الباب الخامس من إرشاد القلوب للديلمى – ره –: قال قيس بن عاصم وفدت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى جماعة من تميم فقال لى: اغتسل بماء و سدر فاغتسلت ثمّ رجعت إليه فقلت: يا رسول اللّه عظنا موعظة ننتفع بها فقال: يا قيس إنّ

مع العزّ ذلاّ – إلخ، انتهى. و قال ابن الأثير فى اسد الغابة: إنه أسلم فأمره النّبى صلى اللّه عليه و آله أن يغتسل بماء و سدر.

و من الحديث يعلم أنّ قيس بن عاصم كان رجلا فهيما عاقلا لائقا بأن يخاطب بهذه الجمل و يلقى إليه تلك الصحيفة المكرّمة و الموعظة الحسنة بل الحكمة العالية المتعالية، و كان وفوده إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله سنة تسع من الهجرة و هو الّذى قال فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: هذا سيّد أهل الوبر. و كان سيّدا شريفا جوادا عاقلا مشهورا بالحلم، و هو الذى رثاه عبدة الطبيب بقوله:

عليک سلام اللّه قيس بن عاصم و رحمته ما شاء أن يترّحما

تحيّة من أوليته منک نعمة إذا زار عن شحط بلادک سلّما

فما كان قيس هلكه هلک واحد و لكنّه بنيان قوم تهدّما

و كان قيس بن عاصم قد حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليّة و كان سبب ذلک أنه غمز عنكة ابنته و هو سكران و سبّ أبويها، و رأى القمر فتكلّم، و أعطى الخمّار كثيرا من ماله، فلمّا أفاق اخبر بذلک فحرّمها على نفسه و قال فيها أشعارا منها قوله:

رأيت الخمر صالحة و فيها خصال تفسد الرجل الحليما

فلا و اللّه أشربها صحيحا و لا أشفى بها أبدا سقيما

و لا أعطى بها ثمنا حياتى و لا أدعو لها أبدا نديما

فانّ الخمر تفضح شاربيها و تجنيهم بها الأمر العظيما

و أراد بالرجل الحليم نفسه فإنّه كان بالحلم مشهورا، قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلّمت الحلم ؟ قال: من قيس بن عاصم المنقرىّ رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدّث قومه إذ اتى برجل مكتوف، و آخر مقتول فقيل له: هذا ابن أخيک قتل ابنک، قال: فو اللّه ما حلّ حبوته و لا قطع كلامه، فلمّا أتمّه التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا ابن أخى بئس ما فعلت أثمت بربّک و قطعت رحمک و قتلت ابن عمّک و رميت نفسک بسهمک ثمّ قال لابن له آخر: قم

يا بنىّ فوار أخاک و حلّ کتاف ابن عمّک و سق إلى امّک مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة.

و لمّا حضـرته الوفاة دعا بنيه فقال: يا بنىّ احفظوا عنّى فلا أحـد أنصح لكم منّى إذا متّ فسوّدوا كباركم و لا تسوّدوا صـغاركم فيسـفّه الناس كباركم و تهونون عليهم، و عليكم بإصلاح المال فإنّه منبهة للكريم و يستغنى به عن اللئيم، و إيّاكم و مسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل و أوصى عند موته فقال: إذا أنا متّ فلا تنوحوا علىّ فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لم ينح عليه.

و كـان قيس هـذا أوّل من وأد و جـاء إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله فقال: إنى و أدت ثمانى بنات لى فى الجاهليـة فقال: اعتق عن كلّ واحدة منهنّ رقبة قال: إنى صاحب إبل قال صلّى اللّه عليه و آله: إن شئت عن كلّ واحدة منهنّ بدنة. كما فى الإصابة.

و فى اسد الغابة: روى عنه أنّه قال للنّبى صـلّى اللّه عليه و آله: إنى و أدت اثنتى عشـرة بنتا أو ثلاث عشـرة بنتا فقال له النّبى صـلّى اللّه عليه و آله: اعتق عن كلّ واحدة منهنّ نسمة. و فى المقام ينبغى أن يبحث عن الدّية و لكن الكلام يجرّ الكلام.

و يليق أن ينظر فى شـأن قيس هـذا حيث كـان أوّل الأـمر ممّن يأد بناته قال عزّ من قائل: «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَـدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ » (النحل 60) ثمّ هدى بالقرآن الكريم إلى الـدّين القويم، نعم إنّ هـذا القرآن يهـدى للّتى هى أقوم، و كان ممّن حرّم على نفسه الخمر فى الجاهليـة و من أمره هـذا و من حلمه و كلامه يعلم فخامة قدره و قدر ذكائه و فطنته.

و قد كان غير واحد من اولى الدراية حرّموا على أنفسـهم الخمر فى الجاهلية منهم عثمان بن مظعون و قال: لا أشرب شرابا يذهب عقلى، و يضحک بى من هو أدنى منّى، و يحملنى أن أنكح كريمتى.

و منهم العباس بن مرداس فانه قيل له: ألا تأخذ من الشراب فإنه يزيد فى قوتک و جرأتک، قال: لا اصبح سيّد قومى و أمسى سفيهها لا و اللّه لا يدخل جوفى شىء

يحول بينى و بين عقلى أبدا. و قد أتى بعدّة منهم ابن الأثير فى ترجمة العباس هذا من اسد الغابة.

قوله عليه السّلام:(و انّ أعظم الخيانة – إلخ) و ذلک لأنّ الخيانة فى نفسها قبيحة و إن كان فى حقّ من لا يثق بک، فهى فى حقّ من اعتمد عليک و وثق بک و استأمنک أقبح و أفحش و أعظم عقوبة و نكالا فى الاولى و الاخرة، و كذلک الكلام فى الغشّ .

و كذلک على نسخة الامّة مكان الأمنة و لكن فى الأمنة لطفا ليس فى الامّة كما هو مختارنا الموافق لنسخة الرضى رضوان اللّه عليه. و معنى العبارة على هذا الوجه يصحّ إن كان المصدر مضافا إلى المفعول و قد اختاره الفاضل الشارح المعتزلى حيث قال: و خيانة الامّة مصدر مضاف إلى المفعول به لأنّ الساعى اذا خان فقد خان الامّة كلّها، و كذلک غشّ الأئمّة مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأنّ الساعى إذا غشّ فى الصّدقة فقد غشّ الامام انتهى.

و أقول: قد تقدّم أنّ العبارة إذا كانت الامّة فالجملة الاولى لا تحتمل إلاّ إضافة المصدر إلى المفعول به، و تجعل الثّانية على وزانها أيضا حتّى يصير الكلام على نسق واحد. و لكنّ حقّ التدبر فى الكلام و سياق العهد و اسلوبه تنادى بأنّ الصواب هو الأمنة و أنّ الاضافة فى الجملتين إلى الفاعل أولى إن لم تكن متعيّنة.

و انظريا باغى الرشاد و طالب السداد فى هذا العهد الشريف حيث صدّره عليه السّلام بتقوى اللّه فى بواطن الامور و الأعمال مشيرا إلى أنّ اللّه هو الشهيد الوكيل فينبغى لعبد اللّه أن يكون عند اللّه مطلقا و لا يكون من الغافلين أوّلا ثمّ أمر بترک الرياء و النفاق المؤدّى إلى الاخلاص ثانيا، ثمّ أمر بالشفقة على الرعيّة و نهى عن التكبر و التطاول عليهم بسبب الإمارة عليهم ثالثا، ثمّ أوصى فى حفظ حقوقهم و تأديتها إليهم إن أحبّ ألاّ يكون خصمه عند اللّه يوم القيامة هؤلاء المساكين رابعا، ثمّ حذّر من استهان بالأمانة بعذاب الاخرة، و خيانته لنفسه خامسا، و كما صدّر عهده بتقوى اللّه تعالى كذا عقّبه بالزهد فى الدّنيا و تزكية النفس عن الأدران النفسانية و الأوساخ الدّنيوية حيث قال: و لم ينزّه نفسه و دينه عنها إلخ. سادسا، و ختمه بذمّ خيانة

الأمنة و غشّ الأئمة سابعا. نعم هكذا و اللّه كلام من اجتباه اللّه تعالى ليستنقذ عباده من الضلالة و الجهالة. و الحمد للّه ولىّ التوفيق و بيده أزمّة التحقيق.

ثمّ إنّ لمستحقّى الزكاة من الأصناف الثمانية شروطا مذكورة مشروحة فى الكتب الفقهية فلا نتعبک بعنوانها و البحث عنها.

الترجمة

از جملهٔ عهد آن حضرت عليه السّلام است كه آنرا به يكى از عمّالش هنگامى كه او را براى جمع زكاة فرستاده مرقوم فرمود:

امر كرد او را كه در امور پنهان و اعمال پوشيده اش با تقوى باشد چه گواهى جز خدا و وكيلى سواى او نيست.

و امر كرد او را كه در آشكار طاعتى بجا نياورد كه در پنهان خلاف آنرا مرتكب شود، و هر كه پنهان و آشكارش و كردار و گفتارش دو گونه و خلاف هم نيست امانت را ادا كرد و عبادت را به اخلاص گذرانده.

و امر كرد او را كه دست رد به پيشانى مردم نزند و نابايست و ناخوش بر آنها پيش نياورد، و بدانها بهتان نزند و بر آنها دروغ نبندد. و از جهت إمارت و حكومت بر آنان از ايشان روى برنگرداند چه آنان برادران دينى و ياوران بر گرفتن حقوق هستند.

و همانا كه براى تو در اين زكاة بهرهٔ واجب و حقى معلوم است، و مر تو را انبازان درويش، و ناتوان تهيدست در اين مال است، و ما حق تو را بتمام مى دهيم پس تو هم حق ايشان را بتمام و كمال بپرداز، و گرنه خصم تو در روز رستاخيز مردم بسيار خواهند بود. و بدا بكسى كه خصم او نزد خدا فقرا و مساكين و سائلان و رانده شدگان و وامداران و رهگذريان باشند، و آنكه امانت را خوار دارد و در خيانت چرا كند و خودش را و دينش را از آن پاک نسازد بخودش در دنيا ستم كرد و در آخرت هم خويشتن را زبون و رسوا ساخت. و همانا

که بزرگترین خیانت خیانت کسی است که دیگران بر وی اعتماد دارند، و زشت ترین غشّ کردن غشّ کردن پیشوایان است(1).

و من عهد له علیه الصلاة و السلام الی محمد بن

اشارة

أبی بکر حین قلده مصر - و هو المختار السابع

و العشرون من کتبه علیه السّلام و وصایاه و عهوده و رسائله

فـاخفض لهم جناحـک، و ألن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک و آس بینهم فی اللّحظـة و النّظرة حتّی لا یطمع العظماء فی حیفک، و لا ییأس الضّعفاء من عدلک علیهم. و إنّ اللّه تعالی یسائلکم معشر عباده عن الصّغیرة من أعمالکم و الکبیرة، و الظّاهرة و المستورة فإن یعذّب فـأنتم أظلم، فـإن یعف فهو أکرم. و اعلموا عبـاد اللّه أنّ المتّقین ذهبوا بعاجـل الـدّنیا و آجـل الاـخرة فشـارکوا أهل الـدّنیا فی دنیاهم و لم یشـارکهم أهل الـدّنیا فی آخرتهم. سـکنوا الـدّنیا بأفضل ما سـکنت، و أکلوها بأفضل ما أکلت، فحظوا من الـدّنیا بما حظی به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة

1- (1) این وجه ترجمه باعتبار اضافه مصـدر به فاعل است و اگر مصـدر را مضاف به مفعول به بدانیم: ترجمهٔ آن چنین می شود که: همانا بزرگترین خیانت خیانت به کسانی است که بشخص وی وثوق و اعتماد دارند، و زشت ترین غش کردن غش کردن به پیشوایان است.

المتكبّرون ثمّ انقلبوا عنها بالزّاد المبلّغ و المتجر المربـح، أصابوا لـذّة زهد الدّنيا فی دنياهم، و تيقّنوا أنّهم جيران اللّه غدا فی آخرتهم. لا تردّ لهم دعوة، و لا ينقص لهم نصـيب من لـذّة، فاحـذروا عباد اللّه الموت و قربه، و أعـدّوا له عدّته فإنّه يأتی بأمر عظيم و خطب جليل بخير لا يكون معه شـرّ أبـدا، أو شـرّ لا يكون معه خير أبدا فمن أقرب إلی الجنّة من عاملها؟ و من أقرب إلی النّار من عاملها؟ و أنتم طرداء الموت إن أقمتم له أخـذكم و إن فررتم منه أدرككم و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصـيكم و الدّنيا تطوی من خلفكم، فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد. دار ليس فيها رحمة، و لا تسـمع فيها دعوة، و لا تفرّج فيها كربة، و إن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من اللّه و أن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما فإنّ العبـد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه علی قـدر خوفه من ربّه، و إنّ أحسن النّاس ظنّا باللّه أشـدّهم خوفا للّه. و اعلم يا محمّد بن أبی بكر، قد ولّيتک أعظم أجنادی فی نفسـی أهل مصر فأنت محقوق أن تخالف علی نفسک و أن تنافح عن دينک و لو لم تكن لک إلاّ ساعة من دهرک فلا تسخط اللّه برضا أحد من خلقه، فإنّ فی اللّه خلفا من غيره و ليس من اللّه خلف فی غيره.

ص:59

صلّ الصّلاة لوقتها الموقّت لها، و لا تعجّل وقتها لفراغ، و لا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، و اعلم أنّ كلّ شيء من عملک تبع لصلاتک. من هذا العهد:

فإنّه لا سواء إمام الهدى و إمام الرّدى، و وليّ النّبيّ و عدوّ النّبيّ و لقد قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و اله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشركا، أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه، و أمّا المشرک فيقمعه اللّه بشركه، و لكنّی أخاف عليكم كلّ منافق الجنان عالم اللّسان يقول ما تعرفون و يفعل ما تنكرون.

ذكر ماخذ العهد و مصادره

اشارة

قد روی هذا العهد فی كتب الفريقين بأسانيد عديدة و طرق كثيرة علی صور متقاربة أو متفاوتة:

منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد(1) بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفی الكوفی صاحب مصنّفات كثيرة، المتوفّی سنة ثلاث و ثمانين و مائتين

1- (1) فی الفهرست للشيخ قدس سره: سعيد بن هلال علی ما فی طبع النجف، و الظاهر أنه تصحيف و الصواب ما اخترناه و هو سمی سعد بن مسعود الثقفی أخی أبی عبيد بن مسعود عم المختار ولاه أمير المؤمنين علی عليه السّلام علی المدائن كما فی الفهرست و غيره من كتب الرجال. و فی الاستيعاب لابن عبد البر: سعد بن مسعود الثقفی عم المختار بن أبی عبيد له صحبة.و فی كتاب الرجال الكبير للاسترآبادی: سعيد فی الموضعين و لكن دريت انه تصحيف. و ضبط تاريخ وفاة أبی اسحاق العلامة الحلی فی الخلاصة. منه.

فی کتاب الغارات.

و منهم أبو جعفر محمّد بن جریر الطبری المتوفّی سنة عشر و ثلاثمائة فی کتابه فی تاریخ الرسل و الملوک (ص 3246 ج 6 من طبع لیدن).

و منهم الشیخ الجلیل أبو محمّد الحسن بن علیّ بن شعبة الحرّانی المتوفّی 332 ه ق فی تحف العقول (ص 40 من الطبع علی الحجر. و ص 171 من الطبع الجدید).

و منهم الشیخ الأجلّ أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام البغدادی الملقّب بالمفید المتوفّی سنة 413 ه ق، فی أوّل المجلس الحادی و الثلاثین من أمالیه (ص 151 من طبع النجف).

و منهم شیخ الطائفة الامامیّة أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی المتوفّی 460 ه ق فی آخر الجزء الأوّل من أمالیه (ص 16 من طبع طهران، و ص 24 ج 1 من طبع النجف).

و منهم أبو جعفر محمّد بن أبی القاسم محمّد بن علی الطبری الاملی المعروف بعماد الدّین الطبری من علماء الامامیة فی القرن السادس فی کتابه بشارة المصطفی لشیعة المرتضی (ص 52 ج 1 من طبع النجف) و فی کتابه فی الزهد و التقوی.

و أتی بما فی الغارات الفاضل الشارح المعتزلی فی أوائل الجزء السادس من شرحه علی المختار 66 من خطب النهج (ص 295 ج 1 من الطبع علی الحجر).

و العلاّمة المجلسی فی المجلّد الثامن من البحار (ص 643 من الطبع الکمبانی).

و نقل بعض صور هذا العهد المنقول من الطبری و أبی إسحاق الثقفی الفاضل أحمد زکی صفوت فی جمهرة رسائل العرب (ص 532 إلی 542 ج 1 من طبع مصر).

و نقل طائفة من کتاب الغارات فی کیفیة شهادت محمّد بن أبی بکر و نبذة من مطالب اخری الفاضل المقدم المیرزه حبیب اللّه الخوئی فی شرح المختار المذکور آنفا إلاّ أنه جعله المختار 67 و لم یأت من صور هذا العهد إلاّ واحدا منها فراجع إلی (ص 112 من ج 6 من الطبع الجدید).

و قـال بعـد نقله: أقول: و لأمير المؤمنين عليه السّلام كتاب آخر مبسوط إلى محمّد و أهل مصـر و رواه إبراهيم - يعنى أبا إسـحاق إبراهيم صاحب كتاب الغارات - نرويه إن شاء اللّه فى باب الكتب إن ساعدنا التوفيق و المجال انتهى.

أقول: و لكنه رضوان اللّه عليه قـد قضـى نحبه و قد بلغ شـرحه إلى أواخر خطب النهج، كما تقدّم كلامنا فى ذلک فى أوّل تكملة المنهاج، و نحن نرويه ههنا إن شاء اللّه تعالى بصوره جميعا نيابة عن الخوئى رحمه اللّه و نسئل اللّه تعالى أن يجعل سعيه مشكورا، و يوفّقنا بإتمام شرح الكتاب إنّه المفيض الوهّاب.

صورة العهد على رواية أبى اسحاق فى كتاب الغارات

أمّا صورة العهد على رواية أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات قال:

و كان عهـد علىّ إلى محمّد بن أبى بكر رحمه اللّه الّذى قرئ بمصـر: هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاّه مصر: أمره بتقوى اللّه فى السرّ و العلانية و خوف اللّه تعالى فى المغيب و المشهد.

و أمره باللّين على المسلم، و الغلظ على الفاجر، و بالعدل على أهل الذمّة و بالانصاف للمظلوم، و بالشدّة على الظالم، و بالعفو عن النّاس، و بالاحسان ما استطاع، و اللّه يجزى المحسنين.

و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة، فانّ لهم فى ذلک من العاقبة و عظم المثوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه.

و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثمّ يقسـمه بين أهله كما كانوا يقسـمونه عليه من قبل، و إن تكن لهم حاجة يواسى بينهم فى مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء.

و أمره أن يحكم بين النّاس بـالحقّ ، و أن يقوم بالقسـطاس، و لا يتّبع الهوى و لا يخاف فى اللّه لومـة لائم فانّ اللّه مع من اتّقاه و آثر طاعته على من سواه.

و كتب عبد اللّه بن أبى رافع مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لغرّة شهر رمضان سنة ستّ و ثلاثين.

ص:62

قال أبو إسحاق إبراهيم: ثمّ قام محمّد بن أبی بکر خطیبا فحمد اللّه و أثنی علیه و قال: أمّا بعد فالحمد للّه الّذی هدانا و إیّاکم لما اختلف فیه من الحقّ ، و بصرنا و إیّاکم کثیرا ممّا عمی عنه الجاهلون. ألا و إنّ أمیر المؤمنین و لاتّی امورکم و عهد إلیّ بما سمعتم و أوصانی بکثیر منه مشافهة و لن آلوکم جهدا ما استطعت و ما توفیقی إلاّ باللّه علیه توکلت و إلیه انیب، فان یکن ما ترون من آثاری و أعمالی طاعة للّه و تقوی فاحمدوا اللّه علی ما کان من ذلک فانه هو الهادی إلیه، و إن رأیتم من ذلک عملا بغیر الحقّ فارفعوه إلیّ و عاتبونی علیه فانی بذلک أسعد و أنتم بذلک جدیرون، وفّقنا اللّه و إیّاکم لصالح العمل.

صورة ما کتب أمیر المؤمنین علی علیه السّلام الی أهل مصر

لما بعث محمد بن أبی بکر الیهم یخاطبهم به و محمدا

أیضا فیه علی روایة أبی اسحاق فی کتاب الغارات أیضا

و قال أبو إسحاق إبراهیم فی کتاب الغارات أیضا: و حدّثنی یحیی بن صالح عن مالک، عن خالد الأسدی، عن الحسن بن إبراهیم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن علیه السّلام قال: کتب علیّ علیه السّلام إلی أهل مصر لمّا بعث محمّد بن أبی بکر إلیهم کتابا یخاطبهم به و یخاطب محمّدا أیضا فیه: أمّا بعد فإنّی اوصیکم بتقوی اللّه فی سرّ أمرکم و علانیته، و علی أیّ حال کنتم علیها. و لیعلم المرء منکم أنّ الدنیا دار بلاء و فناء، و الاخرة دار جزاء و بقاء، فمن استطاع أن یؤثر ما بقی علی ما یفنی فلیفعل فإنّ الاخرة تبقی و الدّنیا تفنی، رزقنا اللّه و إیّاکم بصرا لما بصّرنا و فهما لما فهّمنا حتّی لا نقصّر عمّا أمرنا، و لا نتعدّی إلی ما نهانا.

و اعلم یا محمّد أنّک و إن کنت محتاجا إلی نصیبک من الدّنیا إلاّ أنّک إلی نصیبک من الاخرة أحوج، فإن عرض لک أمران أحدهما للاخرة و الاخر للدّنیا فابدأ بأمر الاخرة. و لتعظم رغبتک فی الخیر، و لتحسن فیه نیّتک فإنّ اللّه عزّ و جلّ یعطی العبد علی قدر نیّته، و إذا أحبّ الخیر و أهله و لم یعمله کان إن شاء اللّه کمن

عمله، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال حين رجع من تبوک: إنّ بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير و لا هبطتم من واد إلاّ كانوا معكم ما حبسهم إلاّ المرض يقول: كانت لهم نيّة.

ثمّ اعلم يا محمّد إنّى وليّتک أعظم أجنادى أهل مصر، و ولّيتک ما ولّيتک من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسک و تحذر فيه على دينک و لو كان ساعة من نهار، فإن استطعت أن لا تسخط ربّک لرضى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه خلفا من غيره و ليس فى شىء غيره خلف منه، فاشتدّ على الظّالم، و لن لأهل الخير و قرّبهم إليک و اجعلهم بطانتک و إخوانک و السّلام.

كتاب أمير المؤمنين على (عليه السلام) الى محمد بن أبى بكر و أهل مصر

على صورة اخرى منقولة من كتاب الغارات أيضا

قال أبو إسحاق إبراهيم: حدّثنى يحيى بن صالح عن مالک بن خالد، عن الحسن بن إبراهيم، عن عبد اللّه بن الحسن بن الحسن عليه السّلام قال: كتب علىّ عليه السّلام إلى محمّد و أهل مصر: أمّا بعد: فانّى أوصيكم بتقوى اللّه و العمل بما أنتم عنه مسؤلون فأنتم به رهن و إليه صائرون، فانّ اللّه عزّ و جلّ يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ »، و قال: و يحذّركم اللّه نفسه و إلى اللّه المصير، و قال: فو ربّک لنسئلنّهم أجمعين عمّا كانوا يعملون، فاعلموا عباد اللّه أنّ اللّه سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير فان يعذّب فنحن الظّالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الرّاحمين.

و اعلموا أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة و المغفرة حين ما يعمل بطاعة اللّه و منا صحته فى التوبة، فعليكم بتقوى اللّه عزّ و جلّ فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها، و يدرک بها من الخير ما لا يدرک بغيرها: خير الدّنيا و خير الاخرة، يقول سبحانه: «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ المؤمنين المتّقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله شركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم يقول اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ »

«لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ ». سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم، يأكلون من أفضل ما يأكلون، و يشربون من أفضل ما يشربون، و يلبسون من أفضل ما يلبسون و يسكنون من أفضل ما يسكنون، أصابوا لذّة أهل الدّنيا مع أهل الدّنيا مع أنّهم غدا من جيران اللّه عزّ و جلّ يتمنّون عليه، لا يردّ لهم دعوة و لا ينقص لهم لذة، أما فى هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل.

و اعلموا عباد اللّه أنّكم إن اتّقيتم ربّكم، و حفظتم نبيّكم فى أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر، و جاهدتم بأفضل الجهاد، و إن كان غيركم أطول صلاة منكم، و أكثر صياما إذا كنتم أتقى للّه و أنصح لأولياء اللّه من آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و أخشع.

و احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنه يدخله بأمر عظيم: خير لا يكون معه شرّ أبدا، و شرّ لا يكون معه خير أبدا، ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير: إلى الجنّة أم إلى النّار؟ أعدوّ هو للّه أم وليّ له فان كان وليا فتحت له أبواب الجنّة، و شرع له طريقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فيها، فرغ من كل شغل، و وضع عنه كلّ ثقل و إن كان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ اللّه لأهلها، و استقبل كلّ مكروه، و فارق كلّ سرور، قال تعالى: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ الموت ليس فيه فوت فاحذروه و أعدّوا له عدّته فانّكم طرداء للموت إن أقمتم أخذكم، و إن هربتم أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، معقود بنواصيكم، و الدّنيا تطوى من خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات فانّه كفى بالموت واعظا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللّذات.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد الموت أشدّ من الموت لمن لم يغفر اللّه له و يرحمه، و احذروا القبر و ضـمّته، و ضيقه و ظلمته فانّه الّذى يتكلّم كلّ يوم:

أنا بيت التراب، و أنا بيت الغربـة، و أنا بيت الـدّود، و القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار، إنّ المسـلم إذا مات قالت الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت ممّن احبّ أن تمشـى على ظهرى، فاذا وليتک فسـتعلم كيف صنعى بک فيتّسع له مدّ بصره، و إذا دفن الكافر قالت له الأـرض: لاـ مرحبا و لا أهلا قـد كنت ممّن ابغض أن تمشـى على ظهرى، فإذا وليتک فسـتعلم كيف صـنعى بک، فتنضمّ عليه حتى تلتقى أضلاعه.

و اعلموا أنّ المعيشة الضّنک الّتى قال سـبحانه: «فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً »، هى عذاب القبر فانّه يسلّط على الكافر فى قبره حيّات عظام تنهش لحمه حتّى يبعث لو أنّ تنّينا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت الزرع أبدا.

و اعلموا عباد اللّه أنّ أجسادكم الرقيقة النّاعمة الّتى يكفيها اليسـير من العقاب ضعيفة عن هذا، فإن استطعتم أن ترحموا أنفسكم و أجسادكم مما لا طاقة لكم به و لا صبر عليه فتعملوا بما أحبّ اللّه سبحانه، و تتركوا ما كره فافعلوا، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد القبر أشدّ من القبر يوم يشـيب فيه الصـغير، و يسكر فيه الكبير و تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، و احذروا يوما عبوسا قمطريرا كان شـرّه مسـتطيرا، أما إنّ شـرّ ذلک اليوم و فزعه استطار حتّى فزعت منه الملائكة الّذين ليست لهم ذنوب و السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرضون المهاد و انشـقّت السـماء فهى يومئـذ واهيـة و تغيّرت فكانت وردة كالدّهان، و كانت الجبال سـرابا بعد ما كانت صمّا صلابا، يقول اللّه سبحانه: «وَ نُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ مَنْ فِى الْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اللّهُ »، فكيف بمن يعصيه بالسمع و البصر و اللّسان و اليد و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه و يرحم ؟ و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد ذلک اليوم أشدّ و أدهى، نار قعرها بعيد،

و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليست للّه سبحانه فيها رحمة، و لا تسمع فيها دعوة و مع هذا رحمة اللّه الّتى وسعت كلّ شىء لا تعجز عن العباد، و جنّة عرضها كعرض السماوات و الأرض، خير لا يكون بعده شرّ أبدا، و شهوة لا تنفد أبدا، و لذّة لا تفنى أبدا، و مجمع لا يتفرّق أبدا، قوم قد جاوروا الرحمن، و قام بين أيديهم الغلمان، بصحاف من ذهب فيها الفاكهة و الريحان، و أنّ أهل الجنّة يزورون الجبّار سبحانه فى كلّ جمعة فيكون أقربهم منه على منابر من نور، و الّذين يلونهم على منابر من ياقوت، و الّذين يلونهم على منابر من مسک فبيناهم كذلک ينظرون اللّه جلّ جلاله و ينظر اللّه فى وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة و اللذّة و السرور و البهجة ما لا يعلمه إلاّ اللّه سبحانه، و مع هذا ما هو أفضل منه رضوان اللّه الأكبر، أما إنّا لو لم نخوّف إلاّ ببعض ما خوّفنا به لكنّا محقوقين أن يشتدّ خوفنا ممّا لا طاقة لنا به، و لا صبر لقوّتنا عليه، و أن يشتدّ شوقنا إلى ما لا غنى لنا عنه، و ما لا بدّ لنا منه، فإن استطعتم عباد اللّه أن يشتدّ خوفكم من ربّكم فافعلوا فإنّ العبد إنّما تكون طاعته على قدر خوفه، و إنّ أحسن النّاس للّه طاعة أشدّهم له خوفا.

و انظر يا محمّد صلاتک كيف تصلّيها فانّما أنت إمام ينبغى لک أن تتمّها، و أن تخفّفها و أن تصلّيها لوقتها فانّه ليس من إمام يصلّى بقوم فيكون فى صلاته و صلاتهم نقص إلاّ كان إثم ذلک عليه و لا ينقص من صلاتهم شيئا.

و اعلم أنّ كلّ شىء من عملک يتبع صلاتک فمن ضيّع الصّلاة فهو لغيرها أشدّ تضييعا، و وضوءک من تمام الصلاة فأت به على وجهه فالوضوء نصف الإيمان أسأل اللّه الّذى يرى و لا يرى و هو بالمنظر الأعلى أن يجعلنا و إيّاک من المتّقين الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

فإن استطعتم يا أهل مصر أن تصدّق أقوالكم أفعالكم و أن يتوافق سرّكم

و علانيتكم، و لا تخالف ألسنتكم قلوبكم فافعلوا عصمنا اللّه و إيّاكم بالهدى، و سلك بنا و بكم المحجّة الوسطى.

و إيّاكم و دعوة الكذاب ابن هند، و تأمّلوا، و اعلموا أنّه لا سوى إمام الهدى و إمام الرّدى، و وصىّ النّبى و عدوّ النّبى، جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يحبّ و يرضى، و لقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّى لا أخاف على امّتى مؤمنا و لا مشركا: أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بايمانه، و أمّا المشرك فيحرمنّه اللّه بشركه و لكنّى أخاف عليهم كلّ منافق اللسان يقول ما يعرفون و يفعل ما ينكرون.

و اعلم يا محمّد أنّ أفضل الفقه الورع فى دين اللّه و العمل بطاعته فعليک بتقوى اللّه فى سرّ أمرک و علانيتک، و اوصيک بسبع هنّ جوامع الإسلام: اخش اللّه و لا تخش الناس فى اللّه، و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين مختلفين فيتناقض أمرک و تزيغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّة رعيّتک ما تحبّه لنفسک و اكره لهم ما تكره لنفسک، و اصلح أحوال رعيّتک، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف لومة لائم، و انصح لمن استشارک، و اجعل نفسک اسوة لقريب المسلمين و بعيدهم. جعل اللّه خلّتنا و ديننا خلّة المتّقين و ودّ المخلصين، و جمع بيننا و بينكم فى دار الرّضوان إخوانا على سرر متقابلين إن شاء اللّه.

قال أبو إسحاق إبراهيم: فحدّثنى عبد اللّه بن محمّد بن عثمان عن علىّ بن محمّد ابن أبى سيف عن أصحابه أنّ عليا عليه السّلام لما كتب إلى محمّد بن أبى بكر هذا الكتاب كان ينظر فيه و يتأدّب به فلمّا ظهر عليه عمرو بن العاص و قتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب و يتعجّب منه، فقال الوليد ابن عقبة و هو عند معاوية و قد رأى إعجابه به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاوية: مه! فإنّه لا رأى لک، فقال الوليد أ فمن الرأى أن يعلم النّاس أنّ أحاديث أبى تراب عندک تتعلّم منها؟ قال معاوية: ويحک أ تأمرنى أن أحرق علما مثل هذا و اللّه ما سمعت بعلم هو أجمع منه و لا أحكم، فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه و قضائه فعلام تقاتله ؟ فقال: لو لا إنّ أبا تراب قتل عثمان ثمّ أفتانا

لأخـذنا عنه. ثمّ سـكت هنيئـة ثمّ نظر إلى جلسائه فقال: إنّا لا نقول إنّ هـذه من كتب عليّ بن أبى طالب و لكن نقول: هذه من كتب أبى بكر الصّدّيق كانت عند ابنه محمّد فنحن ننظر فيها و نأخذ منها. قال: فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى اميّة حتّى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنّها من أحاديث عليّ بن أبى طالب.

و قال ابراهيم: فلمّا بلغ عليا عليه السّلام أنّ ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتدّ عليه حزنا.

و قـال: حـدّثنى بكر بن بكار عن قيس بن الرّبيع، عن ميسـرة بن حبيب، عن عمرو بن مرة، عن عبـد اللّه بن مسـلمة قال: صـلّى بنا عليّ عليه السّلام فلمّا انصرف قال:

لقد عثرت عثرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها و أستمر

و أجمع الأمر الشتيت المنتشر

فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إنى استعملت محمّد بن أبى بكر على مصر فكتب إلىّ أنّه لا علم لى بالسنّة فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنّة فقتل و اخذ الكتاب.

قلت: قد نقلت هذا العهد الشريف المحكم المتين الذى هو نسيج وحده فى المعارف الحقّة لا سيّما فى المعاد من كتاب الغارات المنقول فى شـرح الفاضل المعتزلى و لكن من نسـخة مخطوطـة مصـحّحة مشـكوكة عتيقة قد أنعمنا اللّه تعالى بها و هى من كتب مكتبتنا، و بين ما نقلناه منها و بين ما طبع من نسخ شرح الفاضل المذكور تفاوة فى عدّة مواضع يتغير المعنى بها و لعلّنا نأتى بها أو ببعض ما يهتمّ و يعتنى به فى شرح العهد إنشاء اللّه تعالى.

صورة العهد على ما فى تاريخ الطبرى

و أما صورة العهد على ما ضبطه أبو جعفر الطبرى فى التاريخ فإنه قريب ممّا نقلناه من كتاب الغارات أوّلا و ليس فى نقله كثير فائدة قال: قال هشام عن أبى مخنف قال: حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ عن أبيه قال: كنت مع محمّد بن أبى

بكر حين قدم مصر فلمّا قدم قرأ عليهم عهده: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم هذا ما عهد عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر حين ولاّه مصر أمره بتقوى اللّه – إلخ.

و لم ينقل أبو جعفر الطبرى وصيّته عليه السّلام المبسوطة لأهل مصر و محمّد و إنّما اكتفى بنقل العهد الذى كتبه إلى محمّد فقط .

صورة العهد على ما فى تحف ابن شعبة

و أمّا أبو محمّد الحسن بن علىّ بن الحسين بن شعبة الحرّانى – ره – فانه أتى بالعهد الّذى كتبه إلى محمّد، و ما كتبه إلى أهل مصر و محمّد جميعا، و لمّا كان الأوّل قريبا أيضا ممّا فى كتاب الغارات و تاريخ الطبرى أعرضنا عن نقله أيضا لقلّة الجدوى فى ذلک، و أمّا ما كتبه عليه السّلام إلى أهل مصر و محمّد فهذه صورته:

ثمّ كتب إلى أهل مصر بعد مسيره ما اختصرناه: من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبى بكر و أهل مصر: سلام عليكم.

أمّا بعد فقد وصل إلىّ كتابک و فهمت ما سألت عنه، و أعجبنى اهتمامک بما لا بدّ لک منه و ما لا يصلح المسلمين غيره، و ظننت أنّ الّذى أخرج ذلک منک نيّة صالحة و رأى غير مدخول.

أمّا بعد فعليک بتقوى اللّه فى مقامک و مقعدک و سرّک و علانيتک، و إذا أنت قضيت بين النّاس فاخفض لهم جناحک، و ليّن لهم جانبک، و ابسط لهم وجهک و آس بينهم فى اللحظ و النظر حتّى لا يطمع العظماء فى حيفک لهم و لا ييأس الضعفاء من عدلک عليهم، و أن تسأل المدّعى البيّنة و على المدّعى عليه اليمين، و من صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلاّ أن يكون صلحا يحرّم حلالا أو يحلّل حراما.

و آثر الفقهاء و أهل الصّدق و الوفاء و الحياء و الورع على أهل الفجور و الكذب و الغدر، و ليكن الصالحون الأبرار إخوانک، و الفاجرون الغادرون أعداءک فانّ أحبّ اخوانى إلىّ أكثرهم للّه ذكرا و أشدّهم منه خوفا و أنا أرجو أن تكون منهم إن شاء اللّه.

و إنّی اوصیکم بتقوی اللّه فیما أنتم عنه مسئولون و عمّا أنتم إلیه صائرون فإنّ اللّه قال فی کتابه: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَةٌ ». و قال: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ ». و قال: فو ربّک لنسألنّهم أجمعین عمّا کانوا یعملون، فعلیکم بتقوی اللّه فانّها تجمع من الخیر ما لا یجمع غیرها و یدرک بها من الخیر ما لا یدرک بغیرها من خیر الدّنیا و خیر الاخرة قال اللّه تعالی: «وَ قِیلَ لِلَّذِینَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّکُمْ قالُوا خَیْراً لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا فِی هذِهِ الدُّنْیا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الآخِرَةِ خَیْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِینَ ».

اعلموا عباد اللّه أنّ المتّقین ذهبوا بعاجل الخیر و آجله، شارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی آخرتهم، قال اللّه عزّ و جلّ : «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَةَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّیِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ »، الایة. سکنوا الدّنیا بأحسن ما سکنت و أکلوها بأحسن ما أکلت.

و اعلموا عباد اللّه أنّکم إذا لقیتم اللّه و حفظتم نبیّکم فی أهله فقد عبدتموه بأفضل عبادته، و ذکرتموه بأفضل ما ذکر، و شکرتموه بأفضل ما شکر، و قد أخذتم بأفضل الصبر و الشکر، و اجتهدتم بأفضل الاجتهاد و إن کان غیرکم أطول منکم صلاة و أکثر منکم صیاما و صدقة إذ کنتم أنتم أوفی للّه و أنصح لأولیاء اللّه و من هو ولیّ الأمر من آل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله.

و احذروا عباد اللّه الموت و قربه و کربه و سکراته، و أعدّوا له عدّته فإنّه یأتی بأمر عظیم: بخیر لا یکون معه شرّ و بشرّ لا یکون معه خیر أبدا، فمن أقرب إلی الجنّة من عاملها و أقرب إلی النّار من أهلها فأکثروا ذکر الموت عند ما تنازعکم إلیه أنفسکم فإنّی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: أکثروا ذکرها دم اللّذات، و اعلموا أنّ ما بعد الموت لمن لم یغفر اللّه له و یرحمه أشدّ من الموت.

و اعلم یا محمّد إنّنی ولیّتک أعظم أجنادی فی نفسی أهل مصر و أنت محقوق أن تخاف علی نفسک و أن تحذر فیه علی دینک و ان لم تکن إلاّ ساعة من النهار، فان استطعت أن لا تسخط ربّک برضی أحد من خلقه فافعل فإنّ فی اللّه خلفا من غیره

و لا فی شیء خلف من اللّه، اشدد علی الظالم و خذ علی یدیه، و لن لأهل الخیر و قرّبهم منک و اجعلهم بطانتک و إخوانک.

ثمّ انظر صلاتک کیف هی فإنّک إمام و لیس من إمام یصلّی بقوم فیکون فی صلاتهم تقصیر إلاّ کان علیه أو زارهم و لا ینتقص من صلاتهم شیء و لا یتمّمها إلاّ کان له مثل اجورهم و لا ینتقص من اجورهم شیء. و انظر الوضوء فإنّه تمام الصّلاة و لا صلاة لمن لا وضوء له. و اعلم أنّ کلّ شیء من عملک تابع لصلاتک، و اعلم أنّه من ضیّع الصّلاة فإنّه لغیر الصّلاة من شرائع الإسلام أضیع.

و إن استطعم یا أهل مصر أن یصدّق قولکم فعلکم و سرّکم علانیتکم، و لا تخالف ألسنتکم أفعالکم فافعلوا، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّی لا أخاف علی امّتی مؤمنا و لا مشرکا أمّا المؤمن فیمنعه اللّه بإیمانه، و أمّا المشرک فیخزیه اللّه و یقمعه بشرکه، و لکنّی أخاف علیکم کلّ منافق حلو اللسان یقول ما تعرفون، و یفعل ما تنکرون لیس به خفاء، و قد قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: من سرّته حسناته و ساءته سیّئاته فذلک المؤمن حقّا، و کان یقول صلّی اللّه علیه و آله: خصلتان لا یجتمعان فی منافق: حسن سمت و فقه فی سنّة.

و اعلم یا محمّد بن أبی بکر أنّ أفضل الفقه الورع فی دین اللّه، و العمل بطاعة اللّه أعاننا اللّه و إیّاک علی شکره و ذکره و أداء حقّه و العمل بطاعته إنّه سمیع قریب.

و اعلم أنّ الدّنیا دار بلاء و فناء و الاخرة دار بقاء و جزاء فإن استطعت أن تؤثر(1) ما یبقی علی ما یفنی فافعل رزقنا اللّه بصر ما بصّرنا و فهم ما فهّمنا حتّی لا نقصّر عمّا أمرنا و لا نتعدّی إلی ما نهینا عنه فانّه لا بدّ لک من نصیبک من الدّنیا، و أنت إلی نصیبک من الاخرة أحوج، فان عرض لک أمران: أحدهما للاخرة و الاخر للدّنیا، فابدأ بأمر الاخرة، و إن استطعت أن تعظم رغبتک فی

1- (1) کانت العبارة «أن تزین» مکان «أن تؤثر» و بدلنا الاول بالثانی قیاسا بما نقلنا آنفا من کتاب الغارات و کانت العبارة فیه «تؤثر» و لا تفید تزین من الزینة معنی صحیحا الا بتکلف لا ینبغی فی حول کلام صدر من مشرع الفصاحة و البلاغة. منه.

الخير و تحسن فيه نيّتک فافعل فإنّ اللّه يعطى العبد على قدر نيّته إذا أحبّ الخير و أهله، و إن لم يفعله كان إن شاء اللّه كمن فعله.

ثمّ إنّى اوصيک بتقوى اللّه، ثمّ بسبع خصال هنّ جوامع الاسلام: تخشى اللّه و لا تخشى النّاس فى اللّه فانّ خير القول ما صدّقه الفعل، و لا تقض فى أمر واحد بقضائين فيختلف عليک أمرک و تزلّ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّة رعيّتک ما تحبّ لنفسک و أهل بيتک، و ألزم الحجّة عند اللّه و اصلح رعيّتک، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى اللّه لومة لائم، و أقم وجهک و انصح للمرء المسلم إذا استشارک، و اجعل نفسک اسوة لقريب المسلمين و بعيدهم، و أمر بالمعروف و انه عن المنكر و اصبر على ما أصابک إنّ ذلک من عزم الامور و السّلام عليک و رحمة اللّه و بركاته.

صورة العهد على ما فى نسختى الشيخين

المفيد و الطوسى قدس سرهما

أمّا صورة العهد على ما فى أمالى الشّيخ المفيد، و ما فى أمالى الشّيخ الطوسى رفع اللّه درجتهما فانّ إحداهما قريبة من الاخرى بل الطوسى – ره – رواه من الشّيخ المفيد بسند ينتهى إلى أبى إسحاق الهمدانى و بهذا السند رواه المفيد أيضا فى أماليه من غير اختلاف، إلاّ أنّا نجعل ما فى أمالى الطوسى أصلا و ذلک لأنا ننقله من نسخة مخطوطة مصحّحة عتيقة محفوظة فى مكتبتنا استنسخت من أصل كتب فى سنة 618 و قوبلت عليه و قد نقل فى آخرها عبارة خاتمة الأصل هكذا: تمّ كتاب الأمالى و هو ثمانية عشر جزءا آخر نهار الجمعة ثانى شوال سنة ثمان عشر و ستمائة و الحمد للّه ربّ العالمين و صلّى اللّه على محمّد و آله الطّاهرين و سلّم تسليما، كتبه علىّ بن أبى محمّد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلىّ الحلّىّ حامدا للّه تعالى و مصلّيا على رسوله محمّد و آله الطّاهرين.

فدونک صورة العهد على رواية الطوسى من ذلک الأصل قال: حدّثنا الشيخ المفيد أبو على الحسن بن محمّد بن الحسن الطوسى رحمه اللّه تعالى بمشهد مولانا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات اللّه عليه، قال: حدّثنا الشّيخ السعيد الوالد

أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علیّ الطوسی رحمه اللّه فی شهر ربیع الأوّل من سنة خمس و خمسین و أربعمائة، قال: حدّثنا أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان رحمه اللّه(1) قال: أخبرنی أبو الحسن علیّ بن محمّد بن حبیش الکاتب، قال: أخبرنی الحسن بن علیّ الزّعفرانی، قال: أخبرنی أبو إسحاق إبراهیم بن محمّد الثقفی، قال: حدّثنا عبد اللّه بن محمّد بن عثمان، قال: حدّثنا علیّ بن محمّد بن أبی سعید عن فضیل بن الجعد عن أبی إسحاق الهمدانی (و فی أمالی المفید: المجلس الحادی و الثلاثون مجلس یوم الاثنین السادس عشر من شهر رمضان سنة تسع و أربعمائة ممّا سمعته أنا و أبو الفوارس حدّثنا الشّیخ الجلیل المفید أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان أیّد اللّه تمکینه قال:

أخبرنی أبو الحسن علی بن محمّد بن محمّد بن حبیش الکاتب - و هکذا بالاسناد المقدّم حتّی ینتهی إلی أبی إسحاق الهمدانی) قال:

لمّا ولّی أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب محمّد بن أبی بکر مصر و أعمالها، کتب له کتابا و أمره أن یقرأه علی أهل مصر و لیعمل بما وصّاه به فکان الکتاب:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من عبد اللّه أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب إلی أهل مصر و محمّد بن أبی بکر: سلام علیکم فانی أحمد إلیکم اللّه الّذی لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فانّی اوصیکم بتقوی اللّه فیما أنتم عنه مسئولون و إلیه تصیرون فانّ اللّه تعالی یقول: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَةٌ »، و یقول: «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَی اللّهِ الْمَصِیرُ » و إلیه المصیر»، و یقول: «فَوَ رَبِّکَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ عَمّا کانُوا یَعْمَلُونَ ».

و اعلموا عباد اللّه أنّ اللّه عزّ و جلّ سائلکم عن الصغیر من أعمالکم و الکبیر فان یعذّب فنحن أظلم، و إن یعف فهو أرحم الرّاحمین (و قد سقط فی أمالی المفید المطبوع فی النجف شطر من الحدیث).

یا عباد اللّه إنّ أقرب ما یکون العبد إلی المغفرة و الرحمة حین یعمل للّه بطاعته و بنصحه فی التوبة. علیکم بتقوی اللّه فانها تجمع الخیر و لا خیر غیرها و یدرک بها

1- (1) هو الشیخ الاجل المفید - ره -، و أما الشیخ المفید أبو علی الحسن فهو ابن الشیخ الطوسی - ره - و المفید المطلق المعروف هو الاول. منه.

من الخير ما لا يدرک بغيرها من خير الدنيا و الاخرة قال اللّه عزّ و جلّ : «وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ ».

اعلموا يا عباد اللّه أنّ المؤمن يعمل لثلاث من الثواب [لثلاث] أمّا الخير فانّ اللّه يثيبه بعمله فى دنياه، قال اللّه سبحانه لإبراهيم: «وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّالِحِينَ »، فمن عمل للّه تعالى أعطاه أجره فى الدّنيا و الاخرة و كفاه المهمّ فيهما، و قد قال اللّه تعالى: «يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ »، فما أعطاهم اللّه فى الدّنيا لم يحاسبهم به فى الاخرة»، قال اللّه تعالى:

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ »، و الحسنى هى الجنّة، و الزيادة هى الدّنيا، و إنّ اللّه تعالى يكفّر بكلّ حسنة سيئة»، قال اللّه عزّ و جلّ : «إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِکَ ذِكْرى لِلذّاكِرِينَ »، حتّى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكلّ واحدة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال اللّه عزّ و جلّ : «جَزاءً مِنْ رَبِّکَ عَطاءً حِساباً »، و قال: اولئک لهم جزاء الضّعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون، فارغبوا [فارعنوا - كما فى النسخة المصحّحة من الأمالى] فى هذا رحمكم اللّه و اعملوا له و تحاضّوا عليه.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم و لهم يشاركهم أهل الدّنيا فى آخرتهم أباحهم فى الدّنيا ما كفاهم به و أغناهم، قال اللّه عزّ اسمه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِکَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدّنيا فى دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، و شربوا من طيّبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّة

الـدّنيا مع أهل الدّنيا و هم غدا جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، لا يردّ لهم دعوة، و لا ينقص لهم نصـيب من اللّذة، فإلى هذا يا عباد اللّه يشتاق إليه من كان له عقل و يعمل له تقوى اللّه [فى المطبوعة بتقوى اللّه] و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

يـا عبـاد اللّه إن اتّقيتم و حفظتم نبيّكم فى أهل بيته فقـد عبـدتموه بأفضل ما عبـد و ذكرتموه بأفضل ما ذكر، و شـكرتموه بأفضل ما شـكر، و أخـذتم بأفضـل الصّبر و الشّكر، و اجتهـدتم أفضل الاجتهاد، و إن كان غيركم أطول منكم صـلاة و أكثر منكم صـياما فأنتم أتقى للّه منه و أنصح لاولى الأمر.

احذروا يا عباد اللّه الموت و سـكرته فأعدّوا له عدّته فإنّه يفجاكم بأمر عظيم: بخير لا يكون معه شـرّ أبدا، أو بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها، و من أقرب إلى النّار من عاملها؟ انه ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّـة أم النّار؟ أعـدوّ هو للّه أو ولىّ ؟ فإن كان وليّا للّه فتحت له أبواب الجنّـة، و شـرعت له طرقها و رأى ما أعدّ اللّه له فيها ففرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عـدوّا للّه فتحت له أبواب النّار، و شـرع له طرقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه له فيها فاسـتقبل كلّ مكروه، و ترک كلّ سـرور، كلّ هذا يكون عند الموت و عنده يكون بيقين، قال اللّه تعالى: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمـا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »، و يقول: «اَلَّذِينَ تَتَوَفّـاهُمُ الْمَلائِكَـةُ ظالِمِى أَنْفُسِـهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ».

عباد اللّه إنّ الموت ليس منه فوت، فاحـذروا قبل وقوعه، و أعـدّوا له عدّة [عدّته – خ ل] فإنكم طرداء الموت إن أقمتم له أخذكم، و إن فررتم منه أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصـيكم، و الـدّنيا تطوى خلفكم، فأكثروا ذكر الموت عند ما تنازعكم إليه أنفسـكم من الشّهوات، و كفى

بالموت واعظا، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كثيرا ما يوصى أصحابه بذكر الموت فيقول:

أكثروا ذكر الموت فانه هادم اللذّات حائل بينكم و بين الشهوات.

يـا عباد اللّه ما بعـد الموت لمن لا يغفر له أشـدّ من الموت، القبر فاحـذروا ضـيقه و ضـنكه و ظلمته و غربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربـة، أنا بيت التراب أنا بيت الوحشـة، أنا بيت الـدّود و الهوام. و القبر روضة من رياض الجنّة، أو حفرة من حفر النّار، إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض: مرحبا و أهلا قد كنت من أحبّ أن تمشى على ظهرى فاذا وليتک فستعلم كيف صنيعى بک فيتّسع له مدّ البصر، و إنّ الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحبا بک و لا أهلا لقـد كنت من أبغض من يمشـى على ظهرى فاذا وليتک فسـتعلم كيف صـنيعى بک فتضـمّه حتّى تلتقى أضـلاعه، و أنّ المعيشة الضـنک الّتى حذّر اللّه منها عدوّه عذاب القبر انه يسلّط على الكافر فى قبره تسعة و تسعين تنينا فينهشن لحمه و يكسرن عظمه و يتردّدن عليه كذلک إلى يوم البعث، لو أنّ تنينا منها نفخ فى الأرض لم تنبت زرعا [زرعا أبدا - خ ل].

يا عباد اللّه إنّ أنفسـكم الضـعيفة، و أجسادكم الناعمة الرقيقة الّتى يكفيها اليسـير تضـعف عن هذا، فإن اسـتطعتم أن تجزعوا لأجسادكم و أنفسكم ممّا لا طاقة لكم و لا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبّ اللّه و اتركوا ما كره اللّه.

يـا عبـاد اللّه إنّ بعـد البعث ما هو أشـدّ من القبر يوم يشـيب فيه الصـغير و يسـكر فيه الكبير و يسـقط فيه الجنين و تـذهل كلّ مرضـعة عمّا أرضـعت، يوم عبوس قمطرير يوم كان شـرّه مسـتطيرا، إنّ فزع ذلک اليوم ليرهّب الملائكـة الـذين لا ذنب لهم و ترعد منه السـبع الشداد، و الجبال الأوتاد، و الأرض المهاد، و تنشقّ السـماء فهى يومئـذ واهية و تتغير فكأنّها وردة كالدّهان، و تكون الجبال سـرابا مهيلا بعد ما كانت صمّا صلابا، و ينفخ فى الصور فيفزع من فى السموات و من فى الأرض إلاّ من شاء اللّه، فكيف من عصى بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الرّجل و الفرج و البطن إن لم يغفر اللّه له و يرحمه من ذلک اليوم، لأنّه يصير إلى غيره: إلى نار

قعرها بعيـد و حرّها شديـد و شـرابها صديـد و عـذابها جديـد، و مقامعها حديد لا يفتر عذابها و لا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة و لا يسمع لأهلها دعوة.

و اعلموا يا عباد اللّه أنّ مع هذا رحمة اللّه الّتى لا تعجز العباد: جنّة عرضـها كعرض السماء و الأرض اعدّت للمتّقين لا يكون معها شرّ أبدا، لذّاتها لا تملّ و مجتمعها لا يتفرّق، سكّانها قد جاوروا الرّحمن، و قام بين أيديهم الغلمان بصحاف من الذّهب فيها الفاكهة و الريحان.

ثمّ اعلم يا محمّد بن أبى بكر أنّى قد ولّيتک أعظم أجنادى فى نفسـى أهل مصـر فاذا ولّيتک ما ولّيتک من أمر الدّنيا فأنت حقيق أن تخاف فيه على نفسک، و أن تحـذر فيه على دينک، فإن اسـتطعت ألاّ تسـخط ربّک برضـى أحد من خلقه فافعل فإنّ فى اللّه عزّ و جلّ خلفا من غيره و ليس فى شىء سواه خلف منه. اشتدّ على الظالم و خذ عليه، و لن لأهل الخير و قرّبهم و اجعلهم بطائنک و أقرانک.

و انظر إلى صـلاتک كيف هى فانک إمام لقومک أن تتمّها و لا تخفّفها فليس من إمام يصلّى لقوم يكون فى صلاتهم نقصان إلاّ كان عليه لا ينقص من صلاتهم شىء و تمّمها و تحفّظ فيها يكن لک مثل اجورهم و لا ينقص ذلک من أجرهم شيئا.

و انظر إلى الوضوء فإنّه من تمام الصّلاة: تمضـمض ثلاث مرات، و اسـتنشق ثلاثا، و اغسل وجهک ثمّ يدک اليمنى ثمّ اليسـرى ثمّ امسـح رأسک و رجليک فإنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يصنع ذلک، و اعلم أنّ الوضوء نصف الإيمان.

ثمّ ارتقب وقت الصّلاة فصـلّها لوقتها و لا تعجل بها قبله لفراغ و لا تؤخّرها عنه لشـغل فإنّ رجلا سأل رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله عن أوقات الصّلاة فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:

أتانى جبرئيل عليه السّلام فأرانى وقت الصّلاة حين زالت الشـمس فكانت على حاجبه الأيمن، ثمّ أرانى وقت العصـر فكان ظلّ كلّ شىء مثله، ثمّ صلّى المغرب حين غربت الشمس، ثمّ صلى العشاء الاخرة حين غاب الشفق، ثمّ صلّى الصبح فأغلس بها و النّجوم مشتبكة فصلّ لهذه الأوقات، و الزم السنّة المعروفة و الطريق الواضح.

ثمّ انظر ركوعک و سجودک فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان أتمّ الناس صلاة

و أخفّهم عملا فيها.

و اعلم أنّ كلّ شيء من عملک تبع لصلاتک فمن ضيّع الصّلاة فانّه لغيرها أضيع.

أسأل اللّه الّذی يری و لا يری و هو بالمنظر الأعلی أن يجعلنا (فی امالی المفيد: علی أن يعيننا) و إيّاک علی شکره و ذکره و حسن عبادته و أداء حقّه و علی کلّ شيء اختار لنا فی دنيانا و ديننا و آخرتنا.

و أنتم يا أهل مصر فليصدّق قولکم فعلکم و سرّکم علانيتکم و لا يخالف ألسنتکم قلوبکم. و اعلموا أنه لا يستوی إمام الهدی و إمام الرّدی، و وصیّ النّبی عليه السّلام و عدوّه، إنّی لا أخاف عليکم مؤمنا و لا مشرکا أمّا المؤمن فيمنعه اللّه بإيمانه، و أمّا المشرک فيحجزه اللّه عنکم بشرکه و لکنّی أخاف عليکم المنافق يقول ما تعرفون و يعمل بما تنکرون.

يا محمّد بن أبی بکر اعلم أنّ أفضل الفقه الورع فی دين اللّه، و العمل بطاعته، و أنّی اوصيک بتقوی اللّه فی سرّ أمرک و علانيتک و علی أیّ حال کنت عليه، الدّنيا دار بلاء و دار فناء، و الاخرة دار الجزاء و دار البقاء، فاعمل لما يبقی و اعدل عمّا يفنی، لا تنس نصيبک من الدّنيا.

اوصيک بسبع هنّ جوامع الإسلام: تخشی اللّه عزّ و جلّ و لا تخش النّاس فی اللّه و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فی أمر واحد بقضائين مختلفين فيختلف أمرک و تزيغ عن الحقّ ، و أحبّ لعامّة رعيتک ما تحبّ لنفسک و أهل بيتک و اکره لهم ما تکره لنفسک و أهل بيتک فإنّ ذلک أوجب للحجّة و أصلح للرعيّة و خض الغمرات إلی الحقّ و لا تخف فی اللّه لومة لائم، و انصح المرأ إذا استشارک، و اجعل نفسک (لنفسک خ ل) اسوة لقريب المسلمين و بعيدهم. جعل اللّه مودّتنا فی الدّين، و حلّنا و إيّاکم حلّة المتقين(1) و ابقی لکم طاعتکم حتّی يجعلنا و إيّاکم

1- (1) فی النسخة المطبوعة من أمالی الطوسی: و خلتنا و اياکم خلة المتقين، و فی أمالی المفيد: و جعلنا و اياکم حلية المتقين، لکن الصواب ما فی المتن المنقول من تلک النسخة المخطوطة، و ما فی النسخ المطبوعة مصحفة. منه.

بها اخوانا على سرر متقابلين.

أحسنوا أهل مصر موازرة محمّد أميركم، و اثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيّكم صلّى اللّه عليه و آله. أعاننا اللّه و إيّاكم على ما يرضيه. و السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

قلت: صورة العهد على رواية الشيخين تصدّق ما نقلناه آنفا عن كتاب الغارات أكثر تصديق من أنّ محمّد بن أبى بكر كتب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنه لا علم لى بالسنّة فكتب عليه السّلام إليه كتابا فيه أدب و سنّة، و إلاّ لم يكن فى رواية أبى إسحاق إبراهيم فى كتاب الغارات كلام فى السنّة إلاّ قوله عليه السّلام فى جباية الخراج و الصّلاة و الوضوء مجملا.

و كذلك يصدّقه ما رواه ابن شعبة فى التحف حيث قال الأمير عليه السّلام:

أمّا بعد فقد وصل إلىّ كتابك و فهمت ما سألت عنه و أعجبنى بما لا بدّ لك منه - إلخ.

صورة العهد على رواية أبى جعفر محمد بن أبى القاسم الطبرى

فى كتابه بشارة المصطفى لشيعة المرتضى

و أمّا صورة العهد على رواية عماد الدّين الطبرى فى كتابه بشارة المصطفى لشيعة المرتضى فهى أيضا توافق صورته على رواية الشيخين قدّس أسرارهم قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو محمّد الحسن بن الحسين بن بابويه قرأته عليه بالرّى سنة عشرة و خمسمائة قال: حدّثنا السعيد أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسى قال: حدّثنا الشّيخ المفيد أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد - إلى آخر السّند المذكور آنفا من أمالى الطوسى - و نقل العهد إلى قوله عليه السّلام: فأنتم أتقى للّه عزّ و جلّ منه و أنصح لاولى الأمر، ثمّ قال: قال محمّد بن أبى القاسم: الحديث طويل لكنّى أخذته إلى هاهنا لأنّ غرضى كان فى هذه الألفاظ الأخيرة فإنّها بشارة حسنة لمن خاف و اتّقى و تولّى أهل المصطفى و الخبر بكماله أوردته فى كتاب الزهد و التقوى. انتهى كلامه - ره -.

اللغة

(فـاخفض) أى ألن لهم جانبـک. و الجنـاح هاهنـا هو الجنب أى كن ليّن الجـانب لرعيّتـک و لاـ تغلـظ عليهم قال اللّه تعالى: «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ». (رهن) بضمّ الراء و الهـاء جمع رهن (و ابسـط لهم وجهک) أى كن طلق الوجه لهم. (آس) أمر من المواساة يقال آساه بماله مواساة أى أناله منه و جعله فيهم اسوة. و لا يقال واساه بل هو لغة ردّية كما فى القاموس. و يقال آسيت بين القوم إذا أصـلحت و آسـيت بينهم اى جعلت بعضـهم اسوة بعض، و المراد من المواساة ههنا المساواة أى سوّ بينهم و تقـديره اجعل بعضـهم اسوة بعض. (المترفون) المنعمون الترفـة بـالضمّ : النعمـة، و أترفته النعمـة أطغته (الحيف): الجور. (فحظوا) الحظوة بـالضمّ و الكسـر و الحظة كعدة: المكانة و الحظّ من الرزق و الفعل من باب علم. قال محمّد بن بشير (الحماسة 436 من شرح المرزوقى):

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته و مد من القرع للأبواب أن يلجا

أى أن يظفر بطلبته.

(المشـهد): المحضـر، خلاف المغيب. (أن يجبى) اى أن يجمع من الجبايـة. القسـطاس بالضمّ و الكسـر الميزان، أو أقوم الموازين، أو هو ميزان العدل أىّ ميزان كان كالقسطاس أو رومى معرّب.

(آثر) أى اختار. (يتمنّون عليه) التمنّى تشهّى حصول الأمر المرغوب فيه.

(شرع له) أى فتح له.

(مثوى) أى مقام و منزل. (طرداء) جمع طريد أى مطرود، و الطريدة ما طردت من صيد أو غيره، و طردته نفيته عنّى.

(هادم اللـذّات) الهـدم بالـدال المهملـة نقض البناء، و قـد ضـبطه بعضـهم بالـذال المعجمـة من الهذم بمعنى القطع. و فى أساس البلاغة للزمخشرى: هذمه أسرع قطعه.

و سيف مخذم و مهذم و هذام.

ص:81

(ضمّته) الضمّ قبض الشيء إلى الشيء و قد ضمّه فانضمّ إليه و معنى ضمّة القبر بالفارسيّة فشارش قبر.

(فاذا ولّيتک) أى ملكتک، من ولى الشيء بكسر العين فى الماضى و المضارع ولاية و ولاية بكسر الواو و فتحها إذا قام به و ملک أمره.

(أجناد) جمع الجند بمعنى العسكر. (محقوق) أى حقيق و جدير.

(تنافح) نافحت عنه أى خاصمت عنه، و جاهدت و ذبت و دافعت، و يقال:

نافحه إذا كافحه و دافعه.

(تنهش) نهشه كمنعه نهسه و لسعه و عضّه و بالفارسية: گزيد او را.

(قمطريرا) أى شديدا. (مقامعها) جمع المقمعة أى العمود. (الصديد) ما يخرج من جوف أهل النّار من القيح و الدّم.

(صحاف) جمع صحفة من أعظم القصاع، و يقال بالفارسيّة: كاسهٔ بزرگ.

(و الّذين يلونهم) أى يكونون بعدهم. (المحجّة): الطريقة. (اسوة) بحركات الهمزة و سكون السين أى قدوة يقتدى القريب و البعيد بها.

(يقمعه) أى يقهره و يذلّله. (خض الغمرات) أمر من الخوض أى ادخل الشدائد. (خلّتنا) الخلّة الصّفة، و أمّا على نسخة أمالى الطوسى: و حلّنا و إيّاكم حلّة المتّقين فظاهر.

الاعراب

(عن الصّغيرة) متعلّق بقوله يسائلكم، (معشر عباده) منادى مضاف وقع فى البين. (حين ما يعمل بطاعة اللّه) ما مصدرية و منا صحته معطوف على المصدر.

كلمة ما فى قوله:(بأفضل ما سكنت) و فى أخواته مصدرية أى استعملوها على الوجه الّذى ينبغى. و الباء فى قوله (بالزاد المبلغ) بمعنى مع (من آل محمّد) بيان لأولياء اللّه. (ما كنّا نعمل من سوء) كلمة ما: نافية أو استفهاميّة. (رحمة اللّه الّتى وسعت كلّ شيء لا تعجز عن العباد) قيل: رحمة اللّه مبتداء و الّتى خبرها و لا تعجز

خبر بعـد خبر، و لكن الظاهر من تنسـيق الكلام أنّ الّتى صـفة لها و لا تعجز خبر لها (و لا ينقص من صـلاتهم شـيئا) نقص لازم و متعـدّ. (تصدّق أقوالكم أفعالكم) أقوالكم مفعول به مقدّم على الفاعل أعنى أفعالكم.

المعنى

هـذا العهد الشـريف يحتوى فى أمر المعاد ما لا يحتويها غيره من خطبه و وصاياه و عهوده كما يظهر ذلک لک بالتأمّل فى سائر كلامه عليه السّلام، حتّى أنّ العهـد الّذى كتبه إلى مالـک رضوان اللّه عليه و هو أطول عهوده، و أنّ الكتـاب الّذى كتبه إلى ابنه الحسن المجتبى عليه السّلام و هو أطول كتبه و وصاياه و من جلائلها لا يشتملان على معارف و حقائق فى المعاد، توجد فى هذا العهد القويم، و إن كان نبذة من كتـابه إلى الحسن عليه السّلام فى ذلـک و لكنّها لا يقاس إلى ما فى هـذا العهـد من دقائق و رقائق فى المعاد، و أمّا العهـد الّذى كتبه إلى المالک فهو و إن كان من محاسن كتبه عليه السّلام و لكنّه برنامج الوظائف الاجتماعيّة و المدنيّة.

و بالجملة كتابه عليه السّلام هذا إلى محمّد بن أبى بكر يفتح أبوابا إلى معرفة ذلک المطلب الأسنى و المقصود الأسنى أعنى المعاد و أحوال الناس فيه، و شـرحه على التفصـيل ينجرّ إلى إطناب، و لـذا نعرض عنه و نكتفى بشـرحه الإجمالى و نشـير إلى طائفـة من معانى أقواله عليه السّلام و الأخبـار الاخرى فى المقام على ما يقتضـيه الحال و تفصـيله يطلب من كتابنا المسـمى بالقيامـة فنقول مسـتعينا بمن له الاخرة و الاولى:

قوله عليه السّلام:(فاخفض لهم جناحک-إلخ)أمره أن لا يغلظ على الرعيّة و أن يكون ليّن الجانب لهم، و خفض الجناح كناية عن التواضع و اللّين و الانقياد و التسليم، كما ترى من دأب الطير إذا تواضع أحدها الاخر يخفض جناحه عنده.

و روى الكلينى قدّس سـرّه فى الكافى باسـناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: من سلک طريقا يطلب فيه علما سـلک اللّه به طريقا إلى الجنّة و أنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به - الخبر، و فى سورة الاسرى من القرآن الكريم: «وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِى »

«صَغِيراً »، و قال عزّ من قائل خطابا لرسوله صلّى اللّه عليه و آله: «وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ».

و روى الشّيخ الجليل حسن بن زين الدّين الشّهيد الثانى فى أوائل كتاب معالم الدّين فى الاصول مسندا عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام قال:

تعلّموا العلم فانّ تعلّمه حسنة - إلى أن قال عليه السّلام: و ترغب الملائكة فى خلّتهم يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم لأنّ العلم حياة القلب و نور الأبصار من الهدى - الخبر.

و لا يخفى عليک أنّ الجناح فى قوله عليه السّلام: فاخفض لهم جناحک، لا يحمل على معناه المطابقى الحقيقى، و كذا فى الايتين المذكورتين و كأنّ المراد من أجنحة الملائكة أيضا كناية عن تواضعهم لبغاة العلم فى الخبر الأوّل، و بمعنى لطيف أدقّ و أشمخ من هذا فى الخبر الثانى حيث قال عليه السّلام: يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم و معلوم أنّ مسح الجناح المؤلّف من العظم و اللّحم و الريش و غيرها بالمصلّى لا يزيد فى كماله و تقرّبه إلى اللّه فالمسح بالأجنحة فى الخبر محمول على ارتباط سرّ المصلّى العالم إلى عالم القدس، و لمّا كانت المعانى تنزلت من مقامها من غير خلوّها عن مرتبتها كاسية بلباس ألفاظ هذه النشأة، فلا بدّ للبصير أن تجعل الألفاظ روازن إلى رؤية معانيها الأوّليّة، قال ثقة المحدّثين الشّيخ الصّدوق رضوان اللّه عليه فى رسالته فى الاعتقادات: اعتقادنا فى اللّوح و القلم أنّهما ملكان، و قال المعلّم الثانى أبو نصر الفارابى قدّس سرّه فى الفصوص:

فليتدبّر فى قوله تعالى فى أوّل سورة الفاطر: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ ما يَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى كُلِّ شَىْ ءٍ قَدِيرٌ ».

و أفاد المتألّه السبزوارى قدّس سرّه فى بيان الاية المباركة فى شرحه على الفصل الرابع و الثمانين من الدّعاء المعروف بالجوشن الكبير بقوله: و لا نبالى بأن يكون لرقائقهم المثاليّة و أشباحهم الصوريّة أجنحة و لهم طيران و سير كما أنّ لكلّ حقيقة من حقائقهم المعنويّة حقيقة الجناح من جناح القوّة العلاّمة و جناح

القوّة العمّالة و حقيقة الطيران و السير من الدرک و الفعل کما سمّی بعضهم القوی المدرکة من النّفس النّاطقة بالطّيارة و المحرّکة بالسيّارة، و قال فی هامش الکتاب فی بيان قوله: بأن يکون لرقائقهم المثالية - إلخ - لأنّ لکلّ معنی صورة و لکلّ حقيقة رقيقة کما أنّ لسنی الرخا صورة هی البقرات السمان و لسنی القحط صورة هی البقرات العجاف و قس عليه و التعبير کالتأويل.

قوله عليه السّلام:(و آس بينهم - إلخ) ثمّ أمره بالمساواة معهم حتّی فی اللّحظة و النظرة لئلاّ يطمع العظماء فی حيفه مع الرّعية و لا ييأس الضعفاء من عدله عليهم و قد مضی کلامنا فی العدل و المساواة فی شرح الکتاب الثالث أعنی کتابه عليه السّلام لشريح القاضی لمّا اشتری دارا بثمانين دينارا.

ثمّ علل أمره بالمساواة و العدل حتّی فی اللّحظة و النّظرة بقوله:(فإنّ اللّه يسائلکم - إلخ) کی لا يظنّ أنّ عدم التسوية فی اللّحظة و النّظرة ممّا لا يعتنی به و لا يحاسب عليه (فإن يعذّبهم اللّه فهم أظلم و إن يعفو فهو أکرم) و الأفعل ههنا ليس أفعل التفضيل بل هو أفعل الوصف نظير قوله تعالی: «أَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ » أی ليس بظالم، و ذلک لأنّ صدور الظلم کثيره و قليله منه تعالی قبيح عقلا، فمن ارتکب المعاصی فهو ظالم لنفسه و إن تاب عنها إليه تعالی و زکّی نفسه من درنها فقد أفلح و عفا اللّه عنه و هذا کرم ناله من اللّه تعالی، فإنّ اللّه أمر بالخير و نهی عن الشرّ.

قوله عليه السّلام:(و اعلموا عباد اللّه - إلخ) وصف المتّقين ترغيبا لعباد اللّه إلی التّقوی، و إنما قال:(إنّهم سکنوا الدّنيا بأفضل ما سکنت و أکلوها بأفضل ما اکلت) لأنّ مکسبهم کان علی وجه حلال و طريق صواب فملبسهم و مأکلهم و مشربهم کلّها قد تهيّأت علی ذلک الوجه و لم يکن لهم فيها وزر و لا وبال و المترفون و الجبابرة المتکبّرون، لم يأخذوا من دنياهم إلاّ علی قدر ما يحتاج الانسان أن يعيش و ترکوا ما زاد منها علی حسرة هی أشدّ من نار جهنّم ألما:

این بدر می رود از باغ بصد حسرت و داغ و آن چه دارد که بحسرت بگذارد آنرا

علی أنه قد لزمهم أوزارها من مظالم العباد و غیرها، قال تعالی: «وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَیْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَ یُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ » - الایة (آل عمران 181) و فی الخبر عن الباقر علیه السّلام: الّذی یمنع الزکاة یحوّل اللّه تعالی ماله یوم القیامة شجاعا من نار له ریمتان فتطوّقه ثمّ یقال له الزمه کما لزمک فی الدّنیا و هو قوله اللّه تعالی: «سَ یُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ » الایة (مادة نور من سفینة البحار) ثمّ تأمّل أیها البصیر فی قوله علیه السّلام یحوّل اللّه تعالی ماله یوم القیامة شجاعا من نار، ثمّ فی قوله علیه السّلام یقال له: الزمه کما لزمک فی الدّنیا فإنّ هذا الخبر یفتح لک بابا من المعرفة فی أحوال الناس یوم القیامة.

و بالجملة إنّ المتقین شارکوهم فی دنیاهم و انقلبوا عنها مع ما کسبوا و قدّموا لأنفسهم من الزاد المبلغ و المتجر المربح و لم یشارکهم أهل الدّنیا فی تلک النعمة العظمی و العطیّة الکبری.

قال عزّ من قائل: «وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ یَعْلَمْهُ اللّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَیْرَ الزّادِ التَّقْوی » (البقرة 198). و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبة 180 أوّلها روی عن نوف البکالی إلخ: و ازمع الترحال عباد اللّه الأخیار و باعوا قلیلا من الدّنیا لا یبقی بکثیر من الاخرة لا یفنی.

ثمّ ینبغی لک النظر حقّه فی قوله علیه السّلام (و تیقّنوا أنهم جیران اللّه غدا فی آخرتهم لا تردّ لهم دعوة و لا ینقص لهم نصیب من لذّة) حیث أخبر علیه السّلام عن المتّقین بأنّ صفة الیقین الکریمة بلغتهم إلی تلک الدّرجة الرفیعة فی آخرتهم و من بلغ إلی تلک الرتبة المنیعة لا تردّ له دعوة و لیست لذّة ینقص لهم نصیبها و ذلک لأنّ الموقنین داوموا الحضور عنده تعالی فی هذه النشأة الدنیاویة و لیس الشهود الحقیقی إلاّ واحدا و البیت واحد و ربّ البیت واحد بل لیس فی الدار غیره دیّار بل أینما تولّوا فثمّ وجه اللّه بل هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و الدّنیا مزرعة الاخرة و نعم ما قال کعبة العاشقین سیّد الشهداء أبو عبد اللّه الحسین روحی

له الفداء فی دعاء العرفة، نعم.

بأبه اقتدی عدیّ فی الکرم و من یشابه أبه فما ظلم

حیث قال علیه السّلام: و أنت الّذی أزلت الأغیار عن قلوب أحبائک حتّی لم یحبّوا سواک و لم یلجئوا إلی غیرک أنت المونس لهم حیث أوحشتهم العوالم، و أنت الّذی هدیتهم حیث استبانت لهم المعالم، ما ذا وجد من فقدک، و ما الّذی فقد من وجدک.

قوله علیه السّلام:(فاحذروا عباد اللّه الموت و قربه - إلخ) المراد من الحذر عن الموت الحذر عن الأهوال الّتی یراها غیر المؤمن عند الموت فکأنه علیه السّلام أمرهم أن یجعلوا الموت نصب أعینهم فإنّ من جعله نصب عینه زهّده فی الدّنیا و رغّبه فی الاخرة و حثّه إلی إعداد عدّته، و من کلام سیّد الساجدین علیه السّلام فی الدّعاء الأربعین من الصحیفة: و انصب الموت بین أیدینا نصبا و لا تجعل ذکرنا له غبّا.

ثمّ علّل الأمر بالحذر بقوله (فانّه) أی الموت (یأتی بأمر عظیم و خطب جلیل).

روی الکلینی فی الکافی باسناده عن عبد اللّه بن سنان عمّن سمع أبا جعفر علیه السّلام یقول لمّا حضرت الحسن علیه السّلام الوفاة بکی فقیل له: یا ابن رسول اللّه تبکی و مکانک من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الّذی أنت به و قد قال فیک ما قال و قد حججت عشرین حجّة ماشیا و قد قاسمت مالک ثلاث مرات حتّی النعل بالنّعل ؟ فقال علیه السّلام: إنما أبکی لخصلتین: لهول المطّلع، و فراق الأحبّة (الوافی فی باب ما جاء فی الحسن بن علیّ علیهما السّلام ص 174 ج 2).

قوله علیه السّلام:(بخیر لا یکون معه شرّ أبدا أو شرّ لا یکون معه خیر أبدا) معنی الجملة الاولی ظاهر و انما الکلام فی معنی الثانیة لأنّ أخبار البرزخ دالّة علی أنّ أقواما معذبون فی البرزخ و ینقطع منهم العذاب بعد البرزخ فقد روی الکلینی قدّس سرّه فی الکافی باسناده عن عبد الرّحمن بن عبّاد عن عمر بن یزید قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّی سمعت و أنت تقول: کلّ شیعتنا فی الجنّة علی ما کان منهم قال: صدقتک کلّهم و اللّه فی الجنّة قال: قلت: جعلت فداک إنّ الذّنوب کثیرة کبار فقال: أمّا فی القیامة فکلّکم فی الجنّة بشفاعة النبیّ المطاع أو وصیّ النبی و لکنّی

و اللّه أتخوّف عليكم فى البرزخ قلت: و ما البرزخ ؟ قال: القبر منذحين موته إلى يوم القيامة (الوافى ص 94 ج 13).

و الظاهر أنه عليه السّلام أراد بكلامه هذا عاقبة امور الناس فى الاخرة لأنّ ما يستفاد من ضمّ الايات القرآنيّة و تصديق بعضها بعضا و تفسير بعضها بعضا أنّ مال النّاس فى الاخرة إلى أمرين أعنى أنهم ينقسمون آخر الأمر إلى فريقين فريق فى الجنّة و فريق فى النّار. قال عزّ من قائل: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ » (آل عمران 108).

و قال تعالى: «يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُمْ فِيها زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّكَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ » (هود 106-109). و قال تعالى: «وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَ مَنْ حَوْلَها وَ تُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » (الشورى 8). و اللّه تعالى أعلم بكلام أوليائه.

قوله عليه السّلام:(فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها، و من أقرب إلى النار من عاملها) تحت هذا الكلام أيضا سرّ لمن كان له قلب لأنّه عليه السّلام قال: فمن أقرب إلى الجنّة من عامل الجنّة و كذا من أقرب إلى النار من عامل النار فمن عمل الحسنات فهو عامل الجنّة، و من ارتكب السيئات فهو عامل النار و لم يقل عليه السّلام فمن أقرب إلى الجنّة ممّن عمل ما يجرّه إلى الجنّة، أو من أقرب إلى النار ممّن عمل ما يدخله النار و نحوهما من العبارات. فمن عمل الحسنات فهو عامل جنّته، و من عمل السيئات فهو عامل ناره فتبصّر.

و قال تعالى: «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النّارِ » (البقرة 168).

و قال تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً » (آل عمران: 30) و قال تعالى: «وَ لا تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » (يس: 54) لم يقل بما كنتم أو ممّا كنتم و نحوهما فتدبّر.

قوله عليه السّلام:(فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد و عذابها جديد) أمّا كونها بعيد القعر فلأنّها من دار الاخرة و قال عزّ من قائل: «وَ ما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاّ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ » (العنكبوت 65) فنارها حيّة بحياتها الذّاتية لها فاذا أضفت كلامه هـذا إلى قوله عليه السّلام: و من أقرب إلى النار إلى عاملها ينتـج أنها ليست من عالم الخلق بل هو من عالم الأمر و كلّ ما فى عالم الأمر غير متصـفة بصـفات الخلق الناقصة المحدودة جدّا المسـتحيلة المتبدّلة آنا فانا فظهر معنى كونها بعيد القعر لمن وقف على ما اشـرنا إليها موجزة.

و قال بعض الأعاظم: و من أعجب ما روينا عن رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله أنه كان قاعدا مع أصـحابه فى المسـجد فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا فقال صـلّى اللّه عليه و آله: أ تعرفون ما هذه الهدّة ؟ قالوا: اللّه و رسوله أعلم. قال: حجر ألقى من أعلى جهنّم منذ سـبعين سنة الان وصل إلى قعرها، فكان وصوله إلى قعرها و سـقوطه فيها هذه الهدّة، فما فرغ من كلامه عليه السّلام إلاّ و الصّراخ فى دار منافق من المنافقين قد مات و كان عمره سـبعين سـنة فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: اللّه أكبر فعلم علماء الصحابة أنّ هذا الحجر هو ذلک المنافق، و أنّه منذ خلقه اللّه يهوى فى جهنّم و بلغ عمره سبعين سنة فلما مات حصل فى قعرها، قال اللّه تعالى: «إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّارِ »، فكان سمعتهم تلک الهدّة الّتى أسمعهم اللّه ليعتبروا فانظر ما أعجب كلام النبوّة و ما ألطف تعريفه و ما أغرب كلامه، انتهى كلامه.

و أما كونها شديـد الحرّ فلأنّ النّار ما دامت فى كسوة المادّة الدّنيا ويّة لم يظهر سـلطان أثرها و تعوقها المادّة عن ذلک و كأنّها مغمورة تحت رماد فاذا خلصت منها و خرجت عن غلافها تؤثّر أثرها التّام.

و أمّا أنّ عذابها جديد فكأنّ أمير المؤمنين روحى له الفداء يشير بقوله هذا

إلى قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً » (النساء 57) و البحث فی المقام ینجر إلی الاطناب و یطلب فی کتابنا القیامة.

قوله علیه السّلام:(دار لیس فیها رحمة و لا تسمع فیها دعوة و لا تفرّج فیها کربة) قال عزّ من قائل: «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظّالِمُونَ » (255، البقرة) فتدبّر أیّها العاقل فی قول اللّه تعالی و قول خلیفته و انظر إلی ما أنت فیه و لیس المحشور إلاّ أنت و لا یمکن سلبک و انتزاعک منک و لا یمکنک الفرار من نفسک فما عملته فهو جزاؤک قال اللّه المتعال: «إِنَّما تُجْزَوْنَ ما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ».

قوله علیه السّلام:(إمام الهدی) یعنی به نفسه (و إمام الرّدی) هو معاویة، و کذلک (ولیّ النّبی) هو علیّ علیه السّلام (و عدوّ النبیّ) هو عدوّ اللّه معاویة، و أمّا قوله (فإنه لا سواء) فذلک لأنّ بعد الحقّ لیس إلاّ الضلال کما قال عزّ من قائل: و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال، و لا یخفی علیک أنه لا یستوی النور و الظلمة و لا العلم و الجهل و لا الظلّ و لا الحرور و لا الحیّ و المیّت، و لا الحقّ و الباطل، و لا علیّ و معاویة.

قوله علیه السّلام (کلّ منافق الجنان) یعنی به عدوّا النبیّ و إمام الرّدی فهو شرّ من المشرک الّذی یقمعه اللّه بشرکه.

الترجمة

اشارة

این فرمانی است که أمیر علیه السّلام به محمّد بن أبی بکر در وقتی که از قبل وی والی مصر بود نوشت: با مردم فروتن و نرم و گشاده روی باش، و در لحاظ و نظر با همه یکسان تا بزرگان در تو طمع ستم نکنند، و ناتوانان ازدادت ناامید نشوند چه خدای بزرگ از کار بزرگ و کوچک و پوشیده و آشکار شما می پرسد پس اگر شکنجه دهد بستم ما است و اگر ببخشد بکرم او است.

ای بندگان خدا بدانید که پرهیزکاران هم دنیا دارند و هم آخرت را چه انباز أهل دنیا در دنیایشان بودند و اهل دنیا با آنان در آخرتشان انباز نیستند.

در دنیا به بهترین وجه زیست کردند و بهترین غذا خوردند و بهره که خوش گذرانان داشـتند نیز داشتند، و آنچه که گردنکشان خودبین از دنیا گرفتند نیز گرفتند، سپس از آن کوچ کردند با توشهٔ رسا و بازرگانی سودمند. مزهٔ ترک دنیا را چشیدند، و بمقام یقین همجواری خدا در آخرت رسیدند. خواسته شان رد نمی شود و بهرهٔ لذّتشان کم نمی گردد، پس ای بندگان خدا از مرگ و زود فرا رسیدنش بترسید و زاد و توشهٔ راه گرد آورید زیرا مرگ امر بزرگی در پیش دارد که آن تا ابد یا خیر بدون شرّ است، یا شرّ بدون خیر چه کسی به بهشت به سازندهٔ آن نزدیکتر است ؟ و چه کسـی باتش بفراهم کنندهٔ آن ؟. بدانید که شما راندهٔ مرگید اگر بایستید بگیرد و اگر بگریزید برسد از سایهٔ شما بشما وابسته تر است. مرگ به پیشـانی تـان گره زده است و دنیـا طومار عمرتان را در می نوردد پس بترسـید از آتشـی که ته آن دور است و سوزنـدگیش سـخت و شکنجه های آن پی در پی. سـرایی که در آن رحمت نیست، و گوش بگفتار کسـی داده نمی شود و انـدوهی گشوده نمی شود اگر می توانید هم سـخت از خدا بترسید و هم نیک بدو خوش گمان باشید که خوش گمانی بنده بخدایش باندازه ترسش از او است، آن کس خوش گمان تر است که ترس او بیشتر است.

بـدان ای محمّـد بن أبی بکر که ترا بر بزرگـترین سـپاهیانم در نظرم یعنی مردم مصـر ولاـیت دادم لـذا برایت سـزاوار این است که از خـود روگردان باشـی و دینت را نگهبان اگر چه ساعتی بیش از عمرت نمانده باشد پس خدا را بخرسند داشتن آفریده اش بخشم میار چه عوض از خدا توان یافت و از غیر او نی.

نماز را به وقتش بخوان نه درگاه فراغ پیش از وقت، و نه در صورت اشتغال پس از آن، و بدان هر کارت پیرو نماز تست.

و برخی از این عهد این است:

زیرا پیشوای راهنما (علی علیه السّلام)، و پیشرو نابودی و گمراهی معاویه ()

ص:91

و دوست پیمبر و دشـمن وی یکسان نیسـتند. پیمبر به من گفت که نه از امت مؤمنم بیمناکم و نه از مشـرک، زیرا خدا مؤمن را بایمانش نگه دارد و مشرک را بشرکش خوار کند، ولی ترسم بر شما از منافق است که بگفتارش آشنائید و بکردارش بیگانه.

و من کتاب له علیه السلام الی معاویة و هو من

محاسن الکتب - و هو المختار الثامن و العشرون

من باب الکتب

أمّا بعـد فقـد أتانی کتابک تذکر فیه اصـطفاء اللّه تعالی محمّدا صـلّی اللّه علیه و سـلّم لدینه، و تأییده إیّاه بمن أیّده من أصـحابه فلقد خبأ لنا الـدّهر منـک عجبـا إذ طفقت تخبرنـا ببلاـء اللّه عنـدنا، و نعمته علینا فی نبیّنا فکنت فی ذلک کناقل التّمر إلی هجر [هجر - معا]، أو داعی مسدّده إلی النّضال.

و زعمت أنّ أفضـل النّـاس فی الإسـلام فلانـ و فلانـ فـذکرت أمرا إن تمّ اعتزلـک کلّه، و إن نقص لـم یلحقک ثلمه، و ما أنت و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس [و الفاضل و المفضول و السّائس و المسوس - معا]، و ما للطّلقاء و أبناء الطّلقاء و التّمییز [و التّمییز - معا] بین المهاجرین الأوّلین و ترتیب [ترتیب - معا]

ص:92

درجاتهم، و تعريف [تعريف - معا] طبقاتهم ؟ هيهات لقد حنّ قدح ليس منها و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

أ لا تربع أيّها الإنسان على ظلعک و تعرف قصور ذرعک، تتأخّر حيث أخّرک القـدر؟ فما عليک غلبة المغلوب، و لا لک ظفر الظّافر، و إنّک [فإنّک - خ] لـذهّاب فى التّيه، روّاغ من القصـد، أ لا ترى - غير مخبّر لک - لكن بنعمة اللّه أحدّث، أنّ قوما من المهاجرين استشـهدوا فى سبيل اللّه - و لكلّ فضل - حتّى إذا استشـهد [شـهيد [نا]] قيل: سـيّد الشّهداء و خصّه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ؟ أ و لا ترى أنّ قوما قطعت أيـديهم فى سبيل اللّه - و لكلّ فضل - حتّى إذا فعل بواحـد منّا كما فعل بواحدهم، قيل: الطّيّار فى الجنّة و ذو الجنـاحين ؟ و لولاـ مـا نهى اللّه عنه من تزكيـة المرء نفسه لـذكر ذاكر فضائـل جمّة تعرفهـا قلوب المؤمنين، و لا تمجّها آذان السّامعين، فدع عنک من مالت به الرّميّة فإنّا صـنائع ربّنا و النّاس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزّنا و عاديّ طولنا على قومک أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و لستم هناک، و أنّى يكون ذلک كذلک و منّا النّبىّ و منكم المكذّب، و منّا أسد اللّه و منكم

أسد الأحلاف، و منّا سيّدا شباب أهل الجنّة و منكم صبية النّار، و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّالة الحطب، فى كثير ممّا لنا و عليكم، فإسلامنا ما قد سمعتم [سمع]، و جاهليّتنا لا تدفع، و كتاب اللّه يجمع لنا ما شذّ عنّا و هو قوله سبحانه: «وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ »، و قوله تعالى: «إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ »، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلى بِالْقَرابَةِ وَ تارَةً أَوْلى بِالطّاعَةِ . و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السّقيفة برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلجوا عليهم فإن يكن الفلج به فالحقّ لنا دونكم، و إن يكن بغيره فالأنصار على دعويهم. و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت، و على كلّهم بغيت، فإن يكن ذلک كذلک فليس الجناية عليک فيكون العذر إليک و تلک شكاة ظاهر عنک عارها. و قلت: إنّى كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت، و أن تفضح فافتضحت، و ما على المسلم من غضاضة فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه

و لا مرتابا بيقينه، و هذه حجّتى إلى غيرک قصدها و لكنّى أطلقت لک منها بقدر ما سنح من ذكرها. ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان فلک أن تجاب عن هذه لرحمک منه فأيّنا كان أعدى له و أهدى إلى مقاتله ؟ أ من بذل له نصـرته فاستقعده و استكفّه، أم من استنصر فتراخى عنه، و بثّ المنون إليه حتّى أتى قدره عليه ؟ كلاّ و اللّه لقد علم اللّه المعوّقين منكم و القائلين لإخوانهم هلمّ إلينا و لا تأتون البأس إلاّ قليلا. و ما كنت لأعتذر من أنّى كنت أنقم عليه أحداثا فإن كان الذّنب إليه إرشادى و هدايتى له فربّ ملوم لا ذنب له، و قد يستفيد الظّنّة المتنصّح. و ما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت و ما توفيقى إلاّ باللّه عليه توكّلت. و ذكرت أنّه ليس لى و لا لأصحابى عندک إلاّ السّيف فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفيت بنو عبد المطّلب عن الأعداء ناكلين، و بالسّيوف مخوّفين ؟ فلبّث قليلا يلحق الهيجاء حمل، فسيطلبک من تطلب، و يقرب منک ما تستبعد، و أنا مرقل نحوک فى جحفل من المهاجرين و الأنصار و التّابعين بإحسان، شديد زحامهم،

ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبّ اللّقاء إليهم لقاء ربّهم، قد صحبتهم ذرّيّة بدريّة، و سيوف هاشميّة، قد عرفت مواقع نصالها فى أخيک و خالک و جدّک و أهلک و ما هى من الظّالمين ببعيد.

اللغة

قد مضى بيان طائفة من لغات هذا الكتاب فى شرح المختار التاسع من هذا الباب، أوّله قوله عليه السّلام: فأراد قومنا قتل نبيّه و اجتياح أصله و همّوا بنا الهموم - إلخ. (ص 324 ج 17).

(خبأ) أى أخفى، يقال: خبأ الشىء، من باب منع مهموزا، و خبّأ مشدّدا أى ستره و أخفاه و فى كثير من النسخ المطبوعة كانت الكلمة مشكولة بتشديد الباء و نسخة الرضىّ بتخفيفها كما اخترناها. (ببلاء اللّه) أى بانعامه و إحسانه، أو اختباره و امتحانه و لكن المناسب مع ما عندنا هو الانعام و الاحسان.

(هجر) محرّكة اسم بلد مذكر مصروف و غير مصروف و النسبة إليه هاجرىّ على خلاف القياس و من ذلک قولهم نبأ هاجرىّ ، و هو فى نسخة الرّضى مشكول مصروفا و غير مصروف معا، (مسدّده) أى معلّمه، (النضال) المراماة.

(ثلمه) الثلم: الكسر و العيب، و فى عدّة من النسخ المطبوعة و غيرها: لم ينقصک ثلمه، و لكن نسخة الرضىّ رضوان اللّه عليه كانت: لم يلحقک ثلمه كما اخترناه. (الطلقاء) جمع الطليق و هو من اطلق بعد الأسرة.

(لقد حنّ قدح ليس منها) مثل، قال الميدانى فى فصل الحاء المهملة المفتوحة من مجمع الأمثال: حنّ قدح ليس منها، القدح أحد قداح الميسر و إذا كان أحد القداح من غير جوهرة اخواته ثمّ أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها يعرف به أنّه ليس من جملة القداح، يضرب للرّجل يفتخر بقبيلة

ليس منها أو يتمدّح بما لا يوجد فيه، و تمثّل به عمر حين قال الوليد بن عقبة بن أبى معيط : اقتل من بين قريش فقال عمر: حنّ قدح ليس منها، و الهاء فى منها راجعة إلى القداح. انتهى. قوله: أجاله المفيض يقال: أفاض أهل الميسر بالقداح أى ضربوا بها.

(ألا تربع) ربع كمنع: وقف و انتظر و تحبّس و منه قولهم: اربع عليک أو على نفسک أو على ظلعک قاله فى القاموس.

(و الظّلع) بسكون اللاّم: العيب، و بفتحها: العرج و الغمز، و هو مصدر ظلع البعير كمنع أى غمز فى مشيه، و من أمثالهم: ظالع يعود كسيرا، يعود من العيادة، يضرب للضعيف ينصر من هو أضعف منه كما فى مجمع الأمثال للميدانى.

(الذّرع): الطاقة و الوسع و بسط اليد و ذرع الإنسان طاقته الّتى يبلغها، و فى آخر الدّعاء السابع من الصّحيفة السّجادية: فقد ضقت لما نزل بى يا ربّ ذرعا، و فى شرحها الموسوم برياض السالكين للعالم المتضلّع السيّد عليخان قدّس سرّه فى ضيق الذّرع المناسب لقصورها نكات أدبيّة فراجع.

(التّيه): الضلال و التحيّر فى المفاوز قال اللّه تعالى: «فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ »، (الرّواغ): كثير الميل، يقال: راغ الرجل و الثعلب روغا و روغانا إذا مال و حاد عن الشىء، و يقال: فلان يروغ روغان الثعلب و من الأمثال فلان أروغ من الثعلب.

(القصد): الاعتدال و الطّريق المستقيم، (غير مخبّر) خبّره الشىء و بالشىء من باب التفعيل أعلمه إيّاه و أنبأه كأخبره و أخبر به، (استشهد) أى قتل فى سبيل اللّه، و كذا اشهد، على صيغتى المجهول.

(تمجّها) يقال مجّ الماء من فيها إذا ألقاه، (الطّول) بالفتح فالسّكون:

الفضل، (عادىّ) أى قديم، قال الجوهرى فى الصحاح: عاد قبيلة و هم قوم هود عليه السّلام و شىء عادىّ أى قديم كأنّه منسوب إلى عاد.

و قال الشّيخ محمّد عبده: العادى الاعتيادىّ المعروف، أقول: الصّواب ما

قدّمنا و هذا الوجه خطر ببالنا أيضا إلاّ أنّ مقابلته بالقديم منعنا عن ذلک، و فی رواية صبح الأعشی: و مديد طولنا.

(الرّمية) المراد منها ههنا الصيد الّذی يرمی و هو كالمثل يضرب لمن يميل به عن الحقّ أغراضه الباطلة و أصله أنّ الرجل يقصد قصدا فيتعرّض له الصيد فيتبعه فيميل به عن قصده الأصلی.

(فلجوا عليهم) أی ظفروا عليهم، و الفلج: الظّفر، و الفعل من بابی نصر و ضرب، قال محمّد بن بشير:

كم من فتی قصرت فی الرّزق خطوته ألفيته بسهام الرّزق قد فلجا

و البيت من الحماسة، (الحماسة 436 من شرح المرزوقی)، و فی الحديث السادس من باب فی شأن إنّا أنزلناه فی ليلة القدر و تفسير من اصول الكافی عن أبی جعفر عليه السّلام قال: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة إنّا أنزلناه تفلجوا فو اللّه إنها لحجّة اللّه تبارک و تعالی علی الخلق بعد رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و انّها لسيّدة دينكم و انّها لغاية علمنا الحديث.

(صنائع) جمع صنيعة، قال الزمخشری فی أساس البلاغة: فلان صنيعتک و مصطنعک، و اصطنعتک لنفسی، قال الحطيئة:

فإن يصطنعنی اللّه لا أصطنعكم و لا اوتكم مالی علی العثرات

و قال فی القاموس: هو صنيعی و صنيعتی أی اصطنعته و ربّيته و خرّجته.

و الصنيعة أيضا هی ما يسدی من معروف أو يد إلی إنسان، قال ابن مولی ليزيد بن حاتم:

و إذا صنعت صنيعة أتممتها بيدين ليس نداهما بمكدّر

و البيت من الحماسة، قال المرزوقی فی الشرح: يقول: و إذا اتّخذت عند إنسان يدا و أزللت إليه نعمة فانّک لا تخدجها و لا تترک تربيتها لكنّک تكمّلها و تقوم بعمارتها مصونة من المنّ و التكدير صافية من الشوائب و التعذير.

(شباب) جمع الشاب.

(شكاة) الشكاة فى الأصل: المرض، و توضع موضع العيب و الذمّ كما فى هذا البيت فمعناها العيب و النقيصة.

(ظاهر عنک) أى زائل عنک و ينبو، و لا يعلق بک، قال ابن الأثير فى النهاية:

و فى حديث عائشة كان يصلّى العصر و لم يظهر فيىء الشمس بعد من حجرتها أى لم يرتفع و لم يخرج إلى ظهرها، و منه حديث ابن الزبير لما قيل له يا ابن النطاقين تمثّل بقول أبى ذؤيب: و تلک شكاة ظاهر عنک عارها، يقال ظهر عنّى هذا العيب إذا ارتفع عنک و لم ينلک عنه شىء أراد أنّ نطاقها لا يفضّ منه فيعيّر به و لكنّه يرفع منه و يزيده نبلا، انتهى.

أقول فى بيانه: كانت امّ عبد اللّه بن الزبير ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر و أراد ابن الزبير أنّ تعييره إيّاه بلقب امّه ليس عارا يستحيى منه إنّما هو من مفاخره لأنّه لقب لقبها به رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو فى الغار مع أبى بكر على ما قيل فراجع إلى السيرة النّبوية لابن هشام (ص 486 ج 1 من طبع مصر 1375 ه) و فى الحماسة: قال سبرة بن عمرو الفقعسىّ و عيره ضمرة بن النهشلىّ كثرة إبله:

أعيرتنا ألبانها و لحومها و ذلک عار يا ابن ريطة ظاهر

قال المرزوقى فى الشرح: و ذلک عار ظاهر أى زائل، قال أبو ذؤيب:

و عيّرها الواشون أنّى احبّها و تلک شكاة ظاهر عنک عارها

و من هذا قولک: ظهر فوق السطح، و قولک: جعلته منّى بظهر، و قوله تعالى: «اِتَّخَذْتُمُوهُ وَراءَكُمْ ظِهْرِيًّا »، انتهى قول المرزوقى.

و أقول: صار هذا المصراع من البيت أعنى قول أبى ذؤيب و تلک شكاة إلخ مثلا يضرب لمن ينكر فعلا ليس له ربط به و لا تعلّق له، و البيت من قصيدة غرّاء تنتهى إلى ثمانية و ثلاثين بيتا يرثى بها نشيبة بن محرث أحد بنى مومل ابن حطيط الهذلى منقولة كاملة فى ديوان الهذليّين (ص 21 من طبع مصر 1385 ه) مطلعها:

هل الدّهر إلاّ ليلة و نهارها و إلاّ طلوع الشمس ثمّ غيارها

أبى القلب إلاّ امّ عمرو و أصبحت تحرّق نارى بالشّكاة و نارها

و عيّرها الواشون – البيت.

و أبو ذؤيب هذا هو خويلد بن خالد بن محرز الهذلىّ شاعر مجيد مخضرم أدرک الجاهلية و الإسلام، قدم المدينة عند وفاة النّبى صلى اللّه عليه و آله فأسلم و حسن إسلامه روى عنه أنه قال: قدمت المدينة و لأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلّوا بالإحرام، فقلت: مه ؟ فقالوا: توفّى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، كما فى معجم الادباء لياقوت (ص 83 ج 11 من طبع مصر).

(الجمل المخشوش) الّذى جعل فى أنفه الخشاش و هو عويد يجعل فى أنف البعير و نحوه يشدّ به الزمام ليكون أسرع لانقياده، مشتقّ من خشّ فى الشىء إذا دخل فيه لأنّه يدخل فى أنف البعير.

(الغضاضة): الذلّة و المنقصة، (المعوّقين) أى المانعين عن القيام بنصرة الإسلام (فربّ ملوم لا ذنب له) مثل، قال الميدانى فى فصل الراء المضمومة من مجمع الأمثال: هذا من قول اكثم بن صيفى، يقول: قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه و هم لا يعرفون حجّته فهو يلام عليه و ذكروا أنّ رجلا فى مجلس الأحنف بن قيس قال: لا شىء أبغض إلىّ من التمر و الزبد فقال الأحنف: ربّ ملوم لا ذنب له – انتهى كلام الميدانى.

(الظّنّة) بالكسر: التهمة (المتنصّح) أى المتكلّف بنصح من لا يقبل النصيحة و المبالغ فيه له.

و قد يستفيد الظّنّة المتنصّح، مصراع بيت صدره: و كم سقت من آثاركم من نصيحة، (استعبار) استعبر: جرت عبرته أى بكى.

(لبّث قليلا يلحق الهيجا حمل) هذا المثل قريب من قولهم: لبّث رويدا يلحق الداريّون، و حمل بالتحريک هو ابن بدر رجل من قشير و فيه يقول قيس ابن زهير العبسى:

و لكنّ الفتى حمل بن بدر بغى و البغى مرتعه وخيم

و هـذا البيت للعبسـى من أبيات الحماسة (الحماسة 147 من شـرح المرزوقى) و من أبيـات الأمـالى للقالى ص 261 ج 1، و فى السيرة النّبوية لابن هشام ص 287 ج 1.

و قول حمل يضرب به مثلا للتهديد بالحرب.

و روى الميدانى فى مجمع الأمثال فى فصل الضاد المفتوحة هكذا: ضحّ رويدا يدرک الهيجا حمل، و قال: ضحّ رويدا هذا أمر من التضحية أى لا تعجل فى ذبحها ثمّ استعير فى النهى عن العجلـة فى الأمر، و يقال: ضـحّ رويـدا لم ترع أى لم تفزع و يقال ضحّ رويدا يدرک الهيجا حمل، يعنى حمل بن بدر، قال زيد الخيل:

فلو أنّ نصرا أصلحت ذات بينها لضحّت رويدا عن مطالبها عمرو

و لكنّ نصرا ارتعت و تخاذلت و كانت قديما من خلايقها الغفر

أى المغفرة، نصر و عمروا بناقعين و هما حيّان من بنى أسد، انتهى قول الميدانى.

و فى الباب الثالث و العشـرين فى ما جاء من الأمثال من أوّله لام من جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى: لبّث رويدا يلحق الهيجا حمل، أى انتظر حتّى يتلاقى الشّبان، و الهيجا يقصر و يمدّ، و حمل اسم رجل، انتهى كلام أبى هلال.

و كما اختلف فى ضـبط هـذا المثل على ما قـدّمنا كـذا اختلف فى حمل فذهب غير واحد إلى أنه ابن بدر كما دريت و فى الإصابة و اسـد الغابة أنه حمل ابن سـعدانة قال فى الأوّل: حمل بن سعدانة بن حارثة الكلبى وفد على النّبى صلى اللّه عليه و آله و عقد له لواء و هو القائل: لبّث قليلا يدرک الهيجا حمل، و شهد مع خالد مشاهده كلّها و قد تمثّل بقوله سعد بن معاذ يوم الخندق حيث قال:

لبّث قيلا يدرک الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

و فى اسد الغابة: البث قليلا - إلخ و قال: شهد صفّين مع معاوية، و اللّه تعالى أعلم.

ثمّ إنّ الهيجاء فى نسختنا الّتى قوبلت على نسخة الرضى ممدودة، و يجب أن تقرأ فى البيت مقصورة ليستقيم الوزن.

(مرقل) أى مسرع، و الارقال ضرب من السير السريع، (جحفل) أى جيش عظيم، (قتامهم) أى غبارهم، (ساطع) اى منتشر، (نصالها) قال فى القاموس:

النّصل و النصلان حديدة السهم و الرمح و السيف ما لم يكن له مقبض جمعه أنصل و نصول و نصال، و نصل السهم فيه: ثبت، و فى بعض النسخ نضالها بالمعجمة يقال ناضل عنه إذا دفع و لكن الصحيح ههنا بالمهملة و فى صدر الكتاب بالمعجمة كما فى نسخة الرضى رضوان اللّه عليه، قال أبو العيال الهذلى فى أبيات لما حصر هو و أصحابه ببلاد الروم فى زمن معاوية كتبها إلى معاوية فقرأه معاوية على الناس كما فى ديوان الهذليين (ص 255 من طبع مصر):

فترى النّبال تعير فى أقطارنا شمسا كأنّ نصالهنّ السنبل

و ترى الرّماح كأنّما هى بيننا أشطان بئر يوغلون و نوغل

الاعراب

(و ما أنت و الفاضل و المفضول و السائس و المسوس) الفاضل و أترابه التالية على نسخة الرضى مشكولة بالنصب، كما أنّ فى الجملة الّتى بعدها أعنى و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز إلخ التمييز و ترتيب و تعريف منصوبة أيضا و قد قرئت الجملة الاولى بالنصب و الرفع معا كما فى نسخة مخطوطة مشكولة مقروة عندنا، و احتمل بعضهم الرفع فى الجملة الثانية أيضا.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول الرواية المشهورة بالرفع و قد رواها قوم بالنصب فمن رفع احتجّ بقوله: و ما أنت و بيت أبيک و الفخر، و بقوله: فما القيسى بعدک و الفحار، و من نصب فعلى تأويل مالک و الفاضل و فى ذلک معنى الفعل أى ما تصنع لأنّ هذا الباب لا بدّ أن يتضمّن الكلام فيه فعلا أو معنى فعل و أنشدوا: فما أنت و السير فى متلف، و الرفع عند النحويين

أولى، و ما للطلقاء و أبناء الطلقاء و التمييز النصب ههنا لا غير لأجل اللاّم فى الطلقاء.

(حنّ قدح ليس منها) الضمير المجرور راجع إلى القداح كما مرّ، (فيها من عليه الحكم لها) الهاء فى الطرفين راجعة إلى الطبقات أو الجماعة أو القضية أو نحوها غير مخبّر منصوب على الحالية لضمير أحدث، و مخبّر على نسخة الرضى كان بتشديد الباء من التخبير و فى غير واحد من نسخ اخرى بكسر الباء المخففة من لإخبار و كلاهما بمعنى واحد كما مرّ فى شرح اللغات، (أنّ قوما) مفعول ترى (الرميّة) فعيلة بمعنى مفعولة و أنثت لأنّها جعلت اسما لا نعتا و المراد بها الدّنيا أى دع من مال إلى الدّنيا و مالت به أى أمالته إليها، (فعل الاكفاء) منصوب على المصدر، (و لستم هناك) الواو للحال و العامل فيه خلطناكم، (على قومک) متعلق بقوله طولنا أى فضلنا عليهم، و جملة أن خلطناكم فاعل لقوله لم يمنعنا، و كلمتا قديم و عادى منصوبتان على المفعولية، و فى نسخة الرضىّ - ره - و هى الصّواب مرفوعتان على الفاعلية و جملة خلطناكم على هذا الوجه منصوبة على المفعوليّة، أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: فان قلت: فبما ذا يتعلّق فى قوله فى كثير؟ قلت: بمحذوف تقديره هذا الكلام داخل فى جملة كلام كثير يتضمّن مالنا و عليكم.

(الفلج به) الضمير المجرور يرجع إلى الرسول (قصدها) الضمير يرجع إلى الحجّة و إلى غيرک خبر قدّم على القصد أى هذه حجّتى قصدها إلى غيرک.

(يلحق الهيجا حمل) قرئ الفعل و حمل على وجهين: على تأنيث الفعل و نصب حمل فالهيجاء فاعل، و على تذكير الفعل و رفع حمل فالهيجاء مفعول (متسربلين) منصوب على الحال.

المصدر

قد مرّ فى ذكر ماخذ الكتاب التاسع (ص 326 ج 17) نقل كتابه عليه السّلام إلى معاوية جوابا عن كتابه إليه و قد نقلنا هما من كتاب صفّين لنصر بن مزاحم و قد نقله ابن عبد ربّه فى العقد الفريد أيضا (ص 334 ج 4 من طبع مصر) و أمّا كتابه

هـذا فقد نقله أعثم الكوفى فى الفتوح (ص 157 من ترجمة الهروى طبع بمبئى) و أبو العبّاس أحمد بن علىّ القلقشـندى فى صبح الأعشى (ص 229 ج 1 من طبع مصر) و شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب النويرىّ فى نهاية الأرب (ص 233 ج 7) و يطلب من باب كتبه عليه السّلام إلى معاوية و احتجاجاته عليه من ثامن البحار (ص 534 ج 8 من الطبع الكمبانى)، و كتابه هـذا يوهم أنّه قريب من التاسع و أنّهما واحد و الاختلاف فى النسخ أو الروايات حتّى أنّ الشارح البحرانى مال ههنا أنّ هذا الكتاب ملتقط من كتاب ذكر السـيّد منه فصـلا سابقا و هو قوله: فأراد قومنا اهلاک نبيّنا و قـد ذكرنا كتاب معاويـة الذى هذا الكتاب جواب له و ذكرنا الكتاب له بأسـره هناک و إن كان فيه اختلاف ألفاظ يسيرة بين الروايات - انتهى قوله.

أقول: قد وجدنا الكتابين فى ماخذ عديدة و نرى بينهما اختلافا يمنعنا من اعتقادهما واحدا، على أنّ دأب الشـريف الرضـى رضوان اللّه عليه كان إذا نقل كلامه بروايـة اخرى أن ينبّه بتقديمه على صورة اخرى: قال فى المختار 227 من باب الخطب أوله: بسـطتم يدى فكففتها و من كلام له عليه السّلام فى وصف بيعته بالخلافة و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفة.

و قال فى المختار 23 من باب الكتب أوله: وصـيتى لكم أن لا تشركوا باللّه شيئا: أقول: و قد مضى بعض هذا الكلام فيما تقدّم من الخطب إلاّ أنّ فيه زيادة أوجبت تكريره.

و قال فى المختار 66 من هذا الباب أوّله: أما بعد فانّ المرء ليفرح بالشىء الّذى لم يكن ليفوته: و قد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرّواية.

و نحوها فى عـدّة مواضع اخرى فلو كان الكتابان واحدا لكان يتعرّض عليه كما تعرّض فيها، و بعد الغمض عن ذلک نقول: إنّ الروايات قائلة بأنّ معاوية كتب إلى علىّ عليه السّلام كتابا أنفذه إليه مع أبى أمامة الباهلىّ فكتب إليه علىّ عليه السّلام هذا الكتاب، و كتب إليه كتابا أنفذه إليه مع أبى مسـلم الخولانى فكتب عليه السّلام فى جوابه ذلک الكتاب المقـدّم فى المختار التاسع و كان صدره: فإنّ أخا خولان قدم علىّ بكتاب - إلخ.

ص:104

و قـد أقبـل على الفاضل الشارح المعتزلى هـذا السـئوال أيضا و أورده على النقيب أبى جعفر فأجابه بما لا يخلو ذكره من فائـدة قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن زيـد فقلت: أرى هذا الجواب منطبقا على كتاب معاوية الذى بعثه مع أبى مسـلم الخولانى إلى علىّ عليه السّلام فإن كان هذا هو الجواب فالجواب الّذى ذكره أرباب السـيرة و أورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين إذا غير صحيح، و إن كان ذلک الجواب فهذا الجواب إذن غير صحيح و لا ثابت ؟.

قال: فقال لى: بل كلاهما ثابت مروى و كلاهما كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و ألفاظه، ثمّ أمرنى أن أكتب ما يمليه علىّ فكتبته قال: كان معاويـة يتسـقط عليا و ينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبى بكر و عمر و أنّهما غصـباه حقّه و لا يزال يكيده بالكتاب يكتبه و الرسالة يبعثها يطلب غرّته لينفث بما فى صـدره من حال أبى بكر و عمر إمّا مكاتبة أو مراسـلة فيجعل ذلک حجّة عليه عند أهل الشام و يضـيفه إلى ما قرّره فى أنفسـهم من ذنوبه زعم فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان أو مالأ على قتله، و أنّه قتل طلحة و الزبير، و أسـر عائشة، و أراق دماء أهل البصرة و بقيت خصلة واحدة و هو أن يثبت عندهم أنّه يتبرأ من أبى بكر و عمر و ينسبهما إلى الظلم و مخالفة الرسول فى أمر الخلافة و أنهما وثبا عليه غلبة و غصباه إيّاها فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقصرة على فساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الّذين هم جنده و بطانته و أنصاره لأنّهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاّ القليل الشاذّ من خواصّ الشيعة.

فلمّا كتب ذلـک الكتب مع أبى مسـلم الخولانى قصـد أن يغضب عليا و يحرجه و يحوجه إذا قرأ ذكر أبا بكر و أنه أفضل المسـلمين إلى أن يرهن خطه فى الجواب بكلمة تقتضـى طعنا فى أبى بكر فكان الجواب مجمحا غير بيّن فيه تصـريح بالتظليم لهما و لا التصـريح ببراءتهما و تـارة يترّحم عليهمـا و تارة يقول أخـذ حقّى و قـد تركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاويـة أن يكتب كتابا ثانيا مناسـبا للكتاب الأوّل ليستفزا فيه عليا عليه السّلام و يستخفّاه و يحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلّقان به

فی تقبیح حاله و تهجین مذهبه، و قال له عمرو: إنّ علیا رجل نزق تیّاه و ما استطمعت منه الکلام بمثل تقریظ أبی بکر و عمر فاکتب فکتب کتابا أنفذه إلیه مع أبی امامة الباهلی و هو من الصحابة بعد أن عزم علی بعثه مع أبی الدرداء و نسخة الکتاب: من عبد اللّه معاویة بن أبی سفیان إلی علیّ بن أبی طالب أما بعد فان اللّه تعالی - جدّه - إلی آخر ما ننقله بعید هذا فی ذکر المعنی.

ثمّ قال: قال النقیب أبو جعفر: فلمّا وصل هذا الکتاب إلی علیّ علیه السّلام مع أبی امامة الباهلی کلّم أبا امامة بنحو ممّا کلّم به أبا مسلم الخولانی و کتب معه هذا الجواب.

قال: قال النقیب: و فی کتاب معاویة هذا ذکر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا فی الکتاب الواصل مع أبی مسلم و لیس فی ذلک هذه اللفظة و إنما فیه حسدت الخلفاء و بغیت علیهم عرفنا ذلک من نظرک الشزر و قولک الهجر و تنفسک الصعداء و إبطاؤک عن الخلفاء.

قال: قال: و إنما کثیر من الناس لا یعرفون الکتابین و المشهور عندهم کتاب أبی مسلم فیجعلون هذه اللفظة فیه و الصحیح أنّها فی کتاب أبی امامة ألا ـ تراها عادت فی جوابه و لو کانت فی کتاب أبی مسلم لعادت فی جوابه - انتهی کلام النقیب أبی جعفر من شرح الفاضل الشارح المعتزلی.

أقول: و هذا تحقیق خبری دقیق و بحث روانی عمیق فإنّ المجامیع فی الفنون العدیدة و الجوامع الروائیة یفید أنهما کتابان کما دریت، و قد مال إلیه الفاضل المورخ الفنّان محمّد تقی سپهر فی ناسخ التواریخ (ص 164 ج 2 من الطبع الناصری) فانّه بعد ما نقل کتاب معاویة مع أبی مسلم الخولانی و کتاب أمیر المؤمنین علیه السّلام فی جوابه علی ما مرّ نقلهما فی ذکر ماخذ الکتاب التاسع قال ما هذا هو لفظه بالفارسیة و کأنّه ترجمة ما أفاده النقیب.

معاویة مکتوب را قرائت کرد و عمرو عاص را نیز بنمود، عمرو نگریست که علی علیه السّلام در جواب معاویة آنجا که أبو بکر را بر تمامت مسلمانان تفضیل

نهاده کلمـهٔ که تصـریح بر تقبیـح أبو بکر و تشـنیع أعمال او باشد رقم نکرده إلاّ آنکه نگاشـته است حق مرا مأخوذ داشـته اند و من تفویض کردم، بـا معاویـة گفت بر قانون کتاب أوّل علی مکتوب کن و همچنان فصـلی در فضل أبو بکر و عمر و عثمان رقم کن، چون علی ایشان را غاصب حق خویش داند و در نزد خدا و رسول عاصی و بزهکار می خواند بعید نباشد که در فضیحت عقیدت ایشان و ظلم و طغیان ایشان چیزی رقم کند آن گاه ما مکتوب او را بر فساد مذهب او حجّت کنیم و بر مردم شام و صـنادید قبایل عرضه داریم و تمامت عرب را بر او بر شورانیم و بر گردن آرزو سوار شویم، معاویه را کلمات او پسـنده افتاد و همی خواست تا بصـحبت أبو دردا چیزی نگارد هم از این اندیشـه باز نشـست و این مکتوب را بدست أبو امامه باهلی که در شمار أصحاب رسول خدا است انفاذ داشت: من عبد اللّه معاویة بن أبی سفیان – إلی آخر کتـابه الاـتی عن قریب – إلی أن قـال: بالجملـة أبو امـامه بـاهلی این نـامه بگرفت و راه در نوشت و در کوفه حاضـر حضـرت أمیر المؤمنین علیه السّلام شـده تسـلیم داد أمیر المؤمنین بعـد از قرائت آن مکتوب بدینگونه پاسخ نگاشت: أما بعد فقد بلغنی کتابک تذکر فیه اصطفاء اللّه تعالی – إلخ.

و بالجملة أنّ الظنّ المتاخم بالعلم من التتبّع و الفحص حاصل بأنّ کلّ واحد منهما کتاب علی حیاله فلنرجع إلی تفسیر الکتاب.

المعنی

اشارة

لما کان الأمیر علیه السّلام فی هذا الکتاب یردّ الأباطیل الّتی نسـجتها عنکبوت أوهام معاویة و أهواء شـیطانه عمرو العاصـی فلا بدّ لنا من نقل کتاب معاویة لیتّضح الجواب، کتب معاویة إلیه بعد کتابه الّذی أنفذه إلیه مع الخولانی علی ما مرّ آنفا:

من عبـد اللّه معاویـة بن أبی سـفیان إلی علیّ بن أبی طالب: أما بعد فإنّ اللّه تعالی جدّه اصـطفی محمّدا علیه الصّلاة و السّلام لرسالته، و اختصّه بوحیه و تأدیة شریعته

فأنقذ به من العماية، و هدى به من الغواية، ثمّ قبضه إليه رشيدا حميدا قد بلّغ الشرع، و محق الشرک، و أخمد نار الإفک، فأحسن اللّه جزاءه، و ضاعف عليه نعمه و آلاءه.

ثمّ إنّ اللّه سبحانه اختصّ محمّدا عليه الصّلاة و السّلام بأصحاب أيّدوه و نصروه و كانوا كما قال اللّه سبحانه لهم: «أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ » فكان أفضلهم مرتبة، و أعلاهم عند اللّه و المسلمين منزلة الخليفة الأوّل الذى جمع الكلمة و لمّ الدّعوة و قاتل أهل الرّدّة، ثمّ الخليفة الثانى الّذى فتح الفتوح، و مصّر الأمصار و أذلّ رقاب المشركين، ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الّذى نشر الملّة و طبّق الافاق بالكلمة الحنيفيّة.

فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه عدوت عليه، فبغيته الغوائل و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأمر و ظهره و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرک عن نصره، و سألک أن تدركه قبل أن يمزّق فما أدركته، و ما يوم المسلمين منک بواحد: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه و رمت إفساد أمره و قعدت فى بيتک، و استغويت عصابة من الناس حتّى تأخّروا عن بيعته، ثمّ كرهت خلافة عمر و حسدته، و استطلت مدته و سررت بقتله، و أظهرت الشماتة بمصابه حتّى أنک حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه.

ثمّ لم تكن أشدّ منک حسدا لابن عمک عثمان نشرت مقابحه، و طويت محاسنه، و طعنت فى فقهه، ثمّ فى دينه ثمّ فى سيرته، ثمّ فى عقله و أغريت به السّفهاء من أصحابک و شيعتک حتّى قتلوه بمحضر منک، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه، و تلكّأت فى بيعته حتّى حملت عليه قهرا تساق بحزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الان تطلب الخلافة و قتلة عثمان خلصاؤک و سجراؤک و المحدقون بک، و تلک من أمانى النفوس و ضلالات الهواء.

فدع اللجاج و العبث جانبا، و ادفع إلينا قتلة عثمان، و أعد الأمر شورى

ص:108

بين المسلمين ليتّفقوا على من هو للّه رضا، فلا بيعة لک فى أعناقنا، و لا طاعة لک علينا و لا عتبى لک عندنا، و ليس لک و لأصحابک عندى إلاّ السيف و الّذى لا إله إلاّ هو لأطلبنّ قتلة عثمان أين كانوا و حيث كانوا حتّى أقتلهم أو تلحق روحى باللّه.

فأمّا ما لا تزل تمنّ به من سابقتک و جهادک فإنّى وجدت اللّه سبحانه يقول:

«يَمُنُّونَ عَلَيْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ » و لو نظرت فى حال نفسک لوجدتها أشدّ الأنفس امتنانا على اللّه بعملها و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصّدقة فالامتنان على اللّه يبطل أجر الجهاد و يجعله «كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلى شَيْ ءٍ مِمّا كَسَبُوا وَ اللّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكافِرِينَ » انتهى كتاب معاوية.

و معنى كلامه:فلمّا استوثق الإسلام و ضرب بجرانه،أنّ الإسلام لمّا استقام و قرّ فى قراره تشبيها بالبعير إذا برک و استراح مدّجرانه على الأرض، و جران البعير هو مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره.

و قوله: حتّى أنک حاولت قتل ولده لأنّه قتل قاتل أبيه، يشير إلى عبيد اللّه ابن عمر و قتله أبا لؤلؤة فيروز قاتل عمر و قد تقدّم كلامنا فى شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 244 ج 15) و فى شرح المختار الأوّل من باب الكتب (ص 238 ج 16).

قوله: تلكأت فى بيعته، تلكأ عن الأمر اى أبطأ و توقف، فالصّواب أن يقال تلكأت عن بيعته فكلمة فى بمعنى عن إن لم يتطّرق فيها تحريف، قوله سجراؤک هو بالسين المهملة جمع سجير ككريم أى الخليل الصفى.

فكتب أمير المؤمنين على عليه السّلام فى جوابه: أما بعد فقد أتانى كتابک تذكر اصطفاء اللّه محمّدا صلى اللّه عليه و آله - إلخ فحان لنا الان شرح كتابه عليه السّلام:

قوله عليه السّلام:(أما بعد فقد أتانى - إلى قوله: إلى النضال) هذا الكتاب يشتمل على فصول تجيب عن فصول من الأباطيل المموّهة الّتى توغّل فيها معاوية و هذا القسم من الكتاب جواب عن قوله: فانّ اللّه تعالى جدّه - إلى قوله: فكان

أفضلهم مرتبة.

و بيان الجواب على الإجمال أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السّلام كان بما أخبره معاوية أعلم من غيره لأنّه لم يكن أحد كمثله فى حماية الدين و الذّب عن حوزته عن ابتداء دعوة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى زمان ارتحاله من الدّنيا و إخبار معاوية عليا عليه السّلام بذلک كسفيه استبضع تمرا إلى هجر، أو كغبىّ دعى من علّمه الرماية إلى المراماة، و أما بيانه على التفصيل فقد مرّ فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ص 336-348 ج 17) و فى شرح المختار السابع عشر منه فراجع.

قوله: عليه السّلام:(و زعمت أنّ أفضل الناس فلان - إلى قوله: فالأنصار على دعويهم) هذا الفصل جواب عن قول معاوية: فكان أفضلهم مرتبة - إلى قوله: و طبق الافاق بالكلمة الحنيفية، كان معاوية ذكر فى كتابه الأفضل فالأفضل من الأصحاب على زعمه، و فضّلهم على أمير المؤمنين عليه السّلام تعريضا على حقده حيث قال:

و أعلاهم الأوّل و الثانى و الثالث فأجابه بأنّ ما ذكرت فيهم إمّا أن يتمّ و يصحّ أولا فإن تمّ اعتزلک كلّه لأنّه كان من تلک الفضائل فى معزل، و على الثانى لم يلحقک عيبه و نقصه لأنّه لم يكن منهم فعلى كلا الوجهين كان معاوية خائضا فى ما لا يعنيه.

ثمّ بيّن عليه السّلام عدم لياقة معاوية لتمييز الفاضل و المفضول منهم و ترتيب درجاتهم و تعريف طبقاتهم بقوله: و ما أنت و الفاضل و المفضول - إلخ، و من الطلقاء أبو سفيان و من أبنائهم معاوية كما مضى بيان ذلک تفصيلا من شرح المختار السابع عشر من باب الكتب عند حديث أهل مكّة و أنّ أهل مكّة هم الطلقاء (ص 281 ج 18).

و كأنّ قوله: عليه السّلام بين المهاجرين الأوّلين يشير إلى قوله تعالى:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (التوبة: 100) و كان معاوية و أبوه فى زمان الهجرة مشركين و لمّا رفع اللّه الكلمة العليا و كان النّاس يدخلون فى دين اللّه أفواجا استسلما و ما أسلما كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام: فو الّذى فلق الحبّة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن

استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه (المختار 16 من باب الكتب ص 224 ج 18) و راجع أيضا إلى (ص 370 ج 15 و الى ص 53 ج 18).

و قال الطبرسى - ره - فى التفسير: فى هذه الاية دلالة على فضل السابقين و مزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقة فى نصرة الدّين فمنها مفارقة العشائر و الأقربين، و منها مباينة المألوف من الدين، و منها نصرة الإسلام و قلّة العدد و كثرة العدوّ، و منها السبق إلى الإيمان و الدّعاء إليه - إلى أن قال: و روى الحاكم أبو القاسم الحسكانى باسناده مرفوعا إلى عبد الرحمن بن عوف فى قوله سبحانه:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ » قال: هم عشرة من قريش أوّلهم إسلاما على بن أبى طالب.

و بالجملة أنّ معاوية و أترابه شأنهم و قدرهم دون أن يدخلوا فى التمييز بين هؤلاء و نحوه و ليسوا بأهل لذلک و نعم ما قيل:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعة و ثريد

ثمّ أتى أمير المؤمنين عليه السّلام فى ذلک بمثلين كما أتى فى الأمر المقدّم بالمثلين فقال عليه السّلام:(هيهات لقد حنّ قدح ليس منها) و قد علمت فى تفسير اللّغة أنه يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس منها أو يتمدح بما لا يوجد فيه، و قريب منه ما يقال فى الفارسية: من آنم كه رستم جوانمرد بود، و الثانى قوله عليه السّلام:(و طفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) أى طفق يحكم فى هذه الجماعة أو القضيّة أو نحوهما من عليه الحكم لها، يعنى ليس له أن يحكم فيها و قدره دون ذلک بل يجب عليه قبول الحكم الصادر من أهله فيها.

ثمّ نبّهه على ضعفه و قصور ذرعه عن البلوغ إلى تلک المراتب السامية و أنّى للأعراج العروج إلى قلل شامخة، فقال:(ألا تربع - إلخ)، استفهام على سبيل الاسترحام أو الاستحقار و التقريع، و قد عرفت أنّ الظلع هو العرج و الغمز، و هل للظالع أن يحمل حملا ثقيلا؟ أى أ لا ترفق بنفسک أيّها الظالع حتّى لا تحمل عليها ما لا تطيقه ؟ و أ لا تعرف قصور ذرعک و عدم قدرتک و استطاعتک عن البلوغ إلى درجة السابقين ؟ و أ لا تتأخّر حيث أخّرک قدر اللّه و تضع نفسک حيث وضعها اللّه ؟.

ثمّ قال عليه السّلام:(فما عليک غلبـة المغلوب و لا لک ظفر الظافر) أتى بفاء التفريع على هـذه الجملـة، أى إذا كنت بمعزل عنهم و أجنبيّا عن هؤلاء المهاجرين الأوّلين و السّابقين فى الإسـلام، فما عليک غلبـة المغلوب أى لا تضـرّک، و لا لک ظفر الظافر أى لا ينفعک فـدخل معاوية فيما لا يعنيه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و انک لـذهّاب فى التّيـة روّاغ من القصـد) و ذلک لأنّ من خرج عن زيّه و دخل فيما لا يعنيه، و تكلّم فوق قـدره يعدّ كلامه فضولا، و صدق عليه مثل: لقد حنّ قدح ليس منها، فقد ذهب فى الضلال و مال عن الاعتدال و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال.

على أنّ معاوية أنكر الحقّ و عدل عن الصّراط المستقيم حيث خرج مبارزا لمن له الحقّ و لمن هو على الصّراط المستقيم بل لمن هو الحق و الصّراط المسـتقيم ألا و هو إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجلين و خليفة ربّ العالمين و من هو من خاتم النّبيّين بمنزلة موسى من هارون على أمير المؤمنين عليه أفضل صـلوات المصـلين فمن عدل عن ذلک القسـطاس المستقيم و الميزان القسط ، فهو ذهّاب فى التّيه روّاغ عن القصد.

نقل سـبط ابن الجوزى فى التذكرة عن أبى حامد الغزالى حيث قال فى كتاب سـرّ العالمين و كشف ما فى الدّارين بعد نقل طائفة من كلامه فى غصب الغاصبين خلافة أمير المؤمنين عليه السّلام: ثمّ العجب من منازعة معاوية لعلى عليه السّلام الخلافة و قد قطع الرّسول صلّى اللّه عليه و سـلّم طمع من طمع فيها بقوله: إذا ولّى خليفتان فاقتلوا الأخير منهما، و العجب من حقّ واحد كيف ينقسم بين اثنين و الخلافة ليس بجسم و لا عرض فيتجزّى، قال: و قال أبو حازم: أوّل خلافـة [حكومـة - خ ل] تجرى بين العباد فى المعاد بين على عليه السّلام و معاوية فيحكم اللّه تعالى لعلى على معاوية و الباقون تحت المشـيّة، و قال صـلّى اللّه عليه و سلّم لعمّار: تقتلک الفئة الباغية، و لا ينبغى للإمام أن يكون باغيا، و لأنّ الامامة تضيق عن شخصين، كما أنّ الرّبوبيّة لا يليق بالهين اثنين - إلى أن قال: ثمّ استفاض لعن على عليه السّلام

على المنابر ألف شـهر و كان ذلک بأمر معاوية أ تراهم أمرهم بذلک كتاب أو سنّة أو إجماع ؟ هذا صورة كلام الغزالى. (ص 37 من التّذكرة الرّحلى المطبوع على الحجر و المقابلة الرابعة من سرّ العالمين ص 22 من طبع النجف).

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السّلام بتذكير معاوية و تنبيهه على أفضـليّته و أفضـليّة من هو من بيته و نسبه من بنى هاشم حيث قال: (ألا ترى غير مخبر لک – لكن بنعمة اللّه احدّث – أنّ قوما إلخ). يعنى بقوله غير مخبر لک أنک لست بأهل أن يخاطبک مثلى كما يسـتفاد من سياق الكلام، و يحتمل بعيدا أن يفسّر بأنّ معاوية لما كان واقفا على ذلک قال الأمير عليه السّلام: غير مخبر لک، و قوله عليه السّلام: لكن بنعمة اللّه احدّث يشير إلى قوله تعالى فى سورة الضّحى: «وَ أَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ ».

ثمّ قال عليه السّلام:(قيل: سـيّد الشّهداء) يعنى بسـيّد الشّهداء عمّه حمزة بن عبد المطلب رضوان اللّه عليه استشـهد فى احد و القائل هو رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيث قال:

إنه سـيّد الشّهداء و خصّه بسـبعين تكبيرة عند صلاته عليه و مضى الكلام فى شهادة حمزة و صلاة الرّسول صلى اللّه عليه و آله و حزنه عليه فى المختار التاسع من باب الكتب (ج 17) فراجع.

ثمّ قال عليه السّلام:(إنّ قوما قطعت أيـديهم فى سبيل اللّه) يعنى به أخاه جعفر بن أبى طالب رضوان اللّه عليه استشـهد فى غزوة موتة، و قد تقدّم الكلام فى شهادته و فضله فى شرح المختار التاسع المقدّم ذكره أيضا فلا فائدة فى الإعادة.

ثمّ أخـذ عليه السّلام بنقل فضائله و لكن أعرض عنه لما نهى اللّه عنه من تزكية المرء نفسه فقال:(و لو لا ما نهى اللّه. إلخ) – و أراد من قوله: (لذكر ذاكر) نفسه الشريفة، ثمّ وصف الفضائل بأنها بلغت فى الشهرة و الوضوح مبلغا تعرفها قلوب المؤمنين و لا تمجّها آذان السّامعين فلا ينكرها إلا عميان القلب و فاقـد السـمع و سـياق الكلام يفيـد أنّها لوضوحها لا يمكن لأحد إنكارها و إن كان غير مؤمن يثقل عليه سـماعها حيث قال عليه السّلام:(و لا تمجّها آذان السّامعين) بعد قوله: تعرفها قلوب المؤمنين.

ثمّ قال علیه السّلام:(فدع عنک من مالت به الرمیة) و فی نهایة الأرب: الدنیة مکان الرمیة و هی الأمر الخسیس، قیل: انه مثل و أصله أنّ رجلا قصد مکانا و قد عرض علیه فی أثناء طریقه صید فجعل یتبعه لیصطاده فشغله عمّا قصده. انتهی کلامه بترجمة منّا، و لکنا لم نظفر به، و الحقّ ما قاله آخر من أنّه کالمثل.

و أمّا معناه: فقال الکیدریّ - کما نقل عنه فی البحار: (ص 536 ج 8) أراد علیه السّلام أنّه - یعنی معاویة - مطعون فی نسبه و حسبه و أنّه أزاله عن مقام التّفاخر و التنافر مطاعن شهرت فیه. انتهی. ثمّ قال المجلسی - ره -: و کأنّه حمل علی الرمایة علی السهام المرمیّة. انتهی.

و ذکر المولی صالح القزوینی - ره - فی شرحه علی النهج بالفارسیّة فی معناه ثلاثة أوجه: أوّلها أنّه علیه السّلام أراد بمن نفسه الشریفة أی دعنی یا معاویة و شأنی أسکت عنک، و لم یک قصدی أن افاخرک بمفاخری و لکن تعرّض لی صید فی أثناء الطریق فرمیته بسهم.

و ثالثها أنّه علیه السّلام أراد بمن معاویة أی دع ما یشغلک عن الحقّ و اترک ما لا یعنیک و دونک و شأنک و لا تکن کالّذی مالت به الرّمیة، و احتمله العالم الشارح البحرینی قدّس سرّه أیضا حیث قال: و یحتمل أن تکون الإشارة إلیه بعینه علی طریقة قولهم: إیّاک أعنی و اسمعی یا جارة.

قلت: ما ذهب إلیه الکیدری - ره - بعید عن سیاق العبارة و کذا الوجهان المذکوران سیّما الأوّل منهما، و معنی العبارة المستفاد من سیاقها أن أمیر المؤمنین علیه السّلام یأمره عن عدم الالتفات إلی أقوال أبناء الدّنیا کعمرو بن العاص و أضرابه أی دع قوما أمالتهم الدّنیا الدّنیة عن سوّی الصراط ، و بعد نفسک عنهم.

ثمّ قال علیه السّلام:(فإنا صنائع ربّنا و الخلق بعد صنائع لنا) إنما أتی بالفاء لأنّ کلامه هذا فی مساق العلّة لقوله علیه السّلام: فدع عنک من مالت به الرّمیة، أی یجب علیک ترک هؤلاء القوم الّذین ضلّوا عن الطریق الحق، و علیک باتباع سبیلنا لأنّا صنائع ربّنا فمن أعرض عنّا فقد حاد عن الصراط المستقیم.

ثمّ إنّ كلامه هذا فوق كلام البشر، و فوق ما يحوم حوله العبارة عليه مسحة من العلم الإلهى و لعمرى أنّه يجرى مجرى التنزيلات السّماويّة، لما اشتمل عليه من أمر الخلافة الحقّة، و شأن الحجج الإلهيّة، و أراه كأنّه موج برز من محيط عظيم، أو نور سطع من عالم الأمر الحكيم، لا يتفوّه به إلاّ من اصطنعه الله تعالى لنفسه، و لا يقدر على الإتيان به إلاّ قائل إنّا لامراء الكلام و فينا تنشّبت عروقه و علينا تهدّلت غصونه، و لا يليق هذا الإدّعاء إلاّ لنبىّ أو وصى نبىّ ، و لا يصدر نحو هذه الكلمة العليا إلاّ من قلب هو عيبة أسرار اللّه جلّ شأنه، و بالجملة:

آن كس كه ز كوى آشنائيست داند كه متاع ما كجائيست

و قد علمت فى تفسير اللّغات أنّ فلانا صنيعى و صنيعتى أى اصطنعته و ربّيته و خرجته و فلان صنيعتك و مصطنعك، قال عزّ من قائل: «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسى وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (طه 42) أى اصطفيتك و أخلصتك و استخلصتك لنفسى كما قال عزّ من قائل: «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ مُوسى إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً » (مريم 52) و قال تعالى: «قالَ يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النّاسِ بِرِسالاتِي وَ بِكَلامِي » (الاعراف 145)، قال جار اللّه الزّمخشرى فى الكشاف: هذا تمثيل لما خوّله من منزلة التقريب و التكريم و التكليم، مثّل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه و خصائص أهلا لئلاّ يكون أحد أقرب منزلة منه إليه و لا يأتمن على مكنون سرّه سواه. انتهى.

و قال النيسابورى فى التفسير: اصطنعت فلانا لنفسى إذا اصطفيته و خرجته و معناه أحسنت إليه حتّى أنّه يضاف إليه، و نقل نحوه عن القفّال أيضا، ففيه غاية التشريف و التكريم.

و إذا تأمّلت حقّ التأمل بما أهدينا إليك فى الصنيعة تجدها تجرى مجرى الاصطفاء و الاجتباء و الإخلاص و الاستخلاص فتدبّر فى قوله تعالى: «وَ اذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهِيمَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَ الْأَبْصارِ إِنّا أَخْلَصْناهُمْ بِخالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ » (ص: 48).

و قوله تعالى: «وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا » (فاطر: 32).

و قوله تعالى: «اَللّهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ إِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ » (الحج: 76).

و قوله تعالى: «وَ تِلْکَ حُجَّتُنا آتَیْناها إِبْراهِیمَ عَلی قَوْمِهِ » - إلى قوله: «وَ إِسْماعِیلَ وَ الْیَسَعَ وَ یُونُسَ وَ لُوطاً وَ کلاًّ فَضَّلْنا عَلَی الْعالَمِینَ وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّیّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَیْناهُمْ وَ هَدَیْناهُمْ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ ».

و فی قوله تعالى: «أُولئِکَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ مِنْ ذُرِّیَّةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّیَّةِ إِبْراهِیمَ وَ إِسْرائِیلَ وَ مِمَّنْ هَدَیْنا وَ اجْتَبَیْنا إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُکِیًّا » (مریم: 59).

و فی قوله تعالى: «کَذلِکَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُخْلَصِینَ » (یوسف: 25)، و قوله تعالى: «وَ قالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی » (یوسف: 55).

ثمّ لا یخفی علیک لطف کلامه علیه السّلام: فانا صنائع ربّنا و الناس بعد صنائع لنا من حیث إتیانه الضمیر علی هیئة الجمع دون المفرد یعنی أنّ جمیع حجج اللّه اصطنعهم اللّه تعالی لنفسه و اصطفیهم بین سائر عباده فهو علیه السّلام ینادی بأعلی صوته بأنّ خلیفة اللّه لا بدّ من أن یکون منصوبا من عنده تبارک و تعالی، کما أفاد بکلامه هذا أعنی: فإنّا صنائع ربّنا أنهم معصومون أیضا و ذلک لأنّ اللّه لا یصطنع لنفسه من لا یکون معصوما و قد مرّ بحثنا عن ذلک مشبعا فی الإمام و صفاته فی شرح المختار 237 من باب الخطب (ص 33 - إلی - 176 من ج 16).

و قد مضی کلام ثامن الأئمة علیهم السّلام فی ذلک أیضا من أنّ العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لامور عباده شرح صدره لذلک و أودع قلبه ینابیع الحکمة و ألهمه العلم إلهاما فلم یعی بعده بجواب و یحیّر فیه عن الصّواب و هو معصوم مؤید موفق مسدّد قد أمن الخطایا و الزلل و العثار و خصّه اللّه بذلک لیکون حجّة علی عباده و شاهده

على خلقه و ذلک فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و أفاد عليه السّلام بكلامه: و الناس صنائع لنا، أنّهم عليهم السّلام وسائط فيض اللّه تعالى بين اللّه المتعال و بين عباده، و بقوله: إنّا صنائع ربّنا أنه لا واسطة بينهم و بين اللّه تعالى.

ثمّ إنّ فى سياق العبارة إيماء إلى أنّ من بلغ هذه المرتبة و المنزلة إكراما من الله تعالى حتّى اصطفيه اللّه و اتّخذه صنيعته و جعل النّاس صنائع له فكيف يجعل غيره عدله فضلا عن أن يجعل أفضل منه و إن كان للغير قرب صورى و ظاهرى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أنى هذه المنزلة الاعتبارية و من هو ممّن اجتبيه اللّه تعالى و اصطنعه لنفسه.

ثمّ قال عليه السّلام:(لم يمنعنا قديم عزّنا-إلخ)معناه على نصب كلمتى قديم و عادىّ حتّى تكونا مفعولين و جملة أن خلطناكم مرفوعة على الفاعلية أنّ المخالطة بيننا و بينكم بالنكاح أى تزوّجنا فيكم و تزوّجكم فينا كفعل الأكفاء لا يمنعنا قديم عزّنا و لا عادى طولنا عليكم و الحال أنكم لستم فى مرتبة المماثلة لنا و كيف يكونون الأكفاء لنا و الحال منّا النّبى و منكم المكذّب إلخ.

و أمّا معناه على رفع الكلمتين كما فى نسخة الرضى رضوان اللّه عليه و هو الصّواب فأن يقال: إنّ قديم عزّنا و فضلنا عليكم لم يمنعنا أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء و الحال أنكم لستم فى مرتبة الأكفاء لنا، كما أنّ بيوت العزّ و الشرف يتأنّفون عن مخالطة من دونهم كذلک.

أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله: و ينبغى أن يحمل قوله عليه السّلام قديم و عادى على مجازه لا على حقيقته لأنّ بنى هاشم و بنى امية لم يفترقا فى الشرف إلاّ مذ نشأ هاشم بن عبد مناف و عرف بأفعاله و مكارمه و نشأ حينئذ أخوه عبد شمس و عرف بمثل ذلک و صار لهذا بنون و لهذا بنون و ادّعى كلّ من الفريقين أنه أشرف بالفعال من الاخر ثمّ لم يكن المدّة بين نشاء هاشم و اظهار محمّد صلى اللّه عليه و آله الدّعوة إلا نحو تسعين سنة و مثل هذه المدّة القصيرة لا يقال فيها قديم عزّنا و عادىّ طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه لأنّ الأفعال الجميلة كما تكون عادية تكون

بكثرة المناقب و الماثر و المفاخر و إن كانت المـدّة قصـيرة، و لفظـة قديم ترد و لا يراد بها قدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق و قديم أثر أى سابقة حسنة.

أقول: و يؤيده رواية صبح الأعشى: لم يمنعنا قديم عزّنا و مديد طولنا، فان لفظة مديد قرينة على أنّ القديم ليس بمعناه المطابقى، و يمكن أن يقال: إنّ للقـديم توسّعا فى المحاوراة كما يقال من قـديم الـدهر و من زمان قديم و ان لم يمض من الزمان إلاّ نحو تسـعين سـنة فلا يكون تجوّز على هذا الوجه.

و قال العلاّمة المجلسـى - ره - فى البحار (ص 536 ج 8): و قد ظهر لک ممّا سـبق أنّ بنى اميّة لم يكن لهم نسب صـحيح ليشاركوا فى الحسب آباءه عليه السّلام، مع أنّ قديم عزّهم لم ينحصـر فى النسب بل أنوارهم عليهم السّلام أوّل المخلوقات و من بدأ خلق أنوارهم إلى خلق أجسادهم و ظهور آثارهم كانوا معروفين بالعزّ و الشـرف و الكمالات فى الأرضـين و السـماوات يخبّر بفضلهم كلّ سلف خلفا و رفع اللّه ذكرهم فى كل امة عزّا و شرفا، انتهى كلامه - ره -.

و أقول: قد ذكرنا نبذة من خلال بنى هاشم و أنموذجة من شـيم بنى امية فى شـرح المختار السابع عشر من باب الكتب (من ص 257 - إلى - ص 270 ج 18)، فراجع.

ثمّ أخذ عليه السّلام فى بيان عدم كون بنى امية فى مرتبة المماثلة لبنى هاشم و نفى كونهم أهلا للمخالطة بقوله:(و أنّى يكون ذلک كذلک و منا النبى و منكم المكذّب) و المكذّب هو أبو سـفيان صـخر بن حرب كان عدوّ رسول اللّه و المكذّب له و ما أسـلم آخر الأمر بل استسـلم كما مضـى الكلام فى استسلام القوم فى شرح كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: و الذى فلق الحبّة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعوانا عليه أظهروه. (المختار 16 من باب الكتب ص 190 ج 18).

و كان أبو سـفيان أصل الشجرة الملعونة و ما من فتنة ظهرت من قريش على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و المسلمين إلاّ كان له قدم راسخ و سعى بالغ فيها ثمّ استسلم عام الفتح

إمّا رغبـة و إمّا رهبـة كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام فى المختار السابع عشـر من هـذا الباب (ص 228 ج 18): و لمّا أدخل اللّه العرب فى دينه أفواجا و أسـلمت له هذه الامة طوعا و كرها كنتم ممّن دخل فى الدين إمّا رغبة و إمّا رهبة و راجع فى ذلک إلى ص 224 من ج 18 أيضا، و مات أبو سفيان فى سنة 31 ه منافقا أعمى القلب و العينين، و تقدم طائفة من رذائل شـيمه فى تفسير المختار السابع عشر من باب الكتب (ص 265 ج 18 فراجع).

قال الواقدى فى المغازى (ص 90 طبع مصـر): و لما رجعت قريش إلى مكّة - يعنى من غزوة بدر منهزمين - قام فيهم أبو سفيان بن حرب فقـال: يـا معشـر قريش لا ـ تبكوا على قتلا ـكم و لا ـ تنوح عليهم نائحـة و لا يبكيهم شاعر و أظهروا الجلـد و العزاء فإنكم إذا نحتم عليهم و بكيتموهم بالشـعر أذهب ذلک غيظكم، فأكلكم ذلک عن عداوة محمّد و أصحابه، مع أنّه إن بلغ محمّدا و أصحابه شمتوا بكم فيكون أعظم المصـيبتين شـماتتهم، و لعلّكم تـدركون ثاركم فالـدّهن و النساء علىّ حرام حتّى أغزو محمّدا، فمكثت قريش شـهرا لا يبكيهم شاعر و لا تنوح عليهم نائحة.

و قال غير واحد من شرّاح النهج: المكذّب هو أبو جهل، كان أشدّ الناس عداوة للنّبى صلى اللّه عليه و آله، قتل يوم بدر كافرا و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه لمّا قتل:

إنّ هذا أعتى على اللّه من فرعون إنّ فرعون لمّا أيقن بالهلاک وحّد اللّه و إنّ هذا لمّا أيقن بالهلاک دعا باللّات و العزّى.

و قال الشارح البحرانى قـدّس سـرّه: المكـذّب هو أبو جهل بن هشام و إليه الاشارة بقوله: «وَ ذَرْنِى وَ الْمُكَـذِّبِينَ » الايـة (المزمل: 11) قيل نزلت فى المطيبين ببدر و كانوا عشـرة و هم: أبو جهل و عتبة و شيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس و نبيه و منبّه ابنا الحجّاج و أبو البخترى بن هشام و النّضـر بن الحارث و الحارث بن عامر و أبىّ بن خلف و زمعة بن الأسود فذكر عليه السّلام النّبى صلى اللّه عليه و آله بفضيلته و هى النّبوة و ذكر أبا جهل برذيلته و هى تكذيبه، انتهى كلامه - ره -.

قلت: و سيأتى البيان فى المطيّبين و حلفهم و حلف الفضول بعيد هذا.

ص:119

قال ابن هشام فی السیرة النّبویة (ص 362 ج 1) فی أبی جهل و ما أنزل اللّه تعالی فیه: و أبو جهل بن هشام لمّا ذکر اللّه عزّ و جل شجرة الزّقوم تخویفا بها لهم قال: یا معشر قریش، هل تدرون ما شجرة الزّقوم الّتی یخوّفکم بها محمّد؟ قالوا: لا، قال: عجوة یثرب بالزّبد، و اللّه لئن استمکنا منها لنتزقمنّها تزّقما فأنزل اللّه تعالی فیه: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ »، أی لیس کما یقول انتهی.

أقول: المراد من التقابل بین منّا و منکم فی کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام هو التقابل بین بنی هاشم و بنی امیّة کما لا یخفی، و أبو جهل لعنه اللّه تعالی و إن کان أعدا عدوّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و ألدّ خصامه و المکذّبین له لکنّه هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغیرة المخزومی من بنی مخزوم بن مرّة من قریش فهو لیس من بنی امیّة فلا یصحّ أن یفسّر قول أمیر المؤمنین علیه السّلام و منکم المکذّب بأبی جهل لعنه اللّه تعالی و أیّ عار یلزم معاویة من هذا التفسیر؟.

ثمّ قال علیه السّلام:(و منّا أسد اللّه و منکم أسد الأحلاف) عنی بأسد اللّه حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عمّ النّبی صلی اللّه علیه و آله سمّاه رسول اللّه بذلک لشجاعته و ذّبه عن دین اللّه.

و فی الاصابة لابن حجر: أسلم حمزة علیه السّلام فی السنة الثانیة من البعثة و لازم نصر رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هاجر معه، شهد بدرا و أبلی فی ذلک و قتل شیبة بن ربیعة و شارک فی قتل عتبة بن ربیعة أو بالعکس، و قتل طعیمة بن عدی و عقد له رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لواء و أرسله فی سرّیة فکان ذلک أوّل لواء عقد فی الإسلام فی قول المدائنی و استشهد باحد و کان ذلک فی النصف من شوّال سنة ثلاث من الهجرة فعاش دون ستین، و یقال إنه قتل باحد قبل أن یقتل أکثر من ثلاثین نفسا، و لقبه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله أسد اللّه و سمّاه سیّد الشهداء – انتهی ما أردنا نقله منها.

و فی اسد الغابة: لمّا أسلم حمزة عرفت قریش أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قد عزّ و امتنع و أنّ حمزة سیمنعه فکفّوا عن بعض ما کانوا یتناولون منه ثمّ هاجر إلی

المدينة و شـهد بدرا و أبلى فيها بلاء عظيما مشهورا - إلى أن قال: و كان حمزة يعلم فى الحرب بريشة نعامة، و قاتل يوم بدر بين يدى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله بسـيفين و قال بعض اسارى الكفّار: من الرجل المعلم بريشـة نعامـة ؟ قالوا: حمزة، قال: ذاک فعل بنا الأفاعيل، و شهـد احـدا فقتل بها يوم السـبت النصف من شوّال و كان قتل من المشـركين قبل أن يقتل أحـدا و ثلاثين نفسا منهم سـباع الخزاعى قال له حمزة: هلم إلىّ يا ابن مقطعة البظور و كانت امّه ختّانة فقتله.

قال: قال ابن إسـحاق: كان حمزة يقاتل يومئذ بسيفين فقال قائل أىّ أسد هو حمزة فبينما هو كذلک إذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشف الدرع عن بطنه فزرقه وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله و مثّل به المشركون إلى أن قال:

و روى جابر قال: لمّا رأى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله حمزة قتيلا بكى فلمّا رأى ما مثّل به شـهق و قال: لو لا أن تجد صـفيّة لتركته حتّى يحشر من بطون الطير و السباع، وصفية هى امّ الزّبير و هى اخته، انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و أمّا اسد الأحلاف، فقال بعض الشراح: هو أبو سفيان و قيل لأبى سفيان أسد الأحلاف لأنّه حالف الأحزاب على قتال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حول المدينـة و زلزل المؤمنون بمكـانهم زلزالا شديـدا إلى أن فرّق اللّه تعالى جمعهم كما حكاه فى قوله: فأرسـلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها.

و تبعه الفاضل الشّيخ محمّد عبده قال: أسد اللّه حمزة، و أسد الأحلاف أبو سـفيان لأنّه حزب الأحزاب و حالفهم على قتال النبى فى غزوة الخندق، انتهى كلامه.

قلت: هذا تفسـير وجيه ملائم غير أنّ اسـلوب الكلام يوجب أن يكون أسد الأحلاف ههنا غيره لما دريت أنّ أبا سـفيان كان المكذّب فأسد الأحلاف غيره.

و قال العالم الشارح البحرانى: هو أسد بن عبد العزّى و الأحلاف هم عبد مناف و زهره و أسد و تيم و الحارث بن فهر و سمّوا الأحلاف لأنّ بنى قصى أرادوا أن ينتزعوا بعض ما كان بأيدى بنى عبد الدار من اللواء و الندوة و الحجابة و الرفادة

و هی کلّ شیء کان فرضه قصی علی قریش لطعام الحاج فی کلّ سنة و لم یکن لهم إلاّ السقاتة فتحالفوا علی حربهم و أعدوا للقتال ثمّ رجعوا عن ذلک ناکصین و أقرّوا ما کان بأیدیهم، انتهی کلامه.

قلت: أسد بن عبد العزّی هو جدّ خدیجة زوجة رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لأنّها خدیجة بنت خویلد بن أسد بن عبد العزی بن قصیّ بن کلاب بن مرّة بن کعب ابن لؤیّ بن غالب بن فهر، کما فی السیرة النّبویة لابن هشام (ص 189 ج 1 من طبع مصر 1375 ه).

و الرفادة علی التفصیل مذکورة فی السیرة النّبویة لابن هشام أیضا (ص 130 ج 1) و قد نقلنا نبذة من الکلام فی السقایة و الرفادة فی شرح المختار السابع عشر من باب الکتب (ص 264 ج 18).

ثمّ ذکر ابن هشام بعد الکلام فی الرفادة حلف المطیّبین ثمّ حلف الفضول قال: قال ابن إسحاق ثمّ إنّ قصیّ بن کلاب هلک فأقام أمره فی قومه و فی غیرهم بنوه من بعده فاختطّوا مکّة رباعا، بعد الذی کان قطع لقومه بها، فکانوا یقطعونها فی قومهم و فی غیرهم من حلفائهم و یبیعونها فأقامت علی ذلک قریش معهم لیس اختلاف و لا تنازع.

ثمّ إنّ بنی عبد مناف ابن قصیّ : عبد شمس و هاشما و المطلب و نوفلا أجمعوا علی أن یأخذوا ما بأیدی بنی عبد الدار بن قصیّ ممّا کان قصی جعل إلی عبد الدار من الحجابة و اللواء و السقایة و الرفادة و رأوا أنهم أولی بذلک منهم لشرفهم علیهم، و فضلهم فی قومهم فتفرّقت عند ذلک قریش، فکانت طائفة مع بنی عبد مناف علی رأیهم یرون أنهم أحقّ به من بنی عبد الدار لمکانهم فی قومهم، و کانت طائفة مع بنی عبد الدار یرون أن لا ینزع منهم ما کان قصیّ جعل إلیهم.

فکان صاحب أمر بنی عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف و ذلک أنّه کان أسنّ بنی عبد مناف و کان صاحب أمر بنی عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، فکان بنو أسد بن عبد العزّی بن قصیّ ، و بنو زهرة بن کلاب

و بنو تيم بن مرّة بن كعب، و بنو الحارث بن فهر بن النّضر، مع بنى عبد مناف.

و كان بنو مخزوم بن يقظة بن مرّة، و بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و بنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب، و بنو عدىّ بن كعب مع بنى عبد الدار و خرجت عامر بن لؤىّ و محارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من القريقين.

فعقد كلّ قوم على أمرهم حلفا مؤكّدا، على أن لا يتخاذلوا و لا يسلم بعضهم بعضا ما بلّ بحرصوفة - يريد إلى الأبد، و صوف البحر: شىء على شكل الصوف الحيوانى، واحدته: صوفة، يقال: لا آتيک ما بلّ بحرصوفة، أو ما بلّ البحرصوفة يريد لا آتيک أبدا -.

فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فيزعمون أنّ بعض نساء بنى عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة، ثمّ غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسمّو المطيّبين.

و تعاقد بنو عبد الدار و تعاهدوا هم و حلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكّدا على أن لا يتخاذلوا، و لا يسلم بعضهم بعضا فسمّوا الأحلاف.

ثمّ سوند بين القبائل و لزّ بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبنى سهم، و عبيت بنو أسد لبنى عبد الدّار، و عبيت زهرة لبنى جمح، و عبيت بنو تميم لبنى مخزوم و عبيت بنو الحارث بن فهر لبنى عدى بن كعب. ثمّ قالوا: لتفن كلّ قبيلة من اسند إليها.

فبينا النّاس على ذلک قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية و الرفادة، و أن تكون الحجابة و اللّواء و الندوة لبنى عبد الدّار كما كانت، ففعلوا و رضى كلّ واحد من الفريقين بذلک و تحاجز النّاس عن الحرب، و ثبت كلّ قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلک حتّى جاء اللّه تعالى بالإسلام، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: ما كان من حلف فى الجاهلية فإنّ الإسلام لم يزده إلاّ شدّة.

ص:123

حلف الفضول و سبب تسميته كذلک

قـال ابن هشـام: و أمّـا حلف الفضول: فحـدّثنى زياد بن عبـد اللّه البكائى، عن محمّـد بن إسـحاق قال: تـداعت قبائل من قريش إلى حلف فاجتمعوا له فى دار عبـد اللّه بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤى، لشـرفه و سـنّه فكان حلفهم عنده، بنو هاشم، و بنوا المطّلب، و أسـد بن عبد العزّى، و زهرة بن كلاب، و تيم بن مرّة فتعاقدوا و تعاهدوا على أن لا يجدوا بمكّة مظلوما من أهلها و غيرهم ممّن دخلها من سائر النّاس إلاّ قاموا معه، و كانوا على من ظلمه حتّى تردّ عليه مظلمة فسمّت قريش ذلک الحلف حلف الفضول.

قال: قال ابن إسـحاق: و حدّثنى محمّد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمىّ أنه سمع طلحة بن عبد اللّه بن عوف الزّهرى يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لقد شهدت فى دار عبد اللّه بن جدعان حلفا ما احبّ أنّ لى به حمر النّعم و لو ادعى به فى الإسلام لأجبت.

قال: قال ابن إسـحاق: و حـدّثنى يزيـد بن عبـد اللّه بن اسامة بن الهادى اللّيثىّ : أنّ محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ حدّثه: أنّه كان بين الحسين ابن علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام، و بين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، و الوليد يومئذ أمير على المدينة أمّره عليها عمّه معاوية بن سفيان منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة، فكان الوليد تحامل على الحسين عليه السّلام فى حقّه لسلطانه، فقال له الحسين:

احلف باللّه لتنصفنّى من حقّى أو لاخذنّ سيفى، ثمّ لأقومنّ فى مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ثمّ لأدعونّ بحلف الفضول.

قال: فقال عبد اللّه بن الزبير و هو عند الوليد حين قال الحسين عليه السّلام ما قال:

و أنا أحلف باللّه لئن دعا به لاخـذنّ سـيفى ثمّ لأقومنّ معه حتّى ينصف من حقّه أو نموت جميعا، قال: فبلغت المسور بن مخرمـة بن نوفل الزهرىّ فقال مثل ذلک و بلغت عبد الرّحمن بن عثمان بن عبيد اللّه التّيمى فقال مثل ذلک فلمّا بلغ ذلک

الوليد بن عتبة أنصف الحسين عليه السّلام من حقّه حتّى رضى.

قال: قال ابن إسحاق: و حدّثنى يزيد بن عبد الله بن اسامة بن الهادى اللّيثى عن محمّد بن إبراهيم بن الحارث التّيمى، قال: قدم محمّد بن جبير بن مطعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف - و كان محمّد بن جبير أعلم قريش - على عبد الملك ابن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير و اجتمع النّاس على عبد الملك، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا سعيد أ لم نكن نحن و أنتم، يعنى بنى عبد شمس ابن عبد مناف، و بنى نوفل بن عبد مناف، فى حلف الفضول ؟ قال: أنت أعلم، قال عبد الملك: لتخبرنى يا أبا سعيد بالحقّ من ذلک فقال: لا و اللّه، لقد خرجنا نحن و أنتم منه! قال: صدقت، تمّ خبر حلف الفضول.

و المنقول عن الروض الأنف فى سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم أنّ جرهما فى الزمن الأوّل، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف فتحالف منهم ثلاثة هم و من تبعهم أحدهم: الفضل بن فضالة، و الثانى: الفضل بن وداعة، و الثالث: فضيل بن الحارث و قيل: بل هم: الفضيل بن شراعة، و الفضل بن وداعة، و الفضل بن قضاعة، فلمّا أشبه حلف قريش هذا حلف هولاء الجرهميين سمّى حلف الفضول.

و قيل: بل سمّى كذلک لأنهم تحالفوا أن تردّ الفضول على أهلها، و ألا يغزو ظالم مظلوما.

و كان حلف الفضول هذا قبل البعث بعشرين سنة، و كان أكرم حلف و أشرفه و أوّل من تكلّم به و دعا إليه الزبير بن عبد المطّلب، و كان سببه أنّ رجلا من زبيد قدم مكّة ببضاعة، فاشتراها منه العاصى بن وائل، و كان ذا قدر بمكّة و شرف فحبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف: عبد الدار، و مخزوما، و جمح و سهما، و عدىّ بن كعب، فأبوا أن يعينوه على العاصى، و زبروه، فلمّا رأى الزبيدى الشرّ، أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس، و قريش فى أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكّة نائى الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال و بين الحجر و الحجر

إنّ الحرام لمن تمت كرامته و لا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلک الزبير بن عبد المطّلب، و قال: ما لهذا مترک، فاجتمعت هاشم و زهرة، و تيم بن مرّة، فى دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاما و تعاقدوا، و كان حلف الفضول، و كان بعدها أن أنصفوا الزبيدى من العاصى، انتهى ما عن الروض الأنف.

و الغرض من نقل حلف المطيّبين و حلف الفضول من السيرة أن يعلم أنّ تفسير أسد الأحلاف بأسد بن عبد العزّى ليس بصواب و كأنّ الشارح البحرانى تبع فى هذا التفسير قطب الدّين الراوندى رضوان اللّه عليه، و قد نقل كلامه ابن أبى الحديد فى شرحه على النهج ثمّ خطّاه و الحقّ مع ابن أبى الحديد فى المقام، قال:

قال الراوندى: المكذّب من كان يكذّب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله عنادا من قريش و أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى قال: لأنّ بنى أسد بن عبد العزّى كانوا أحد البطون الّذين اجتمعوا فى حلف المطيّبين و هم بنو أسد بن عبد العزّى، و بنو عبد مناف، و بنو تميم بن مرة، و بنو زهرة، و بنو الحارث بن فهر.

ثمّ قال ابن أبى الحديد: هذا كلام طريف جدّا لأنّه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بازاء النّبى صلى اللّه عليه و آله مكذّب من بنى عبد شمس فقال: المكذّب من كذّب النّبى صلى اللّه عليه و آله من قريش عنادا و ليس كلّ من كذّبه صلى اللّه عليه و آله من قريش أن يعيّر معاوية به، ثمّ قال: أسد الأحلاف أسد بن عبد العزّى و أىّ عار يلزم معاوية من ذلک ؟ ثمّ إنّ بنى عبد مناف كانوا فى هذا الحلف و على و معاوية من بنى عبد مناف و لكنّ الراوندى يظلم نفسه بتعرّضه لما لا يعلمه، انتهى كلام ابن أبى الحديد.

و الصواب أنّ أسد الأحلاف هو عتبة بن ربيعة، قال الواقدى فى الجزء الثالث من غزوة بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص 49 من طبع مصر ه 1367):

و المشـركون ينظرون على صـفوفهم و هم يرون أنهم ظاهرون، فـدنا النّاس بعضـهم من بعض فخرج عتبة و شـيبة و الوليد حتّى فصـلوا من الصف ثمّ دعوا إلى المبارزة، خرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار و هم بنو عفراء معاذ و معوذ و عوف بنو الحارث، و يقال ثالثهم عبد اللّه بن رواحـة، و الثبت عنـدنا أنهم بنـو عفراء فاسـتحيى رسـول اللّه صـلى اللّه عليه و آله من ذلـک، و كره أن يكون أوّل قتـال لقى المسـلمون فيه المشركين فى الأنصار و أحبّ أن تكون الشوكة لبنى عمّه و قومه، فأمرهم فرجعوا إلى مصافّهم و قال لهم خيرا.

ثمّ نادى منادى المشـركين: يا محمد أخرج لنا الأكفاء من قومنا، فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقّكم الّذى بعث اللّه به نبيّكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور اللّه.

فقام حمزة بن عبد المطّلب، و على بن أبى طالب، و عبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف فمشوا إليهم.

فقال عتبة: تكلموا نعرفكم - و كان عليهم البيض فأنكروهم - فإن كنتم أكفاء قاتلناكم.

فقال حمزة بن عبد المطّلب: أسد اللّه و أسد رسوله. قال عتبة: كفؤ كريم.

ثمّ قال عتبة: و أنا أسد الحلفاء، و من هذان معک ؟ قال: علىّ بن أبى طالب، و عبيدة بن الحارث، قال: كفؤان كريمان.

ثمّ قال الواقدىّ : قال ابن أبى الزناد، عن أبيه قال: لم أسمع لعتبة كلمة قطّ أوهن من قوله: - أنا أسد الحلفاء - يعنى حلفاء الأجمة.

ثمّ قال عتبة لابنه: قم يا وليد، فقام الوليد، و قام إليه علىّ عليه السّلام و كان أصـغر النفر فقتله على عليه السّلام، ثمّ قام عتبة، و قام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة رضى اللّه عنه، ثمّ قام شيبة و قام إليه عبيدة بن الحارث و هو يومئذ أسنّ أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فضرب شيبة رجل عبيدة بذباب السيف فأصاب عضلة ساقه فقطعها، و كرّ حمزة و علىّ على شيبة فقتلاه، و احتملا عبيدة فحازاه إلى الصفّ و مخّ ساقه

يسيل فقال عبيدة: يا رسول اللّه أ لست شهيدا؟ قال: بلى، قال: أما و اللّه لو كان أبو طالب حيّا لعلم أنا أحقّ بما قال منه حين يقول:

كذبتم و بيت اللّه نخلى محمّدا و لمّا نطاعن دونه و نناضل

و نسلمه حتّى نصرع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

إلى آخر ما ذكره الواقدى فى المغازى.

و عتبة هذا هو جدّ معاوية من قبل امّه فانّ هندا امّ معاوية هى بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، ففى المقابلة فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: منّا أسد اللّه و منكم أسد الأحلاف بحمزة من بنى هاشم و عتبة من بنى اميّة جدّ معاوية ممّا لا ينبغى أن يرتاب فيه و هذا هو التفسير الصّحيح بلا مدافع.

و الحلفاء فى قول عتبة هل هو مفرد أو جمع، فذهب أبو الزناد إلى أنّه مفرد فهى بفتح الحاء و سكون اللاّم ففى أقرب الموارد: الحلفاء نبت أطرافه محدّدة كأنّها أطراف سعف النخل و الخوص ينبت فى مغايض الماء و النزوز الواحدة حلفة مثل قصبة و قصباء، و طرفة و طرفاء، و قيل: واحدته حلفاء، قال سيبويه: الحلفاء واحد و جميع و كذلك طرفاء و بهمى و شكاعى واحدة و جميع، و من ذلك أنا الّذى فى الحلفاء، أراد أنا الأسد لأنّ مأوى الأسد الاجام و منابت الحلفاء. انتهى.

و فى منتهى الأرب، حلفاء كحمراء و حلف محرّكة: گياه دوخ، و هذا هو المراد من قوله: يعنى حلفاء الأجمة. و أمّا على الجمع فهى جمع الحليف أى المحالف قال أبو ذؤيب:

فسوف تقول إن هى لم تجدنى أخان العهد أم أثم الحليف

قال ابن أبى الحديد بعد نقل ما نقلناه عن الواقدى: قلت: قد روى هذه الكلمة على صيغة اخرى: و أنا أسد الحلفاء، و روى أنا أسد الأحلاف.

ثمّ قال: قالوا فى تفسيرهما: أراد أنا سيّد أهل الحلف المطيّبين، و كان الّذين حضروه بنى عبد مناف و بنى أسد بن عبد العزّى و بنى تيم و بنى زهرة و بنى الحارث

ابن فهر خمس قبائل.

قال: و ردّ قوم هذا التأويل فقالوا: إنّ المطيّبين لم يكن يقال لهم الحلفاء و لا الأحلاف و إنّما ذلک لقب خصومهم و أعدائهم الّذين وقع التحالف لأجلهم و هم بنو عبد الدار و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عديّ بن كعب خمس قبائل.

قال: و قال قوم فى تفسيرهما: إنّما عنى حلف الفضول و كان بعد حلف المطيّبين بزمان و شهد حلف الفضول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و هو صغير فى دار ابن جدعان - ثمّ نقل قصّة حلف الفضول فقال: و هذا التفسير أيضا غير صحيح لأنّ بنى عبد الشمس لم يكونوا فى حلف الفضول فقد بان أنّ ما ذكره الواقدى أصحّ و أثبت انتهى كلامه.

و قد نقلنا كلام ابن أبى الحديد من الجزء الرابع عشر من شرحه على الكتاب التاسع من النهج أوّله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاوية: فأراد قومنا قتل نبيّنا و اجتياح أصلنا - إلخ (ص 178 ج 2 من الطبع على الحجر).

قلت: ما قال ابن الحديد من أنه روى هذه الكلمة على صيغة اخرى فالاولى منهما أعنى و أنا أسد الحلفاء على صيغة الجمع و مفرده حليف، و الثانية منهما أعنى أنا أسد الأحلاف مطابق لما فى نهج البلاغة و لا بعد أن يقال: إذا دار الأمر بين ما اختاره الرّضى و بين ما فى النسخ الاخرى فما اختاره الرّضى فهو الأقوى لأنّه رضوان اللّه عليه متضلّع فى البلاغة و خرّيت هذه الصناعة فينبغى أن يختار صيغة أسد الأحلاف كما اختارها.

و يبقى الكلام حينئذ فى تفسير أسد الأحلاف أعنى بيان المراد منه فى المقام فانّ تفسيره بالوجهين السّابقين أعنى بحلف المطيّبين و حلف الفضول كما نقلهما ابن أبى الحديد عن القوم ليس على ما ينبغى، و أرى أنّ الصواب فى تفسيره المناسب للمقام هو ما أفاده الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهرة رسائل العرب (ص 450 ج 1) حيث قال بعد نقل كلام ابن أبى الحديد المذكور آنفا:

غير أنّ ابن أبى الحديد مع ما ذكره من تفنيد هذين التفسيرين، لم يبيّن

المراد بالأحلاف أو الحلفاء فى روايـة من روى «أنا أسـد الأحلاف» و «أنا أسـد الحلفاء جمعا» و أقول: إنّنا إذا بحثنا عمّن قتلوا من مشـركى قريش يوم بدر وجدناهم: من بنى عبد شمس بن عبد مناف، و من بنى نوفل بن عبد مناف، و من بنى أسد بن عبد العزّى ابن قصىّ ، و من بنى عبـد الـدار بن قصـىّ ، و من بنى تيم بن مرّة بن كعب بن لؤى و من بنى مخزوم بن يقظـة بن مرّة، و من بنى جمـح بن عمرو بن هصـيص بن كعب ابن لؤى، و من بنى سـهم بن عمرو بن هصـيص، و من بنى عامر بن لؤى، (راجع كتب السيرة) أى انّ هذه البطون من قريش كانت قد تازرت و اتّفقت كلمتها على حرب محمّد صـلى اللّه عليه و آله و إن شـئت فقل إنّهم قد تحالفوا على قتاله - و إن لم ينقل إلينا التاريخ أنّهم قـد عقـدوا بينهم على ذلک حلفا بمعناه الأخصّ - ثمّ و لوا أمرهم عتبـة ابن ربيعـة فكان قائـدهم و صاحب حربهم، فهو إذ يقول: «أنا أسـد الأحلاف» يبغى أن يقول أنّه أسد هذه البطون القرشية المتناصرة على قتال المسلمين انتهى كلامه.

قلت: و يؤيده ما نقله الواقدى فى المغازى (ص 45) بعـد نقل واقعة: أنّ حكيم بن حزام أتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد أنت كبير قريش و سـيّدها و المطاع فيها فهل لک أن لا تزال منها بخير آخر الـدّهر مع ما فعلت يوم عكاظ و عتبة يومئذ رئيس الناس - إلى أن قال: ثمّ جلس عتبة على جمله فسار فى المشركين من قريش يقول: يا قوم أطيعونى، - إلخ.

و روى البخارى فى صـحيحه بعدّة طرق عن أبى مجلز، عن قيس بن عباد عن أبى ذرّ رضوان اللّه عليه قال: نزلت «هذان خصـمان اختصموا فى ربّهم» فى سـتّة من قريش برزوا يوم بدر: علىّ عليه السّلام و حمزة و عبيدة بن الحارث، و شيبة و عتبة ابنى ربيعة و الوليد بن عتبة، فراجع إلى (ص 95) من الجزء الخامس منه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و منّا سيّدا شباب أهل الجنّة و منكم صبية أهل النار) سيّدا شباب أهل الجنّة هما الحسن و الحسين عليهما السّلام كما نصّ جدهما رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بذلک و قد أغنانا شهرته و استفاضته بين الفريقين إن لم نقل ببلوغه إلى حدّ التواتر عن نقل

الروايات الواردة فى ذلک و إن أبيت إلاّ نقلها فنقول: كفى كلام أبيهما أمير المؤمنين على عليه السّلام فى ذلک حجّة أوّلا.

و ثانيا قد روى أحمد فى المسند قال: حدّثنا أبو نعيم، قال: حدّثنا أبو نعيم قال: حدّثنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد، عن أبى نعيم، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، و قد أخرجه الترمذى أيضا، و قال: هذا حديث حسن صحيح. (نقله سبط ابن الجوزى فى التذكرة، ص 133 من الطبع الرحلى).

و فى مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول لابن طلحة الشافعى: و منها ما رواه الترمذى بسنده عن أبى سعيد قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. (ص 65 من الطبع الرحلى).

و فيه أيضا (ص 71) و منه حديث حذيفة بن اليمان - رض - أخرجه الترمذى فى صحيحه يرويه عنه بسنده، و قد تقدّم طرف منه فى فضائل فاطمة عليها السّلام أنّ حذيفة قال لامّه: دعينى آت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فاصلّى معه و أسئله أن يستغفر لى ذلک، فأتيته فصلّيت معه المغرب، ثمّ قام فصلّى حتّى صلّى العشاء، ثمّ انفتل فأتبعته فسمع صوتى فقال: من هذا حذيفة ؟ قلت: نعم، قال: ما حاجتک غفر اللّه لک و لامّک ؟ إنّ هذا ملک لم ينزل إلى الأرض قطّ قبل هذه اللّيلة استأذن ربّه أن يسلّم علىّ و يبشرنى أنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، و أنّ الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

إلى أن قال: و منه ما نقله الامام محمّد بن إسماعيل البخارى و الترمذى رضى اللّه عنهما بسندهما كلّ منهما فى صحيحه عن ابن عمر و سئله رجل عن دم البعوض، فقال: ممّن أنت ؟ فقال: من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض و قد قتلوا ابنى النّبىّ صلى اللّه عليه و آله و سمعت النّبىّ صلى اللّه عليه و آله يقول: هما ريحانتاى من الدّنيا.

و روى أنّه سئله عن المحرم يقتل الذّباب، فقال: يا أهل العراق تسألونا

عن قتل الذّباب و قد قتلتم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و ذكر الحديث و فى آخره: و هما سيّدا شباب أهل الجنّة.

و فى الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمى: أخرج الترمذى و الحاكم عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة (ص 82 من طبع مصر).

قال ابن الأثير فى اسد الغابة (ص 11 ج 2) فى معرفة الإمام المجتبى الحسن بن علىّ عليهما السّلام: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن على بن أحمد الأنماطى أخبرنا أبو طاهر محمّد بن عبد الرّحمن المخلص، أخبرنا عبد اللّه بن محمّد البغوى، أخبرنا داود بن رشيد، أخبرنا مروان، أخبرنا الحكم بن عبد الرّحمن بن أبى نعيم البجلى عن أبيه، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة - الخبر.

و قال أبو جعفر الطبرى فى التاريخ (ص 328 ج 7 من طبع ليدن): قال أبو مخنف: حدّثنى عبد اللّه بن عاصم قال: حدّثنى الضحّاك المشرقى، لمّا دنا منه - يعنى من أبى عبد اللّه أحد سيّدى شباب أهل الجنّة الحسين بن علىّ عليه السّلام فى واقعة الطف - القوم دعا براحلته فركبها ثمّ نادى بأعلى صوته بصوت عال دعاء يسمع جلّ النّاس:

أيّها النّاس اسمعوا قولى و لا تعجلونى حتّى أعظكم بما لحقّ لكم على و حتّى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم فإن قبلتم عذرى و صدّقتم قولى و أعطيتمونى النصف كنتم بذلك أسعد، و لم يكن لكم علىّ سبيل، و إن لم تقبلوا منّى العذر و لم تعطوا النصف من أنفسكم «فأجمعوا أمركم و شركاء كم ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة ثمّ اقضوا إلىّ و لا تنظرون إنّ ولى اللّه الّذى نزّل الكتاب و هو يتولّى الصّالحين».

قال: فلمّا سمع أخواته كلامه هذا صحن و بكين و بكى بناته فارتفعت أصواتهنّ فأرسل إليهنّ أخاه العبّاس بن على و عليّا ابنه، و قال لهما: اسكتاهنّ

فلعمری لیکثرنّ بکاؤهنّ .

قال: فلمّا ذهبا لیسکتاهنّ قال: لا یبعد ابن عبّاس، قال: فظننا انّه إنما قالها حین سمع بکاؤهنّ لأنه قد کان نهاه أن یخرج بهنّ ، فلمّا سکتن حمد اللّه و أثنی علیه و ذکر اللّه بما هو أهله و صلّی علی محمّد صلی اللّه علیه و آله و علی ملائکته و أنبیائه و ذکر من ذلک ما اللّه أعلم و ما لا یحصی ذکره، قال: فو اللّه ما سمعت متکلّما قطّ قبله و لا بعده أبلغ فی منطق منه، ثمّ قال:

أمّا بعد فانسبونی فانظروا من أنا ثمّ ارجعوا إلی أنفسکم و عاتبوها فانظروا هل یحلّ لکم قتلی و انتهاک حرمتی ؟ أ لست ابن بنت نبیکم صلی اللّه علیه و آله و ابن وصیّه و ابن عمّه و أوّل المؤمنین باللّه و المصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ؟ أو لیس حمزة سیّد الشّهداء عمّ أبی ؟ أو لیس جعفر الشّهید الطیار ذو الجناحین عمّی ؟ أو لم یبلغکم قول مستفیض فیکم أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال لی و لأخی:

هذان سیّدا شباب أهل الجنّة فان صدّقتمونی بما أقول و هو الحقّ ، و اللّه ما تعمّدت کذبا مذ علمت أنّ اللّه یمقت علیه و یضرّ به من اختلقه، فإن کذّبتمونی فإنّ فیکم من إن سألتموه عن ذلک أخبرکم سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاری، أو أبا سعید الخدری، أو سهل بن سعد الساعدی، أو زید بن أرقم، أو أنس بن مالک یخبروکم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لی و لأخی، أ فما فی هذا حاجز لکم عن سفک دمی - الخبر.

قلت: قوله علیه السّلام: ابن وصیّه ینادی بأعلی صوته بأنّ أباه أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام یعرف بالوصی، و قد مضی کلامنا و نقل الأشعار من سنام الصحابة و المسلمین فی شرح المختار 236 من باب الخطب (ص 19 ج 17) فراجع.

قوله علیه السّلام: و أوّل المؤمنین به و المصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه - و قد مضی کلامنا أنه علیه السّلام کان أوّل النّاس إسلاما فی شرح المختار التاسع من باب الکتب (ص 345 ج 17).

ثمّ إنّه صلی اللّه علیه و آله قال: إنهما سیّدا شباب أهل الجنّة لأنّ أهل الجنّة کلّهم شبّان

و ذلک لأنّها من عالم الأمر و لا یتطرق إلیها أحکام عالم الخلق من الهرم و الوهن و نحوهما ألا تری أنّ اللّه تعالی قال: «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَکِّسْهُ فِی الْخَلْقِ أَ فَلا یَعْقِلُونَ » (یس:

69)، و کأنّ التعبیر بالشباب من حیث أن «اَلدّارَ الآخِرَةَ لَهِیَ الْحَیَوانُ »، و أنّها أقوی وجودا من الدار الاولی و آثار الوجود فیها أشدّ و أکثر، نظیر ما رواه ثقة الإسلام الکلینی قدس سرّه فی الکافی عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السّلام قال لرجل ما الفتی عندکم ؟ فقال له: الشابّ ، فقال: لا، الفتی المؤمن إنّ أصحاب الکهف کانوا شیوخا فسمّاهم اللّه عزّ و جل فتیة بایمانهم (الوافی ص 39 ج 3).

و قد روی عن النّبی صلی اللّه علیه و آله: أهل الجنة جرد مرد کحل لا یفنی شبابهم و لا تبلی ثیابهم، أتی به السیوطی فی الجامع الصغیر فی أحادیث البشیر النذیر.

و جاء فی الأثر أنّ عجوزا من الأنصار قالت: یا رسول اللّه ادع اللّه بالمغفرة فقال لها: أما علمت أنّ الجنة لا تدخلها العجائز فصرخت فتبسّم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قال لها: أما قرأت قول اللّه تعالی: «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً عُرُباً أَتْراباً ».

و یناسب المقام نقل احتجاج مرویّ فی کتاب الاحتجاج للطبرسی - ره - رواه فی باب احتجاج أبی جعفر محمّد بن علی الثانی علیهما السّلام قال:

و روی أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته امّ الفضل أبا جعفر علیه السّلام کان فی مجلس و عنده أبو جعفر علیه السّلام و یحیی بن أکثم و جماعة کثیرة فقال له یحیی بن أکثم: ما تقول یا ابن رسول اللّه فی الخبر الذی روی أنّه نزل جبرئیل علیه السّلام علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و قال: یا محمّد إنّ اللّه عزّ و جلّ یقرئک السلام و یقول لک: سل أبا بکر هل هو عنّی راض فإنّی عنه راض.

فقال أبو جعفر علیه السّلام: لست بمنکر فضل أبی بکر و لکن یجب علی صاحب هذا الخبر أن یأخذ مثال الخبر الّذی قاله رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی حجّة الوداع: قد کثرت علیّ الکذّابة و ستکثر فمن کذب علیّ متعمدا فلیتبوأ مقعده من النّار فاذا أتاکم الحدیث فاعرضوه علی کتاب الله عزّ و جلّ و سنّتی فما وافق کتاب اللّه

و سنّتی فخذوا به و ما خالف کتاب اللّه و سنّتی فلا تأخذوا به، و لیس یوافق هذا الخبر کتاب اللّه تعالی قال اللّه تعالی: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » فاللّه عزّ و جل خفی علیه رضا أبی بکر من سخطه حتّی سأل عن مکنون سرّه هذا مستحیل فی العقول.

ثمّ قال یحیی بن أکثم: و قد روی أنّ مثل أبی بکر و عمر فی الأرض کمثل جبرئیل و میکائیل فی السماء.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا یجب أن ینظر فیه لأنّ جبرئیل و میکائیل ملکان للّه مقرّبان لم یعصیا اللّه قط و لم یفارقا طاعته لحظة واحدة، و هما قد أشرکا باللّه عزّ و جل و إن أسلما بعد الشرک فکان أکثر أیّامهما الشرک باللّه فمحال أن یشبها بهما.

قال یحیی: و قد روی أیضا أنهما سیّدا کهول أهل الجنّة فما تقول فیه ؟.

فقال علیه السّلام: و هذا الخبر محال أیضا لأنّ أهل الجنّة کلهم یکونون شابا و لا یکون فیهم کهل، و هذا الخبر وضعه بنو امیّة لمضادّة الخبر الّذی قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی الحسن و الحسین: بأنّهما سیّدا شباب أهل الجنّة.

فقال یحیی بن أکثم: و روی أنّ عمر بن الخطّاب سراج أهل الجنّة.

فقال علیه السّلام: و هذا أیضا محال لأنّ فی الجنّة ملائکة اللّه المقرّبین و آدم و محمّد و جمیع الأنبیاء و المرسلین لا تضیء بأنوارهم حتّی تضیء بنور عمر.

فقال یحیی: و قد روی أنّ السکینة تنطق علی لسان عمر.

فقال علیه السّلام: لست بمنکر فضل عمر و لکن أبا بکر أفضل من عمر، فقال علی رأس المنبر: إنّ لی شیطانا یعترینی فاذا ملت فسدّونی.

فقال یحیی: قد روی أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال علیه السّلام: کتاب اللّه أصدق من هذا الحدیث یقول اللّه فی کتابه: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوحٍ » قد أخذ اللّه میثاق النبیّین فکیف یمکن أن یبدّل میثاقه و کلّ الأنبیاء علیهم السّلام لم یشرکوا طرفة عین فکیف یبعث بالنّبوة من أشرک و کان أکثر أیّامه مع الشرک باللّه، و قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: نبّئت و آدم

بين الروح و الجسد.

فقال يحيى بن أكثم: و قد روى أيضا أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: ما احتبس عنى الوحى قط إلاّ ظننته قد نزل على آل الخطّاب.

فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا لأنّه لا يجوز أن يشكّ النّبى فى نبوّته قال اللّه تعالى: «اَللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ » فكيف يمكن أن ينتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به.

قال يحيى: روى أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: لو نزل العذاب لما نجا منه إلاّ عمر فقال عليه السّلام: و هذا محال أيضا لأنّ اللّه تعالى يقول: «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فأخبر سبحانه أنّه لا يعذّب أحدا ما دام فيهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و ما داموا يستغفرون اللّه، انتهى.

قلت: و قد وضع بنو اميّة فى عمرو بن العاص ما تضحک به الثكلى فإنّ محمّد ابن سعد روى فى الطبقات الكبرى عن عبد اللّه بن عمرو أنّه حدّثه أنّ أباه أوصاه قال: يا بنى إذا متّ فاغسلنى غسلة بالماء ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ اغسلنى الثانية بماء قراح ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ اغسلنى الثالثة بماء فيه شىء من كافور ثمّ جفّفنى فى ثوب، ثمّ إذا ألبستنى الثياب فأزرّ علىّ فانّى مخاصم، ثمّ إذا أنت حملتنى على السرير فامش بى مشيا بين المشيتين و كن خلف جنازة فإنّ مقدّمها للملائكة خلفها لبنى آدم، فاذا أنت وضعتنى فى القبر فسنّ علىّ التراب سنّا، (ص 260 ج 4 من طبع بيروت).

و هذا الخبر كما تراه كذب محض وضعه بنو اميّة و أتباعهم من أشباه الرّجال اقتراف الدّنيا و زخارفها و أنّى لعمرو بن العاص العاصى المتوغّل فى قاذورات الشهوات النفسانيّة أن ينال تلک المنزلة العظمى و الرتبة العليا، و هل هذا إلاّ اختلاق.

و كيف له أن يتفوّه بذلک و قد نقل غير واحد من نقلة الأخبار و حملة الاثار أنّ عمرو بن العاص لمّا حضرته الوفاة قال لابنه لودّ أبوک أنّه كان فى غزاة ذات السلاسل إنّى قد دخلت فى امور لا أدرى ما حجّتى عند اللّه فيها، ثمّ نظر إلى

ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعرا يا ليتنى متّ قبل هـذا اليوم بثلاثين سـنة أصـلحت لمعاويـة دنياه و أفسـدت دينى آثرت دنياى و تركت آخرتى، عمى على رشـدى حتّى حضـرنى أجلى، كـأنّى بمعاويـة قـد حوى مالى و أساء فيكم خلافتى فراجع إلى تاريـخ اليعقوبى، و حيوة الحيوان للدميرى.

و أنّى لعمرو أن يدّعى نزول الملائكة عليه و حملهم سريره و قد قال فيه وصىّ خاتم النبيّين عليه السّلام:

إنّه ليقول فيكذب، يعد فيخلف، و يسأل فيحلف، و يسأل فيبخل، و يخون العهد، و يقطع الإلّ ، فراجع إلى المختار 82 من باب الخطب من النهج.

نعم إنّ تلك الفضـيلة لمن كانت الملائكة أعوانه فى الامور ألا و هو علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام فقد قال عليه السّلام: و لقد وليت غسله صلى اللّه عليه و آله و الملائكة أعوانى فراجع إلى المختار 195 من باب الخطب من النهج أيضا.

و لمّا مات عليه السّلام قام ابنه ريحانة رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و أحد سـيّدى شباب أهل الجنّة الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه و صـلّى على النبى صـلى اللّه عليه و آله: ثمّ قال: ألا إنّه قد مضـى فى هذه اللّيلة رجل لم يدركه الأوّلون و لن يرى مثله الاـخرون من كان يقاتل و جبريل عن يمينه و ميكائيل عن شـماله فراجع إلى الكافى للكلينى قـدّس سـرّه و تاريـخ اليعقوبى (ص 190 ج 2).

و قد جاء فى الأثر أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام أوصـى بذلك ابنه أبا محمّد الحسن المجتبى عليه السّلام حيث قال: فاذا أنا متّ يا أبا محمّد فغسّلنى و كفّنى و حنّطنى ببقيّة حنوط جدّك رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فإنّه من كافور الجنّة جاء به جبرئيل عليه السّلام إليه ثمّ ضعنى على سـريرى و لا يتقدّم أحد منكم مقدّم السـرير و احملوا مؤخّره و اتّبعوا مقدّمه فأىّ موضع وضع المقدّم فضعوا المؤخّر فحيث قام سريرى فهو موضع قبرى - إلخ، فراجع إلى باب كيفية شـهادته عليه السّلام و وصـيّته و غسـله و الصّلاة عليه و دفنه من المجلّد التاسع من البحار (ص 674 من طبع الكمبانى).

فانظر إلى تصرّف بنى اميّة فى الأخبار كيف سرقوها من محلّها

و أسندوها إلى غير أهلها، و كم لما نقلناها من نظير و لو لا خوف الإطناب لأتينا بطائفة منها فى الكتاب.

ثمّ إنّ بنى اميّة ما تصرّفوا فى الأخبار فقط بل تجاوزوا إلى القرآن و حرّفوا كلام اللّه عن مواضعه. قال الشارح الفاضل المعتزلى فى الجزء الرابع من شرحه على النهج (ص 23 من الطبع الرّحلى): قال أبو جعفر: و قد روى أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتّى يروى أنّ هذه الاية انزلت فى علىّ عليه السّلام: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وَ إِذا تَوَلّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ » و أنّ الاية الثانية نزل فى ابن ملجم و هى قوله تعالى: «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْری نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » فلم يقبل فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل فبذل له أربع مائة ألف فقبل و روى ذلک. انتهى ما أردنا من نقل كلامه.

و صبية أهل النار:

هم صبية عقبة بن أبى معيط ، لما قد روى الواقدى فى غزوة بدر من كتابه فى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله (ص 84 من طبع مصر) من أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أقبل بالأسرى حتّى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبى معيط و كان أسره عبد اللّه بن سلمة العجلانى فجعل عقبة يقول: يا ويلى علام أقتل يا معشر قريش من بين من ههنا؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لعداوتک للّه و رسوله.

قال: يا محمّد منّک أفضل فاجعلنى كرجل من قومى إن قتلتهم قتلتنى و إن مننت عليهم مننت على، و إن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم يا محمّد من للصبية ؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: النار قدّمه يا عاصم فاضرب عنقه، فقدّمه عاصم فضرب عنقه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: بئس الرجل كنت و اللّه ما علمت كافرا باللّه و برسوله و بكتابه مؤذيا لنبيّه [منک] فأحمد اللّه الّذى هو قتلک و أقرّ عينى منک.

ثمّ قال عليه السّلام:(و منّا خير نساء العالمين و منكم حمّالة الحطب) يعنى بخير

نساء العالمين فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله المعصومة الّتى أذهب اللّه عنها الرّجس و طهّرها تطهيرا، فقد روى أبو الحسين مسلم بن الحجّاج فى جامعه المعروف بصحيح مسلم (الباب التاسع من كتاب الفضائل فى فضائل أهل بيت النّبى صلى اللّه عليه و آله ص 1883 ج 4 من طبع مصر) بإسناده عن أبى بكر بن أبى شيبة و محمّد بن عبد اللّه بن نمير، عن محمّد بن بشير، عن زكريّا، عن مصعب بن شيبة، عن صفيّة بنت شيبة قالت: قالت عائشة:

خرج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله غداة و عليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء على فأدخله، ثمّ قال: إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهّركم تطهيرا.

و فى الباب الخامس و الخمسين من ينابيع المودّة للفاضل الشّيخ سليمان النقشبندىّ الحنفى (ص 148 من الطبع الناصرى): و فى جمع الفوائد، عائشة:

كنّ أزواج النّبىّ صلى اللّه عليه و آله عنده لا يغادر منهنّ واحدة فأقبلت فاطمة تمشى ما تخطى مشيتها من مشية النّبىّ صلى اللّه عليه و آله شيئا فلمّا رآها رحب بها، و قال: مرحبا يا بنتى ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثمّ سارّها فبكت بكاء شديدا، فلمّا رأى جزعها سارّ الثانية فضحكت فلمّا قام سألتها ما قال لک أبوک ؟ قالت: ما كنت لأفشى على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سرّه فلمّا توفّى، قلت: عزمت عليک بما لى عليک من الحقّ حدّثنى ما قال لک أبوک صلى اللّه عليه و آله ؟ قالت: أمّا الان فنعم. أمّا حين سارّنى فى المرّة الاولى فأخبرنى أنّ جبرائيل كان يعارضنى القرآن فى كلّ سنة مرّة و عارضه الان مرّتين و إنّى لا أرى الأجل إلاّ قد اقترب فاتّقى اللّه و [اصبر [ى]] فإنّه نعم السلف أنا لک، فبكيت بكائى الّذى رأيت، فلمّا رأى جزعى سارّنى فى الثانية فقال:

يا فاطمة أما ترضين أن تكون سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الامّة فضحكت ضحک الّذى رأيت. و فى رواية: ثمّ سارّنى أنّى أوّل أهله يتبعه فضحكت و فى اخرى قال: أما ترضين أن تكونى سيّدة نساء أهل الجنّة و أنّک أوّل أهلى لحوقا بى فضحكت، للشّيخين و الترمذى.

ص:139

و قال: و فی صحیح البخاری: قال النّبی صلی اللّه علیه و آله: فاطمة سیّدة نساء أهل الجنّة.

و قال أیضا: و فی جمع الفوائد: أنس رفعه حسبک من نساء العالمین مریم بنت عمران، و خدیجة بنت خویلد، و فاطمة بنت محمّد، و آسیة امرأة فرعون - للترمذی. انتهی.

قلت: روایة البخاری مذکورة فی باب مناقب فاطمة علیها السّلام (ص 36 من الجزء الخامس من صحیح البخاری المشکول).

و فی الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور فی قوله تعالی: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ » (آل عمران: 43):

أخرج الحاکم و صحّحه عن ابن عبّاس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل نساء العالمین خدیجة، و فاطمة، و مریم، و آسیة امرأة فرعون.

و أخرج ابن مردویه عن أنس قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله إنّ اللّه اصطفی علی نساء العالمین أربعة: آسیة بنت مزاحم، و مریم بنت عمران، و خدیجة بنت خویلد و فاطمة بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله.

و أخرج أحمد و الترمذی و صحّحه و ابن المنذر و ابن حبّان و الحاکم عن أنس: أنّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله قال: حسبک من نساء العالمین، مریم بنت عمران و خدیجة بنت خویلد، و فاطمة بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و آسیة امرأة فرعون، و أخرجه ابن أبی شیبة عن الحسن مرسلا.

و أخرج ابن أبی شیبة و ابن جریر عن فاطمة علیها السّلام: قالت: قال لی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أنت سیّدة نساء أهل الجنّة لا مریم البتول.

و أخرج ابن عساکر من طریق مقاتل عن الضحّاک، عن ابن عبّاس، عن النّبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: أربع نسوة سادات عالمهنّ : مریم بنت عمران، و آسیة بنت مزاحم، و خدیجة بنت خویلد، و فاطمة بنت محمّد صلی اللّه علیه و آله، و أفضلهنّ عالما فاطمة.

انتهی ما أردنا من نقل ما فی الدّر المنثور.

ص:140

أقول: و نزل فى آسية امرأة فرعون و فى مريم قوله تعالى: «وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ ».

ثمّ لمّا كانت فاطمة عليها السّلام بضعة من أبيها خاتم النبيّين سيّد ولد آدم كما رواها الفريقان فى جوامعهم الروائية فهى عليها السّلام سيّدة نساء العالمين مطلقا فقوله تعالى فى مريم عليها السّلام «وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ » محمول على أنها مصطفاة عليهنّ لا مطلقا بل على بعض الوجوه، فليتأمّل فى قول الإمام أبى جعفر عليه السّلام فى معنى الاية: اصطفاك لذرية الأنبياء و طهّرك من السفاح و اصطفيك لولادة عيسى من غير فحل.

و فى قوله تعالى: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (آل عمران: 34).

و فى قوله تعالى: «وَ لَقَدْ نَجَّيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مِنَ الْعَذابِ الْمُهِينِ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كانَ عالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ وَ لَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ » (الدخان: 33).

و فى قوله تعالى: «وَ لَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلَى الْعالَمِينَ » (الجاثية: 17).

و فى قوله تعالى: «إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ » (آل عمران: 46).

و فى قوله تعالى: «وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ » (الأنبياء: 92).

و فى قوله تعالى: «وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ » (آخر التحريم).

فإمّا أن يكون المراد من العالمين فى قوله تعالى: «وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ »

نساء عالمى زمانها كما مال إليه غير واحد من المفسّرين، و أمكن أن يؤيّد هذا المعنى بايتى الدّخان و الجاثية، و لكنّ الإعراض عن اطلاق سياق الاية لا يخلو من دغدغة.

و إمّا أنّ المراد من اصطفائها على نساء العالمين اصطفائها عليهنّ من حيث إنّها آية عجيبة إلهيّة كما بيّنه أبو جعفر عليه السّلام فى الخبر المذكور بقوله: و اصطفيک لولادة عيسى من غير فحل، و يستفاد هذا المعنى من آيتى الأنبياء و التحريم و يؤيّد بهما فلا تختصّ من هذه الجهة بنساء عالمى زمانها، و هذا الوجه الأخير كأنّه الصّواب أو هو متعيّن.

قال الشارح الفاضل المعتزلى فى شرح قوله عليه السّلام: و منّا خير نساء العالمين:

يعنى فاطمة عليها السّلام نصّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على ذلک لا خلاف فيه. انتهى.

حمالة الحطب

.

هى العوراء امّ جميل امرأة عبد العزّى المكنّى بأبى لهب بنت حرب اخت أبى سفيان عمّة معاوية الّتى ورد فيها و فى زوجها قوله تعالى: «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَ ما كَسَبَ سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ».

و فى تفسير الدّر المنثور و أخرج ابن جرير عن ابن زيد أنّ امرأة أبى لهب كانت تلقى فى طريق النّبىّ صلى اللّه عليه و آله الشوک فنزلت «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ »... «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ ».

و أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم عن ابن زيد «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ » قال:

كانت تأتى بأغصان الشوک تطرحها بالليل فى طريق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله.

و أخرج ابن أبى الدّنيا فى ذمّ الغيبة و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن مجاهد «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ » قال: كانت تمشى بالنميمة «فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ » من نار.

و أخرج ابن أبى جرير و ابن أبى حاتم عن قتادة «وَ امْرَأَتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ » قال:

كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض «فى جيدها حبل» قال: عنقها.

و أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن «حمّالة الحطب» قال: كانت تحمل النميمة فتأتى بها بطون قريش.

و أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم و ابن الأنبارى فى المصاحف عن عروة بن الزبير «فى جيدها حبل من مسد» قال: سلسلة من حديد من نار ذرعها سبعون ذراعا.

و فى التفسير الصّافى نقلا من قرب الأسناد عن الكاظم عليه السّلام فى حديث آيات النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: و من ذلک أنّ امّ جميل امرأة أبى لهب أتته حين نزلت سورة تبّت و مع النّبى أبو بكر بن أبى قحافة فقال: يا رسول اللّه هذا ام جميل محفظة أم مغضبة تريدک و معها حجر تريد أن ترميک به فقال صلى اللّه عليه و آله: إنّها لا ترانى، فقالت لأبى بكر: أين صاحبک ؟ قال: حيث شاء اللّه، قالت: لقد جئته و لو أراه لرميته فإنّه هجانى و اللاّت و العزّى إنّى لشاعرة، فقال أبو بكر: يا رسول اللّه لم ترک ؟ قال: لا، ضرب اللّه بينى و بينها حجابا.

و قال معاوية يوما و عنده عمرو بن العاص و قد أقبل عقيل: لأضحكنّک من عقيل فلمّا سلم قال معاوية: مرحبا برجل عمّه أبو لهب، فقال عقيل: و أهلا برجل عمّته حمّالة الحطب فى جيدها حبل من مسد، قال معاوية: يا أبا يزيد ما ظنّک بعمّک أبى لهب ؟ قال: إذا دخلت النار فخذ على يسارک تجده مفترشا عمّتک حمّالة الحطب أفناكح فى النار خير أم منكوح ؟ قال: كلا شرّ و اللّه، نقله الشارح المعتزلى فى الجزء الرّابع من شرحه على النهج (27 من الطبع الرحلى).

و نقل الشّيخ الأجل المفيد قدس سرّه فى الإرشاد (ص 173 طبع طهران 1377 ه): بعد السبب فى قبول الإمام الحسن المجتبى عليه السّلام الهدنة و الصلح من معاوية ما هذا لفظه: فتوثق عليه السّلام لنفسه من معاوية بتوكيد الحجّة عليه و الإعذار فيما بينه و بينه عند اللّه تعالى و عند كافة المسلمين و اشترط عليه ترک سبّ أمير المؤمنين عليه السّلام و العدول عن القنوت عليه فى الصّلاة، و أن يؤمّن شيعته رضى اللّه عنهم و لا يتعرّض لأحد منهم بسوء و يوصل إلى كلّ ذى حقّ منهم حقّه.

فأجابه معاوية إلى ذلک کلّه و عاهده علیه و حلف له بالوفاء به فلمّا استتمّت الهدنة علی ذلک سار معاویة حتّی نزل بالنخیلة و کان ذلک یوم الجمعة فصلی بالناس ضحی النهار فخطبهم و قال فی خطبته: و اللّه ما قاتلتکم لتصلّوا و لا لتصوموا و لا لتحجوا و لا لتزکّوا انکم لتفعلون ذلک و لکنّی قاتلتکم لأتامّر علیکم و قد أعطانی اللّه ذلک و أنتم له کارهون، ألا و إنّی کنت منّیت الحسن علیه السّلام أشیاء و أعطیته أشیاء و جمیعها تحت قدمی لا أفی بشیء منها له.

ثمّ سار حتّی دخل الکوفة فأقام بها أیّاما فلمّا استتمّت البیعة له من أهلها صعد المنبر فخطب الناس و ذکر أمیر المؤمنین علیه السّلام و نال منه و نال من الحسن علیه السّلام ما نال و کان الحسن و الحسین علیهما السّلام حاضرین فقام الحسین علیه السّلام لیردّ علیه فأخذ بیده الحسن علیه السّلام و أجلسه، ثمّ قام فقال: أیّها الذاکر علیّا أنا الحسن و أبی علیّ و أنت معاویة و أبوک صخر و امّی فاطمة و امّک هند و جدّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و جدّک حرب و جدّتی خدیجة و جدّتک فتیلة، فلعن اللّه أخملنا ذکرا و ألأمنا حسبا و شرّنا قدما و أقدمنا کفرا و نفاقا، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمین آمین، انتهی قوله قدّس سره.

و روی قریبا منه المحدّث القمّی رضوان اللّه علیه فی مادّة حسن من سفینة البحار عن الشعبی، و قال الفاضل الشارح المعتزلی: إنّ هذا الحدیث نقله الفضل بن الحسن المصری عن یحیی بن معین قال و قال الفضل: قال یحیی: آمین، و قال الفضل: أنا أقول آمین، و قال علیّ بن الحسین الاصفهانی آمین، و قال الشارح المذکور أنا أقول آمین، و کذلک کاتب هذه الأحرف الحسن بن عبد اللّه الطبری الاملی یقول آمین آمین و یرحم اللّه تعالی عبدا قال آمین.

ثمّ قال علیه السّلام:(فی کثیر ممّا لنا و علیکم) أی ما ذکرناه من فضائلنا و رذائلکم قلیل فی کثیر ممّا لنا من الفضائل و علیکم من الرذائل و قد تقدّم الکلام فی رؤیة النّبی صلی اللّه علیه و آله بنی امیّة فی المنام علی صور قرود تصعد منبره و تردّ الناس عن الإسلام القهقری، فراجع إلی شرح المختار العاشر من هذا الباب (ص 47 ج 18).

و قد سئل علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام عن بنى هاشم و بنى اميّة فقال عليه السّلام:

نحن أمجد و أنجد و أجود، و هم أغدر و أمكر و أنكر (المحجة البيضاء فى تهذيب الأحياء ص 224 ج 4).

ثمّ قال عليه السّلام:(فاسلامنا ما قد سمعتم، و جاهليّتنا لا تدفع) يريد أنّ فضائل بنى هاشم لا تختصّ بهم فى الإسلام فقط بل لهم تلك الفضائل فى زمن الجاهلية أيضا لا مدافع لهم فى ذلک، أى أنّهم كانوا من بيت شرف و مجد حيث كان الناس فى الجاهليّة الجهلاء، و قد مضى نقل طائفة منها فى شرح المختار التاسع من باب الكتب (ج 17) و فى شرح المختار السابع عشر من ذلک الباب أيضا (ج 18) فراجع.

و ينبغى أن نذكر فى هذا الموضع احتجاجات أتى بها نقلة الاثار فى أسفارهم:

قال الشّيخ إبراهيم بن محمّد البيهقى فى كتاب المحاسن و المساوى: قيل و أتى الحسن بن علىّ عليهما السّلام معاوية بن أبى سفيان و قد سبقه ابن عباس فأمر معاوية فأنزل فبينا معاوية مع عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و زياد بن أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم و حديثهم و مجدهم فقال معاوية: أكثرتم الفخر فلو حضركم الحسن بن علىّ و عبد اللّه بن العبّاس لقصرا من أعنّتكما ما طال، فقال زياد: و كيف ذلک يا أمير المؤمنين ما يقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه و لا لنا فى بواذخنا؟ فابعث إليهما فى غد حتّى نسمع كلامهما.

فقال معاوية لعمرو: ما تقول ؟ قال هذا، فابعث إليهما فى غد بعث إليهما معاوية ابنه يزيد، فأتياه و دخلا عليه و بدأ معاوية فقال: إنّى اجلّكما و أرفع قدر كما عن المسامرة بالليل و لا سيّما أنت يا أبا محمّد فانّک ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سيّد شباب أهل الجنّة فشكّرا له، فلمّا استويا فى مجلسهما و علم عمرو أنّ الحدّة ستقع به قال: و اللّه لا بدّ أن أقول فإن قهرت فسبيل ذلک و إن قهرت أكون قد ابتدأت.

فقال: يا حسن إنّا تفاوضنا فقلنا: إنّ رجال بنى اميّة أصبر عند اللقاء و أمضى فى الوغى، و أوفى عهدا، و أكرم خيما، و أمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطّلب.

ثمّ تكلّم مروان فقال: و كيف لا تكون كذلک و قد قارعناكم فغلبناكم و حاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا و إن شئنا بطشنا.

ثمّ تكلّم زياد فقال: ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لأهله و يجحدوا الخير فى مظانّه، نحن أهل الحملة فى الحروب و لنا الفضل على سائر الناس قديما و حديثا.

فتكلّم الحسن عليه السّلام فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند ايراد الحجّة، و لكن من الإفک أن ينطق الرجل بالخنا و يصوّر الباطل بصورة الحقّ يا عمرو افتخارا بالكذب و جرأة على الإفک! ما زلت أعرف مثالبک الخبيثة أبديها مرّة و أمسک عنها اخرى فتأبى إلاّ انهما كا فى الضلالة، أتذكر مصابيح الدّجى و أعلام الهدى و فرسان الطراد و حتوف الأقران و أبناء الطعان و ربيع الضيفان و معدن النبوّة و مهبط العلم و زعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم و قد تبيّن ذلک يوم بدر حين نكصت الأبطال و تساورت الأقران و اقتحمت الليوث و اعتركت المنيّة و قامت رحاؤها على قطبها و فرّت عن نابها و طار شرار الحرب فقتلنا رجالكم و منّ النبى صلى اللّه عليه و آله على ذراريكم فكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطّلب! ثمّ قال: و أمّا أنت يا مروان فما أنت و الإكثار فى قريش و أنت طليق و أبوک طريد يتقلّب من خزاية إلى سوءة و لقد جىء بک إلى أمير المؤمنين فلمّا رأيت الضرغام قد دميت براثنه و اشتبكت أنيابه كنت كما قال:

ليث إذا سمع اللّيوث زئيره بصبصن ثمّ قذفن بالأبعار

و يروى رمين بالأبعار.

فلمّا منّ عليک بالعفو و أرخى خناقک بعد ما ضاق عليک و غصصت بريقک لا تقعد معنا مقعد أهل الشكر و لكن تساوينا و تجارينا و نحن ممّن لا يدركنا عار و لا يلحقنا خزاية!.

ثمّ التفت إلى زياد فقال: و ما أنت يا زياد و قريشا لا أعرف لک فيها أديما صحيحا و لا فرعا نابتا و لا قديما ثابتا و لا منبتا كريما بل كانت امّک بغيّا تداولها رجال

قريش و فجّار العرب فلمّا ولـدت لم تعرف لک العرب والـدا فادّعاک هـذا - يعنى معاويـة - بعد ممات أبيه، مالک افتخار تكفيک سـميّة و يكفينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و أبى علىّ بن أبى طالب سيّد المؤمنين الّذى لم يرتدّ على عقبيه، و عمّى حمزة سيّد الشهداء و جعفر الطيـار و أنـا و أخى سـيّدا شـباب أهل الجنّـة! ثمّ التفت إلى ابن عبّاس فقال: يا ابن العمّ إنّما هى بغاث الطير انقضّ عليها أجـدل، فأراد ابن عبّاس أن يتكلّم فأقسم عليه معاوية أن يكفّ فكفّ ثمّ خرجا.

فقال معاوية: أجاد عمرو الكلام لو لا أنّ حجّته دحضت و تكلّم مروان لو لا أنّه نكص.

ثمّ التفت إلى زيـاد و قـال: ما دعاک إلى محاورته ؟ ما كنت إلاّ كالحجل فى كفّ البازى، فقال أفاخر رجلا رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله جـدّه و هو سـيّد من مضـى و من بقى و امّه فاطمة الزّهراء السّواء، فقال عمرو: لقد أبقى عليک و لكنه طحن مروان طحن الرّحى بثفالها يأبى إلاّ الإغراء بيننا و بينهم، لا جرم و اللّه لا شهدت مجلسا يكونان فيه إلاّ كنت معهما على من فاخرهما.

فخلا ابن عبّاس بالحسن فقبّل بين عينيه و قال: افديک يا ابن عم، و اللّه ما زال بحرک يزخر و أنت تصول حتّى شفيتنى من أولاد البغايا.

ثم ان الحسن عليه السّلام غاب أيّاما ثمّ رجع حتى دخل على معاويـة و عنـده عبـد اللّه بن الزبير، فقال معاوية: يا أبا محمّد انّى أظنک تعبا نصـبا فـأت المنزل فأرح نفسک فيه، فقام الحسن عليه السّلام فلمّا خرج قال معاويـة لعبـد اللّه بن الزبير: لو افتخرت على الحسن فانک ابن حوارىّ رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و ابن عمّته، و لأبيک فى الإسـلام نصيب وافر، فقال ابن الزبير: أناله! فرجع و هو يطلب ليلته الحجج فلمّا أصـبح دخل على معاوية و جاء الحسن عليه السّلام فحيّاه معاوية و سأله عن مبيته، فقال: خير مبيت و أكرم مستفاض، فلمّا استوى فى مجلسه قال ابن الزبير:

لولا أنّک خوّار فى الحرب غير مقـدام ما سـلّمت لمعاوية الأمر و كنت لا تحتاج إلى اختراق السـهوب و قطع المفاوز تطلب معروفه و تقوم ببابه، و كنت

حريّا أن لا تفعل ذلک و أنت ابن علیّ فی بأسه و نجدته، فما أدری ما الّذی حملک علی ذلک أضعف رأی أم وهن نحیزة، فما أظنّ لک مخرجا من هاتین الخلّتین، أما و اللّه لو استجمع لی ما استجمع لک لعلمت أنّی ابن الزبیر و أنّی لا أنکص عن الأبطال و کیف لا أکون کذلک و جدّتی صفیّة بنت عبد المطّلب، و أبی الزبیر حواریّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و أشدّ النّاس بأسا و أکرمهم حسبا فی الجاهلیّة و أطوعهم لرسول اللّه صلی اللّه علیه و آله.

فالتفت إلیه الحسن علیه السّلام و قال: أما و اللّه لو لا أنّ بنی امیّة تنسبنی إلی العجز عن المقال لکففت عنک تهاونا، و لکن سابیّن ذلک لک لتعلم أنّی لست بالعیّ و لا کلیل اللّسان، إیّای تعیّر و علیّ تفتخر و لم یکن لجدّک بیت فی الجاهلیّة و لا مکرمة فزوّجته جدّتی صفیّة بنت عبد المطلب، فبذخ علی جمیع العرب بها و شرف بمکانها، فکیف تفاخر من هو من القلادة و اسطتها و من الأشراف سادتها نحن أکرم أهل الأرض زندا، لنا الشرف الثاقب و الکرم الغالب.

ثمّ تزعم أنّی سلمت الأمر لمعاویة فکیف یکون ذلک ویحک کذلک و أنا ابن أشجع العرب، و قد ولدتنی فاطمة سیّدة نساء العالمین و خیر الإماء؟ لم أفعل ذلک ویحک جبنا و لا ضعفا و لکنّه بایعنی مثلک و هو یطلبنی ببرّه و یداجینی المودّة و لم أثق بنصرته لأنکم أهل بیت غدر، و کیف لا یکون کما أقول، و قد بایع أبوک أمیر المؤمنین ثمّ نکث بیعته و نکص علی عقبیه و اختدع حشیّة من حشایا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله لیضلّ بها النّاس، فلمّا دلف نحو الأعنّة و رأی بریق الأسنّة قتل مضیعة لا ناصر له و اتی بک أسیرا قد وطئتک الکماة بأظلافها و الخیل بسنابکها و اعتلاک الأشتر فغصصت بریقک و أقعیت علی عقبیک کالکلب إذا احتوشته اللّیوث، فنحن ویحک نور البلاد و أملاکها و بنا تفخر الامّة و إلینا تلقی مقالید الأزمة، أنصول و أنت تختدع النّساء ثمّ تفتخر علی بنی الأنبیاء؟ لم تزل الأقاویل منا مقبولة و علیک و علی أبیک مردودة، دخل النّاس فی دین جدّی طائعین و کارهین، ثمّ بایعوا أمیر المؤمنین علیه السّلام فسار إلی أبیک و طلحة حین نکثا البیعة و خدعا عرس

رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقتل أبوک و طلحة و اتى بک أسيرا، فبصبصت بذنبک و ناشدته الرحم أن لا يقتلک فعفا عنک، فأنت عتاقة أبى و أنا سيّدک و سيّد أبيک، فذق و بال أمرک.

فقال ابن الزبير: اعذر يا أبا محمّد فانّما حملنى على محاورتک هذا و أحبّ الإغراء بيننا فهلاّ إذا جهلت أمسکت عنّى فإنّکم أهل بيت سجيّتکم الحلم و العفو.

فقال الحسن عليه السّلام: يا معاوية انظر هل أکيع عن محاورة أحد؟ ويحک أ تدرى من أىّ شجرة أنا و إلى من أنتمى ؟ انته قبل أن أسمک بميسم تتحدّث به الرکبان فى الافاق و البلدان.

فقال ابن الزبير: هو لذلک أهل، فقال معاوية: أما انّه قد شفى بلا بل صدرى منک و رمى مقتلک فصرت کالحجل فى کفّ البازى يتلاعب بک کيف أراد فلا أراک تفتخر على أحد بعدها.

و ذکروا أنّ الحسن بن علىّ عليه السّلام دخل على معاوية فقال متمثلا:

فيم الکلام و قد سبقت مبرّزا سبق الجواد من المدى و المقيس

فقال معاوية: إيّاى تعنى ؟ أما و اللّه لانبئنّک بما يعرفه قلبک و لا ينکره جلساؤک: أنا ابن بطحاء مکة، انا ابن أجودها جودا و أکرمها جدودا و أوفاها عهودا، أنا ابن من ساد قريشا ناشئا و کهلا.

فقال الحسن عليه السّلام: أجل إيّاک أعنى أفعلىّ تفتخر يا معاوية ؟ أنا ابن ماء السماء و عروق الثّرى و ابن من ساد أهل الدّنيا بالحسب الثابت و الشرف الفائق و القديم السابق، أنا ابن من رضاه رضى الرّحمن و سخطه سخط الرّحمن، فهل لک أب کأبى و قديم کقديمى ؟ فان قلت: لا تغلب، و إن قلت: نعم تکذب.

فقال معاوية: أقول لا تصديقا لقولک، فقال الحسن:

الحقّ أبلج ما تخون سبيله و الصدق يعرفه ذوو الألباب

و قال معاوية ذات يوم و عنده أشراف الناس من قريش و غيرهم: أخبرونى بخير الناس أبا و امّا و عمّا و عمّة و خالا و خالة و جدّا و جدّة، فقام مالک بن

العجلان فأومأ إلى الحسن فقال: هاهوذا أبوه علىّ بن أبى طالب رضوان اللّه عليهم و امه فاطمة بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و عمّه جعفر الطيار فى الجنان، و عمّته امّ هانىء بنت أبى طالب، و خاله القاسم ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و خالته بنت رسول اللّه زينب و جدّه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و جدّته خديجة بنت خويلد.

فسكت القوم و نهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالک فقال: أحبّ بنى هاشم حملک على أن تكلّمت بالباطل ؟ فقال ابن العجلان: ما قلت إلاّ حقّا و ما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق إلاّ لم يعط أمنيّته فى دنياه و ختم له بالشقاء فى آخرته، بنو هاشم أنضرهم عودا و أوراهم زندا، كذلک يا معاوية ؟ قال: اللهمّ نعم.

قيل: و استاذن الحسن بن علىّ عليه السّلام على معاوية و عنده عبد اللّه بن جعفر و عمرو ابن العاص، فأذن له، فلمّا أقبل قال عمرو: قد جاءكم الأفّه العيّى الّذى كان بين لحيية عبلة، فقال عبد اللّه بن جعفر: مه فو اللّه لقد رمت صخرة ململمة تنحطّ عنها السيول و تقصر دونها الوعول و لا تبلغها السهام، فإياک و الحسن إيّاک، فانّک لا تزال راتعا فى لحم رجل من قريش و لقد رميت فما برح سهمک و قدحت فما أورى زندک.

فسمع الحسن الكلام فلمّا أخذ الناس مجالسهم قال: يا معاوية لا يزال عندک عبد راتعا فى لحوم الناس، أما و اللّه لو شئت ليكونن بيننا ما تتفاقم فيه الامور و تحرّج منه الصدور ثمّ أنشأ يقول:

أتأمر يا معاوى عبد سهم بشتمى و الملا منّا شهود

إذا أخذت مجالسها قريش فقد علمت قريش ما ترید

قصدت إلىّ تشتمنى سفاها لضغن ما يزول و ما يبيد

فما لک من أب كأبى تسامى به من قد تسامى أو تكيد

و لا جدّ كجدّى يا ابن هند رسول اللّه إن ذكر الجدود

و لا امّ كامّى من قريش إذا ما يحصل الحسب التليد

فما مثلى تهكّم يا ابن هند و لا مثلى تجاريه العبيد

فمهلا لا تهج منّا امورا يشيب لها معاوية الوليد

و ذكروا أنّ عمرو بن العاص قال لمعاوية ذات يوم:

ابعث إلى الحسن بن على فمره أن يخطب على المنبر فلعلّه يحصر فيكون ذلک ممّا نعيّره به، فبعث إليه معاوية فأصعده المنبر و قد جمع له الناس فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا أيّها الناس من عرفنى فأنا الّذى يعرف و من لم يعرفنى فانا الحسن بن علىّ بن أبى طالب ابن عمّ النّبى صلى اللّه عليه و آله، أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعث رحمة للعالمين و سخطا للكافرين، أنا ابن من بعث إلى الجنّ و الإنس، أنا المستجاب الدّعوة، أنا ابن الشفيع المطاع، أنا ابن أوّل من ينفض رأسه من التراب، أنا ابن أوّل من يقرع باب الجنّة، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة و نصر بالرّعب من مسيرة شهر، فافتنّ فى هذا الكلام و لم يزل حتّى أظلمت الدّنيا على معاوية فقال: يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة و لست هناک.

فقال الحسن: انما الخليفة من سار بسيرة رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و عمل بطاعة اللّه و ليس الخليفة من دان بالجور و عطّل السنن و اتّخذ الدّنيا أبا و امّا، و لكنّ ذاک ملک أصاب ملكا يمتّع به قليلا و كان قد انقطع عنه و استعجل لذّته و بقيت عليه تبعته فكان كما قال اللّه عزّ و جل: و إن أدرى لعلّه فتنة لكم و متاع إلى حين ثمّ انصرف.

فقال معاوية لعمرو: و اللّه ما أردت إلاّ هتكى، ما كان أهل الشام يرون أنّ أحدا مثلى حتّى سمعوا من الحسن ما سمعوا.

قيل: و قدم الحسن بن علىّ رضوان اللّه عليه على معاوية فلمّا دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و المغيرة بن شعبة و صناديد قومه و وجوه اليمن و أهل الشام: فلمّا نظر إليه معاوية أقعده على سريره و أقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه، فلمّا نظر مروان إلى ذلک حسده و كان معاوية قال

لهم: لا تحاوروا هـذين الرجلين فلقـد قلّـداكم العار و فضـحاكم عنـد أهل الشام - يعنى الحسـين بن على عليهما السّـلام، و عبـد اللّه بن العبّاس.

فقـال مروان: يـا حسن لو لا حلم أمير المؤمنين و ما قـد بنى له آباؤه الكرام من المجـد و العلاء ما أقعـدک هـذا المقعـد و لقتلک و أنت له مسـتوجب بقودک الجماهير فلمّا أحسـست بنا و علمت أن لا طاقـة لک بفرسان أهل الشام و صـناديد بنى اميّة أذعنت بالطاعة و احتجرت بالبيعة و بعثت تطلب الأمان، أما و اللّه لو لا ذلک لاريق دمک، و علمت أنّا نعطى السـيوف حقّها عند الوغى، فاحمد اللّه إذا بتلاک بمعاوية فعفا عنک بحلمه ثمّ صنع بک ما ترى.

فنظر إليه الحسن فقال: ويحک يا مروان لقـد تقلّـدت مقاليـد العارفى الحروب عنـد مشاهـدتها و المخاذلـة عند مخالطتها، نحن - هبلتک الهوابل - لنا الحجج البوالغ و لنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة و تدعوننا إلى النّار فشتّان ما بين المنزلتين، تفخر ببنى اميّة و تزعم أنّهم صبّر فى الحروب أسد عند اللقاء - ثكلتک امّک - اولئک البهاليل السادة و الحماة الذادة و الكرام القادة بنو عبد المطلب، أما و الله لقد رأيتهم و جميع من فى هذا البيت ما هالتهم الأهوال و لم يحيدوا عن الأبطال كاللّيوث الضارية الباسـلة الحنقة، فعندها ولّيت هاربا و اخـذت أسـيرا فقلدت قومک العار لأنّک فى الحروب خوّار، أيراق دمى زعمت ؟ أفلا أرقت دم من وثب على عثمان فى الدار فذبحه كما يذبـح الجمل و أنت تثغو ثغاء النعجـة و تنادى بالويل و الثبور كالأمة اللّكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضـلت عنه بسـهم ؟ لقد ارتعدت فرائصک و غشـى بصـرک فاسـتغثت بى كما يسـتغيث العبد بربّه، فانجيتک من القتل و منعتک منه ثمّ تحثّ معاوية على قتلى و لو رام ذلک معک لذبح كما ذبح ابن عفّان، أنت معه أقصـر يدا و أضـيق باعا أجبن قلبا من أن تجسـر على ذلک، ثمّ تزعم أنّى ابتليت بحلم معاوية أما و اللّه لهو أعرف بشأنه و أشـكر لما ولّيناه هذا الأمر فمتى بدا له فلا يغضـينّ جفنه على القذى معک، فو اللّه لأثخننّ أهل الشام بجيش يضـيق عنها فضاؤها، و يستأصل

فرسانها ثمّ لا ينفعک عند ذلک الهرب و الرّوغان و لا يردّ عنک الطلب تدريجک الكلام فنحن ممّن لا يجهل آباؤنا القدماء الأكابر و فروعنا السادة الأخيار، انطق إن كنت صادقا.

فقال عمرو: ينطق بالخنى و تنطق بالصدق ثمّ أنشأ يقول:

قد يضرط العير و المكواة تأخذه لا يضرط العير و المكواة فى النار

ذق و بال أمرک يا مروان، و أقبل عليه معاويـة فقال: قـد نهيتک عن هذا الرجل و أنت تأبى إلاّ انهماكا فيما لا يعنيک، اربع على نفسک فليس أبوک كأبيه و لا أنت مثله، أنت ابن الطريـد الشـريد و هو ابن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله الكريم و لكن ربّ باحث عن حتفه و حافر عن مـديته، فقال مروان: ارم من دون بيضـتک و قم بحجّـة عشـيرتک، ثمّ قال لعمرو: طعنک أبوه فوقيت نفسک بخصـييک فلـذلک تحذّره و قام مغضبا فقال معاوية: لا تجار البحور فتغمرک، و لا الجبال فتبهرک و استرح من الاعتذار.

قيل: و لقى عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السّـلام فى الطّواف فقال: يا حسن أزعمت أنّ الـدّين لا يقوم إلاّ بک و بأبيک ؟ فقـد رأيت اللّه جلّ و عزّ أقامه بمعاويـة فجعله راسـيا بعـد ميله و بيّنا بعـد خفائه، أفرضـى اللّه قتل عثمان أم من الحقّ أن تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطّحين ؟ عليک ثياب كغرقىء البيض و أنت قاتل عثمان، و اللّه إنّه لألـمّ للشعث و أسهل للوعث أن يوردک معاوية حياض أبيک.

فقال الحسن عليه السّـلام: إنّ لأهل النّار علامات يعرفون بها و هى الإلحاد لأولياء اللّه و الموالاة لأعداء اللّه، و اللّه إنّک لتعلم أنّ عليّا عليه السّـلام لم يترتب فى الأـمر و لم يشـکّ فى اللّه طرفـة عين، و أيم اللّه لتنتهينّ يا ابن امّ عمرو أو لأقرعنّ جبينک بكلام تبقى سـمته عليک ما حييت، فإيّاک و الإبراز على فإنّى من قـد عرفت لست بضـعيف الغمزة، و لا بهشّ المشاشـة، و لا بمرىء المأكلة، و إنّى من قريش كأوسـط القلاـدة، يعرف حسبى و لا ادعى لغير أبى، و قـد تحاكمت فيک رجال قريش فغلب عليک ألأمهم نسـبا و أظهرهم لعنـة، فإياک عنّى فانک رجس، و إنما

نحن بيت الطّهارة، أذهب اللّه عنّا الرجس و طهّرنا تطهيرا.

قيل: و اجتمع الحسن بن علىّ عليه السّلام و عمرو بن العاص، فقال الحسن عليه السّلام:

قد علمت قريش بأسرها أنّى منها فى عزّ أرومتها لم اطبع على ضعف و لم اعكس على خسف، اعرف بشبهى و ادعى لأبى.

فقال عمرو: قد علمت قريش أنّک من أقلّها عقلا و أكثرها جهلا، و انّ فيک خصالا لو لم يكن فيک إلاّ واحدة منهنّ لشملک خزيها كما شمل البياض الحالک، لعمر اللّه لتنتهينّ عمّا أراک تصنع أو لأكبسنّ لک حافة كجلد العائط أرميک من خللها بأحرّ من وقع الأثافى أعرک منها أديمک عرک السلعة، فانّک طالما ركبت صعب المنحدر و نزلت فى اعراض الوعر التماسا للفرقة و إرصادا للفتنة و لن يزيدک اللّه فيها إلاّ فظاعة.

فقال الحسن عليه السّلام: أما و اللّه لو كنت تسمو بحسبک و تعمل برأيک ما سلكت فجّ قصد و لا حللت رابية مجد، و أيم اللّه لو أطاعنى معاوية لجعلک بمنزلة العدوّ الكاشح فانّه طالما طويت على هذا كشحک و أخفيته فى صدرک و طمح بک الرجاء إلى الغاية القصوى الّتى لا يورق بها غصنک و لا يخضرّ لها مرعاک، أما و اللّه ليوشكنّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيى ضرغام من قريش قوىّ متمنّع فروس ذى لبد يضغطک ضغط الرحى للحبّ لا ينجيک منه الروغان إذا التقت حلقتا البطان.

انتهى ما أتى به البيهقى فى المحاسن و المساوى فى المقام.

و فى محاسن البرقى: قال عمرو بن العاص للحسين عليه السّلام: ما بال أولادنا أكثر من أولادكم ؟ فقال عليه السّلام:

بغاث الطير أكثرها فراخا و امّ الصقر مقلاة نزور

فقال: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه إلى شواربكم ؟ فقال عليه السّلام:

إنّ نساءكم نساء بخرة فاذا دنا أحدكم من امرأته نهكته فى وجهه فشاب منه شاربه فقال: ما بال لحاكم أوفر من لحائنا؟ فقال عليه السّلام: و البلد الطيّب يخرج نباته باذن ربّه و الذى خبث لا يخرج إلا نكدا، فقال معاوية: بحقّى عليک إلاّ سكتّ

فانّه ابن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقال عليه السّلام:

إن عادت العقرب عدنا له و كانت النعل لها حاضرة

قد علم العقرب و استيقنت أن لا لها دنيا و لا آخرة

و روى ابن شهرآشوب و غيره عن أبان الأحمر أنّ شريک بن الأعور دخل على معاوية، فقال له معاوية: و اللّه إنک لشريک و ليس للّه لشريک و أنک لابن الأعور و البصير خير من الأعور، و أنک لدميم، و الجيد خير من الدميم فكيف سدت قومک ؟ فقال له شريک: إنّک لمعاوية و ما معاوية إلاّ كلبة عوت و استعوت الكلاب، و انّک لابن صخر و السهل خير من الصخر، و انّک لابن حرب و السلم خير من الحرب و انّک لابن اميّة و ما اميّة إلاّ أمة صغرت فاستصغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ؟ فغضب معاوية و خرج شريک و هو يقول:

أ يشتمنى معاوية بن صخر و سيفى صارم و معى لسانى

فلا تبسط علينا يا ابن هند لسانک إن بلغت ذرى الأمانى

و إن تک للشقاء لنا أميرا فإنّا لا نقرّ على الهوان

و إن تک فى اميّة من ذراها فانا فى ذرى عبد المدان

و روى أنّ معاوية أرسل إليه هدية منها حلواء، يريد بذلک استمالته و صرفه عن حبّ على بن أبى طالب عليه السّلام، فدخلت ابنة صغيرة له خماسى أو سداسى عليه فأخذت لقمة من تلک الحلواء و جعلتها فى فمها، فقال لها أبو الأسود يا بنتى ألقيه فإنّه سمّ هذه حلواء أرسلها إلينا معاوية ليخدعنا عن أمير المؤمنين عليه السّلام و يردّنا عن محبّة أهل البيت، فقالت الصبيّة: قبّحه اللّه يخدعنا عن السيّد المطهّر بالشّهد المزعفر تبّا لمرسله و آكله فعالجت نفسها حتّى قاءت ما أكلتها ثمّ قالت:

أبا لشهد المزعفر يا ابن هند نبيع عليک أحسابا و دينا

معاذ اللّه كيف يكون هذا و مولانا أمير المؤمنينا

و يشبه هذا ما روى أنه دخل أبو أمامة الباهلى على معاوية فقرّبه و أدناه ثمّ دعى بالطعام فجعل يطعم أبا أمامة بيده، ثمّ أوسع رأسه و لحيته طيبا بيده و أمر له

ببدرة من دنانير فدفعها إليه، ثمّ قال: يا أبا أمامة باللّه أنا خير أم علىّ بن أبى طالب ؟ فقال أبو أمامة: نعم و لا كذب و لو بغير اللّه سألتنى لصدقت علىّ و اللّه خير منک و أكرم و أقدم إسلاما و أقرب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله قرابة و أشدّ فى المشركين نكاية و أعظم عند الامّة عناء، أ تدرى من علىّ يا معاوية ؟ ابن عمّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و زوج ابنته سيّدة نساء العالمين، و أبو الحسن و الحسين سيّدى شباب أهل الجنّة، و ابن أخى حمزة سيّد الشهداء، و أخو جعفر ذى الجناحين، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية ؟ أظننت أنّى سأختيرک على علىّ عليه السّلام بألطافک و طعامک و عطائک فأدخل إليک مؤمنا، و أخرج منک كافرا بئسما سوّلت لک نفسک يا معاوية ثمّ نهض و خرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا و اللّه لا أقبل منک دينارا واحدا.

قال تقى الدّين أبو بكر بن على الحموى فى ثمرات الأوراق فى المحاضرات: قلت:

و أما الأجوبة الهاشميّة و بلاغتها فهى فى المحل الأرفع، فمن ذلک أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة و عتبة بن أبى سفيان و المغيرة بن شعبة فقالوا: يا أمير المؤمنين ابعث لنا إلى الحسن بن على فقال لهم: فيم ؟ فقالوا: كى نوبّخه و تعرفه أنّ أباه قتل عثمان فقال لهم: إنّكم لا تنتصفون منه و لا تقولون شيئا إلاّ كذبكم الناس، و لا يقول لكم شيئا ببلاغته إلاّ صدّقه الناس فقالوا: أرسل إليه فإنا سنكفيک أمره فأرسل إليه معاوية فلمّا حضر قال: يا حسن إنّى لم ارسل إليک و لكن هؤلاء أرسلوا إليک فاسمع مقالتهم و أجب و لا تحرمنى.

فقال الحسن عليه السّلام فليتكلّموا و نسمع، فقام عمرو بن العاص فحمد اللّه و أثنى عليه قال: هل تعلم يا حسن أنّ أباک أوّل من أثار الفتنة و طلب الملک فكيف رأيت صنع اللّه به ؟.

ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: يا بنى هاشم كنتم أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان يفضّلكم و يقرّبكم ثمّ بغيتم عليه فقتلتموه و لقد أردنا يا حسن قتل أبيک فأنقذنا اللّه منه و لو قتلناه بعثمان ما كان علينا من اللّه ذنب.

ثمّ قام عتبة فقال: تعلم يا حسن أنّ أباک بغی علی عثمان فقتله حسدا علی الملک و الدّنیا فسلبها، و لقد أردنا قتل أبیک حتّی قتله اللّه تعالی.

ثمّ قام المغیرة بن شعبة فکان کلامه کلّه سبّا لعلی و تعظیما لعثمان.

فقام الحسن علیه السّلام فحمد اللّه تعالی و أثنی علیه و قال: بک أبدأ یا معاویة لم یشتمنی هؤلاء، و لکن أنت تشتمنی بغضا و عداوة و خلافا لجدّی صلی اللّه علیه و آله، ثمّ التفت إلی الناس و قال: انشدکم الله أ تعلمون أنّ الرجل الّذی شتمه هؤلاء کان أوّل من آمن باللّه و صلّی القبلتین، و أنت یا معاویة یومئذ کافر تشرک باللّه، و کان معه لواء النّبیّ صلی اللّه علیه و آله یوم بدر، و مع معاویة و أبیه لواء المشرکین.

ثمّ قال: أنشدکم اللّه و الإسلام، أ تعلمون أنّ معاویة کان یکتب الرسائل لجدّی صلی اللّه علیه و آله فأرسل إلیه یوما فرجع الرسول و قال: هو یأکل، فردّ الرسول إلیه ثلاث مرّات کلّ ذلک و هو یقول: هو یأکل، فقال النّبی صلی اللّه علیه و آله: لا أشبع اللّه بطنه، أما تعرف ذلک فی بطنک أما تعرف ذلک فی بطنک یا معاویة ؟ ثمّ قال: و أنشدکم اللّه، أ تعلمون أنّ معاویة کان یقود بأبیه علی جمل و أخوه هذا یسوقه، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: لعن اللّه الجمل و قائده و راکبه و سائقه هذا کلّه لک یا معاویة.

و أمّا أنت یا عمرو فتنازع فیک خمسة من قریش فغلب علیک شبه ألأمهم حسبا و شرّهم منصبا ثمّ قمت وسط قریش فقلت: أتی شانئ محمّد فأنزل اللّه علی نبیّه صلی اللّه علیه و آله: إنّ شانئک هو الأبتر، ثمّ هجوت محمّدا صلی اللّه علیه و آله بثلاثین بیتا من الشعر فقال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: اللهمّ إنّی لا أحسن الشعر و لکن العن عمرو بن العاص بکلّ بیت لعنة ثمّ انطلقت إلی النجاشی بما عملت و عملت فأکذبک اللّه و ردّک خائبا فأنت عدوّ بنی هاشم فی الجاهلیّة و الإسلام فلم نلمک علی بغضک.

و أمّا أنت یا ابن أبی معیط ، فکیف ألومک علی سبّک لعلی و قد جلد ظهرک فی الخمر ثمانین سوطا، و قتل أباک صبرا بأمر جدّی، و قتله جدّی بأمر ربّی، و لمّا قدمه للقتل قال: من للصبیة یا محمّد، فقال: لهم النار فلم یکن لکم عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله

إلاّ النّار، و لم يكن لكم عند عليّ غير السيف و السوط .

و أمّا أنت يا عتبة فكيف تعد أحدا بالقتل لم لا قتلت الّذى وجدته فى فراشک مضاجعا لزوجتک ثمّ أمسكتها بعد أن بغت.

و أمّا أنت يا أعور ثقيف ففى أىّ ثلاث تسبّ عليّا؟ أفى بعده من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ؟ أم فى حكم جائر؟ أم فى رغبة فى الدّنيا؟ فإن قلت شيئا من ذلک فقد كذبت أكذبک الناس، و إن زعمت أنّ عليّا قتل عثمان فقد كذبت و أكذبک الناس، و أمّا وعيدک فانما مثلک كمثل بعوضة وقفت على نخلة، فقالت لها: استمسكى فانى اريد أن أطير، فقالت لها النخلة: ما عملت بوقوفک فكيف يشقّ عليّ طيرانک و أنت فما شعرنا بعداوتک فكيف يشق علينا سبّک، ثمّ نفض ثيابه و قام، فقال لهم معاوية:

ألم أقل لكم إنكم لا تنتصفون منه، فو اللّه لقد أظلم على البيت حتّى قام فليس فيكم بعد اليوم خير. انتهى.

قال سبط ابن الجوزى فى التذكرة: قال أهل السير: و لمّا سلم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهّز إلى المدينة فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته منهم عمرو ابن العاص و الوليد بن عقبة و هو أخو عثمان بن عفّان لامّه و كان عليّ عليه السّلام قد جلّده فى الخمر، و عتبة و قالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجّله قبل مسيره إلى المدينة فنهاهم معاوية و قال: إنّه ألسن بنى هاشم فألحّوا عليه فارسل [إلى] الحسن فاستزاره فلمّا حضر شرعوا فتناولوا عليّا عليه السّلام و الحسن ساكت فلمّا فرغوا حمد الحسن اللّه و أثنى عليه و صلّى على رسوله محمد صلى اللّه عليه و آله قال:

إنّ الّذى أشرتم إليه قد صلّى إلى القبلتين و بايع البيعتين و أنتم بالجميع مشركون و بما أنزل اللّه على نبيّه كافرون، و أنّه حرّم على نفسه الشهوات و امتنع على اللّذات حتى أنزل اللّه فيه «يا أيها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ اللّه لكم» و أنت يا معاوية ممّن قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى حقّه: اللهمّ لا تشبعه أو لا أشبع اللّه بطنک، أخرجه مسلم عن ابن عبّاس.

و بات أمير المؤمنين يحرس رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله من المشركين، و فداه بنفسه

ليلـة الهجرة حتّى أنزل اللّه فيه «و من النّـاس من يشـرى نفسه ابتغاء مرضات اللّه» و وصـفه بالإيمان فقال «إنما وليّكم اللّه و رسوله و الّـذين آمنوا» و المراد به أمير المؤمنين و قال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: أنت منّى بمنزلة هارون من موسى و أنت أخى فى الدّنيا و الاخرة، و أنت يا معاوية نظر النّبى صـلى اللّه عليه و آله إليک يوم الأحزاب فرأى أباک على جمل يحرّض النّاس على قتاله و أخوک يقود الجمل و أنت تسوقه فقـال: لعن اللّه الراكب و القائـد و السـائق، و ما قابله أبوک فى موطن إلاّ و لعنه و كنت معه، ولاّک عمر الشام فخنته، ثمّ ولاّک عثمان فترّبصت عليه و أنت الّذى كنت تنهى أباک عن الإسلام حتّى قلت مخاطبا له:

يا صخر لا تسلمن طوعا فتفضحنا بعد الّذين ببدر أصبحوا مزقا

لا تركننّ إلى أمر تقلّدنا و الرّاقصات بنعمان به الحرقا

و كنت يوم بدر و احد و الخندق و المشاهد كلّها تقاتل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و قد علمت الفراش الّذى ولدت عليه.

ثمّ التفت إلى عمرو بن العاص و قال: أما أنت يا ابن النابغـة فادّعاک خمسة من قريش غلب عليک ألأمهم و هو العاص و ولدت على فراش مشترک و فيک نزل «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ » و كنت عدوّ اللّه و عدوّ رسوله و عدوّ المسلمين و كنت أضرّ عليهم من كلّ مشرک و أنت القائل:

و لا أنثنى عن بنى هاشم بما اسطعت فى الغيب و المحضر

و عن عائب اللاّت لا أنثنى و لو لا رضى اللاّت لم تمطر

و أمّا أنت يا وليد فلا ألومک على بغض أمير المؤمنين فإنّه قتل أباک صبرا و جلّدک فى الخمر لمّا صـلّيت بالمسـلمين الفجر سـكرانا و قلت أزيدكم و فيک يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربّه أنّ الوليد أحقّ بالعذر

نادى و قد تمّت صلاتهم أ أزيدكم سكرا و ما يدرى

ليزيدهم اخرى و لو قبلوا لأتت صلاتهم على العشر

فأتوا أبا وهب و لو قبلوا لقرنت بين الشفع و الوتر

حبسوا عنانک اذجريت و لو تركوا عنانک لم تزل تجرى

و سمّاک الله فى كتابه فاسقا، و سمّى أمير المؤمنين مؤمنا فى قوله: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » و فيک يقول حسان بن ثابت و فى أمير المؤمنين:

أنزل اللّه ذو الجلال علينا فى علىّ و فى الوليد قرانا

ليس من كان مؤمنا عمرک اللّه كمن كان فاسقا خوّانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل و علىّ إلى الجزاء عيانا

فعلىّ يجزى هناک جنانا و وليد يجزى هناک هوانا

و أمّا أنت يا عتبة فلا ألومک فى أمير المؤمنين فإنّه قتل أباک يوم بدر و اشترک فى دم ابن عمّک شيبة، و هلاّ أنكرت على من غلب على فراشک و وجدته نائما مع عرسک حتّى قال فيک نصر بن حجّاج:

نبّئت عتبة هيّأته عرسه لصداقة الهذلى من الحيّان

ألقاه معها فى الفراش فلم يكن فحلا و أمسک خشية النسوان

لا تعتبن يا عتب نفسک حبّها إنّ النساء حبائل الشيطان

ثمّ نفض الحسن ثوبه و قام فقال معاوية:

أمرتكم أمرا فلم تسمعوا له و قلت لكم لا تبعثنّ إلى الحسن

فجاء و ربّ الرّاقصات عشيّة بركبانها يهوين من سرّة اليمن

أخاف عليكم منه طول لسانه و بعد مداه حين اجراره الرسن

فلمّا أبيتم كنت فيكم كبعضكم و كان خطابى فيه غبنا من الغبن

فحسبكم ما قال ممّا علمتم و حسبى بما ألقاه فى القبر و الكفن

ثمّ قال سبط ابن الجوزىّ : تفسير غريب هذه الواقعة: قال الأصمعى و هشام ابن محمّد الكلبى فى كتابه المسمّى بالمثالب: و قد وقفت عليه معنى قول الحسن لمعاوية: قد علمت الفراش الّذى ولدت عليه أنّ معاوية كان يقال إنه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى، و مسافر بن أبى عمرو و أبى سفيان

و العبّاس بن عبد المطّلب و هؤلاء كانوا ندماء أبى سفيان و كان كلّ منهم يتّهم بهند.

فأمّا عمارة بن الوليد كان من أجمل رجالات قريش و هو الّذى وشى به عمرو بن العاص إلى النّجاشى فدعى الساحر فنفث فى احليله فهام مع الوحش و كانت امرأة النّجاشى قد عشقته.

و أمّا مسافر بن أبى عمرو فقال الكلبى: عامة الناس على أنّ معاوية منه لأنّه كان أشدّ الناس حبّا لهند فلمّا حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنّه منه فهرب إلى ملك الحيرة و هو هند بن عمرو فأقام عنده، ثمّ إنّ أبا سفيان قدم الحيرة فلقيه مسافر و هو مريض من عشقه لهند و قد سقى بطنه فسأله عن أهل مكّة فأخبره و قيل: إنّ أبا سفيان تزوّج هندا بعد انفصال مسافر عن مكّة فقال أبو سفيان انّى تزوجت هندا بعدک فازداد مرضه و جعل يذوب فوصف الكىّ فاحضروا المكاوىّ و الحجّام فبينا الحجّام يكويه إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (قد يضرط - خ ل) العير و المكواة فى النّار فسارت مثلا ثمّ مات مسافر من عشقه لهند.

و ذكر هشام بن محمّد الكلبى أيضا فى كتاب المثالب و قال: كانت هند من المغيلمات و كانت تميل إلى السودان من الرجال فكانت إذا ولدت ولدا أسود قتلته قال: و جرى بين يزيد بن معاوية و بين إسحاق بن طابة بن عبيد كلام بين يدى معاوية و هو خليفة فقال يزيد لاسحاق إن خيرا لک أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنّة أشار يزيد إلى انّ امّ إسحاق كانت تتّهم ببعض بنى حرب فقال له إسحاق انّ خيرا لک ان يدخل بنو العبّاس كلهم الجنّة فلم يفهم يزيد قوله و فهم معاوية فلمّا قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيک قال: قصدت شين إسحاق قال: و هو كذلک أيضا قال: و كيف ؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش فى الجاهلية يزعمون أنّى للعبّاس فسقط فى يدى يزيد.

و قال الشعبى: و قد أشار رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إلى هند يوم فتح مكّة بشىء من هذا فانّها لما جاءت تبايعه و كان قد أهدر دمها فقالت: على ما ابايعک ؟ فقال:

على أن لا تزنين، فقالت: و هل تزنى الحرّة ؟ فعرفها رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فنظر إلى

عمر فتبسم.

و أمّا قول الحسن عليه السّلام لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترک فذکر الکلبی أیضا فی المثالب قال: کانت النابغة ام عمرو بن العاص من البغایا أصحاب الرایات بمکّة فوقع علیها العاص بن الوائل فی عدّة من قریش منهم أبو لهب و امیّة بن خلف و هشام بن المغیرة و أبو سفیان بن حرب فی طهر واحد.

قال ابن الکلبی: و کان الزّناة الّذین اشتهروا بمکّة جماعة منهم هؤلاء المذکورون، و امیّة بن عبد الشمس، و عبد الرّحمن بن الحکم بن أبی العاص أخو مروان بن الحکم، و عتبة بن أبی سفیان أخو معاویة، و عقبة بن أبی معیط فلمّا حملت النابغة بعمرو تکلّموا فیه فلمّا وضعته اختصم فیه الخمسة الّذین ذکرناهم کلّ واحد یزعم أنّه ولده و ألّب علیه العاص بن وائل و أبو سفیان بن حرب کلّ واحد یقول: و اللّه إنّه منّی فحکّما النابغة فاختارت العاص فقالت: هو منه، فقیل لها ما حملک علی هذا و أبو سفیان أشرف من العاص ؟ فقالت: هو کما قلتم إلا انّه رجل شحیح، و العاص جواد ینفق علی بناتی، و أبو سفیان لا ینفق علیهنّ و کان لها بنات.

و أمّا قول الحسن علیه السّلام للولید بن عقبة: و جلدک علیّ فی الخمر، فذکر أرباب السّیر قاطبة: أنّ عثمان بن عفّان ولّی الولید بن عقبة الکوفة سنة ستّ و عشرین و کان الولید مدمنا علی شرب الخمر و کان یجلس علی الشراب و عنده ندماؤه و مغنّوه طول اللیل إلی الفجر فإذا أذنه المؤذّن بصلاة الفجر خرج سکرانا فصلّی بهم فخرج یوما فی غلالة لا یدری أین هو فتقدّم إلی المحراب فصلّی بهم الفجر أربعا و قال: أزیدکم ؟ فقال له عبد اللّه بن مسعود: ما زلنا معک فی زیادة منذ الیوم، و لما سجد قال فی سجوده: اشرب و اسقنی، فناداه عتاب بن غیلان الثقفی: سقاک اللّه المهل و من بعثک أمیرا علینا، ثمّ حصبه و حصبه أهل المسجد، فدخل الولید القصر و هو یترنّح فنام فی سریره، فهجم علیه جماعة منهم أبو جندب بن زهیر الأسدیّ و ابن عوف الأزدیّ و غیرهما و هو سکران لا یعی فأیقظوه فلم یتنبه، ثمّ قاء علیهم

الخمر فنزعوا خاتمه من يده و خرجوا من فورهم إلى المدينة، فدخلوا على عثمان فشهدوا على الوليد أنّه شرب الخمر، فقال: و ما يدريكم أنّه شرب خمرا؟ قالوا:

شرب الخمر الّذى كنّا نشر به فى الجاهليّة فزبرهما و نال منهما فخرجا من عنده فدخلا على علىّ عليه السّلام و أخبراه بالقصّة، فدخل على عثمان فقال له: دفعت الشهود و أبطلت الحدود، قال له: فما ترى ؟ فقال: تبعث إلى الفاسق فتحضره فان قامت عليه البيّنة حددته فأرسل إلى الوليد فأحضره فشهدوا عليه و لم يكن له حجّة فرمى عثمان السّوط إلى علىّ عليه السّلام و قال له: حدّه، فقال علىّ لولده الحسن: قم فحدّه، فامتنع الحسن عليه السّلام و قال: يتولّى حارّها من تولّى قارّها و القرّ البرد و معناه يتولاّه و الى الأمر، فقال لعبد اللّه بن جعفر: قم فاجلده فامتنع فلمّا رآهم لا يفعلون توقّيا لعثمان أخذ السوط و دنى من الوليد فسبّه الوليد فقال له عقيل بن أبى طالب: يا فاسق ما تعلم من أنت أ لست علجا من أهل صفوريّة قرية بين عكّا و اللّجون من أعمال الاردن كان أبوك يهوديّا منها فجعل الوليد يحيد عن علىّ فأخذه فضرب به الأرض فقال له عثمان: ليس لک ذلک فقال: بلى و شرّ من ذلک إذ فسق ثمّ يمتنع أن يؤخذ منه حقّ اللّه تعالى ثمّ جلده أربعين.

و قد أخرج أحمد فى المسند معنى هذا فقال: حدّثنا يزيد بن هارون، ثنا سعيد بن أبى عروبة، عن عبد اللّه بن الدّاناج، عن حصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة قال: لمّا قال علىّ عليه السّلام للحسن: قم فاجلده، قال: و فيم أنت و ذاک فقال علىّ عليه السّلام: بل عجزت و وهنت قم يا عبد اللّه بن جعفر فاجلده، فقام فجلده و علىّ عليه السّلام يعدّ حتّى بلغ أربعين، قال: أمسک، ثمّ قال: جلد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى الخمر أربعين، و ضرب أبو بكر أربعين، و ضربها عمر صدرا من خلافته، ثمّ أتمّ ثمانين و كلّ سنّة.

فان قيل: فقد روى أحمد فى المسند أيضا عن علىّ عليه السّلام انه قال: ما من رجل أقمت عليه حدّا فمات فأجد فى نفسى منه إلاّ صاحب الخمر فانّه لو مات لوديته لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يسنّه و أخرجاه فى الصحيحين فكيف تقول: و كلّ سنّة ؟

قلنا: لا خلاف أنّ النّبىّ صلى اللّه عليه و آله ضرب فى الخمر فالضرب فى الجملة سنّة و العدد ثبت باجماع الصحابة.

قال السبط : و قيل: هذه القصّة إنّما جرت للحسن عليه السّلام مع معاوية و الوليد و من سميناهم بالشام لأنّ الحسن كان يعد على معاوية كلّ حين و معه الحسين، قلت:

و قد دعى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على الوليد بن عقبة لمّا ردّ أمانه، فقال أحمد فى المسند حدّثنا عبيد اللّه بن عمر، ثنا عبد اللّه بن داود، ثنا نعيم بن حكيم، عن ابن أبى مريم عن علىّ عليه السّلام قال: جاءت امرأة الوليد بن عقبة تشكوه إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و قالت:

يا رسول اللّه إنّ الوليد يضربنى فقال: اذهبى إليه و قولى له: قد أجارنى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم تلبث إلاّ يسيرا، حتّى جاءت فقالت: ما زادنى إلاّ ضربا، فأخذ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله هدبة من ثوبه فدفعها إليها و قال لها: قولى هذا أمانى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم تلبث إلاّ يسيرا حتّى جاءت فقالت: يا رسول اللّه ما زادنى إلاّ ضربا، فرفع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يديه و قال: اللهمّ عليک بالوليد، و فى رواية عليک بالفاسق.

و اختلفوا فى معنى تسميته بالفاسق على قولين: أحدهما أنّ الوليد قال يوما لعلى عليه السّلام: أ لست أبسط منک لسانا و أحدّ سنانا، فنزلت: «أَ فَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ » ذكره ابن عبّاس.

و الثانى أنّ النّبىّ صلى اللّه عليه و آله بعثه سنة ثمان من الهجرة إلى بنى المصطلق يصدقهم و كانوا قد أسلموا و بنوا المساجد، فلما بلغهم قدوم الوليد خرجوا يتلقّونه بالهدايا و السلاح فرحا به، فلمّا رآهم ولّى راجعا إلى المدينة، فقال: يا رسول اللّه قد منعوا الزكاة و قاموا إلىّ بالسّلاح فابعث إليهم البعوث، فقدم الحارث بن عباد على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال له: يا حارث أردت قتل رسولى و منعت الزكاة ؟! فقال: و الّذى بعثک بالحق ما وصل إلينا و إنّما رجع من الطريق، و لقد كذب فأنزل اللّه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا » - الاية.

و ذكر هشام بن محمّد الكلبى عن محمّد بن إسحاق قال: بعث مروان بن الحكم و كان واليا على المدينة رسولا إلى الحسن عليه السّلام فقال له: يقول لک مروان: أبوک الّذى فرّق الجماعة و قتل أمير المؤمنين عثمان و أباد العلماء و الزّهاد - يعنى الخوارج

و أنت تفخر بغيرک، فاذا قيل لک من أبوک تقول: خالی الفرس.

فجاء الرسول إلی الحسن فقال له: يا أبا محمّد إنّی أتيتک برسالة ممن يخاف سطوته و يحذر سيفه فإن کرهت لم أبلغک إيّاها و وقيتک بنفسی، فقال الحسن:

لا بل تؤدّيها و نستعين عليه باللّه فأدّاها فقال له: تقول لمروان: إن کنت صادقا فاللّه يجزيک بصدقک، و إن کنت کاذبا فاللّه أشدّ نقمة، فخرج الرسول من عنده فلقيه الحسين فقال: من أين أقبلت ؟ فقال: من عند أخيک الحسن، فقال: و ما کنت تصنع ؟ قال: أتيت برسالة من عند مروان، فقال: و ما هی ؟ فامتنع الرسول من أدائها، فقال: لتخبرنی أو لأقتلنّک فسمع الحسن فخرج و قال لأخيه: خلّ عن الرجل، فقال: لا و اللّه حتی أسمعها فأعادها الرسول عليه فقال له: قل له: يقول لک الحسين بن علیّ و فاطمة: يا ابن الزرقاء الداعية إلی نفسها بسوق ذی المجاز، صاحبة الراية بسوق عکاظ ، و يا ابن طريد رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله و لعينه، اعرف من أنت و من امّک و من أبوک.

فجاء الرسول إلی مروان فأعاد عليه ما قالا. فقال له: ارجع إلی الحسن و قل له: أشهد انک ابن رسول اللّه و قل للحسين: أشهد أنک ابن علیّ بن أبی طالب فقال للرسول قل له کلاهما لی و رغما.

قال قال الأصمعی: أما قول الحسين: يا ابن الداعية إلی نفسها فذکر ابن إسحاق أنّ امّ مروان اسمها اميّة و کانت من البغايا فی الجاهليّة و کان لها راية مثل راية البيطار تعرف بها و کانت تسمی ام حتبل الزرقاء و کان مروان لا يعرف له أب و إنما نسب إلی الحکم کما نسب عمرو إلی العاص.

و أما قوله: يا ابن طريد رسول اللّه يشير إلی الحکم بن أبی العاص بن اميّة ابن عبد شمس، أسلم الحکم يوم الفتح و سکن المدينة و کان ينقل أخبار رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله إلی الکفّار من الأعراب و غيرهم و يتجسّس عليه، قال الشعبی:

و ما أسلم إلاّ لهذا و لم يحسن إسلامه و رآه رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله يوما و هو يمشی و يتخلّج فی مشيته يحاکی رسول اللّه فقال له: کن کذلک فما زال يمشی کأنه يقع علی وجهه و نفاه رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله إلی الطائف و لعنه فلمّا توفی رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله کلّم عثمان أبا بکر

أن يردّه لأنه كان عمّ عثمان فقال أبو بكر: هيهات شـىء فعله رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و اللّه لا اخالفه أبدا فلمّا مات أبو بكر و ولى عمر كلمه فيه فقال: يا عثمان أما تسـتحى من رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و من أبى بكر تردّ عدوّ اللّه و عدوّ رسوله إلى المدينة ؟ و اللّه لا كان هذا أبدا فلمّا مات عمرو ولّى عثمان ردّه فى اليوم الّذى ولّى فيه و قرّبه و أدناه و دفع له مالا عظيما و رفع منزلته فقام المسـلمون على عثمان و أنكروا عليه و هو أوّل ما أنكروا عليه و قالوا: رددت عدوّ اللّه و رسوله و خالفت اللّه و رسوله فقال:

إنّ رسول اللّه وعدنى بردّه فامتنع جماعة من الصحابة عن الصّلاة خلف عثمان لذلک.

ثمّ توفى الحكم فى خلافته فصـلّى عليه و مشـى خلفه فشقّ ذلک على المسـلمين و قالوا: ما كفاک ما فعلت حتّى تصلّى على منافق ملعون لعنه رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و نفـاه فخلعوه و قتلوه و اعطى ابنه مروان خمس غنـائم افريقيّـة خمسـمائة ألف دينار، و لمّا بلغ عايشـة أرسـلت إلى عثمان أما كفاک أنک رددت المنافق حتّى تعطيه أموال المسـلمين و تصـلّى عليه و تشيّعه بهذا السبب ؟ قالت: اقتلوا نعثلا قتله اللّه فقـد كفر، و لمّا بلغ مروان انكارها جاء إليها يعاتبها فقالت: اخرج يا ابن الزرقاء انّى أشـهد على رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله أنه لعن أباک و أنت فى صلبه.

قال الشـعبى: إنّ مروان ولد سنة اثنتين من الهجرة و أبوه إنّما أسلم يوم الفتح و نفاه رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بعد ذلک، قلت: و قد ذكر ابن سـعد فى الطبقـات معنى الحكايـة الّتى حكيناهـا عن ابن إسـحاق و رسالـة مروان إلى الحسن. انتهى مـا أردنا من نقل كلام سـبط ابن الجوزى فى التذكرة.

و أقول: سيأتى توضيح كلام الإمام المجتبى عليه السّلام فى عمرو بن العاص العاصى:

فادّعاک خمسة من قريش فى تفسير كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عمرو بن العاص.

و أمّا قول الكلبى و الأصـمعى أنّ معاوية كان من أربعة من قريش فقد روى الزمخشـرى فى كتاب ربيع الأبرار أيضا أنّ معاوية كان يعزى إلى أربعة:

إلى عمرو بن مسافر، و إلى عمارة بن الوليد، و إلى العبّاس بن عبد المطّلب

و إلى الصـباح مغنّ أسود كان لعمارة، قال قالوا: كان أبو سـفيان و سيما قصيرا، و كان الصباح عسيفا لأبى سفيان شابّا و سيما فدعته هند إلى نفسـها، و قالوا: إنّ عتبة بن أبى سـفيان من الصـباح أيضا و انّها كرهت أن تضعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناک و فى ذلک قال حسان بن ثابت:

لمن الصبى بجانب البطحاء فى الأرض ملقى غير ذى مهد

بخلت به بيضاء آنسة من عبد شمس صلتة الخدّ

و أقول: هذان البيتان من أبيات توجد فى آخر ديوان حسّان على ما فى نسخة مخطوطة من ديوانه فى مكتبتنا، و الأبيات معنونة بهذا العنوان: و قال حسّان لهند بنت عتبة بن أبى ربيعة، و بعد البيتين:

تسعى الصباح معولة يا هند انک صلبة الحرد

فإذا تشادعت بمقطرة تذكى لها بالودّة الهند

غلبت على شبه الغلام و قد بان السواد لحالک جعد

أشرت لكاع و كان عادتها دقّ المشاش بناجذ جلد

فحرّى لمعاوية أن يباهى و يفتخر قائلا: اولئک آبائى فجئنى بمثلهم.

و أمّا قوله: إذ حبق الحجّام فقال مسافر: قد يحبق (يضـرط - خ ل) العير و المكواة فى النار فقال الميدانى فى مجمع الأمثال: و يقال: إنّ أوّل من قـاله مسافر ابن أبى عمرو بن اميّـة و ذلک أنّه كان يهوى بنت عتبـة و كانت تهواه فقالت: إنّ أهلى لا يزوّجوننى منک انک معسـر، فلو قد وفـدت إلى بعض الملوک لعلک تصـيب مالا فتتزوّجنى، فرحل إلى الحيرة وافـدا إلى النعمان فبيناهم مقيم عنـده إذ قدم عليه قادم من مكّة فسأله عن خبر أهل مكّـة بعـده فأخبره بأشـياء و كان منها أنّ أبا سـفيان تزوّج هندا فطعن مسافر من الغمّ فأمر النعمان أن يكوى فأتاه الطبيب بمكاويه فجعلها فى النار ثمّ وضع مكواة منها عليه و علج من علوج النعمان واقف فلمّا رآه يكوى ضرط فقال مسافر: قد يضرط العير و يقال: إنّ الطبيب ضرط .

و أمّا ما نقل السبط من قول أمير المؤمنين على عليه السّلام لولده الحسن عليه السّلام: قم فحدّه فامتنع الحسن، و ما روى أحمد فى المسند من أنّ عليّا عليه السّلام لما قال للحسن عليه السّلام قم فاجلده قال الحسن عليه السّلام و فيم أنت و ذاک، ففيهما كلام لأنّ امتناع الإمام المجتبى عليه السّلام عمّا أمره به أبوه أمير المؤمنين عليه السّلام فدونه خرط القتاد.

و أمّا ما نقله من حدّ شارب الخمر و من أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام جلد الوليد أربعين فالبحث عنه يوجب الإسهاب فانّه يؤدّى إلى شعب كثيرة من مسائل فقهية و غيرها و لذلک نكتفى على نقل ما أتى به صاحب الجواهر فى شرح كتاب الحدود من كتاب الشرائع قال – ره :-

حدّ المسكر ثمانون جلدة بلا خلاف أجده فيه بل الاجماع بقسميه عليه بل المحكى منهما مستفيض أو متواتر كالنصوص، لكن فى حسن الحلبى سئل الصّادق عليه السّلام أرأيت النبىّ صلى اللّه عليه و آله كيف يضرب بالخمر؟ قال: كان يضرب بالنعال و يزيد إذا أتى بالشارب ثمّ لم يزل الناس يزيدون حتّى وقف ذلک على ثمانين أشار بذلک علىّ عليه السّلام على عمر.

و نحوه خبر أبى بصير عنه عن أمير المؤمنين عليه السّلام معلّلا بأنه إذا شرب سكر و إذا سكر هذى و إذا هذى افترى فاذا فعل ذلک فاجلدوه حدّى المفترى ثمانين.

بل فى المسالک روى العامة و الخاصّة أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله كان يضرب الشارب بالأيدى و النعال و لم يقدّره بعدد فلمّا كان فى زمن عمر استشار أمير المؤمنين عليه السّلام فى حدّه فأشار عليه أن يضربه ثمانين معلّلا له بأنه إذا شرب سكر و إذا سكر هذى و إذا هذى افترى فجلده عمر ثمانين و عمل بمضمونه أكثر العامّة.

و ذهب بعضهم إلى أربعين مطلقا لما روى أنّ صحابة قد رووا ما فعل فى زمانه صلّى اللّه عليه و آله بأربعين و كان التقدير المزبور عن أمير المؤمنين عليه السّلام من التفويض الجائز لهم.

و من الغريب ما فى كتاب الإستغاثة فى بدع الثلاثة من أنّ حدّ الشارب

الثمانين من بدع الثانى، و أنّ الرسول صلى اللّه عليه و آله جعل حدّه أربعين بالنعال العرين و جرائد النخل باجماع أهل الرواية، و انّ الثانى قال: إذا سكر افترى و انه افترى حدّ حدّ المفترى، و فى كشف اللثام و لعلّه أراد إلزامهم باعترافهم كما فى الطرائف من قوله و من طريف ما شهدوا به أيضا على خليفتهم عمر من تغييره لشريعة نبيّهم صلى اللّه عليه و آله و قلّة معرفته بمقام الأنبياء و خلفائهم ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين من مسند أنس بن مالک فى الحديث الحادى و التسعين من المتفق عليه انّ النّبى ضرب فى الخمر بالجرائد و النعال و جلد أبو بكر أربعين فلمّا كان عمر استشار الناس فقال عبد الرّحمن أخفّ الحدود ثمانون فأمر به عمر.

و ذكر الحميدى أيضا فى كتاب الجمع بين الصحيحين فى مسند السائب بن يزيد فى الحديث الرابع من أفراد البخارى قال: كنّا نؤتى بالشارب على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و إمرة أبى بكر و شطر من خلافة عمر فنتقدّم إليه بأيدينا و نعالنا و ارديتنا حتّى كان آخر امرة عمر فجلد أربعين حتّى إذا عتوا و فسقوا جلد ثمانين.

ثمّ إنّ ظاهر النصّ و الفتوى اعتبار الثمانين مترتبة لكن فى خبر زرارة سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعلىّ عليه السّلام: اقض بينه و بين هؤلاء الّذين زعموا أنه شرب الخمر، قال: فأمر علىّ عليه السّلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة فصارت ثمانين.

و فى خبره الاخر سمعته أيضا يقول: اقيم عبيد بن عمر و قد شرب الخمر فأمر عمر أن يضرب فلم يتقدّم عليه أحد يضربه حتّى قام علىّ عليه السّلام بنسعة مثنية لها طرفان فضربه أربعين، و يمكن حملهما على جواز ذلک لمصلحة و اللّه العالم، و كيف كان فالمشهور بين الأصحاب شهرة عظيمة كادت تكون اجماعا أنه لا فرق فى الثمانين رجلا كان الشارب أو امرأة حرّا كان أو عبدا بل عن صريح الغنية و ظاهر غيرها الإجماع عليه، انتهى ما أردنا من نقل كلامه طيّب اللّه رمسه.

ثمّ قال عليه السّلام:(و كتاب اللّه يجمع لنا - إلى قوله: أولى بالطاعة) احتجّ عليه السّلام بايتين من القرآن الكريم على أولويّته من غيره فى أمر الخلافة و استنتج من

الاولى أولويّته بالخلافة بقرابته إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، و من الثانية أولويّته بالخلافة بطاعة الرسول و لا يخفى على اولى الألباب حسن استنباطه عليه السّلام هذا المعنى من القرآن الكريم.

كما لا يخفى عليهم أنّه عليه السّلام كان من أخصّ اولى الأرحام بالرسول صلى اللّه عليه و آله، و كان أقرب الخلق إلى اتباعه و ناهيک فى المقام قوله عليه السّلام: و لقد قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و انّ رأسه لعلى صدرى و لقد سالت نفسه فى كفّى فأمر رتها على وجهى و لقد وليت غسله صلى اللّه عليه و آله و الملائكة أعوانى فضجّت الدار و الأفنية ملأ يهبط و ملأ يعرج و ما فارقت سمعى هنيمة منهم يصلّون حتّى و ارايناه فى ضريحه فمن ذا أحقّ به منّى حيّا و ميّتا؟، كما مضى فى المختار 195 من باب الخطب، و قد مضت طائفة من كلامنا فى الإمام و صفاته فى شرح المختار 237 من باب الخطب فراجع (ص 35 - 176 ج 16).

ثمّ إنّه عليه السّلام أتى بعد آية اولى الأرحام بالاية الثانية لأنّ الأمر الأهمّ هو الإتباع و لولاه لا ينفع القرابة ألا ترى قوله عزّ و جلّ خطابا لنوح عليه السّلام فى أمر ولده: «انه ليس من أهلک انه عمل غير صالح».

ثمّ قال عليه السّلام:(و لمّا احتجّ المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة - إلى قوله:

على دعويهم) ثمّ احتجّ عليه السّلام على معاوية بما ظفر المهاجرون يوم السقيفة على الأنصار و ذلک أنّه قالت الأنصار يوم السقيفة للمهاجرين: منّا أمير و من قريش أمير و قال المهاجرون: نحن شجرة الرسول و عشيرته و رووا عنه صلى اللّه عليه و آله الأئمة من قريش فغلبوا بذلک على الأنصار (ص 1838 من تاريخ الطبرى) فاحتجّ أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام على معاوية بأنّ ظفرهم على الأنصار إن كان لقربهم منه صلى اللّه عليه و آله فالحقّ لنا، أى فالحقّ لأهل بيته، و من كان من أخصّ اولى الأرحام بالرسول و أقربهم إليه أولى بذلک الحقّ ، و إن كان بغيره فالأنصار على دعويهم أى لم يتمّ حجّة المهاجرين عليهم فلم يتحقّق إجماع الصحابة على خلافة من جعل خليفة المسلمين منذ قبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سيأتى عن قريب فى شرح هذا

الكتاب نحو احتجاجه هذا لمّا أتى به إلى أبى بكر للبيعة المنقول من كتاب الامامة و السياسة للدينورى.

و بالجملـة أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام احتجّ على معاوية بالكتاب العزيز أوّلا بأنّه مرّة أولى بالخلافة بقرابة الرسول صـلى اللّه عليه و آله و تارة أولى بها بالطاعـة، ثمّ احتجّ عليه بما غلب المهاجرون على الأنصار يوم السـقيفة بأنّ ظفر المهاجرين عليهم إن كان لقربهم من الرّسول صلى اللّه عليه و آله فهـو عليه السّلام أولى بالخلافـة من غيره لقربه من الرسـول بمـادريت، و إن كـان لغير القرابـة فلم يتمّ أمر الخلافـة فى الخلفاء الثلاث فما كتب معاويـة فى كتابه المنقول آنفا ليس بصـحيح لأنّه قال فى ذلک الكتاب: فكان أفضـلهم مرتبـة و أعلاهم عنـد اللّه و المسلمين منزلة الخليفة الأوّل الّذى جمع الكلمة - ثمّ الخليفة الثانى الّذى فتح الفتوح - ثمّ الخليفة الثالث المظلوم الّذى نشر الملّة - إلخ - فاذا كان الأنصار على دعويهم لم يتحقّق إجماع على خلافة هؤلاء.

على أنّ معاوية كان أجنبيّا من النّبى صلى اللّه عليه و آله و الأنصار كليهما بلا كلام فلا يجوز له دعوى الخلافة فليس لمثله حقّ فيها.

و قد مضى نحو كلامه عليه السّلام هذا فى المختار التاسع (ص 330 ج 17) حيث قال عليه السّلام: لأنّ اللّه جلّ ذكره لمّا قبض نبيّه صلى اللّه عليه و آله قـالت قريش: منّـا أمير و قالت الأنصار: منّا أمير فقالت قريش: منّا محمّـد رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فنحن أحقّ بـذلک الأمر فعرفت ذلک الأنصار فسـلمت لهم الولاية السلطان فاذا استحقّوها بمحمّد صلى اللّه عليه و آله دون الأنصار فانّ أولى النّاس بمحمّد صلى اللّه عليه و آله أحقّ بها منهم و إلاّ فانّ الأنصار أعظم العرب فيها نصيبا فلا أدرى أصحابى سلموا من أن يكونوا حقّى أخذوا أو الأنصار ظلموا عرفت أنّ حقّى هو المأخوذ - إلخ.

قلت: و من كلامه هذا يستفاد حمل قوله: و إن يكن بغيره فالأنصار على دعويهم، على أنّ دعويهم منّا أمير و منكم أمير بحالها، فانّهم أعظم العرب فيها نصـيبا فهم منعوا عن حقّهم ظلما، و هـذا وجه آخر فهم من كلامه هذا بقرينة كلامه ذلک، و إن كان يسـتلزم هذا الوجه المعنى الأوّل أيضا.

قال المسعودی فی مروج الذّهب: بایع النّاس أبا بکر فی سقیفة بنی ساعدة ابن کعب بن الخزرج الأنصاری فی یوم الاثنین الّذی توفّی فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و لمّا بویع أبو بکر فی یوم السقیفة و جددت البیعة له یوم الثلاثاء، خرج علیّ علیه السّلام فقال: أفسدت علینا امورنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقّا، فقال أبو بکر: بلی، و لکن خشیت الفتنة، و کان للمهاجرین و الأنصار یوم السقیفة خطب طویل و محادثة فی الإمامة، و خرج سعد بن عبادة و لم یبایع، و لم یبایع أبا بکر أحد من بنی هاشم حتّی ماتت فاطمة علیها السّلام.

قال: و لما احتضر أبو بکر قال: ما أنا إلاّ علی ثلاث فعلتها وددت أنّی ترکتها، و ثلاث ترکتها وددت أنّی فعلتها، و ثلاث وددت أنّی سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فأمّا الثلاث الّتی فعلتها و وددت أنّی ترکتها فوددت أنّی لم أکن فتشت بیت فاطمة و ذکر فی ذلک کلاما کثیرا، و وددت أنّی أکن حرقت الفجاءة و أطلقته نجیحا أو قتلته صریحا، و وددت أنّی یوم سقیفة بنی ساعدة قد رمیت الأمر فی عنق أحد الرجلین فکان أمیرا و کنت وزیرا، إلخ.

قلت: قد ذکر نحو کلام المسعودی فی مروج الذهب ابن عبد البرّ فی کتاب الاستیعاب حیث قال فی ترجمة أبی بکر: أنه بویع له بالخلافة الیوم الّذی قبض فیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی سقیفة بنی ساعدة، ثمّ بویع البیعة العامّة یوم الثلثاء من غد ذلک الیوم و تخلّف عن بیعته سعد بن عبادة، و طائفة من الخزرج، و فرقة من قریش. انتهی.

و نقل نحوهما غیر واحد من حملة الأخبار غیرهما و فیه دلیل بیّن علی اختلاف القوم فی بیعته و عدم توافقهم فی خلافته.

و قال الیعقوبی فی تاریخه: اجتمعت الأنصار فی سقیفة بنی ساعدة یوم توفّی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و هو بعد لم یغسل - إلی أن قال: و قام المنذر بن الأرقم فقال:

إنّ فیهم رجلا لو طلب هذا الأمر لم ینازعه فیه أحد - قال: یعنی علیّ بن أبی طالب - و جاء البراء بن عازب فضرب الباب علی بنی هاشم و قال: یا معشر بنی هاشم بویع أبو بکر، فقال بعضهم: ما کان المسلمون یحدّثون حدثا نغیب عنه و نحن أولی

بمحمّد صلى اللّه عليه و آله، فقال العبّاس: فعلوها و ربّ الكعبة.

قال: و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكّون فى علىّ عليه السّلام فلما خرجوا من الدار، قام الفضل بن العبّاس و كان لسان قريش فقال: يا معشر قريش إنّه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه و نحن أهلها دونكم و صاحبنا أولى بها منكم، و قام عتبة ابن أبى لهب فقال:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى الحسن

عن أوّل النّاس إيمانا و سابقة و أعلم النّاس بالقرآن و السنن

و آخر النّاس عهدا بالنبىّ و من جبريل عون له بالغسل و الكفن

من فيه ما فيهم لا يمترون به و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

فبعث إليه علىّ عليه السّلام فنهاه، و تخلّف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و مالوا مع علىّ بن أبى طالب منهم العبّاس بن عبد المطّلب، و الفضل بن العبّاس، و الزبير بن العوام بن العاص، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو، و سلمان الفارسىّ ، و أبو ذرّ الغفارىّ ، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب، و ابىّ ابن كعب. انتهى كلامه.

قلت: و من هنا سمّيت الطّائفة الحقّة الاثنا عشريّة بالرافضة كما قال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسى قدّس سرّه: من أنّ سبعة عشر رجلا من الصّحابة و مع علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام ثمانية عشر أبوا عن بيعة أبى بكر، فقال غيرهم ممّن بايعوا أبا بكر فى هؤلاء: رفضونا أى تركونا و لم يوافقونا فى البيعة.

و كان فيمن تخلّف عن بيعة أبى بكر أبو سفيان بن حرب، و قال: أرضيتم يا بنى عبد مناف أن يلى هذا الأمر عليكم غيركم، و قال لعلىّ عليه السّلام: امدد يدك ابايعك، و مضى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام لمعاوية: و قد كان أبوك أتانى حين ولى النّاس أبا بكر فقال: أنت أحقّ بعد محمّد صلى اللّه عليه و آله بهذا الأمر و أنا زعيم لك بذلك على من خالف عليك ابسط يدك ابايعك فلم أفعل، فراجع إلى شرح المختار التاسع (ص 331 ج 17 و ص 7 ج 18).

قوله عليه السّلام:(و زعمت أنّى لكلّ الخلفاء حسدت و على كلّهم بغيت - إلى قوله: ظاهر عنك عارها) هذا الفصل جواب عن قول معاوية: لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه، إلى قوله: ثمّ كرهت خلافة عمر و حسدته، إلى قوله: لم تكن أشدّ منك حسدا لابن عمّك عثمان إلى قوله: و ما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه و قال عليه السّلام فإن يكن ذلك كذلك أى لا نسلّم أوّلا على أنّى حسدت هؤلاء و أنت كاذب فى دعواك هذه.

أقول: قد مرّ تحقيق ذلك فى المختار 237 من باب الخطب فى البحث عن الامامة من أنّ جميع الذّنوب أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوة فهذه منفية عن الامام (فراجع إلى ص 44 ج 16).

و ثانيا على فرض التسليم و المماشاة معكم فى تلك الدعوى بأن تكون صادقا فيها فليس الجناية عليك حتّى أعتذر إليك و ذلك لما مرّ غير مرّة من أنّ معاوية لم يكن وليّ دم عثمان كى يطلب دمه بل كلامه فى ذلك من الفضول و خوض فيما لا يعنيه، على أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام كان يذبّ عنه حتّى قال عليه السّلام:

ما زلت أذبّ عن عثمان حتّى أنّى لأستحى، و قد دريت أنّ عثمان قتل نفسه بأحداثه الّتى أحدثها ممّا نقمها الناس منه و طعنوا بها عليه فراجع إلى شرحنا على المختار التاسع من باب الكتب (ص 395 ج 17)، و قد تمثّل عليه السّلام تأكيدا لكلامه ليس الجناية عليك فيكون العذر إليك بقول أبى ذؤيب الهذلى و قد تقدّم بيانه فى شرح اللغات على التفصيل.

ثمّ قد مضى نحو كلامه هذا فى المختار التّاسع من باب الكتب حيث قال عليه السّلام: و ذكرت حسدى الخلفاء و إبطائى عنهم و بغيى عليهم فأما البغى فمعاذ اللّه أن يكون، و أمّا الإبطاء عنهم و الكراهة لأمرهم فلست أعتذر منه إلى الناس - إلخ (ص 330 ج 17).

قوله عليه السّلام:(و قلت: إنّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع - إلى قوله: بقدر ما سنح من ذكرها) هذا الفصل جواب عن قول معاوية: و تلكّأت

فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار کما یساق الفحل المخشوش.

و کان کلام معاویة فی کتابه المنقول فی شرح المختار التاسع (ص 327 ج 17) إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام: فکان أفضلهم فی إسلامه و أنصحهم للّه و لرسوله الخلیفة من بعده و خلیفة خلیفته، و الثالث الخلیفة المظلوم عثمان فکلّهم حسدت و علی کلّهم بغیت، عرفنا ذلک فی نظرک الشزر و فی قولک الهجر و فی تنفّسک الصعداء و إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره.

و إنّما قال علیه السّلام: لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت، لأنّ قول معاویة: و تلکأت فی بیعته حتّی حملت علیه قهرا تساق بحزائم الاقتسار، کما یساق الفحل المخشوش، و کذا قوله: و فی إبطائک عن الخلفاء تقاد إلی کلّ منهم کما یقاد الفحل المخشوش حتّی تبایع و أنت کاره، اعتراف صریح بأنّ أمیر المؤمنین علیّا علیه السّلام بایعهم علی إجبارهم إیّاه، فلم یکن إجماع الامّة علی خلافة الثلاث فلم یتمّ خلافتهم فاعترف معاویة بظلمهم علیّا علیه السّلام و أنّه علیه السّلام کان مظلوما، و کان معاویة جعل خلافتهم عرضة لأغراضه الفاسدة سیما الثالث منهم کما لا یخفی فأراد معاویة أن یذمّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فمدحه، و أن یفضحه فافتضح هو نفسه بکلامه قال اللّه تبارک و تعالی: «وَ لا یَحِیقُ الْمَکْرُ السَّیِّئُ إِلاّ بِأَهْلِهِ » (فاطر 44).

ثمّ إنّ نحو هذا الإحتجاج وقع بین الأمیر علیه السّلام و بین أبی بکر و قد أتی به الطبرسی فی کتاب الاحتجاج قال: احتجاج أمیر المؤمنین علیه السّلام علی أبی بکر لمّا کان یعتذر إلیه من بیعة الناس له و یظهر الانبساط له، عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن جدّه علیهم السّلام قال:

لمّا کان من أمر أبی بکر و بیعة الناس له و فعلهم بعلیّ لم یزل أبو بکر یظهر له الانبساط و یری منه الانقباض فکبر ذلک علی أبی بکر و أحبّ لقاءه و استخرج ما عنده و المعذرة إلیه ممّا اجتمع الناس علیه و تقلیدهم إیّاه أمر الامّة و قلة رغبته فی ذلک و زهده فیه، أتاه فی وقت غفلة و طلب منه الخلوة فقال: یا أبا

الحسن و اللّه ما كان هذا الأمر عن مواطاة منّى و لا رغبة فيما وقعت عليه و لا حرص عليه و لا ثقة بنفسى فيما تحتاج إليه الامّة و لا قوّة لى بمال و كثرة العشيرة و لا استيشار به دون غيرى فما لک تضمّر علىّ ما لم أستحقّه منک، و تظهر لى الكراهة لما صرت فيه و تنظر إلىّ بعين الشناءة لى ؟.

قال: فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: فما حملک عليه إذ لم ترغب فيه و لا حرصت عليه و ثقت بنفسک فى القيام به ؟.

قال: فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله إنّ اللّه لا يجمع امّتى على ضلال و لمّا رأيت إجماعهم اتّبعت قول النّبىّ صلى اللّه عليه و آله و أحلت أن يكون إجماعهم على خلاف الهدى من الضلال فأعطيتهم قود الإجابة و لو علمت أنّ أحدا يتخلّف لامتنعت.

فقال علىّ عليه السّلام: أمّا ما ذكرت من قول النّبى صلى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه لا يجمع امّتى على ضلال أفكنت من الامّة أم لم أكن ؟ قال: بلى، قال: و كذلک العصابة الممتنعة عنک من سلمان و عمّار و أبى ذرّ و المقداد و ابن عبادة و من معه من الأنصار؟ قال: كلّ من الامّة، قال علىّ عليه السّلام: فكيف تحتجّ بحديث النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أمثال هؤلاء قد تخلّفوا و ليس للامّة فيهم طعن و لا فى صحبة الرسول و لصحبته منهم تقصير - إلى آخر الاحتجاج.

قال القاضى قدّس سرّه فى إحقاق الحقّ : إنّ إجماع الامّة بأجمعهم على امامة أبى بكر لم يتحقّق فى قت واحد و هذا واضح جدّا مع قطع النظر عن عدم حضور أهل البيت عليهم السّلام و سعد بن عبادة سيّد الأنصار و أولاده و أصحابه و لهذا طوى صاحب المواقف دعوى ثبوت خلافة أبى بكر بالإجماع و اكتفى فى إثباته بالبيعة - إلى أن قال:

فإنّ بنى هاشم لم يبايعوا أوّلا ثمّ قهروا فبايعوا بعد ستّة أشهر و امتنع علىّ عليه السّلام و لزم بيته و لم يخرج إليهم فى جمعة و لا جماعة إلاّ [إلى] أن وقع ما نقله أهل

الأحاديث و الأخبار و اشتهر كالشمس فى رابعة النهار حتّى أنّ معاوية بعث إلى علىّ عليه السّلام فى كتاب كتبه إليه يقول فيه: انک كنت تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى تبايع، يعيّره و يؤنّبه بأنّه لم يبايع طوعا و لم يرض ببيعة أبى بكر حتّى استكره عليها خاضعا ذليلا كالجمل إذا لم يعبر على قنطرة و شبهها فانه يكره و يخشّ بالرماح و غيرها ليعبر كرها.

فكتب إليه بالجواب عنه ما ذكر فى نهج البلاغة المتواتر نقله عنه عليه السّلام و هذا لفظه: و قلت: انّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى ابايع، و لعمر اللّه لقد أردت أن تذمّ فمدحت و أن تفضح فافتضحت و ما على المسلم من غضاضة فى أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكّا فى دينه أو مرتابا فى يقينه و هذه حجّتى إلى غيرک.

انتهى ما أردنا من نقل كلامه فى المقام.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام:(و ما على المسلم من غضاضة) أى ذلة و منقصة (فى أن يكون مظلوما) أى مغصوبا حقّه و هو الخلافة و الغاصب ظالم (ما لم يكن) المسلم المظلوم (شاكّا فى دينه و لا مرتابا بيقينه) فهو عليه السّلام يشير إلى أنّه كان على يقين و بصيرة فى دينه و لا يضرّه و لا يضلّه عدول الناس عن العدل و ميلهم إلى الجور و سيأتى كلامه عليه السّلام فى المختار 62 من هذا الباب: انّى و اللّه لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض كلّها ما باليت و لا استوحشت و إنّى من ضلالهم الّذى هم فيه و الهدى الّذى أنا عليه لعلى بصيرة من نفسى و يقين من ربّى و إنّى إلى لقاء اللّه و لحسن ثوابه لمنتظر راج - إلخ.

كما مضى نحو كلامه هذا فى المختار العاشر من باب الخطب: ألا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست على بصيرتى نفسى و لا لبّس علىّ - إلخ، و كذا فى المختار 135 من باب الخطب: و إنّ معى لبصيرتى ما لبّست و لا لبّس علىّ - إلخ.

و فى الحديث الثانى عشر من كتاب العقل و الجهل من اصول الكافى للكلينى قدّس سرّه روى بإسناد عن هشام بن الحكم قال: قال لى أبو الحسن موسى بن

جعفر عليه السّلام: يا هشام إنّ اللّه تبارک و تعالى بشّر أهل العقل و الفهم فى كتابه - إلى أن قال عليه السّلام: يا هشام ثمّ ذمّ اللّه الكثرة فقال: «وَ إِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ » و قال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ » و قال: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ».

يا هشام ثمّ مدح القلّة فقال: «وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ » و قال: «وَ قَلِيلٌ ما هُمْ » و قال: «وَ قالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ » و قال: «وَ مَنْ آمَنَ وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلاّ قَلِيلٌ » و قال: «وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ » و قال: «وَ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ » و قال: «و أكثرهم لا يشعرون» الحديث.

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام (و هذه حجّتى إلى غيرک قصدها و لكنّى أطلقت لک منها بقدر ما سنح من ذكرها) يعنى عليه السّلام أنّ بيعته عليه السّلام الخلفاء على إجبارهم إيّاه و إكراههم إيّاه حجّة عليهم لما دريت من احتجاجه عليه السّلام على أبى بكر المنقول آنفا من كتاب الاحتجاج، و من احقاق الحقّ ، و لما لم يكن معاوية فى أمر الخلافة فى شىء كما دريت آنفا من عدم كونه فى مظنّة الاستحقاق بل كان غير لائق له رأسا و كان أجنبيّا من النّبى و الأنصار كليهما و لم يكن له حظّ و شأن فيه أصلا قال عليه السّلام: و هذه حجّتى إلى غيرک - إلخ.

و بما قدّمنا و حقّقنا فى معنى قوله عليه السّلام: و قلت إنّى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش - إلخ، تعلم أنّ ما ذهب إليه الشارح البحرانى ليس كما ينبغى تركنا نقل كلامه مخافة التطويل و من شاء فليراجع إلى شرحه.

و لنذكر نبذة من كلام ابن قتيبة الدينورى فى إكراه القوم عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام للبيعة و إبايته البيعة فقال فى كتاب الإمامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء (ص 11 من طبع مصر):

ثمّ إنّ عليّا كرّم اللّه وجهه اتى به إلى أبى بكر و هو يقول: أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم لا ابايعكم و أنتم

أولى بالبيعة لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرابة من النّبى صلى اللّه عليه و آله، و تأخذونه منّا أهل البيت غصبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد منكم فأعطوكم المقادة، و سلّموا إليكم الإمارة و أنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حيّا و ميّتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون و إلاّ فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنک لست متروکا حتّى تبايع، فقال له علىّ : احلب حلبا لک شطره و اشدد له اليوم أمره يردده عليک غدا، ثمّ قال: و اللّه يا عمر لا أقبل قولک و لا ابايعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهک، فقال أبو عبيدة ابن الجرّاح لعلى كرّم اللّه وجهه: يا ابن عمّ إنّک حديث السنّ و هؤلاء مشيخة قومک، ليس لک مثل تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منک و أشدّ احتمالا و اضطلاعا به، فسلّم لأبى بكر هذا الأمر، فانّک إن تعش و يطل بک بقاء فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلک و دينک و علمک و فهمک و سابقتک و نسبک و صهرک.

فقال علىّ كرّم اللّه وجهه: اللّه اللّه يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد فى العرب عن داره و قعر بيعته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه فى الناس و حقّه فو اللّه يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به لأنا أهل البيت و نحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب اللّه الفقيه فى دين اللّه العالم بسنن رسول اللّه، المضطلع بأمر الرعيّة، المدافع عنهم الامور السّيئة القاسم بينهم بالسوية و اللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل اللّه فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصارى: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منک يا علىّ قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلف عليک اثنان.

قال: و خرج علىّ كرّم اللّه وجهه يحمل فاطمه بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله على دابّة ليلا فى مجالس الأنصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه قد

مضت بيعتنا لهـذا الرجل و لو أنّ زوجک و ابن عمک سـبق إلينا قبل أبی بکر ما عدلنا به، فيقول علیّ کرّم اللّه وجهه: أ فکنت أدع رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله فی بيته لم أدفنه و أخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما کان ينبغی له و لقد صنعوا ما اللّه حسيبهم و طالبهم.

قـال: و إنّ أبا بکر تفقـد قوما تخلّفوا عن بيعته عنـد علیّ ، فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم و هم فی دار علیّ فأبوا أن يخرجوا فـدعا بالحطب و قال: و الّذی نفس عمر بيده: لتخرجنّ أو لأحرقنّها علی من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة، فقال: و إن. فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّا فانّه زعمّ أنّه قـال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبی علی عاتقی حتّی أجمع القرآن فوقفت فاطمـة علی بابها فقالت: لا عهـد لی بقوم حضـروا أسوأ محضر منکم تركتم رسول اللّه صلی اللّه عليه و آله جنازة بين أيدينا و قطعتم أمركم بينکم، لم تستأمرونا و لم تردّوا لنا حقا.

فأتی عمر أبا بکر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنک بالبيعة ؟ فقال أبو بکر لقنفذ و هو مولی له: اذهب فادع لی عليّا، فذهب إلی علیّ فقال له: ما حاجتک ؟ فقال: يدعوک خليفة رسول اللّه، فقال علیّ : لسـريع ما كذبتم علی رسول اللّه فرجع فأبلغ الرسالة فبکی أبو بکر طويلا فقال عمر الثانيـة: لا تمهل هـذا المتخلّف عنک بالبيعة، فقال أبو بکر لقنفذ: عد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوک لتبايع، فجاءه قنفذ فأدّی ما امر به فرفع علیّ صوته فقال: سـبحان اللّه! لقد ادّعی ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبکی أبو بکر طويلا ثمّ قام عمر فمشی معه جماعة حتّی أتوا باب فاطمة فدّقوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلی صوتها: يا أبت يا رسول اللّه ما ذا لقينا بعدک من ابن الخطاب و ابن أبی قحافة.

فلمّا سـمع القوم صوتها و بکاءها انصـرفوا باكين و كادت قلوبهم تنصـدع و أكبادهم تنفطر و بقی عمر و معه قوم فأخرجوا عليّا فمضوا به إلی أبی بکر فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا و للّه الّذی لا إله إلاّ هو

تضـرب عنقـک، قال: إذا تقتلون عبـد اللّه و أخا رسوله، قال عمر: أمّا عبـد اللّه فنعم و أمّا أخو رسوله فلا، و أبو بکر ساکت لا یتکلّم، فقال له عمر: ألاـ تأمرک فیه بأمرک، فقال: لا أکرهه علی شـیء ما کانت فاطمـة إلی جنبه، فلحق علیّ بقبر رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله یصـیح و یبکی و ینادی یا ابن امّ إنّ القوم استضعفونی و کادوا یقتلوننی.

قال فقال عمر لأبی بکر: انطلق بنا إلی فاطمة فانا قد أغضـبناها فانطلقا جمیعا فاسـتأذنا علی فاطمة فلم تأذن لهما فأتیا علیّا فکلّماه فأدخلهما علیها فلمّا قعدا عندها حوّلت وجهها إلی الحائط فسـلّما علیها فلم تردّ علیهما السـلام فتکلّم أبو بکر فقال: یا حبیبة رسول اللّه و اللّه إنّ قرابة رسول اللّه أحبّ إلیّ من قرابتی، و إنک لأحبّ إلیّ من عائشـة ابنتی، و لوددت یوم مات أبوک أنّی متّ و لا أبقی بعده أ فترانی أعرفک و أعرف فضـلک و شـرفک و أمنعک حقک و میراثک من رسول اللّه إلاّ أنّی سمعت أباک رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله یقول: لا نورث ما ترکنا فهو صدقة فقالت: أرأیتکما إن حدّثتکما حدیثا عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله تعرفانه و تفعلان به ؟ قالا: نعم، فقالت:

نشـدتکما اللّه ألم تسـمعا رسول اللّه یقول: رضا فاطمـة من رضای، و سـخط فاطمة من سـخطی، فمن أحبّ فاطمة ابنتی فقد أحبّنی، و من أرضـی فاطمة فقد أرضانی، و من أسخط فاطمة فقد أسخطنی ؟ قالا: نعم سمعناه من رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله، قالت: فإنّی اشهد اللّه و ملائکته أنکما أسخطتمانی و ما أرضیتمانی، و لئن لقیت النّبی لأشکونکما إلیه، - إلی أن قال ابن قتیبة: فلم یبایع علیّ کرّم اللّه وجهه حتّی ماتت فاطمة رضی اللّه عنها و لم تمکث بعد أبیها إلاّ خمسا و سبعین لیلة إلخ.

قلت: إنّ کلام الأمیر علیه السّلام یا ابن امّ إنّ القوم استضـعفونی و کادوا یقتلوننی، اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ فیما جری بین موسی کلیم اللّه علیه السّلام و أخیه هارون و بین قومه الظالمین حیث قال عزّ من قائل: «وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسـی مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِیِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَ لَمْ یَرَوْا أَنَّهُ لا یُکَلِّمُهُمْ وَ لا یَهْدِیهِمْ سَبِیلاً اتَّخَذُوهُ وَ کانُوا ظالِمِینَ وَ لَمّا سُقِطَ فِی أَیْدِیهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ یَرْحَمْنا رَبُّنا وَ یَغْفِرْ لَنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ وَ لَمّا رَجَعَ مُوسـی إِلی قَوْمِهِ غَضْبانَ أَسِفاً قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِی مِنْ بَعْدِی أَ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّکُمْ وَ أَلْقَی الْأَلْواحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِیهِ یَجُرُّهُ إِلَیْهِ قالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِی وَ کادُوا یَقْتُلُونَنِی فَلا تُشْمِتْ بِیَ الْأَعْداءَ وَ لا تَجْعَلْنِی مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِأَخِی وَ أَدْخِلْنا فِی رَحْمَتِکَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ إِنَّ الَّذِینَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَیَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُفْتَرِینَ » (الأعراف: 149-153).

و انّما تذکّر علیه السّلام فی التجائه بقبر النّبی صـلی اللّه علیه و آله بهذه الایة لأنّه علیه السّلام کان من النّبیّ بمنزلة هارون من موسـی کما رواها الفریقان فی جوامعهم الروائیة و حدیث المنزلة من الأحادیث المتواترة و قد نقل المحدّث الخبیر الرّبانی السیّد هاشم البحرانی طیّب اللّه رمسه و أعلی مقامه فی الباب العشـرین من کتابه القیّم الموسوم بغایـة المرام و حجّة الخصام فی تعیین الإمام من طریق الخاص و العامّ مائة حدیث من طریق العامّة فی قول النّبی صـلی اللّه علیه و آله لعلیّ علیه السّلام: أنت منّی بمنزلة هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبیّ بعدی، و فی الباب الحادی و العشرین منه سبعین حدیثا من طریق الخاصّة فی ذلک.

فاذا کان لأمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام تلک المنزلة السامیة ففی استشهاده بالایة یظهر مطالب لاولی الدرایة فتأمّل فیما تلوناه علیک من الایات القرآنیة.

ثمّ إنّ کلام أبی بکر لفاطمـة علیها سـلام اللّه المتعال: انّی سـمعت أباک رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله یقول: لا نورث إلـخ، فیظهر ما فیه بالتأمّل فی ما أفاده العلاّمة الحلّی قدس سرّه فی کتابه الموسوم بکشف الحقّ حیث قال:

و من المطاعن الّتی رواها السنّة فی أبی بکر أنّه منع فاطمة ارثها فقالت له:

يا ابن أبى قحافة أترث أباک و لا أرث أبى، و احتجّ عليها برواية تفرّد بها هو عن جميع المسلمين مع قلّة رواياته و قلّة علمه و كونه الغريم لأنّ الصدقـة يحلّ عليه فقال لها: إنّ النّبى صـلى اللّه عليه و آله قال: نحن معاشـر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقـة، و القرآن مخالف لذلک فإنّ صريحه يقتضى دخول النّبى صلى اللّه عليه و آله فيه بقوله تعالى: «يُوصِيكُمُ اللّهُ »

ص:181

«فِی أَوْلادِکُمْ » و قـد نصّ علی أنّ الأنبیاء یورثون فقال اللّه تعالی «وَ وَرِثَ سُـلَیْمانُ داوُدَ » و قال عن زکریّا «وَ إِنِّی خِفْتُ الْمَوالِیَ مِنْ وَرائِی وَ کانَتِ امْرَأَتِی عاقِراً فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیًّا یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ ».

و نـاقض فعله أیضا بهـذه الروایـة لأنّ أمیر المؤمنین و العبّاس اختلفا فی بغلـة رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله و سـیفه و عمامته و حکم بها میراثا لأمیر المؤمنین علیه السّلام و لو کانت صدقـة علی علیّ علیه السّلام کان یجب علی أبی بکر انتزاعها منه، و لکان أهل البیت الّذین حکی اللّه تعالی عنهم بأنه طهّرهم تطهیرا مرتکبین ما لا یجوز، نعوذ باللّه من هذه المقالات الردّیة و الإعتقادات الفاسدة.

و أخذ فدک من فاطمة و قد وهبها أباها رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فلم یصدّقها مع أنّ اللّه تعالی طهّرها و زکّاها و استعان بها النّبی صلی اللّه علیه و آله فی الـدّعاء علی الکفّار علی ما حکی اللّه تعالی و أمره بـذلک فقال له: «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَنا وَ أَنْفُسَکُمْ » فکیف یأمره اللّه تعالی بالاسـتعانة و هو سـیّد المرسـلین بابنته و هی کاذبة فی دعواها غاصـبة لمال غیرها نعوذ باللّه من ذلک.

فجاءت بأمیر المؤمنین علیه السّلام و شهد لها فلم یقبل شهادته قال: إنّه یجرّ إلی نفسه و هذا من قلّة معرفته بالأحکام، و مع أنّ اللّه تعالی قد نصّ فی آیـة المباهلة أنه نفس رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله فکیف یلیق بمن هو بهذه المنزلة و اسـتعان به رسول اللّه صـلی اللّه علیه و آله بأمر اللّه تعالی فی الدّعاء یوم المباهلة أن یشهد بالباطل و یکذب و یغصب المسلمین أموالهم نعوذ باللّه من هذه المقالة.

و شهد لها الحسنان علیهما السّلام فردّ شهادتهما و قال: هذان ابناک لا أقبل شهادتهما لأنهما یجرّ ان نفعا بشهادتهما، و هذا من قلّة معرفته بالأحکام مع أنّ اللّه تعالی قـد أمر النّبیّ صـلی اللّه علیه و آله بالاسـتعانة بدعائهما یوم المباهلة فقال: «أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ » و حکم رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بأنهما سـیّدا شـباب أهل الجنّة فکیف یجامع هذا شـهادتهما بالزور و الکذب و غصب المسلمین حقّهم نعوذ باللّه من ذلک.

ثمّ جاءت بامّ أیمن فقال: امرأة لا یقبل قولها: مع أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: امّ

أيمن امرأة من أهل الجنّة فعند ذلک غضبت علیه و علی صاحبه و حلفت أن لا تکلّمه و لا صاحبه حتّی تلقا أباها و تشکو له فلمّا حضرتها الوفاة أوصت أن تدفن لیلا و لا یدع أحدا منهم یصلّی علیها و قد رووا جمیعا أنّ النّبی صلی اللّه علیه و آله قال: یا فاطمة إنّ اللّه یغضب لغضبک و یرضی لرضاک، انتهی کلامه قدس سرّه فی المقام.

قوله علیه السّلام:(ثمّ ذکرت ما کان من أمری و أمر عثمان - إلی قوله علیه السّلام:

و ما توفیقی إلاّ باللّه علیه توکّلت) هذا الفصل جواب عن قول معاویة: ثمّ لم تکن أشدّ منک حسدا لابن عمک عثمان - إلی قوله: و تلک من أمانی النّفوس و ضلالات الهواء.

و اعلم أنّ احتجاجه هذا علی معاویة فی أمر عثمان یتّضح لک بعد استحضارک ما قدّمنا من الطبری و غیره من قوله علیه السّلام: ما زلت أذبّ عن عثمان حتّی أنّی لأستحی، و قوله علیه السّلام: و اللّه لقد دفعت عنه حتّی خشیت أن أکون آثما، و ما قدّمنا من نصح أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام عثمان و طلبه قعوده فی البیت، فراجع إلی ص 183 و ص 203 و ص 311 و ص 325 من ج 16. و ص 395 من ج 17، و ص 3 من ج 18.

قوله علیه السّلام:(حتّی أتی قدره علیه) أی حتّی أتی قتله المقدّر له.

و قوله علیه السّلام:(کلاّ و اللّه لقد علم اللّه المعوّقین منکم - إلخ) إشارة إلی قوله عزّ و جلّ فی أوائل سورة الأحزاب: «قَدْ یَعْلَمُ اللّهُ الْمُعَوِّقِینَ مِنْکُمْ وَ الْقائِلِینَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَیْنا وَ لا یَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاّ قَلِیلاً أَشِحَّةً عَلَیْکُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَیْتَهُمْ یَنْظُرُونَ إِلَیْکَ تَدُورُ أَعْیُنُهُمْ کَالَّذِی یُغْشی عَلَیْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوکُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَی الْخَیْرِ أُولئِکَ لَمْ یُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّهُ أَعْمالَهُمْ وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیراً».

و هی من الایات الّتی نزلت فی الأحزاب الّذین حاربوا رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی غزوة الخندق و کان من الأحزاب قریش و کان قائدهم أبو سفیان بن حرب کما نصّ به حملة الأخبار منهم أبو جعفر الطبری فی التاریخ (ص 1465 ج 3 من

طبع ليدن) و ابن هشام فى السيرة النّبوية (ص 215 ج 2)، و كاتب الواقدى محمّد ابن سعد فى الطبقات الكبرى (ص 66 ج 2 من طبع مصر) حيث قال: فكان جميع القوم الّذين وافوا الخندق ممّن ذكر من القبائل عشرة آلاف و هم الأحزاب و كانوا ثلاثة عساكر و عناج الأمر إلى أبى سفيان بن حرب - إلى آخر ما قال.

و المعوّقون هم الّذين يعوّقون أى يمنعون غيرهم عن الجهاد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و غزوة الأحزاب أى غزوة الخندق مذكورة فى كتب التفاسير فى سورة الأحزاب، و فى كتب المغازى و السير فراجع إلى مغازى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله للواقدى (ص 290 من طبع مصر) و إلى السيرة النّبوية لابن هشام (ص 214 ج 2 من طبع مصر) و إلى تاريخ الطبرى، و الطبقات الكبرى لابن سعد، حتّى يتبيّن لک ما فعلت الشجرة الملعونة بنو اميّة بالإسلام و المسلمين.

قوله عليه السّلام:(و ذكرت أنه ليس لى و لا لأصحابى إلاّ السيف - إلخ) هذا الفصل جواب عن قول معاوية: و ليس لک و لأصحابک عندى إلاّ السيف - إلخ.

و قد مضى نحوه فى الكتاب التاسع، فأجابه بقوله (فلقد أضحكت بعد استعبار) و ذلک أنّ تهديد معاوية لمّا كان فى غير محلّه لأنّ مثل تخويفه أمير المؤمنين عليه السّلام بالسيف كصبىّ يخوّف بطلا محاميا قال عليه السّلام: لقد أضحكت، أى أضحكت غيرک من المؤمنين بتخويفک، و لمّا كان تصرّفه فى امور الدّين ممّا يبكى المؤمنين قال عليه السّلام: بعد استعبار، أى بعد استعبارک أهل الدّين بما يرون منک فى دين اللّه.

و قوله عليه السّلام:(من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان)اقتباس من قول اللّه عزّ و جلّ :«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »(التوبة:100).

و ذرّية بدريّة أى الّذين هم من ذرارى أهل بدر، و أخو معاوية، هو حنظلة ابن أبى سفيان و خاله وليد بن عتبة و جدّه عتبة بن ربيعة و أهله أتباعه، و مضى نحو كلامه هذا فى الكتاب العاشر: فأنا أبو حسن قاتل جدّک و خالک و أخيک شدخا

يوم بدر و ذلک السيف معى و بذلک القلب ألقى عدوّى، و سيأتى نحوه فى الكتاب الرابع و السّتين: و عندى السيف الّذى أعضضته بجدّک و خالک و أخيک فى مقام واحد.

قوله عليه السّلام:(و ما هى من الظالمين ببعيد) أراد بالظالمين معاوية و أتباعه، و هو بعض آية من قوله تعالى فى قصّة قوم لوط : «فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّکَ وَ ما هِيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ » (هود: 84) و هو عليه السّلام ذكر فى هذا الكتاب عدّة آيات لا يخفى مناسبة كلّ واحدة منها لموردها.

و معنى سائر الجمل واضح إلاّ أنّه عليه السّلام أخبر عن نفسه و عن الجحفل من المهاجرين و الأنصار و التابعين بأنّ أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربّهم و إنّما يليق فى المقام أن نبحث عن لقاء اللّه تعالى، و لنا بفضله سبحانه رسالة منفردة فى لقاء اللّه أرى الاتيان بها ههنا و درجها فى هذا الشرح أولى من أن تطبع و تنشر على حدة فاطلبها بعد الترجمة.

الترجمة

اين يكى از نامه هاى بسيار خوب أمير عليه السّلام است كه بمعاويه نوشت:

أمّا بعد: نامه ات بمن رسيده در آن گفتى: خداى تعالى پيمبر را براى دينش برگزيد و ياورانش را يارى كرد، روزگار أمر شگفتى از تو بر ما پوشيده داشت كه آزمون خدا را و نعمت وجود پيمبر را بما گزارش مى دهى، در اين كار برنده خرما به هجرى، يا آنكه استاد تيراندازيش را به كارزار بخواند مانى.

پنداشتى كه برترين مردم در اسلام فلانى و فلانى است، اگر راست است بتو چه، و اگر نه عيب آن دامن گيرت نشود، تو را با فراتر و فروتر، و با تدبير و بى تدبير چه كار، آزادشدگان و فرزندانشان را چه رسد به تميز ميان مهاجرين أوّل، و ترتيب درجات و تعريف طبقاتشان، تيرى رها شد كه از جنس تيرهاى ديگر نبود، حرف بيجائى از دهن نا أهل در آمد، و در آن امور كسى دارد زبان

درازی میکند که دستور او فرمان بردن است.

آیا بر لنگی خود ایست نمی کنی، و آرام نمی گیری، و کوتاه دستیت را نمی دانی که در حدّ خود باشی و تجاوز نکنی، شکست و پیروزی این و آن بتو چه تو در گمراهی بسر می بری و از راستی بدری.

نمی خواهم که بتو خبر دهم و با تو سخن بگویم ولی نعمت خدای تعالی را بازگو می کنم که می گویم: مگر نمی بینی که چون از مهاجرین کسی شهید می شد - و البتّه برای هر یک فضلی است - یکی سیّد الشهداء بود که پیغمبر صلی اللّه علیه و آله بر جنازه اش هفتاد تکبیر بگفت ؟ و دیگری که دستهایش بریده شد او را طیّار گفتند که با دو بال در بهشت پرواز می کرد، و اگر خدای تعالی از خودستائی باز نمی داشت هر آینه فضائل کسی را می شنیدی که دلهای با إیمان بدانها آشنایند و شنونده ای انکار آنها نتواند کرد.

دست بردار از کسانی که گول دنیا خورده اند و از راه راست بدر رفتند ما برگزیدگان خدای خودیم و مردم برگزیدگان ما، آمیزش در زندگی با شما ما را از عزّت دیرین باز نداشته و شما را بزرگ نکرده، چه پیمبر از ما است، و أبو سفیان مکذّب از شما، حمزهٔ أسد اللّه از ما است، و أسد الأحلاف - کسانی که هم پیمان شدند برای کشتن پیمبر در جنگ بدر - از شما، حسن و حسین بزرگان جوانان أهل بهشت از ما، و عقبة بن أبی معیط پدر فرزندان دوزخی از شما، بهترین زنان روزگار فاطمه از ما است، و حمّالة الحطب زن أبو لهب از شما، و دیگر خوبیها و نکوئی ها که ما را است، و بدیها و زشتیها که شما را.

از اسلام ما که شنیدید و آگاهید، در زمان جاهلیّت هم روزگار ما را نیالود، و مهتر و بهتر همه بودیم، و کتاب خدا این پایه را بما داده که با پیمبرش به کریمهٔ اولو الأرحام وابسته، و به آیت إنّ أولی النّاس نزدیکیم، پس ما بحکم آیهٔ نخستین بقرابت به پیمبر سزاواریم، و بایهٔ دوّم بطاعت.

چون مهاجرین در روز سقیفه به رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله بر أنصار احتجاج کردند بر آن پیروز شدند، پس اگر به پیمبر پیروز شدند حق با ما است نه با شما، و اگر نه که

أنصار بر دعوای خود باقیند.

پنداشتی که من بر خلفا حسد بردم، و بر آنان ستم کردم، اگر این طور است به تو چه، دخل و ربطی به تو ندارد که از آنان بیگانه ای.

و گفتی: مرا چون شتر مهار کرده برای بیعت بردند، خواستی از این گفتارت مرا نکوهش کنی ستودی، و خواستی رسوایم کنی رسوا شدی، خواری برای مسلمانی که مظلوم گردد ولی در دینش و در یقینش دو دل نباشد نیست.

این سخنانم حجّت بر دیگرانست، روی سخنم با تو نیست، پارهٔ از آنها پیش آمد و گفتم.

سپس در کار من و عثمان حرف بمیان آوردی تو باید از جانب او در این باره پاسخ گوئی، پس بنگر که کدام یک از من و تو به کشتن او اقدام و راهنمائی کردیم آیا آن کسی که دستش را می گرفت و یاریش می کرد، و از بدعتها و بدیهایش بازش می داشت ؟ یا آنکه عثمان چون وی را بیاریش خواست سر باز زد، و دیگران را بر او بشورانید؟ نه بخدا که خدای متعال از خودداری کنندگان شما و کسانی که به برادرانشان گفتند بیائید بسوی ما و به کارزار نرفتند مگر اندکی، دانا است.

عذرخواهی نمیکنم از این که عثمان را از بدعتهایش باز می داشتم و کارهای ناروایش را تقبیح می کردم، حال اگر هدایت و إرشاد گناه است و موجب سرزنش می شود چه بسا سرزنش شده بیگناه است، و آنکه نخواهد نپذیرد از گفتار ناصح گمان بد می برد، و من تا آنجا که در قدرتم بود جز اصلاح نخواستم و توفیق از خدا خواهم و بس، و توکّلم با او است.

دیگر این که از شمشیر بیم داده ای، از این سخنت گریان را بخنده آوردی کی فرزندان عبد المطّلب از دشمن روی گردان بودند و از شمشیر ترسان، اندکی درنگ کن تا حمل شیر نر بکارزار در آید، که آن گاه کسی بگیردت که تو او را می خواستی، و بتو نزدیک می شود مرگی که از آن دوری می جستی.

و من با لشکری بزرگ از مهاجر و أنصار و تابعین باحسان شتابان بسوی تو

رهسپاریم، لشکر سخت أنبوهی که گرد سوارانش فضا را فرا گرفت و خود لباس مرگ در بر کرده اند بهترین دیدارشان دیدار خدایشان است، با آنان فرزندان و دودمان سربازان سلحشور و جنگاور روز بدرند، در دست آن پهلوانان شمشیر بنی هاشم است همان شمشیرهائی که در جنگ بدر بر سر برادر و دائی و جدّ و دودمانت فرود آمد، که آماده اند بر سر ستمکاران دیگر فرود آیند.

رسالة منفردة فی لقاء الله تعالی

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحیم حمدا لک یا من شرّف أولیاءه بلقائه، و کرّم أحبّاءه بالعکوف علی فنائه سبحانک یا من انتجب أسرار أهله لرؤیة جماله، و احتجب عن أبصار خلیقته بحجاب جلاله، صلّ اللّهمّ علی مظهرک الأتم، و جامع الکلم و الحکم، المنزل علیه ما یهدی للّتی هی أقوم، و آله خیر الوری و أعلام الهدی و من اتّبع هدیهم من اولی النّهی.

و بعد فیقول العبد الراجی لقاء ربّه الکریم نجم الدّین حسن بن عبد اللّه الطبری المدعوّ بحسن زاده الاملی بلغه اللّه و جمیع المؤمنین إلی آمالهم، و رزقهم نعمة لقائه: یا أهل الوداد و السّداد! و طالبی الهدایة و الرشاد، یا إخوان الصفاء و خلاّن الوفاء، إلی متی و حتّی متی جاز لنا الحرمان عن حرم الحبّ ، و الخذلان فی غیابة الجبّ ؟ و ما لنا ألاّ نسیر إلی نواحی القدس ؟ و لا نطیر إلی ریاض الانس ؟ أو ترون أنّا خلقنا عبثا، أو ترکنا سدی ؟ نأکل و نتمتّع کالأنعام السائمة، غافلین عن لقاء اللّه عزّ و جلّ إلی أن یدرکنا الأجل، و یلهینا الأمل ؟ کلاّ و حاشاکم عن هذا الظنّ و إنّ بعض الظنّ إثم «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ ».

خلیلیّ نحن نیام فی فراش الغفلة، و قد أدبرت العاجلة و أقبلت الاخرة إنّ هؤلاء یحبّون العاجلة و یذرون ورائهم یوما ثقیلا، یوما عبوسا قمطریرا، یوما

كان شرّه مستطيرا.

قد أتى يوم تبلى فيه السرائر، و ما زرع فى الأوّل يحصد فى الاخر، فانظروا بما أسلفتم فى الأيّام الخالية، و اقرءوا ألواح أنفسكم تخبركم عن غدكم و أمسكم و رمسكم.

و استمع ما ذا يقول برهان السالكين و إمام المتقين و قائد الغرّ المحجّلين علىّ أمير المؤمنين: احذروا عباد اللّه الموت و نزوله، و خذوا له فإنّه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شرّ أبدا، و شرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها، و من أقرب إلى النار من عاملها.

ليس أحد من النّاس تفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أىّ المنزلتين يصير إلى الجنّة أم إلى النّار؟ أعدوّ هو للّه أم ولىّ له ؟ فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنّة و شرع له طريقها، و نظر إلى ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فيها فرغ من كلّ شغل، و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوّا فتحت له أبواب النّار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعدّ اللّه لأهلها و استقبل كلّ مكروه.

و اعلموا عباد اللّه أنّ ما بعد اليوم أشدّ و أدهى: نار قعرها بعيد، و حرّها شديد، و عذابها جديد، و مقامعها حديد، و شرابها صديد، لا يفتر عذابها، و لا يموت ساكنها، دار ليس للّه سبحانه فيها رحمة، و لا يسمع فيها دعوة.

فطوبى لمن انتبه عن النّوم و تشمّر الذيل لتدارک اليوم، ثمّ طوبى لمن راقب سرّه عمّا سوى اللّه و ما طالب إلاّ القرب منه و لقاءه و رضاه، فإنّا امرنا ألاّ نعبد إلاّ إيّاه و لا نطلب إلاّ إيّاه، فوحّد اللّه سبحانه بصدق السريرة حتّى ترى بعين البصيرة أن لا هو إلاّ هو و لا إله إلاّ هو، فأينما تولّوا فثمّ وجه اللّه، و هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن، و هو معكم أينما كنتم.

خليلىّ إنّى لأستحيى من نفسى فضلا عن غيرى بأن أقول: هذه رسالة عملتها يداى فى لقاء اللّه تعالى، كيف لا و أنّى لهذا المطرود عن صفّ النعال، بل المردود عن الباب أن يأتى فيه بكتاب ؟ و هل هذا إلاّ الخروج عن الزّىّ ؟ و لا يخرج

عنه إلاّ البذىّ .

قال أفلاطن الالهىّ : إنّ شاهق المعرفة أشمخ من أن يطير إليه كلّ طائر و سرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كلّ سائر، (الفصل الرابع من شرح رسالة زينون الكبير اليونانى تلميذ ارسطاطاليس، للمعلم الثانى أبى نصر الفارابى ص 8 من طبع حيدرآباد الدكن).

و قال الشّيخ الرئيس أبو على سينا فى آخر النمط التاسع من الإشارات فى مقامات العارفين: جلّ جناب الحقّ عن أن يكون شريعة لكلّ وارد أو يطّلع عليه إلاّ واحد بعد واحد.

و قال أبو الفتح يحيى بن حبش بن أميرک الملقّب شهاب الدّين السهروردى الحكيم المقتول: الفكر فى صورة قدسيّة يتلطف بها طالب الأريحيّة، و نواحى القدس دار لا يطأها القوم الجاهلون و حرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السماوات فوحّد اللّه و أنت بتعظيمه ملاىن، و اذكره و أنت من ملابس الأكوان عريان، و لو كان فى الوجود شمسان لا نطمست الأركان و أبى النظام أن يكون غير ما كان (نقلنا كلامه من تاريخ ابن خلّكان) و قال العارف السنائى:

بار توحيد هر كسى نكشد طعم توحيد هر خسى نچشد

و قال العارف الرومى:

ياد او اندر خور هر هوش نيست حلقهٔ او سخرهٔ هر گوش نيست

و بالجملة هذا المحروم بقصور باعه مقرّ، فى إقراره مصرّ، و على نفسه بصير، و بأمره خبير، يفوه من شدّة الخجل أخفى من الهمس، و يبوه من كثرة الوجل كعليل دان حلوله فى الرّمس و يقول:

جز تو ما را هواى ديگر نيست جز لقاى تو هيچ در سر نيست

اين ره است و دگر دوم ره نيست اين در است و دگر دوم در نيست

دلگشاتر ز محضر قدست محضر هيچ نيک محضر نيست

جانفزاتر ز نفحهٔ انست نفحهٔ مشک و عود و عنبر نيست

ص:191

خوشتر از گفته تو گفتاری بهتر از دفتر تو دفتر نیست

دفتری بیکرانه دریائی کاندرو هر خسی شناور نیست

نرسد تا بسرّ گفتارت دست جانی اگر مطهّر نیست

بهر وصف صفات نیکویت در همه دهر یک سخنور نیست

آنچه را گفته اند و می گویند از هزاران یکی مقرّر نیست

کرمک شب فروز بی پا را قدرت وصف مهر خاور نیست

هر چه و هر که را که می بینم در حریم تو جز که مضطر نیست

نبود ذرّه ای که در کارش تحت فرمان تو مسخّر نیست

آنچه از صنع تو پدید آمد خیر محض است و خردلی شر نیست

در همه نقش بو العجب که بود وین عجب نقطه ای مکرر نیست

یار و دلدار و شاهد و معشوق هر چه گویند جز تو دلبر نیست

ره نیابد بسویت آنکه درو تیر عشقت نشسته تا پر نیست

بسری شور عشقت ار نبود بحقیقت دم است و آن سر نیست

دل که از نور تو ندیده فروغ تیره جانی بود منوّر نیست

برضای تو سالک صادق هر چه پیش آیدش مکدّر نیست

کانچه آمد مقدّر است همان و آنچه کو نامده مقدّر نیست

سالک راه را ره آوردی جز خموشی و فکر آخر نیست

عاشق تشنه وصالت را خبر از هر چه هست یکسر نیست

بهر راز و نیاز درگاهت تن او را نیاز بستر نیست

با تو محشور هم در امروز است انتظارش بروز محشر نیست

آتشی کو فتاده در جانش عین نار اللّه است و أخگر نیست

عاشقی کار شیر مردانست سخرهٔ کودکان معبر نیست

اوفتادن در آتش سوزان جز که در عهدهٔ سمندر نیست

آنچه عاشق کند تماشایش ای برادر به دیدهٔ سر نیست

ص:192

لذّة خلوت شبانهٔ او در گل قند و شهد و شکّر نیست

مزهٔ بادهٔ حضورش در چشمهٔ سلسبیل و کوثر نیست

آنچه اندر حضور می یابد خامه در شرح او توانگر نیست

عوض گریهٔ سحرگاهش گر بگوید امید باور نیست

لاجرم آن سعید فرزانه در پی تاج و تخت و افسر نیست

هست ایمان باللّهش سدّی که چنو صد سد سکندر نیست

بهتر از لا إله إلاّ اللّه هیچ حصنی و برج و سنگر نیست

اندرین کشور بزرگ جهان جز خدای بزرگ داور نیست

کشتی ممکنات عالم را جز که نام خدای لنگر نیست

آنچه پنهان و آشکار بود جز که مجلای یار و مظهر نیست

نیست جز او زدار و من فی الدّار نی که همسنگ او و همسر نیست

قائل و قیل و قولی و قالا جز که اطوار قول مصدر نیست

زین مثل آنچه بایدش گفتن گفتم و بیش ازین میسّر نیست

ای که دوری ز گلشن عشّاق جانت از بوی خوش معطّر نیست

ای که غافل ز حال خویشتنی گویمت چون تو کوری و کر نیست

گر بدی کرده ای ز خود میدان گنه مهر و ماه و أختر نیست

تو بهشت خودی و دوزخ خود جز که نفس تو مار و أژدر نیست

مسلم همدم هوا و هوس مشرکست و باسم کافر نیست

آن شکم پرور است حیوانی گر چه نامش حمار و أستر نیست

ای که خو کرده ای به نادانی این ره مردمان بافر نیست

آدمی را درین سرای سپنج جز بدانش جمال و زیور نیست

علم آب حیات جان باشد بهر تحصیل سیم یا زر نیست

رو پی مصطفی شوی بوذر فیض حقّ وقف خاص بوذر نیست

تو در آ از حجاب نفسانی تا که بینی هر آنچه مبصر نیست

ص:193

آخر ای دوستان بخود رحمی کافرینش به لاف و تسخر نیست

حسن نجم آملی طبعش چشمهٔ حکمت است و دیگر نیست

ثمّ أقول: لا ریب أنّ الاقتحام فی ذلک المشـهد العظیم فوق شأن هـذا المسـکین الّـذی لم یذق حلاوة ذکر اللّه و لم یتنعّم بنعمة المراقبة و الحضور و لم یخرج من سـجن الدّنیا الدنیّة و من ظلمة دار الغرور، إلی عالم النور و السرور، یا حسرتی علی ما فرّطت فی جنب اللّه، و للّه درّ الشاعر قائلا:

خلق اللّه للحروب رجالا و رجالا لقصعة و ترید

و لکن کما قیل: ألق فی الدّلاء دلوک نشـیر إلی عدّة آیات و روایات و أدعیة و أذکار و مطالب رشیقة أنیقة من کبار تنبیها للغافلین و أنا منهم، و تذکرة للمستبصـرین، فنقول: قد بحثنا عن رؤیته تعالی فی شـرحنا علی المختار الثامن من کتب أمیر المؤمنین علیه السّلام من النهج (ص 242 - إلی 323 ج 17) لکنّ ذلک البحث کان طورا، و هـذا البحث طور آخر، و إن کان أحدهما یعاضد الاخر، و قد أشـرنا هنا لک إلی هذا المطلب الأسنی أعنی البحث عن لقاء اللّه أیضا إجمالا فإن شئت قلت إنّ هذا البحث مکمّل ذلک.

اعلم أنّ القرآن الکریم قد نطق فی مواضع کثیرة بلقائه تعالی فنأتی بها لأنّها شفاء و رحمة للمؤمنین:

1 - «فَمَنْ کانَ یَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا یُشْرِکْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الکهف).

2 - «قَدْ خَسِرَ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِلِقاءِ اللّهِ حَتّی إِذا جاءَتْهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا یا حَسْرَتَنا عَلی ما فَرَّطْنا فِیها وَ هُمْ یَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلی ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما یَزِرُونَ » (الأنعام: 32).

3 - «ثُمَّ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ تَماماً عَلَی الَّذِی أَحْسَنَ وَ تَفْصِیلاً لِکُلِّ شَیْ ءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ یُؤْمِنُونَ » (الأنعام: 155).

4 - «إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ » (يونس: 8).

5 - «اَللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ » (الرعد: 3).

6 - «مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (العنكبوت: 6).

7 - «أَ وَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما إِلاّ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ لَكافِرُونَ » (الروم: 9).

8 - «اَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ أَ إِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ كافِرُونَ » (الم السجدة: 8-11).

9 - «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ » (آخر فصّلت، حم السجدة).

10 و 11 - «إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا وَ رَضُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَ اطْمَأَنُّوا بِها وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آياتِنا غافِلُونَ أُولئِكَ مَأْواهُمُ النّارُ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ لِلنّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنا فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ » (يونس: 8-12).

12 - «وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى »

«إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ » (یونس: 16).

13 – «وَ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْنَا الْمَلائِکَةُ أَوْ نَری رَبَّنا لَقَدِ اسْتَکْبَرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتُوًّا کَبِیراً » (الفرقان: 22).

14 – «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالاً اَلَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَةِ وَزْناً » (الکهف: 106).

15 – «وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ اللّهِ وَ لِقائِهِ أُولئِکَ یَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی وَ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ » (العنکبوت: 24).

16 – «وَ اسْتَعِینُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ وَ إِنَّها لَکَبِیرَةٌ إِلاّ عَلَی الْخاشِعِینَ اَلَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَیْهِ راجِعُونَ » (البقرة: 47).

17 – «قالَ الَّذِینَ یَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللّهِ کَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِیلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً کَثِیرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِینَ » (البقرة: 250).

18 – «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ إِنِّی لَکُمْ نَذِیرٌ مُبِینٌ » – إلی قوله: «وَ یا قَوْمِ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مالاً إِنْ أَجرِیَ إِلاّ عَلَی اللّهِ وَ ما أَنَا بِطارِدِ الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ لکِنِّی أَراکُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ » (هود: 30).

19 – «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا اللّهَ ذِکْراً کَثِیراً وَ سَبِّحُوهُ بُکْرَةً وَ أَصِیلاً هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلائِکَتُهُ لِیُخْرِجَکُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ وَ کانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً کَرِیماً » (الأحزاب: 45).

20 – «یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ » (الإنشقاق: 7).

21 – «رَفِیعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِیُنْذِرَ یَوْمَ التَّلاقِ یَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا یَخْفی عَلَی اللّهِ مِنْهُمْ شَیْءٌ لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » (المؤمن، غافر: 18).

22 – «وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلی رَبِّها ناظِرَةٌ » (القیامة: 24).

23 – «وَ لا تَطْرُدِ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَیْکَ »

«مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ وَ ما مِنْ حِسابِکَ عَلَیْهِمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَکُونَ مِنَ الظّالِمِینَ » (الأنعام: 53).

24 - «وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَیْناکَ عَنْهُمْ » - الایة (الکهف: 29).

25 - «وَ الَّذِینَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ » - الایة (الرعد: 23).

26 و 27 - «فَآتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ وَ الْمِسْکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیلِ ذلِکَ خَیْرٌ لِلَّذِینَ یُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ » - الایة، «وَ ما آتَیْتُمْ مِنْ زَکاةٍ تُرِیدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ » (39 و 40 الروم).

28 - «فَأَنْذَرْتُکُمْ ناراً تَلَظّی لا یَصْلاها إِلاَّ الْأَشْقَی اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّی وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی اَلَّذِی یُؤْتِی مالَهُ یَتَزَکّی وَ ما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزی إِلاَّ ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلی وَ لَسَوْفَ »، (آخر سورة اللیل).

و اعلم أنّ غیر واحد من المفسّرین ذهبوا فی تفسیر لقاء اللّه إلی لقاء العبد ثواب أعماله أو عقابها و نحوهما، و هذا الرأی کأنّما نشأ من توهّم القوم اللقاء بمعنی الرؤیة بالأبصار و لا یدرکه الأبصار و هو یدرک الأبصار و هو اللطیف الخبیر، فلمّا فهموا من اللقاء هذا المعنی احتاجوا إلی تقدیر الثواب أو العقاب، أو حمل اللّقاء علی معنی آخر یناسب ما توّهموه، و لکن ما مالوا إلیه و هم و لیس اللقاء إلاّ الرؤیة القلبیّة کما قال أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام فی جواب حبر قال له: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربّک حین عبدته ؟ فقال علیه السّلام: ویلک ما کنت أعبد ربّا لم أره، قال: و کیف رأیته ؟ قال: ویلک لا تدرکه العیون فی مشاهدة الأبصار و لکن رأته القلوب بحقائق الإیمان، و قال علم الهدی فی الغرر و الدّرر (ص 150 ج 1): أتی أعرابیّ أبا جعفر محمّد بن علی علیه السّلام فقال له: هل رأیت ربّک حین عبدته، نحو الخبر المذکور إلی آخره.

و قد فسّرنا هذا الحدیث فی شرحنا علی المختار الثامن من باب الکتب من النهج و قد بیّنّا هناک أنّ ما یتبادر إلی الأذهان من معنی الرؤیة و نحوها هو

الرؤيـة بـالعين و ذلـک للالف بالمحسوسات و الحشـر معها، و أمّا السـير إلى باطن هـذه النشأة و السـفر إليه و ادراک ما عبّى فى كلام اللّه المتعال و سفرائه و وجدانها من الدقائق و اللطائف فلا يتيسّر إلاّ لواحد بعد واحد.

كما دريت أيضا أنّ الرؤيـة القلبيّـة به تعالى هى الكشف الحضوريّ و شـهوده تعالى للعبـد على مقدار تقرّبه منه تعالى بقدم المعرفة و درج معارف العقل، فراجع إلى المجلّد السابع عشر من ص 308، إلى 323.

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لا يراه الناظرونا

و قلت فى قصيدتى التوحيديّة:

آنچه عاشق كند تماشايش اى برادر بديدهٔ سر نيست

و لا نعنى من اللّقاء الرؤيـة بكنهه تعالى فإنّ معرفته بالاكتناه لا يتيسّـر لما سواه و ذلک لأنّ المعلول لا يرى علّته إلاّ بمقدار سـعة وجوده، و المعلول ظلّ علّته و عكسـها و الظلّ مرتبة ضعيفة من ذيه و لذا قالوا إنّ العلم بالعلّة من العلم بالمعلوم علم بها من وجه يعنى أنّه علم ناقص بالعلّة بقدر ظرف المعلول سعة و ضيقا، لا يحيطون به علما و عنت الوجوه للحىّ القيّوم.

و قد أفاد فى ذلک فيلسوف العرب يعقوب بن إسـحاق الكندى رحمة اللّه عليه بقوله: إذا كانت العلّة الاولى متّصـلة بنا لفيضه علينا و كنّا غير متّصـلين به إلاّ من جهته فقـد يمكن فينا ملاحظته على قـدر ما يمكن للمفاض عليه أن يلاحظ المفيض فيجب أن لا ينسب قـدر إحاطته بنا إلى قدر ملاحظتنا له لأنّها أغزر و أوفر و أشدّ استغراقا.

و نعم ما أفاد، للّه درّه، و لا يخفى على اولى النّهى أنّ هذا الكلام سام بعيد الغور.

و ما أجاد قول المحقّق العارف أفضل الدّين الكاشى فى المقام:

گفتم همه ملک حسن سرمايهٔ تست خورشيد فلک چو ذرّه در سايهٔ تست

گفتا غلطى ز ما نشان نتوان يافت از ما تو هر آنچه ديده اى پايهٔ تست

و تبصّر ممّا قدّمنا أنّه ما من موجود إلاّ و هو علم الحقّ تعالى لأنّ علمه بما سواه حضورى إشراقى، لم يعزب عن علمه مثقال ذرّة.

و أفاد العلامة الشّيخ البهائى فى شرح الحديث الثانى من كتابه الأربعين:

المراد بمعرفة اللّه تعالى الإطّلاع على نعوته و صفاته الجلالية و الجماليّة بقدر الطاقة البشرية، و أما الإطّلاع على حقيقة الذات المقدّسة فممّا لا مطمع فيه للملائكة المقرّبين و الأنبياء المرسلين فضلا عن غيرهم، و كفى فى ذلک قول سيّد البشر صلى اللّه عليه و آله: ما عرفناک حقّ معرفتک، و فى الحديث إنّ اللّه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و إنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم.

فلا تلتفت إلى من يزعم أنّه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدّسة بل احث التراب فى فيه فقد ضلّ و غوى و كذب و افترى فإنّ الأمر أرفع و أطهر من أن يتلوّث بخواطر البشر، و كلّما تصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ، و أقصى ما وصل إليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق و ما أحسن ما قال:

آنچه پيش تو غير از آن ره نيست غايت فهم تست اللّه نيست

بل الصفات الّتى تثبتها له سبحانه إنّما هى على حسب أو هامنا و قدر أفهامنا فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة و هو تعالى أرفع و أجلّ من جميع ما نصفه به.

و فى كلام الإمام أبى جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال: كلّما ميّزتموه بأوهامكم فى أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم و لعل النّمل الصغار تتوهّم أنّ للّه تعالى زبانيتين فإنّ ذلک كمالها، و تتوهّم أنّ عدمهما نقصان لمن لا يتّصف بهما و هكذا حال العقلاء فيما يصفون اللّه تعالى به.

انتهى كلامه صلوات اللّه عليه و سلامه.

قال بعض المحقّقين - يعنى به المولى الجلال الدوانى -: هذا كلام دقيق رشيق أنيق صدر من مصدر التّحقيق و مورد التّدقيق، و السرّ فى ذلک أنّ التكليف

إنّما يتوقّف على معرفة اللّه بحسب الوسع و الطاقة، و إنّما كلّفوا أن يعرفوه بالصـفات الّتى ألفوها و شاهدوها فيهم مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها إليهم.

و لما كان الإنسان واجبا بغيره عالما قادرا مريدا حيّا متكلّما سـميعا بصـيرا كلّف بأن يعتقد تلك الصـفات فى حقّه تعالى مع سلب النقائص الناشـئة عن انتسابها إلى الإنسان بأن يعتقـد أنه تعالى واجب لذاته لا بغيره، عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات و هكذا فى سائر الصـفات، و لم يكلّف باعتقاد صـفة له تعالى لا يوجـد فيه مثالها و مناسـبها، و لو كلّف به لما أمكنه تعقّله بالحقيقة، و هذا أحد معانى قوله عليه السّلام: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، انتهى كلامه.

و اعلم أنّ تلك المعرفة الّتى يمكن أن تصل إليها أفهام البشـر لها مراتب متخالفة و درج متفاوتة، قال المحقّق الطوسـى طاب ثراه فى بعض مصـنفاته: إنّ مراتبها مثل مراتب معرفة النار مثلا فإنّ أدناها من سـمع أنّ فى الوجود شـيئا يعدم كلّ شـىء يلاقيه، و يظهر أثره فى كلّ شـىء يحاذيه، و أىّ شـىء اخذ منه لم ينقص منه شىء و يسمّى ذلک الموجود نارا، و نظير هذه المرتبة فى معرفة اللّه تعالى معرفة المقلّدين الّذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجّة.

و أعلى منها مرتبـة من وصل إليه دخان النار و علم أنّه لا بـدّ له من مؤثّر فحكم بـذات لها أثر هو الـدّخان، و نظير هذه المرتبة فى معرفة اللّه تعالى معرفة أهل النظر و الإستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع.

و أعلى منها مرتبة من أحسّ بحرارة النار بسـبب مجاورتها و شاهد الموجودات بنورها و انتفع بذلک الأثر، و نظير هذه المرتبة فى معرفة اللّه تعالى سبحانه معرفة المؤمنين الخلّص الّذين اطمأنّت قلوبهم باللّه و تيقّنوا أنّ اللّه نور السموات و الأرض كما وصف به نفسه.

و أعلى منها مرتبة من احترق بالنّار بكليّته و تلاشـى فيها بجملته، و نظير هذه المرتبة فى معرفة اللّه تعالى معرفة أهل الشهود و الفناء فى اللّه و هى الدرجة العليا و المرتبة القصوى رزقنا اللّه الوصول إليها و الوقوف عليها بمنّه و كرمه، انتهى

ص:200

كلامه أعلى اللّه مقامه، هذا آخر ما أردنا من نقل ما أتى به العلاّمة الشّيخ البهائى طاب ثراه فى المقام.

و معنى قوله – ره –: «فإنّا نعتقد اتّصافه سبحانه بأشرف طرفى النقيض بالنظر إلى عقولنا القاصرة» أنّ العقل ينظر إلى الحياة و عدمها و هما نقيضان فيرى أنّ الحياة أشرف من الموت فيعتقد باتّصافه سبحانه بها فيقول: إنّه حىّ ، و ينظر إلى العلم و نقيضه الجهل فيعتقد باتّصافه تعالى بالأشرف منهما فيقول: انه عالم و هكذا.

و معنى كلام الدوانى: «و لم يكلّف باعتقاد صفة له تعالى لم يوجد فيه مثالها و مناسبها» يعلم من كلامنا الاتى فى أسماء اللّه المستأثرة إنشاء اللّه تعالى.

و بالجملة أنّ ما يفهم الناس فى مقام خطابهم اللّه تعالى و ندائهم إيّاه هو ما يجده أهل المعرفة و يسمّون ذلک الوجدان بالكشف و الشهود.

قال العلامة الشّيخ البهائى قدس سره فى الكشكول (ص 416 من طبع نجم الدولة): العارف من أشهده اللّه تعالى صفاته و أسماءه و أفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود، و العالم من اطّلعه اللّه على ذلک لا عن شهود بل عن يقين.

و من ذاق هذه الحلاوة و التذّ بتلک اللّذة و تنعّم بتلک النعمة فقد فاز فوزا عظيما، و هذا الوجدان الشهودى الحضورى الحاصل لأهله يدرک و لا يوصف و هو طور وراء طور العقل يتوصّل إليه بالمجاهدات الكشفيّة دون المناظرات العقلية.

و لا ـ يقدر أهله أن يقرّره لغيره على النحو الّذى أدركه، و لا ـ يعدله لذّة و لا ـ ابتهاج، و انظر إلى قول ولىّ اللّه المتعال الإمام أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام رواه ثقة الإسلام الكلينى فى الكافى باسناده عن جميل بن دراج عنه عليه السّلام قال:

لو يعلم الناس ما فى فضل معرفة اللّه تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهرة الحياة الدّنيا و نعيمها و كانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطئونه بأرجلهم، و لنعموا بمعرفة اللّه تعالى، و تلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء اللّه، إنّ معرفة اللّه انس من كلّ وحشة، و صاحب من كلّ وحدة و نور من كلّ ظلمة، و قوّة من كلّ ضعف، و شفاء من كلّ سقم، قال: قد كان قبلكم

قوم يقتلون و يحرقون و ينشرون بالمناشير، و تضيق عليم الأرض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلک بهم و لا أذى ممّا نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا باللّه العزيز الحميد، فسلوا ربّكم درجاتهم و اصبروا على نوائب دهركم، (باب ثواب العالم و المتعلم من المجلّد الأوّل من الوافى ص 42).

ثمّ إنّ التوغّل فى عالم الطبيعة الّذى هو عالم الكثرة و الشتات صار حجابا للمتوغّلين فيه و لو خلصوا منه و أقبلوا إلى ما هو الحقّ الأصيل و عرفوا معنى التوحيد و الفناء فيه و صاروا موحّدين على النهج الّذى قال عزّ من قائل: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » (الحديد: 4) بلا تنزيه محض و تشبيه باطل لارتفع الخلاف و النزاع بينهم، و لما شاجروا أهل المعرفة فى ما يجدونه و يرونه قائلين: ما كنّا نعبد ربّا لم نره.

كما أنّ من لم يقدر الجمع بين الجمع و التفرقة إذا سمع من الفائزين به ينكره كلّ الإنكار.

و إذا تفوّه فان فى التوحيد بقوله: ليس فى الدّار غيره ديار، أو ليس الدّار و من فى الدّار إلاّ هو، أو أنّ اللّه كلّ الأشياء أو نحوها من العبارات تقوّل عليه من لم يدرک فهم كلامه بعض الأقاويل و لم يعلم أنّ سببه إنما هو تراكم عروق سبل الجهل المركب الناشئة من التقليدات الراسخة المانعة له عن ذلک الإدراک.

بل كثيرا ما نرى أصاغر لا يبالون بما يقولون إذا سمعوا من متألّه أنّ الوجود واحد لا تعدّد فيه و الوجود هو اللّه تعالى أسندوه إلى الكفر و الإلحاد و الزندقة و لم يعلموا أنّ نفى الوجود الحقيقىّ عن الأشياء ليس قولا بأنّ كلّ شيء هو اللّه و ليس قولا بالإتّحاد و قد نقل طود العلم و التّقى العارف المتألّه المولى ميرزا جواد آقا الملكىّ التبريزى أعلى اللّه تعالى درجاته فى كتابه القيّم المعمول فى لقاء اللّه تعالى حكاية بقوله:

حكى أنّ حكيما كان فى أصبهان و كان من دأبه أنّه إذا حضر وقت غذائه يرسل خادمه يشترى له و لمن كان عنده كائنا من كان غذاء يأكل معه، و اتّفق فى يوم أن جاءه واحد من طلاّب البلد لحاجة وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه:

اشتر لنا غذاء نتغذّى و ذهب الخادم و اشترى لهما غذاء و أحضره، قال الحكيم للفاضل:

بسم اللّه، تعال، نتغذى، قال الشّيخ: أنا لا أتغذّى، قال: تغذّيت ؟ قال: لا، قال:

لم لا تتغذّى و أنت ما تغذّيت بعد؟! قال: احتاط أن آكل من غذائكم، قال:

ما وجه احتياطک ؟ قال: سمعت أنّک تقول بوحدة الوجود و هو كفر و لا يجوز لى أن آكل من طعامک معک لأنّه ينجس من ملاقاتک، قال: ما فرضت أنت معنى وحدة الوجود و حكمت بكفر قائله ؟ قال: من جهة أنّ القائل به قائل بأنّ اللّه كلّ الأشياء و جميع الموجودات هو اللّه، قال: أخطأت تعال تغذّ لأنّى قائل بوحدة الوجود و لا أقول بأنّ جميع الأشياء هو اللّه لأنّ من جملة الأشياء جنابک و أنا لا أشکّ فى كونک بدرجة الحمار أو أخسّ منها فأين القول بإلهيتک ؟! فلا احتياط و لا إشكال تعالى تغذّ انتهى.

و قلت: قدر أى حكيم ناسكا جاهلا فى يده سبحة يذكر الحكماء واحدا بعد واحد و يلعنهم فقال له: لما ذا تلعنهم و ما أوجب لعنهم ؟ قال: لأنهم قائلون بوحدة واجب الوجود، فتبسّم الحكيم ضاحكا من قوله فقال له: أنا أيضا قائل بوحدة واجب الوجود فاشتدّ الناسک غضبا فقال: اللهمّ العنه.

و اعلم أنّ البحث عن وحدة الوجود تارة يتوهّم أنّ الوجود شخص واحد منحصر بفرد هو الواجب بالذّات و ليس لمفهوم الوجود مصداق آخر، و غيره من الموجودات كالسماء و الأرض و النبات و الحيوان و النفس و العقل خيالات ذلک الفرد أى ليس سوى ذلک الفرد شىء و هذه الموجودات ليست أشياء اخرى غيره كماء البحر و أمواجه حيث إنّ تلک الأمواج المختلفة فى الكبر و الصغر ليست إلاّ ماء البحر، إلاّ أنّ اختلاف الأمواج و كثرتها يوهم أنّها موجودات بحيالها غير الماء فهذا التوهم مخالف لكثير من القواعد العقليّة الحكميّة الرصينة المبانى، لأنّه يوجب نفى عليّة الحقّ و معلوليّة الممكنات حقيقة و عدم افتقار الممكنات رأسا، بل يوجب نفيها أصلا، و بالجملة أنّ مفاسدها كثيرة عقلا و شرعا و لم يتفوّه به أحد من الحكماء المتألهين و العرفاء الشامخين و نسبته إليهم

اختلاق كبير و إفک عظيم.

على أنّ الاثار المختلفة المتنوّعة المشهورة من أنواع الموجودات حسّا و عيانا تردّ هذا الوهم و تبطله و تنادى بأعلى صوتها أنّها مولود من فطانة بتراء.

قال صدر المتألّهين فى مبحث العلّة و المعلول من الأسفار (الفصل 27 من المرحلة الرابعة فى اثبات التكثّر فى الحقائق الإمكانية ص 190 ج 1 من الرحلى و ص 318 ج 2 من الطبع الجديد):

إنّ أكثر الناظرين فى كلام العرفاء الالهيّين حيث لم يصلوا إلى مقامهم و لم يحيطوا بكنه مرامهم ظنّوا أنه يلزم من كلامهم فى إثبات التوحيد الخاصى فى حقيقة الوجود و الموجود بما هو موجود وحدة شخصيّة أنّ هويّات الممكنات امور اعتبارية محضة و حقائقها أوهام و خيالات لا تحصل لها إلاّ بحسب الإعتبار حتّى أنّ هؤلاء الناظرين فى كلامهم من غير تحصيل مرامهم صرّحوا بعدميّة الذوات الكريمة القدسيّة و الأشخاص الشريفة الملكوتيّة كالعقل الأوّل و سائر الملائكة المقرّبين و ذوات الأنبياء و الأولياء و الأجرام العظيمة المتعدّدة المختلفة بحركاتها المتعدّدة المختلفة جهة و قدرا و آثارها المتفنّنة و بالجملة النظام المشاهد فى هذا العالم المحسوس و العوالم الّتى فوق هذا العالم مع تخالف أشخاص كلّ منها نوعا و تشخّصا و هويّة و عددا و التّضاد الواقع بين كثير من الحقائق أيضا.

ثمّ إنّ لكلّ منها آثارا مخصوصة و أحكاما خاصّة و لا نعنى بالحقيقة إلاّ ما يكون مبدأ أثر خارجى و لا نعنى بالكثرة إلاّ ما يوجب تعدّد الأحكام و الاثار فكيف يكون الممكن لا شيئا فى الخارج و لا موجودا فيه.

و ما يتراءى من ظواهر كلمات الصوفيّة أنّ الممكنات امور اعتباريّة أو انتزاعيّة عقليّة ليس معناه ما يفهم منه الجمهور ممّن ليس له قدم راسخ فى فقه المعارف و أراد أن يتفطّن بأغراضهم و مقاصدهم بمجرّد مطالعة كتبهم كمن أراد أن يصير من جملة الشعراء بمجرّد تتبّع قوانين العروض من غير سليقة يحكم باستقامة الأوزان او اختلالها عن نهج الوحدة الإعتداليّة.

ص:204

فانّک إن کنت ممّن له أهليّة التفطّن بالحقائق العرفانيّة لأجل مناسبة ذاتية و استحقاق فطرى يمكنک أن تتنبّه ممّا أسلفناه من أنّ كلّ ممكن من الممكنات يكون ذا جهتين: جهة يكون بها موجودا واجبا لغيره من حيث هو موجود و واجب لغيره و هو بهذا الإعتبار يشارک جميع الموجودات فى الوجود المطلق من غير تفاوت، و جهة اخرى بها يتعيّن هويّتها الوجودية و هو اعتبار كونه فى أىّ درجة من درجات الوجود قوّة و ضعفا كمالا و نقصا فإنّ ممكنيّة الممكن إنما ينبعث من نزوله عن مرتبة الكمال الواجبى و القوّة الغير المتناهية و القهر الأتم و الجلال الأرفع و باعتبار كلّ درجة من درجات القصور عن الوجود المطلق الّذى لا يشوبه قصور و لا جهة عدميّة و لا حيثيّة امكانيّة يحصل للوجود خصائص عقليّة و تعيّنات ذهنيّة هى المسمّات بالمهيّات و الأعيان الثابتة فكلّ ممكن زوج تركيبى عند التحليل من جهة مطلق الوجود و من جهة كونه فى مرتبة معيّنة من القصور، إلى آخر ما أفاد قدّس سرّه.

و قال الحكيم السبزوارى رضوان اللّه عليه فى بيانه: المغالطة نشأت من خلط الماهيّة بالهوية و اشتباه الماهيّة من حيث هى بالحقيقة و لم يعلموا أنّ الوجود عندهم أصل فكيف يكون الهويّة و الحقيقة عندهم اعتباريّا، أم كيف يكون الجهة النورانيّة من كلّ شىء الّتى هى وجه اللّه و ظهوره و قدرته و مشيّته المبينة للفاعل لا ـ للمفعول اعتباريّا، تعالى ذيل جلاله عن علوق غبار الإعتبار، فمتى قال العرفاء الأخيار أولو الأيدى و الأبصار: إنّ الملک و الفلک و الإنسان و الحيوان و غيرها من المخلوقات اعتبارية، أرادوا شيئيات ماهياتها الغير المتأصّلة عند أهل البرهان و عند أهل الذوق و الوجدان و أهل الإعتبار ذهب أوهامهم إلى ماهياتها الموجودة بما هى موجودة أو إلى وجوداتها حاشاهم عن ذلک بل هذا نظر عامى منزّه ساحة عزّ الفضلاء عن ذلک.

نظير ذلک إذا قال: الإنسان مثلا وجوده و عدمه على السّواء أو مسلوب ضرورتى الوجود و العدم أراد بشيئيّة ماهية الإنسان و نحوه أنها كذلک و ظنّ

العامی الجاهل أنه أراد الانسان الموجود فی حال الوجود أو بشرط الوجود و لم یعلم أنّه فی حال الوجود و بشرطه محفوف بالضرورتین و لیست النسبتان متساویتین و لا جائزتین إذ سلب الشیء عن نفسه محال و ثبوت الشیء لنفسه واجب، بل لو قیل: بأصالة الماهیّة فالماهیّة المنتسبة إلی حضرة الوجود أصلیّة عند هذا القائل لا الماهیّة من حیث هی فإنّها اعتباریّة عند الجمیع، و قول الشّیخ الشبستری: تعیّنها امور اعتباریست، ینادی بما ذکرناه.

و بما حقّقناه علمت أنّ ما توهّمه بعض من أنّ الوجود مع کونه عین الواجب و غیر قابل للتجزّی و الانقسام قد انبسط علی هیاکل الموجودات و ظهر فیها فلا یخل منه شیء من الأشیاء بل هو حقیقتها و عینها و إنما امتازت و تعیّنت بتقیّدات و تعیّنات و تشخّصات اعتباریّة، و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صورة الأمواج المتکثرة مع أنه لیس هناک إلاّ حقیقة البحر فقط ، لیس علی ما ینبغی بل وهم، اللهمّ إلاّ أن یقال: إنّ مراده من قوله: و یمثل ذلک بالبحر و ظهوره فی صورة الأمواج المتکثرة لیس محمولا علی ظاهره بل المراد شدّة افتقار ما سواه تعالی به فانّ الکلّ قائم به کالأمواج بالبحر مثلا، أو نحو هذا المعنی.

و تارة یعقل من الوحدة الدایرة فی ألسنتهم الوحدة السنخیّة لا الوحدة الشخصیّة المذکورة بمعنی أنّ أعلی مرتبة الوجود کالأوّل تعالی متحد مع أدنی مرتبته و أضعف الموجودات کالجسم و الهیولی فی سنخ أصل حقیقة الوجود و التفاوت و التمایز إنما فی الشدّة و الضعف و النقص و الکمال و عظم درجة الوجود و صغرها و تفاوت شئون الوجود من الحیاة و العلم و القدرة و نحوها، و بالجملة أنّ ما به الامتیاز عین ما به الإتّفاق و أهل الحکمة یسمّون هذا المعنی بالوحدة السنخیّة، و الاشتراک المعنوی فی الوجود، و هذا رأی الفهلویین من الحکماء نظمه المتألّه السبزواری قدّس سرّه فی غرر الفرائد بقوله:

الفهلویون الوجود عندهم حقیقة ذات تشکّک تعم

مراتبا غنی و فقرا تختلف کالنور حیثما تقوی و ضعف

ص:206

و هذا الرأى لا ينافى أمرا من الامور العقليّة، و لا المبانى الشرعيّة، بل ذهب أكثر المحقّقين إلى أنّ صدور المعلول من العلّة إنّما يصحّ على هـذا المبنى، لأنّ الموجودات لو كانت حقائق متبائنـة كما اسـند إلى طائفـة يسـتلزم مفاسـد كثيرة منها عدم كون ما سوى اللّه تعالى آياته و علاماته لأنّ السـنخيّة بين العلّـة و المعلول حكم عقلى لا يشوبه ريب، و ذلک لأنّ الشـىء لا يصـدر عنه ما يضادّه و لا يثمر ما يباينه و إلاّ يلزم أن لا يكون وجود العلّـة حدّا تامّا لوجود معلولها، و لا وجود المعلول حدّا ناقصا لوجود علّته، كما يلزم أن لا يكون حينئذ العلم بالعلّة مستلزما للعلم بالمعلول، و الكلّ كما ترى.

و أمّـا هؤلاء الطائفـة فظاهر الكلام الحكيم المتألّه السبزوارى قـدّس سـرّه الشـريف فى الغرر هم المشاءون كلّهم حيث قال: و الوجود عند طائفـة مشّائيّـة من الحكمـاء حقائق تباينت، و الـدائر فى ألسـنة كثير ممّن عاصـرناهم كـذلک أيضا، و لكن صـريح كلام ابن تركه فى كتاب التمهيد فى شرح رسالة قواعد التوحيد: أنّ مذهب المشاءين فى هذه المسألة التشكيک، حيث قال فى شرح كلام المصنّف تركة:

«ثمّ إنّ الوجود الحاصل للماهيات المختلفة و الطّبايع المتخالفة - إلخ»:

أقول: هذا دليل على بطلان القول بالتشكيک الّذى هو مبنى قواعد المشاءين فى هذه المسألة و عمدة عقائدهم. انتهى ما أردنا من نقل كلامه (ص 48 طبع ايران 1351).

و لا يخفى عليک أنّ كلام ابن تركه يبائن كلام السبزوارى، و لا يبعد أن يقال: إنّ مراده من طائفة مشائية بعضهم و اللّه سبحانه أعلم.

و ثالثة يعقل من الوحدة الوحدة الشخصـيّة غير الوجه الأوّل الباطل بل بمعنى أنّ الوجود واحد كثير، أى إنّه مع كونه واحدا بالشخص كثير و تلک الكثرة و التعدّد و اختلاف الأنواع و الاثار لا تنافى وحدته لأنّ الوحدة من غاية سعتها و إحاطتها بما سواها تشمل على جميع الكثرات الواقعية، و الوجود حقيقة واحدة و لها وحدة لا تقابل الكثرة و هى الوحدة الذاتية، و كثرة ظهوراتها و صورها لا تقدح

فى وحدة ذاتها.

و يعبّرون عن هذا المعنى بالوحدة فى عين الكثرة، و الكثرة فى عين الوحدة، و يمثّلونه بالنفس الناطقة الإنسانيّة لأنّ كلّ إنسان شخص واحد بالضرورة، قال عزّ من قائل: «ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ » (الأحزاب: 4) و النّفس النّاطقة مع أنّها واحدة بالشخص هى عين جميع قواها الظاهرة و الباطنة و تلک القوى مع كونها كثيرة هى عين النّفس النّاطقة الواحدة بالشخص.

فالنّفس بالحقيقة هى العاقلة المتوهّمة المتخيّلة الحسّاسة المحرّكة المتحرّكة و غيرها و هى الأصل المحفوظ فى القوى لا قوام لها إلاّ بها، قال المتألّه السبزوارى فى بعض تعاليقه على كتابه غرر الفرائد: و الحقّ أنّ وجود النّفس ذا مراتب و أنها الأصل المحفوظ فيها و أنّ كلّ فعل لأيّة قوّة تنسب فى الحقيقة فعلها بلا مجاز وجدانىّ ، و هذا ذوق أرباب العرفان، قال الشّيخ العربى فى فتوحاته:

النّفس النّاطقة هى العاقلة و المفكّرة و المتخيّلة و الحافظة و المصوّرة و المغذية و المنمية و الجاذبة و الدّافعة و الهاضمة و الماسكة و السامعة و الباصرة و الطاعمة و المستنشقة و اللاّمسة و المدركة لهذه الامور، فاختلاف هذه القوى و اختلاف الأسماء ليست بشىء زائد عليها، بل هى عين كلّ صورة هذا كلامه.

فأنوار المراتب المسمّاة بالقوى كلّها فانية فى نور النّفس النّاطقة، و التنزيه الّذى يراعيه الحكماء إنّما هو لئلاّ يقف الأذهان فى مراتب جسمها و جسمانيّتها كأذهان الطباعيّة و العوام و هو يرجع إلى تنزيه مرتبة منها هى أعلى مراتبها و هى المسمّاة بذاتها، و البواقى اشراقاتها المتفاضلة، انتهى كلامه – قدّه.

قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى الأسفار: إنّ النّفس الإنسانيّة ليس لها مقام معلوم فى الهويّة و لا لها درجة معيّنة فى الوجود كسائر الموجودات الطبيعيّة و النفسيّة و العقليّة الّتى كلّ له مقام معلوم، بل النّفس الانسانيّة ذات مقامات و درجات متفاوتة، و لها نشئات سابقة و لاحقة، و لها فى كلّ مقام عالم و صورة اخرى.

و بيان هذا القول المنيع الشـريف يطلب من كتابه فى المبدأ و المعاد حيث قال فيه (ص 282): الوحدة الشخصيّة فى كلّ شىء ليست على وتيرة واحدة و درجة واحدة فإنّ الوحدة الشخصـيّة فى الجواهر المجرّدة حكمها غير الوحدة الشخصـيّة فى الجواهر المادّية، فإنّ فى الجسم الواحد الشخصـى يسـتحيل أن يجتمع أوصاف متضادّة و أغراض متقابلة من السواد و البياض و السـعادة و الشقاوة و اللذّة و الألم و العلوّ و السـفل و الدّنيا و الاخرة و ذلک لضـيق حوصـلة ذاته و قصر ردائه الوجودى عن الجمع بين الامور المتخالفة بخلاف وجود الجوهر النطقى من الإنسان فإنّها مع وحدتها الشخصـيّة جامعة للتجسّم و التجرّد و حاصرة للسعادة و الشقاوة فانها قد يكون فى وقت واحد فى أعلى علّيّين و ذلک عنـد تصوّر أمر قدسـى، و قد يكون فى أسـفل سافلين و ذلک عند تصوّر أمر شـهوىّ ، و قد يكون ملكا مقرّبا باعتبار و شـيطانا مريدا باعتبار.

و ذلـک لأنّ إدراک كلّ شـىء هو بأن ينال حقيقـة ذلک الشـىء المـدرک بما هو مـدرک بل بالاتّحاد معه كما رآه طائفـة من العرفاء و أكثر المشاءين و المحققون و صـرّح به الشّـيخ أبو نصر فى مواضع من كتبه، و الشّيخ اعترف به فى كتابه المسمّى بالمبدإ و المعاد و فى موضع من الشفاء حيث قال فى الفصل السّادس من المقالة التاسعة من الإلهيّات بهذه العبارة:

ثمّ كذلک حتّى يسـتوفى فى النّفس هيئة الوجود كلّه فينقلب عالما معقولا مقبولا موازيا للعالم الموجود كلّه مشاهدا لما هو الحسن المطلق و الخير المطلق و الجمال الحقّ و متّحدة به و منتقشة بمثاله و هيئاته و منخرطة فى سلكه و سائرة من جوهره.

و ممّا يؤيّـد ذلک أنّ المـدرک بجمع الإدراكات و الفاعل بجميع الأفاعيل الواقعـة من الإنسان هو نفسه الناطقة النازلة إلى مرتبة الحواس و الالات و الأعضاء و الصّاعدة إلى مرتبة العقل المستفاد و العقل الفعال فى آن واحد و ذلک لسعة وجودها و بسط جوهريّتها و انتشار نورها فى الأكناف و الأطراف بل يتطوّر ذاتها بالشئون

و الأطوار و تجلّيها على الأعضاء و الأرواح، و تحلّيها بحلية الأجسام و الأشباح مع كونها من سنخ الأنوار و معدن الأسرار.

و من هذا الأصل تبيّن و تحقّق ما ادّعيناه من كون شـيء واحد، تارة محتاجا فى وجوده إلى عوارض مادّية و لواحق جسـميّة و ذلک لضعف وجوده و نقص تجوهره، و تارة ينفرد بذاته و يتخلّص بوجوده و ذلک لاسـتكمال ذاته و تقوى انيّته و ما اشـتهر بين متقدّمى المشاءين أنّ شيئا واحدا لا يكون له إلاّ أحد نحوى الوجود الرابطى و الاستقلالى غير مبرهن عليه بل الحق خلافه، نعم لو اريد منه أنّ الوجود الواحد من جهة واحدة لا يكون ناعتيّا و غير ناعتىّ لكان صحيحا. انتهى كلامه قدّس سرّه.

و يعبّرون عن الوحدة الجمعية الّتى فى الحقّ سبحانه بالوحدة الحقّة الحقيقيّة و الّتى فى النّفس بالوحدة الحقّة الظلّية، و من كان عين بصيرته مفتوحة يعرف من هذا سـرّ قوله صـلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، قال علم الهدى الشـريف المرتضى رضوان اللّه عليه فى المجلس التاسع عشر من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (274 ج 1):

روى أنّ بعض أزواج النّبىّ صـلى اللّه عليه و آله سألته متى يعرف الإنسان ربّه ؟ فقال: إذا عرف نفسه، و فى ص 329 ج 2 منه روى عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أنّه قال: أعلمكم بنفسه أعلمكم بربّه، قال العارف الرومى:

سايهٔ يزدان بود بندهٔ خدا مردهٔ اين عالم و زندهٔ خدا

كيف مدّ الظلّ نقش أوليا است كو دليل نور خورشيد خدا است

و تسمّى هذه الكثرة بالكثرة النوريّة، و هى كلّما كانت أوفر كانت فى الوحدة أوغر، و قد اختار الخواجه لسان الغيب هذا المعنى فى قوله:

زلف آشفتهٔ او موجب جمعيّت ما است چون چنين است پس آشفته ترش بايد كرد

و فى قوله الاخر:

از خلاف آمد دوران بطلب كام كه من كسب جمعيّت از آن زلف پريشان كردم

و قد اختار صدر المتألّهين المولى صدرا قدّس سرّه الشريف هذا الوجه،

و شنّع على القسم الأوّل و أبطله فى مبحث العلّة و المعلول من الأسفار، كما دريت و هذا وجه وجيه شريف دقيق يوافقه البرهان و ذوق العرفان و الوجدان و لا ينافى أمرا.

و رابعة يعقل معنى الوحدة على وجه أدقّ و ألطف من الوجوه المتقدّمة و أعلى و أرفع منها، و الإخلاص فى العبادة كما ندب إليه العقل و النقل مقدّمة لحصول هذا المقام المنيع الأسنى، و سلّم للارتقاء إلى هذا المنظر الرفيع الأعلى، و من راقب الإخلاص و الحضور يستعدّ للوصول إلى هذه الرتبة العظمى و الجنّة العليا و فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين فيرى ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، و قد سلك إليه العرفاء الشامخون.

تقريره: أنه لا شبهة بوجود الكثرة و التعدّد و اختلاف الأنواع و الأصناف و الأفراد، و اللّه جلّ جلاله فى إيجاد الممكنات المختلفة و تكوينها، قد ظهر و تجلّى بالحياة و القدرة، و العلم و الإرادة تجلّى المتكلّم الفصيح البليغ فى كلامه، و ظهور عاكس كإنسان مثلا فى مرائى متعدّدة مختلفة جنسا و لونا و شكلا وجهة و عظما و صغرا و غيرها من الصفا و الكدرة و لا ريب أنّ ما يرى من عكوسه المختلفة فى أنحاء كثيرة فى تلك المرائى ظهوره فيها لا وجوده فيها، و لا حلوله فيها، و لا اتّحاده معها، و كذا الكلام فى تجلّى المتكلّم فى كلامه.

فإذا نظر شخص آخر فى تلك المرائى و المظاهر يرى عكوس الأوّل المتعدّدة المختلفة فيها، كما يرى تلك المرائى أيضا، فمن وقع نظره على العكوس المتفاوتة بالمحالّ و المجالى من غير أن يجعلها عنوانات للعاكس فهو يزعمها أشياء مستقلّة بذواتها، و قد غاب عن العاكس كما هو مذهب عامّة النّاس.

و من جعل نظره فى العاكس فقط بحيث إنّ كلّه مشغول بكلّه، و من فرط العشق به لم يلتفت إلى غيره من الصّور و المرائى، و لم يشاهد فى تلك الكثرات و التعيّنات إلاّ إيّاه، أعنى أصل الصور و صاحبها، فهذا وحدة الوجود فى النظر و فناء فى الصورة.

زهر رنگی که خواهی جامه می پوش که من آن قدّ رعنا می شناسم

فالموحّد الحقیقی إذا أسقط الإضافات و لم یشاهد أعیان الممکنات و الحقائق الوجودیّة الإمکانیّة و الجهات الکثیرة الخلقیّة، و لم ینظر إلیها و لم یر فیها إلاّ تجلّیه تعالی و ظهور قدرته و صفاته الکمالیّة حیث لم تشغله تلک الخلیقة عن الوجود الواجبی و لم تنسه عن لقاء اللّه عزّ و جلّ ، و لم تذهله عن وجهه فی کلّ شیء فهو فان فی اللّه مرزوق عنده و لا یری إلاّ إیّاه و لا یرزق التوحید بهذا المعنی إلاّ الأوحدیّ من أهل اللّه، الفائز بنعمة لقائه العظمی.

لقد ظهرت فلا تخفی علی أحد إلاّ علی أکمه لا یعرف القمرا

و الموحّد فی ذلک المشهد یری ما سواه من الأرض و السماء و الغیب و الشهادة مرتبطا بعضها ببعض و لا یری فصلا بینها کارتباط أجزاء بدن واحد بعضها ببعض، و بهذا المعنی قد جعل وحدة العالم دلیلا علی توحیده تبارک و تعالی، و إن کان کلّ شیء بحیاله یدلّ علی وحدانیّته تعالی کما قرّر فی محلّه.

و فی کلّ شیء له آیة تدلّ علی أنّه واحد

هر گیاهی که از زمین روید وحده لا شریک له گوید

و روی الصّدوق فی باب الردّ علی الثنویة و الزنادقة من التوحید ص 254 باسناده عن هشام بن الحکم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: ما الدّلیل علی أنّ اللّه واحد؟ قال: اتّصال التّدبیر و تمام الصنع، کما قال عزّ و جلّ : «لَوْ کانَ فِیهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا ».

و إذا نال الموحّد هذا المقام العظیم یجد سلطان اللّه تعالی علی ما سواه و یری أنّه «ما مِنْ دَابَّةٍ إِلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِیَتِها »، و یقول: «لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » و یصل إلی سرّ قول إمام الموحّدین أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام:

«مع کلّ شیء لا بمقارنة و غیر کلّ شیء لا بمزایلة».

قال القصیری فی شرح الفصّ الإدریسی من فصوص الحکم: انظر أیّها السالک طریق الحقّ ما ذا تری من الوحدة و الکثرة جمعا و فرادی ؟ فإن کنت

ترى الوحدة فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنينيّة، و إن كنت ترى الكثرة فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن كنت ترى الوحدة فى الكثرة محتجبة، و الكثرة فى الوحدة مستهلكة، فقد جمعت بين الكمالين و فزت بمقام الحسنيين. انتهى كلامه.

و بما قرّرنا علم سرّ قول كاشف الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السّلام: «و اللّه لقد تجلّى اللّه عزّ و جلّ لخلقه فى كلامه و لكن لا يبصرون» رواه عنه عليه السّلام العارف الربّانى مولانا عبد الرزّاق القاسانى فى تأويلاته كما فى آخر كشكول العلاّمة البهائى ص 625 من طبع نجم الدولة، و كذا الشّيخ الأكبر محيى الدّين فى مقدّمة تفسيره (ص 4 ج 1)، كذا رواه عنه عليه السّلام أبو طالب محمّد بن علىّ الحارثى المكّى فى قوّة القلوب (ص 100، ج 1 من طبع مصر 1381 ه) و قد روى قريبا منه ثقة الإسلام الكلينىّ فى روضة الكافى (271 من الطبع الرّحلى) عن مولانا أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى خطبة خطب بها فى ذى قار حيث قال عليه السّلام:

فتجلّى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه، و أتى بها الفيض المقدّس فى الوافى ص 22 م 14، و قد نقلناها فى شرح المختار 229 من الخطب، فراجع إلى ص 19 من ج 15.

و بعد اللّتيّا و الّتى نقول: و للّه المثل الأعلى، و التوحيد على الوجه الرابع أدقّ من التمثيل المذكور أعنى مثل صور عاكس فى المرايا، و نعم ما قاله الشّيخ العارف محيى الدّين العربى فى الباب الثالث و الستّين من كتاب الفتوحات المكّية كما فى الأسفار: إذا أدرك الإنسان صورته فى المرآة يعلم قطعا أنه أدرك صورته بوجه و أنه ما أدرك صورته بوجه لما يراه فى غاية الصغر لصغر جرم المرآة أو الكبر لعظمه و لا يقدر أن ينكر أنّه رأى صورته و يعلم أنّه ليس فى المرآة صورته و لا هى بينه و بين المرآة فليس بصادق و لا كاذب فى قوله رأى صورته و ما رأى صورته فما تلك الصورة المرئيّة، و أين محلّها و ما شأنها فهى منتفية ثابتة موجودة معدومة معلومة مجهولة أظهر سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب المثال ليعلم و يتحقّق أنه إذا عجز و حار فى درك حقيقة هذا و هو من العالم و لم يحصل علما بحقيقته فهو بخالقها إذن

أعجز و أجهل و أشدّ حيرة. انتهى.

قال الغزالى فى الإحياء فى بيان الوجه الأخير من التوحيد: هو أن لا يرى فى الموجود إلاّ واحدا و هو مشاهدة الصدّيقين و يسمّيه الصوفيّة الفناء فى التوحيد لأنّه من حيث لا يرى إلاّ واحدا لا يرى نفسه أيضا بمعنى أنّه فنى عن رؤية نفسه.

فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلاّ واحدا و هو يشاهد السّماء و الأرض و سائر الأجسام المحسوسة و هى كثيرة ؟ فاعلم أنّ هذا غاية علوم المكاشفات و أنّ الموجود الحقيقى واحد، و أنّ الكثرة فيه فى حقّ من يفرق نظره، و الموحّد لا يفرق نظر رؤية السماء و الأرض و سائر الموجودات بل يرى الكلّ فى حكم الشىء الواحد، و أسرار علوم المكاشفات لا يسطر فى كتاب، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادک ممكن و هو أنّ الشىء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة و اعتبار، و يكون بنوع آخر من المشاهدة و الاعتبار واحدا كما أنّ الإنسان كثير إذا نظر إلى روحه و جسده و سائر أعضائه و هو باعتبار آخر و مشاهدة اخرى واحد إذ نقول إنّه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانيّة واحد، و كم من شخص يشاهد إنسانا و لا يخطر بباله كثرة أجزائه و أعضائه و تفصيل روحه و جسده، و الفرق بينهما و هو فى حالة الاستغراق و الاستهتار مستغرق واحد ليس فيه تفرّق و كأنّه فى عين الجمع و الملتفت إلى الكثرة فى تفرقة.

و كذلک كلّ ما فى الوجود له اعتبارات و مشاهدات كثيرة مختلفة و هو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد و باعتبار آخر سواه كثير بعضه أشدّ كثرة من بعض.

و مثال الانسان و إن كان لا يطابق الغرض و لكن ينبّه فى الجملة على كشف الكثير و يستفيد معا من هذا الكلام بترک الإنكار و الجحود بمقام لم تبلغه و تؤمن به إيمان تصديق فيكون لک من حيث إنک مؤمن بهذا التوحيد نصيب منه، و إن لم يكن ما آمنت به صفتک كما أنّک إذا آمنت بالنّبوّة كان لک نصيب منه، و إن لم يكن بيّنا و هذه المشاهدة الّتى لا يظهر فيها إلاّ الواحد الحقّ سبحانه تارة يدوم

و تارة يطرأ كالبرق الخاطف و هو أكثر و الدوام نادر عزيز جدّا.

و قال فى موضع آخر من الكتاب: و أمّا من قويت بصيرته و لم يضعف نيّته فانّه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلاّ اللّه و لا يعرف غيره، و يعلم أنّه ليس فى الوجود إلاّ اللّه تعالى و أفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة و إنّما الوجود للواحد الحقّ الّذى به وجود الأفعال كلّها، و من هذا حاله فلا ينظر فى شىء من الأفعال إلاّ و يرى فيه الفاعل و يذهل عن الفعل من حيث إنّه سماء و أرض و حيوان و شجر بل ينظر فيه من حيث إنّه صنع فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر فى شعر إنسان أو خطّه أو تصنيفه، فرأى فيه الشاعر و المصنّف و رأى آثاره من حيث إنّه آثاره لا من حيث إنه حبر و عفص و زاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنّف و كلّ العالم تصنيف اللّه فمن نظر إليها من حيث إنّها فعل اللّه و أحبّها من حيث إنّها فعل اللّه لم يكن ناظرا إلاّ فى اللّه، و لا عارفا إلاّ باللّه، و لا محبّا إلاّ اللّه، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنّه عبد اللّه فهذا الّذى يقال إنّه فنى فى التوحيد، و إنّه فنى فى نفسه و إليه الإشارة بقول من قال: كنّا بنا فغبنا عنّا فبقينا بلا نحن، فهذه امور معلومة عند ذوى البصائر اشكلت لضعف الأفهام عن دركها، و قصور قدر العلماء بها عن إيضاحها و بيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم و اعتقادهم أنّ بيان ذلک لغيرهم ممّا لا يغنيهم. انتهى كلامه.

قلت: قد رأيت ليلة الاثنين الثالثة و العشرين من ربيع الأوّل من شهور السنّة السّابعة و الثمانين و ثلاثمائة بعد الألف من الهجرة بعض مشايخى متّع اللّه المسلمين بطول بقائه فى منامى، قد ناولنى رسالة فى السير و السلوک إلى اللّه تبارک و تعالى، ثمّ قال لى: «التوحيد أن تنسى غير اللّه» و لمّا قصصت عليه الرؤيا، قال مدّ ظلّه العالى:

نشانى داده اندت از خرابات كه التوحيد إسقاط الإضافات

و البيت من گلشن راز للشبسترى قدّس سرّه.

ص:215

و خامسة يعنى بالوحدة ما يفوه به من يبوح قائلا من عرّف سرّ القدر فقد ألحد.

فبما قدّمنا علمت أنّ المراد من وحدة الوجود ليس ما توهّمه أوهام من لم يصل إلى مغزا مرامهم و سرّ كلامهم، و أنّ لقاء اللّه تعالى الحاصل لأهله ليس كما يتصوّره الجهّال الّذين لم يجمعوا بين الجمع و التفرقة، و قد جاء حديث عن معدن الحقائق الإمام أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق صلوات اللّه تعالى عليه:

«إنّ الجمع بلا تفرقة زندقة، و التفرقة بدون الجمع تعطيل، و الجمع بينهما توحيد».

و قال المولى الحكيم العارف المتألّه ميرزا محمّد رضا القمشى قدّس سرّه فى تعاليقه على تمهيد القواعد لابن تركه فى شرح قواعد التوحيد لتركه فى بيان الحديث:

ذهبت طائفة من المتصوّفة إلى أنّ الوجود حقيقة واحدة لا تكثّر فيها و لا تشأن لها و ما يرى من الممكنات المكثّرة امور موهومة باطلة الذوات كثانى ما يراه الأحول، و هذا زندقة و جحود و نفى له تعالى لأنّ نفى الممكنات يستلزم نفى فاعليّته تعالى، و لمّا كان فاعليّته تعالى نفس ذاته فنفى فاعليّته يستلزم نفى ذاته و إليه أشار عليه السّلام بقوله: إنّ الجمع بلا تفرقة زندقة.

و ذهبت طائفة اخرى منهم إلى أنّ الممكنات موجودة مكثرة و لا جاعل و لا فاعل لها خارجا عنها، و الوجود المطلق متّحد بها بل هو عينها و هذا إبطال لها و تعطيل لها فى وجودها فإنّه حينئذ لا معطى لوجودها لأنّ المفروض أن لا واجب خارجا عنها و الشىء لا يعطى نفسها و لا يوصف الممكن بالوجوب الذاتى، و إليه أشار عليه السّلام بقوله: و التفرقة بدون الجمع تعطيل، و يظهر من ذلك البيان أنّ كلا القولين يشتمل على التناقض لأنّ الجمع بلا تفرقة يستلزم نفى الجمع، و التفرقة بدون الجمع يستلزم نفى التفرقة. انتهى كلامه رفع مقامه.

و إن شئت تقرير ذلك المطلب الأسنى على اسلوب آخر أبين و أوضح ممّا تقدّم، فاعلم أنّ ما يخبر عنه و يصدر عنه أثر هو الوجود لا غير و سواه ليس محض و عدم

صرف و باطل بالذات و ما ليس بشيء ليس بشيء حتّى يكون ذا أثر، و إذا تأمّلت فى الأشياء الممكنة تجدها أنّ ظهورها بالوجود، و لولاه لم يكن لها ظهور فضلا عن أن يكون لها أثر فاذا تحقّق الوجود فى موطن يتبعه أثر لائق بذلک الموطن.

و تجد أنّ لها اعتبارين: أحدهما وجودها و الاخر حدودها فتصير وجودات مقيّدة محدودة، فبالقيد و الحدّ تسمّى بأسماء لفظية، فيقال: هذه أرض، و تلک شمس و ذلک قمر و فلک و ملک و هكذا، و تلک الحدود يعبّر عنها فى الكتب الحكميّة بل فى الجوامع الروائيّة بالماهيّة، و لمّا لم يكن للأوّل تعالى حدّ لم تعلم له ماهيّة، و فى دعاء اليمانى لإمام الموحّدين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام رواه السيّد الأجلّ ابن طاوس عليه رحمة الملک القدّوس، مسندا فى مهج الدعوات (ص 105):

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم اللهمّ أنت الملک الحقّ الّذى لا إله إلاّ أنت - إلى أن قال بعد سطور: لم تعن فى قدرتک، و لم تشارک فى إلهيّتک، و لم تعلم لک مائيّة فتكون للأشياء المختلفة مجانسا، إلخ.

و فى باب نفى الجسم و الصورة و التشبيه من ثانى البحار نقلا عن روضة الواعظين:

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال له رجل: اين المعبود؟ فقال عليه السّلام: لا يقال له أين لأنّه أيّن الأينيّة، و لا يقال له كيف لأنّه كيّف الكيفيّة، و لا يقال له ما هو لأنّه خلق الماهيّة - الحديث.

و الماهيّة و المائيّة بمعنى واحد و هى مشتقّة عن ما هو، كما هو صريح رواية أمير المؤمنين عليه السّلام، و كما صرّح به المحقّق الخواجه نصير الدّين الطوسى قدّس سرّه فى أوّل الفصل الثانى من المقصد الأوّل من التجريد، و المتألّه السبزوارى فى أوّل الفريدة الخامسة من غرر الفرائد، و تعبير الماهيّة بالمائيّة فى كتب القدماء بل فى الروايات كثيرة جدّا، و قد كان فيلسوف العرب الكندى يعبّرها فى رسائله بالمائيّة، كما ترى فى رسائله الفلسفيّة المطبوعة فى مصر، و قد روى الشّيخ الجليل الصّدوق فى باب تفسير «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » من كتاب التوحيد بإسناده عن وهب بن وهب القرشى قال: سمعت الصادق عليه السّلام يقول: قدم وفد من أهل فلسطين على

الباقر عليه السّلام فسألوه عن مسائل فأجابهم، ثمّ سألوه عن الصـمد، فقال: تفسيره فيه، الصمد خمسة أحرف: فالألف دليل على انّيته، و هو قوله عزّ و جلّ «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و ذلک تنبيه و إشارة إلى الغائب عن درک الحواس، و اللام دليل على إلهيّته بأنّه هو اللّه – إلى أن قال: لأنّ تفسـير الإله هو الّذى أله الخلق عن درک مائيّته و كيفيّته بحسّ أو وهم – إلى أن قال: فمتى تفكّر العبد فى مائيّة البارى و كيفيّته أله فيه و تحيّر – إلخ، و الإنيّة مشتقّة من الإنّ ، كما قال الإمام عليه السّلام من حسن صنيعته: و هو قوله عزّ و جلّ : «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و التعبير عن تحقّق الشىء و وجوده بالإنيّة و عن حدوده بالماهيّة أو المائيّة غير عزيز فى ألسنة أهل اللّه.

و الماهيّات بأسـرها ظاهرة بالوجود فهى ليست نورى الـذّات بل بذاتها ليس محض و ظلمة و إنّما أيسـها و نورها بغيرها و هو الوجود، و لما لم يكن للّه جلّ جلاله حدّ و نهاية فلا يتصوّر فيه ماهيّة تعالى عن أن يكون مجانسا لمخلوقاته و فى الحديث: ربّنا نورى الذّات، حىّ الذات، قادر الذّات، عالم الذّات، من قال أنه قادر بقدرة، عالم بعلم، حىّ بحياة، فقد اتّخذ مع اللّه آلهة اخرى و ليس على ولايتنا من شىء.

و فى التوحيد عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سمعته يقول:

إنّ اللّه نور لا ظلمة فيه، و علم لا جهل فيه، و حياة لا موت فيه.

و فيه بإسناده عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقال لى:

أتنعت اللّه ؟ قلت: نعم، قال عليه السّلام: هات، فقلت: هو السـميع البصـير، قال عليه السّلام هذه صـفة يشترک فيها المخلوقون، قلت: و كيف ننعته ؟ فقال عليه السّلام: هو نور لا ظلمة فيه، و حياة لا موت فيه، و علم لا جهل فيه، و حقّ لا باطل فيه، فخرجت من عنده و أنا أعلم الناس بالتوحيد.

و لمّا كان النور ظاهرا بذاته و مظهرا لغيره كما ترى الأنوار المحسوسة

من نور القمر و الكواكب و ضياء الشمس و غيرها، و يطلق عليها النور من هذه الحيثيّة كما أنّ النّور يطلق على العلم من حيث ظهوره للعالم، كذلک فقد جاء فی الخبر عن سيّد المرسلين صلى اللّه عليه و آله: العلم نور و ضياء يقذفه اللّه فی قلوب أوليائه كما فی جامع الأسرار للسيّد المتألّه حيدر الاملی قدّس سرّه (ص 513) و فی خبر آخر عنه صلى اللّه عليه و آله: ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما هو نور يقذفه اللّه فی قلب من يريد أن يهديه، كما فی قرّة العيون للفيض المقدّس رضوان اللّه عليه (ص 220) و فی الحديث الاتی عن عنوان البصری عن الإمام الصّادق عليه السّلام اطلق على شمس الوجود المضيئة لغيرها من ماهيّات القوالب و الهياكل الإمكانيّة بل مخرجها من اللّيس إلى الايس اسم النور أيضا بل هو النور حقيقة و يستنير سائر الأنوار الحسّية به لما دريت من أنّ ظهور كلّ شیء به، فالوجود ظاهر بذاته و مظهر لغيره من أشباح الماهيات و هياكلها، كما يرشدک إليه قوله عزّ و جلّ : «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » – الاية.

و قد روی الشّيخ الجليل الصّدوق فی أوّل باب تفسير قول اللّه عزّ و جلّ :

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » إلى آخر الاية بإسناده عن العبّاس بن هلال قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » فقال: هاد لأهل السّماء و هاد لأهل الأرض، قال: و فی رواية البرقی: هدی من فی السّماوات و هدی من فی الأرض.

و ذلک لأنّ كلّ من هدی إلى حقيقة فإنّما هدی بنور الوجود و لولاه لكانت الظلمات غالبة فالنور أی الوجود هو الهادی فليس إلاّ، صدق وليّ اللّه الأعظم فی قوله حيث فسّر النور بالهادی.

فان قلت: قد جاءت فی عدّة آيات و كثير من أدعيّة و روايات أنه تعالى مضلّ أيضا كقوله تعالى: «مَنْ يَشَإِ اللّهُ يُضْلِلْهُ وَ مَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الأنعام: 40)، و قوله تعالى: «فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ » (فاطر: 8) و نحوهما فكيف التوفيق ؟

قلت: الإضـلال: إخراج الغير عن الطريق من دواع نفسانيّـة و أغراض شخصـيّة من إعمـال حقـد و حسـد و نحوهما حتّى يحصل التشـفّى للمضلّ بإضـلاله الغير، و لا يخفى عليک أنّ إسـناد الاضـلال إليه تعالى قبيـح عقلا لعدم تجويز العقل إسـناده إليه فليس الإضـلال بمعناه الحقيقى مسندا إليه تعالى من غير التوسّل بوسط .

فنقول: لا كلام أنّه تعالى مضلّ ، من يشإ اللّه يضـلله، و لكن تحت هـذا سـرّ و يتّضـح لک بإيراد مثال و هو أن نقول: لو كان لک أولاد و لـم تأمرهم بعمل و دسـتور لا يصحّ أن يقال: إنّ فلانا أطاع أباه، و فلانا عصاه، و أمّا إذا جعلت لهم دستورا يأمرهم بالخير قبله بعض و أبى بعض آخر، فحينئذ يقال للأوّل: المطيع، و للثانى:

العاصـى، ثمّ لمّا كان ذلک الدسـتور حاويا لما فيه صلاحهم و رشادهم، فأنت هاد للبعض الأوّل، و حيث إنّ الثانى ظلم نفسه و أعرض عن الدستور، فحينئذ يقال له:

هو ضالّ و أنت مضلّ له، بمعنى أنّه لو لـم يكن جعل هـذا الدسـتور لـم يتميّز الهدايـة من الضـلالة، و لـم يصحّ قبل تعيين الطريق، أن يقال: فلان اهتدى و فلان ضلّ ، فبالحقيقة أنّ الثانى إنّما ضلّ عن دستورک و طريقک فأنت مضلّ له بهذا المعنى الدقيق اللّطيف.

فـإذا فهمت المثـال فهمت جواب السؤال و ذلـک لأنّه لو لا إرسال الرسل و إنزال الكتب لما يتميّز الخبيث عن الطيّب و لـم يصـحّ أن يقال: فلان هدى إلى الصـراط المسـتقيم فأفلح، و فلان ضلّ فعصى و غوى، و حيث إنّ الدستور هو القرآن و هو الصراط و المعيار و الميزان و إنّ اللّه تعالى أنزله هداية للعباد فمن اسـتكبر و أبى فقد ضلّ و ظلم نفسه، و بهذا المعنى يقال: إنّ اللّه أضـلّه أو هو مضلّ و نحوهما، ألا ترى أنّ الإضـلال يضاف إلى الظّالمين و الخاسرين و الكافرين و نحوها، نحو قوله تعالى: «وَ يُضِلُّ اللّهُ الظّالِمِينَ » (إبراهيم: 27)، و قوله تعالى: «وَ مَنْ يُضْلِلْ فَأُولئِکَ هُمُ الْخاسِرُونَ » (الأعراف: 178) و قوله: «كَذلِکَ يُضِلُّ اللّهُ الْكافِرِينَ » و أمثالها، فتبصّر و خذه و اغتنم.

ص:220

قـال القيصـرى فى مقـدّمته على شـرح الفصوص: و الوجود خير محض و كـلّ ما هو خير فهو منه و به و قوامه بـذاته لـذاته، إذ لا يحتاج فى تحقّقه إلى أمر خارج عن ذاته فهو القيّوم الثابت بذاته و المثبت لغيره.

و ليس له ابتـداء و إلاّ لكان محتاجا إلى علّة موجودة لإمكانه حينئذ، و لا له انتهاء و إلاّ لكان معروضا للعدم فيوصف بضدّه أو الإنقلاب فهو أزلى و أبـدى فهو الأـوّل و الاـخر و الظاهر و الباطن لرجوع كلّ ما ظهر فى الشـهادة أو بطن فى الغيب إليه، و هو بكلّ شـىء عليم لإحاطته بالأشـياء بـذاته و حصول العلم لكلّ عالم إنّما هو بواسـطته فهو أولى بذلک بل هو الّذى يلزمه جميع الكمالات و به تقوم كلّ من الصّـفات كالحياة و العلم و الإرادة و القدرة و السـمع و البصر و غير ذلک فهو الحىّ العليم المريد القادر السميع البصير بذاته لا بواسطة شىء آخر إذ به يلحق الأشـياء كلّها كمالاتها بل هو الّذى يظهر بتجلّيه و تحوّله فى صورة مختلفة بصور تلک الكمالات فيصـير تابعا للذوات لأنّها أيضـا وجودات خاصّة مستهلكة فى مرتبة أحديّته ظاهرة فى واحديّته.

و هو حقيقة واحدة لا تكثّر فيها و كثرة ظهوراتها و صورها لا يقدح فى وحدة ذاتها و تعيّنها، و امتيازها بذاتها لا بتعيّن زائد عليها إذ ليس فى الوجود ما يغايره ليشترک معه فى شـىء و يتميّز عنه بشىء و ذلک لا ينافى ظهورها فى مراتبها المتعيّنة بل هو أصل جميع التعيّنات الصفاتيّة و الأسمائيّة و المظاهر العلميّة و العينيّة.

و لها وحـدة لا يقابل الكثرة هى أصل الوحـدة المقابلة لها و هى عين ذاتها الأحديّة، و الوحدة الأسـمائيّة المقابلة للكثرة الّتى هى ظلّ تلک الوحدة الأصليّة الذاتيّة أيضا عينها من وجه.

و هو نور محض إذ به يـدرک الأشـياء كلّهـا و لأـنّه ظاهر بـذاته و مظهر لغيره و منوّر سـماوات الغيوب و الأرواح و أرض الأجسام لأنّها به توجـد، و تتحقّق و منبع جميع الأنوار الروحانيّة و الجسـمانيّة، و حقيقته غير معلومة لما سواه، و ليست عبارة عن الكون و لا عن الحصول و التحقّق و الثبوت، إن اريد بها المصدر

لأنّ كلاّ منها عرض حينئذ ضرورة، و إن اريد بها ما يراد بلفظ الوجود فلا نزاع كما أراد أهل اللّه بالكون وجود العالم، و حينئذ لا يكون شىء منها جوهرا و لا عرضا و لا معلوما بحسب حقيقته، و إن كان معلوما بحسب انّيته، و التعريف اللّفظى لا بدّ أن يكون بالأشهر ليفيد العلم و الوجود أشهر من الكون و غيره ضرورة.

و الوجود العام المنبسط على الأعيان فى العلم ظلّ من أظلاله لتقيّده بعمومه و كذلك الوجود الذهنى و الوجود الخارجى ظلاّن لذلك الظلّ لتضاعف التقييد و إليه الإشارة بقوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّکَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً » فهو الواجب الوجود الحقّ سبحانه و تعالى الثابت بذاته المثبت لغيره الموصوف بالأسماء الإلهيّة المنعوت بالنعوت الربّانيّة المدعوّ بلسان الأنبياء و الأولياء الهادى خلقه إلى ذاته الداعى مظاهره بأنبيائه إلى عين جمعه و مرتبة الوهيّته أخبر بلسانهم أنّه بهويّته مع كلّ شىء، و بحقيقته مع كلّ حىّ ، و نبّه أيضا أنّه عين الأشياء، بقوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْ ءٍ عَلِيمٌ » فكونه عين الأشياء بظهوره فى ملابس أسمائه و صفاته فى عالمى العلم و العين و كونه غيرها باختفائه فى ذاته و استعلائه بصفاته عمّا يوجب النقص و الشين و تنزّهه عن الحصر و التعيين و تقدّسه عن سمات الحدوث و التكوين.

و إيجاده للأشياء اختفاؤه فيها مع اظهاره إيّاها، و إعدامه لها فى القيامة الكبرى ظهوره بوحدته و قهره إيّاها بازالة تعيّناتها و سماتها و جعلها متلاشية، كما قال: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلّهِ الْواحِدِ الْقَهّارِ » «هُوَ كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ » و فى الصغرى تحوّله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، أو من صورة إلى صورة فى عالم واحد، فالمهيّات صور كمالاته و مظاهر أسمائه و صفاته ظهرت أوّلا فى العلم ثمّ فى العين بحسب حبّه إظهار آياته و رفع أعلامه و راياته فتكثر بحسب الصّور و هو على وحدته الحقيقيّة و كمالاته السرمديّة و هو يدرک حقائق الأشياء بما يدرک حقيقة ذاته لا بأمر آخر كالعقل الأوّل و غيره لأنّ تلک الحقائق أيضا عين ذاته حقيقة و إن كانت غيرها تعيّنا.

و لا يـدركه غيره كما قال: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ » «وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ » «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » نبّه عبّاده تعطّفا منه و رحمة لئلاّ يضيّعوا أعمارهم فيما لا يمكن حصوله.

و إذا علمت أنّ الوجود هو الحق علمت سـرّ قوله: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ » «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُونَ » «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ » «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ » و قوله: «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و اللّه «بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ » و كنت سمعه و بصره، و سرّ قوله عليه السّلام: لو دليتم بحبل لهبط على اللّه و أمثال ذلک من الأسـرار المنبّهـة للتوحيد بلسان الإشارة. انتهى ما أردنا من نقل كلام القيصرى.

و لمّا كان حكم السـنخيّة بين العلّة و المعلول ممّا لا يتطرّق إليه شكّ و شبهة فكلّ واحد ممّا سواه تعالى آية و علامة له و آية الشيء تحاكى عنه من وجه و لا تباينه من جميع الوجوه و نسـبتها إليه كظلّ إلى ذيه، و لو لا حكم السـنخيّة لما يصحّ كون الموجودات الافاقيّة و الأنفسـيّة أعنى ما سواه آيات له و تأمّل فى ألفاظ الاية و أخواتها المذكورة فى القرآن الكريم ترشدک إلى الصواب.

قـال تعـالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمـاءِ مِنْ مـاءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (البقرة: 165).

و قـال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ » إلى آخر الايات الخمس (آل عمران: 00) قال فى المجمع: و قد اشـتهرت الرواية عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أنّه لما نزلت هذه الايات قال: ويل لمن لاكها بين فكّيه و لم يتأمّل ما فيها.

و قـد روى ثقـة الإسـلام الكلينى قدّس سـرّه فى كتاب فضل القرآن من اصول الكافى (ص 446 ج 2 من المعرب) بإسـناده عن حفص بن غياث، عن الزّهرى قال:

سمعت علیّ بن الحسین علیهما السّلام یقول: آیات القرآن خزائن فکلّما فتحت خزانة ینبغی لک أن تنظر ما فیها.

و هـذه اللّفظـة أعنی الایـة و أخواتها تنادی بأعلی صوتها أنّ الوجود أصل و أنّ ما سواه تعالی علامة و فیء له تعالی، و لو لا الوجود لما کان عن الأشیاء عین و أثر، و لمّا کان الوجود نورا فما صدر عنه تعالی نور أیضا لحکم السنخیّة بین العلّة و معلولها.

و فی المجلّد الأوّل من البحار نقلا عن کتاب علل الشـرائع فی سؤالات الشامی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام عن أوّل ما خلق اللّه تبارک و تعالی ؟ فقال علیه السّلام:

النّور.

و فی التاسع عشر من البحار ص 183 فی دعاء عن مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: اللهمّ إنّی أسئلک یا من احتجب بشعاع نوره عن نواظر خلقه.

ففیه دلالة علی أنّه لا حجاب مضروب بینه و بین خلقه إلاّ شدّة ظهوره و قصور بصائرنا فضلا عن أبصارنا عن اکتناه نوره کما تقدّم آنفا بیانه.

جمالک فی کلّ الحقائق سائر و لیس له إلاّ جمالک ساتر

حجاب روی تو هم روی تست در همه حال نهانی از همه عالم ز بس که پیدائی

و هـذا الدّعاء معروف بدعاء احتجاب، نقله الشّیخ العلاّمة البهائی قدّس سـرّه فی الکشـکول أیضا (ص 303 من طبع نجم الدولـة) و رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس - ره - عن أمیر المؤمنین علیه السّلام عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فی مهج الدعوات (ص 75).

و تأمّل فی حرز مولانـا و إمامنـا محمّد بن علیّ الجواد علیهمـا السّلام، رواه السـیّد الأجـلّ ابن طـاوس رفع اللّه تعالی درجاته فی مهج الدّعوات (ص 36) و فی ذلک الحرز:

و أسألک یا نور النّهار و یا نور اللّیل و یا نور السّماء و الأرض و نور النّور و نورا یضیء به کلّ نور - إلی أن قال علیه السّلام، و ملأ کلّ شیء نورک.

و فی قوله علیه السّلام: «ملأ» دقیقـة و هی أنّ ذلک النور لم یترک مکانا لغیره حتّی یوجد شـیء مؤلّف منه و من غیره بل کلّ شـیء لیس إلاّ ذلک النّور فقط

و حدودها أعدام ذهنيّة اعتباريّة.

غيرتش غير در جهان نگذاشت لا جرم عين جمله أشيا شد

و فى دعاء إدريس عليه السّلام نقله السيّد الجليل المذكور قدّس سرّه فى المهج أيضا (ص 305): يا نور كلّ شىء و هداه أنت الّذى فلق الظلمات نوره.

و فى دعاء إبراهيم خليل الرحمن صلوات اللّه عليه (المهج ص 306): يا اللّه يا نور النّور قد استضاء بنورک أهل سماواتک و أرضک.

و فى دعاء لنبيّنا صلى اللّه عليه و آله: فيا نور النّور و يا نور كلّ نور - إلخ، رواه السيّد قدّس سرّه فى الاقبال (ص 126).

و فى المهج أيضا (ص 88) و من ذلک دعاء آخر علّمه جبرائيل عليه السّلام النّبىّ صلى اللّه عليه و آله أيضا: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم يا نور السّماوات و الأرض يا جمال السّماوات و الأرض - إلخ.

و فى دعاء السحر لإمامنا محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام: اللهمّ إنّى أسألک من نورک بأنوره و كلّ نورک نيّر اللهمّ إنّى أسئلک بنورک كلّه، و نحوها من الأذكار و الأدعيّة المأثورة عن حجج اللّه تعالى كثير جدّا و إنّما نقلنا طائفة منها ضياء و نورا للمستضيئين، و ليعلم أنّ المعارف كلّها عند خزنة علم اللّه جلّ و علا.

از رهگذر خاک سر كوى شما بود هر نافه كه در دست نسيم سحر افتاد

و ذلک النور الّذى ملأ كلّ شىء هو وجهه تعالى «كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَ الْإِكْرامِ » «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ » «وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ».

قال العارف المتألّه السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه فى جامع الأسرار (ص 210):

حكى أنّ جماعة من الرّهبانيّين و ردوا المدينة فى عهد خلافة أبى بكر و دخلوا عليه و سألوه عن النّبى و كتابه، فقال لهم أبو بكر: نعم جاء نبيّنا و معه كتاب، فقالوا له: و هل فى كتابه وجه اللّه ؟ قال: نعم، قالوا: و ما تفسيره ؟ قال أبو بكر: هذا السّؤال منهىّ عنه فى ديننا، و ما فسّره نبيّنا بشىء، فضحک الرهبانيّون كلّهم و قالوا:

و اللّه ما كان نبيّكم إلاّ كذّابا و ما كان كتابكم إلاّ زورا و بهتانا.

و خرجوا من عنده فعرف بذلک سلمان فدعاهم إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و قال لهم: إنّ هذا خليفته الحقيقى و ابن عمّه فاسألوه، فسألوا عن السؤال بعينه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال لهم: ما نقول جوابكم بالقول بل بالفعل فأمر باحضار شىء من الفحم و باشعاله فلمّا اشتعل و صار كلّه نارا، سأل عليه السّلام الرّهبان و قال:

يا رهبان! ما وجه النّار؟ فقال الرّهبان هذا كلّه وجه النّار، فقال عليه السّلام: فهذا الوجود كلّه وجه اللّه، و قرأ «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَىْ ءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فأسلم الرّهبانيّون كلّهم بذلک على يده و صاروا موحّدين عارفين.

و قال - رضوان اللّه عليه -: و حكى أيضا أنّ حيتان البحر اجتمعوا يوما عند كبيرهم و قالوا له: يا فلان نحن عزمنا على التوجّه إلى البحر الّذى نحن به موجودون و بدونه معدومون فلا بدّ من أن تعلّمنا جهته و تعرّفنا طريقه حتّى نتوجّه إليه و نصل إلى حضرته لأنّا بقينا مدّة متطاولة نسمع به و ما نعرفه و لا نعرف مكانه و لا جهته.

فقال لهم كبيرهم: يا أصحابى و إخوانى ليس هذا الكلام يليق بكم و لا بأمثالكم لأنّ البحر أعظم من أن يصل إليه أحد و هذا ليس بشغلكم و لا هو من مقامكم، فاسكتوا عنه و لا تتكلّموا بعد ذلک بمثل هذا الكلام بل يكفيكم أنكم تعتقدون أنكم موجودون بوجوده و معدومون بدونه.

فقالوا له: هذا الكلام ما ينفعنا و لا هذا المنع يدفعنا، لا بدّ لنا من التوجّه إليه و لا بدّ لک من إرشادنا إلى معرفته و دلالتنا إلى وجوده.

فلمّا عرف الكبير صورة الحال و أنّ المنع لا يفيد شرع لهم فى البيان و قال:

يا اخوانى البحر الّذى أنتم تطلبونه و تريدون التوجّه إليه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط به، و البحر عبارة عن الّذى أنتم فيه فأينما توجّهتم فى الجهات فهو البحر و ليس غير البحر عندكم شىء

فالبحر معكم و أنتم مع البحر، و أنتم فى البحر و البحر فيكم، و هو ليس بغائب عنكم، و لا أنتم بغائبين عنه، و هو أقرب إليكم من أنفسكم.

فحين سمعوا هذا الكلام منه قاموا كلّهم إليه و قصدوه حتّى يقتلوه، فقال لهم: لم تقتلونى و لأىّ ذنب أستحقّ هذا؟ فقالوا له: لأنّك قلت البحر الّذى نحن نطلبه هو الّذى نحن فيه و الّذى نحن فيه هو الماء فقط ، و أين الماء من البحر فما أردت بهذا إلاّ إضلالنا عن طريقه وحيداننا عنه.

فقال كبيرهم: و اللّه ما كان كذلک و ما قلت إلاّ الحقّ و الواقع فى نفس الأمر لأنّ البحر و الماء شىء واحد فى الحقيقة و ليس بينهما مغايرة أصلا، فالماء اسم للبحر بحسب الحقيقة و الوجود، و البحر اسم له بحسب الكمالات و الخصوصيّات و الانبساط و الانتشار على المظاهر كلّها.

فعرف ذلک بعضهم و صار عارفا بالبحر و سكت عنه، و أنكر البعض الاخر و كفر بذلک و رجع عنه مطرودا محجوبا.

و الّذى حكيت عن لسان الحيتان لو حكيته عن لسان الأمواج لكان أيضا صحيحا و كلاهما جائز، و إذا تحقّق هذا فكذلک شأن الخلق فى طلب الحقّ فإنّهم إذا اجتمعوا عند نبىّ أو إمام أو عارف و سألوا عن الحقّ ، فقال هذا النّبىّ أو الإمام أو العارف: إنّ الحقّ الّذى تسألون عنه و تطلبونه هو معكم و أنتم معه، و هو محيط بكم و أنتم محاطون به، و المحيط لا ينفكّ عن المحاط ، و هو معكم أينما كنتم، و هو أقرب إليكم من حبل وريدكم «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِکَ وَ لا أَكْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا » «و «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ » «كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » و هو ليس بغائب عنكم و لا أنتم بغائبين عنه، أينما توجّهتم فثمّ ذاته و وجهه و وجوده و هو مع كلّ شىء و هو عين كلّ شىء، بل هو كلّ شىء و كلّ شىء به قائم و بدونه زائل، و ليس لغيره وجود أصلا، لا ذهنا و لا خارجا، و هو الأوّل بذاته، و الاخر

بكمالاته، الظاهر بصفاته، و الباطن بوجوده، و إنّه للكلّ مكان، فى كلّ حين و أوان، و مع كلّ إنس و جان.

فلمّا سمع الخلق ذلک قاموا إليه كلّهم و قصدوه ليقتلوه، فقال لهم لم تقتلونى و لأىّ ذنب أستحقّ هذا؟.

فقالوا له: لأنّک قلت الحقّ معکم و أنتم معه، و ليس فى الوجود إلاّ هو، و ليس لغيره وجود لا ذهنا و لا خارجا، و نحن نعرف بالحقيقة أنّ هناک موجودات غيره من العقل و النّفس و الأفلاک و الأجرام و الملک و الجنّ و غير ذلک، فما أنت إلاّ كافر ملحد زنديق، و ما أردت بذلک إلاّ إغواءنا و إضلالنا عن الحقّ و طريقه.

فقال لهم: لا و اللّه ما قلت لكم غير الحق و لا غير الواقع، و ما أردت بذلک إضلالكم و إغواءكم، بل قلت ما قال هو بنفسه، و أخبركم إيّاه على لسان نبيّه، و إلاّ فأىّ شىء معنى قوله: «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الآفاقِ » - الاية، و معنى قوله:

«اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » - الاية، و معنى قوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الآخِرُ وَ الظّاهِرُ وَ الْباطِنُ » و لأىّ شىء قال: «ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ذلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ »؟، و لم قال: «ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »؟ لأنّه يعرف أنّ كلّ واحد ما يعرف ذلک و لا بقدر عليه، كما قال أيضا: «إِنَّ فِى ذلِکَ لَآياتٍ لِأُولِى النُّهى » «و «إِنَّ فِى ذلِکَ لَذِكْرى لِأُولِى الْأَلْبابِ » «و «إِنَّ فِى ذلِکَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ ».

فعرف ذلک بعضهم و قبل منه و صار عارفا موحّدا، و أنكر ذلک بعضهم، و رجع عنه محجوبا مطرودا ملعونا نعوذ باللّه منه و من أمثاله، هذا آخر الأمثلة المضروبة فى هذا الباب، و اللّه أعلم بالصواب و إليه المرجع و الماب «وَ لَقَدْ ضَرَبْنا لِلنّاسِ فِى هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » «وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ »، انتهى ما أردنا من نقل كلامه رحمة اللّه عليه فى المقام.

و لمّا لم يكن للمهيّات أصالة، و لم يكن لها أثر و ظهور إلاّ بنور الوجود، و لم

يكن الوجود إلاّ ذاته سبحانه و شئونه و دريت أنّه ملأ كلّ شيء و فتق ظلمات الماهيّات نوره فأوّل ما يرى و يدرک و يعلم فى دار الوجود هو الوجود ليس إلاّ فهو ظاهر بذاته لا يحتاج إلى معرّف و دليل يدلّ عليه لأنّ ذلک الدّليل إمّا وجود أو غيره و الوجود وجود، و الغير عدم و العدم لا شيء محض و ما ليس بشيء رأسا كيف يدلّ على ما هو شيء و موجود، نعم إنّ غير الوجود من ماهيّات أشباح الموجودات الممكنة بأسرها يعرف به، و قد سئل نبيّنا صلى اللّه عليه و آله بما ذا عرفت ربّک ؟ قال صلى اللّه عليه و آله: باللّه عرفت الأشياء، و قال مولانا عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام: اعرفوا اللّه باللّه.

و روى ثقة الإسلام الكلينى بإسناده عن عبد الأعلى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: اسم اللّه غيره و كلّ شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا اللّه - إلى أن قال عليه السّلام: من زعم أنّه يعرف اللّه بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرک لأنّ حجابه و مثاله و صورته غيره و إنّما هو واحد موحّد فكيف يوحّده من زعم أنه عرفه بغيره، و إنّما عرف اللّه من عرفه باللّه، فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنّما يعرف غيره ليس بين الخالق و المخلوق شيء - الحديث (حديث 4 من باب حدوث الأسماء من اصول الكافى ج 1 ص 88 من المعرب).

و فى التوحيد (ص 494) عن منصور بن حازم قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام:

إنّى ناظرت قوما فقلت لهم: إنّ اللّه أجلّ و أكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون باللّه، فقال عليه السّلام: رحمک اللّه.

و فى دعاء عرفة لسيّد الشهداء أبى عبد اللّه الحسين عليه السّلام: كيف يستدلّ عليک بما هو فى وجوده مفتقر إليک أ يكون لغيرک من الظهور ما ليس لک حتّى يكون هو المظهر لک، كما تقدّم آنفا، و لا يخفى لطف كلامه عليه السّلام «فى وجوده» فإن لهذا الكلام شأنا من الشأن.

و ممّا يرشدک أيضا إلى أنّ ما سواه تعالى شئونه و مجالى ذاته و مظاهر أسمائه و صفاته كلمة فاطر، و فطر و أخواتهما فى القرآن الكريم نحو قوله عزّ من قائل:

«أَ فِي اللّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » (إبراهيم: 11) و قوله تعالى:

«إِنِّی وَجَّهْتُ وَجْهِیَ لِلَّذِی فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِیفاً » (الأنعام: 80) و کذا فی عدّة آیات اخر، لأنّ أصل الفطر الشقّ ، یقال: تفطّر الشّجر بالورق و الورد إذا أظهرهما، کما فی غرائب القرآن للنیسابوری.

قال الراغب: أصل الفطر: الشقّ طولا، یقال: فطر فلان کذا فطرا و أفطر هو فطورا و انفطر انفطارا، و فطرت الشاة حلبتها باصبعین، و فطرت العجین إذا عجنته فخبزته من وقته، و منه الفطرة، و فطر اللّه الخلق و هو ایجاده الشیء و إبداعه علی هیئة مترشّحة لفعل من الأفعال، فقوله: «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » فإشارة منه تعالی إلی ما فطر، أی أبدع و رکز فی الناس من معرفته تعالی، و فطره اللّه هی ما رکز فیه من قوّته علی معرفة الإیمان و هو المشار إلیه بقوله:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللّهُ » و قال: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و قال: «اَلَّذِی فَطَرَهُنَّ » - و «اَلَّذِی فَطَرَنا » أی أبدعنا و أوجدنا، یصحّ أن یکون الإنفطار فی قوله: «اَلسَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ » إشارة إلی قبول ما أبدعها و أفاضه علینا منه. انتهی.

و کلمة فطر و مشتقّاتها تنبئک أنّ ما سواه تعالی تفطّر منه و کلّ واحد منهم علی حیاله مشتقّ منه و منشقّ عنه و صورة و آیة له، و من دعاء سیّد السّاجدین علیه السّلام فی الصّلاة علی آدم علیه السّلام، کما فی ملحقات الصّحیفة: اللهمّ صلّ علی آدم و آدم بدیع فطرتک - إلخ.

و لمّا اتّصف کلّ واحد منهم بالوجود، اتّصف علی قدر قابلیّته و سعته و ضیقه بالأسماء و الصّفات اللاّزمة للوجود أیضا، و فی أیّ موطن ظهر منک الوجود ظهر معه أتباعه من الأسماء و الصفات اللاّئقة به إلاّ الأسماء المستأثرة کالوجوب الذّاتی فانّها صفایا الملک الواحد القّهار، أسماء مخزونة عنده تعالی لا یمکن لغیره أن یتّصف به و لا یسع غیره أن یطلبها منه و یتعب نفسه لإدراکها.

و فی حرز مولانا محمّد بن علیّ الجواد علیه السّلام: و بأسمائک المقدّسات المکرّمات المخزونات فی علم الغیب عندک، رواه السیّد الأجلّ ابن طاوس قدّس سرّه فی

مهج الدّعوات (ص 36).

و فی أعمال لیلة عید الفطر: أسألک بکلّ اسم فی مخزون الغیب عندک، رواه السیّد المذکور قدّس سرّه فی الإقبال (273).

و فی دعـاء مولانا و إمامنا موسـی بن جعفر الکاظم علیه السّلام أتی به الشّیخ الکفعمی نوّر اللّه مضـجعه فی البلـد الأمین (ص 521): و بالاسم الّذی حجبت عن خلقک فلم یخرج منک إلاّ إلیک.

و فی آخر دعـاء مرویّ عن مولانا الحسـین بن علیّ علیهما السّلام الـدعاء المعروف بـدعاء الشابّ المأخوذ بـذنبه، رواه السـیّد الجلیل ابن طاوس قدّس سـرّه فی مهج الدّعوات (ص 151): أسألک بکلّ اسم سـمّیت به نفسک، أو أنزلته فی شـیء من کتبک، أو استأثرت به فی علم الغیب عندک. إلخ.

و فی الدّعاء الخمسین من الصحیفة السجّادیة: فأسألک اللهمّ بالمخزون من أسمائک.

و فی ریاض السالکین فی شـرح صـحیفة سیّد السّاجدین للعالم الربّانی صدر الدّین علیّ بن أحمد نظام الدّین الحسینی المدعوّ بالسیّد علی خان قدّس سرّه (565): روی عن النبیّ صـلی اللّه علیه و آله قال: إنّ للّه تعالی أربعـة آلاف اسم: ألف لا یعلمها إلاّ اللّه، و ألف لا یعلمها إلاّ اللّه و الملائکـة، و ألف لا یعلمها إلاّ اللّه و الملائکة و النّبیّون، و أمّا الألف الرابع فالمؤمنون یعلمونه، فثلاثمائة فی التوراة، و ثلاثمائة فی الإنجیل، و ثلاثمائة فی الزبور، و مائة فی القرآن، تسعة و تسعون ظاهرة و واحد منها مکتوم من أحصاها دخل الجنّة.

و روی ثقـة الإسـلام الکلینیّ نوّر اللّه مضـجعه فی الحدیث الأوّل من باب حدوث الأسـماء من اصول الکافی (ص 87 ج 1 من المعرب) بإسـناده عن إبراهیم ابن عمر، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی خلق اسما بالحروف غیر متصوّت و باللّفظ غیر منطق و بالشخص غیر مجسّد و بالتشبیه غیر موصوف و باللّون غیر مصبوغ منفیّ عنه الأقطار، مبعّد عنه الحدود، محجوب عنه حسّ کلّ متوهّم

مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معا ليس منها واحد قبل الاخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها و حجب منها واحدا و هو الاسم المكنون المخزون – الحديث.

و رواه رئيس المحدّثين الشّيخ الصّدوق رضوان اللّه عليه أيضا فى باب أسماء اللّه تعالى، و الفرق بين معانيها و بين معانى أسماء المخلوقين من كتاب التوحيد ص 183 من طبع ايران 1321 ه .

و روى الكلينى فى الحديث الأوّل من باب ما أعطى الأئمّة عليهم السّلام من اسم اللّه الأعظم من اصول الكافى (ص 179 ج 1 من المعرب) بإسناده عن جابر، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ اسم اللّه الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفا و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفا، و حرف واحد عند اللّه تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

و فى الحديث الثانى منه: و إنّ اسم اللّه الأعظم ثلاثة و سبعون حرفا اعطى محمّد صلى اللّه عليه و آله اثنين و سبعين حرفا و حجب عنه حرف واحد.

و فى الثالث منه: و عندنا منه اثنان و سبعون حرفا و حرف عند اللّه مستأثر به فى علم الغيب.

و فى الحديث السادس عشر من باب الدّعاء للكرب و الهمّ و الحزن و الخوف من كتاب الدّعاء من الكافى (ص 408 ج 2 من المعرب) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام:

اللهمّ إنّى أسألک بكلّ اسم هو لک أنزلته فى كتابک أو علمته أحدا من خلقک أو استأثرت فى علم الغيب عندک – الحديث.

و الأخبار و الأدعيّة فى ذلک كثيرة جدّا، و للحكيم المتألّه المولى الصالح المازندرانى السروى قدّس سرّه فى شرح الأبواب المذكورة من الكافى، و كذا لاستاذنا العلاّمة ميرزا أبى الحسن الشعرانى متّع اللّه علماء المسلمين بطول بقائه

معارف حقّة إلهيّة فى بيان تلك الأسرار الصادرة عن خزنة علم اللّه تعالى فعليک بطلبها فى مظانّها.

و بالجملة إنّ الوجود إذا ظهر أينما كان لا ينفكّ عنه توابعه النوريّة و صفاته العليا بحكم السنخيّة المستفاد من الفطر أيضا، و إنّما التفاوت بحسب قرب الأشياء من مبدئها و بعدها عنها طولا فكلّما كان أقرب كان سعة وجوده أكثر و آثاره الوجوديّة أشدّ و أوفر فتنتهى كلّها إلى من واجب وجوده، و لا ينقطع جوده طرفة عين، و ليس ما سواه إلاّ فيضه القائم به و هو قيامه، فإذا جميع الصّفات الكمالية ينتهى إليه أيضا و لا يتصوّر فوقه وجود و لا كمال، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً » و قال تعالى: «إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » و قال جلّ و علا: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ » و قال جلّت عظمته: «يا أَيُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ » و قال تبارک و تعالى: «قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ » و قال تعالى: «إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا » و قال تعالى: و الله «بِكُلِّ شَىْ ءٍ مُحِيطٌ » و قال تعالى «إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ آتِى الرَّحْمنِ عَبْداً » و قال تعالى: «وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ».

و ممّا يتفرّع على هذه الدقيقة أنّه ما من موجود إلاّ و له ملكوت ناطق بالحقّ بلسان يليق به، قال اللّه تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَىْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » (الاسراء: 45) و قال تعالى: «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ » (الرّحمن: 7).

و قال تبارک و تعالى: «قالُوا أَنْطَقَنَا اللّهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْ ءٍ » (فصّلت، حم السجدة: 22).

و قال تعالى: «فَلَمّا أَتاها نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّى أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ » (قصص 31).

و قال تعالى: «وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ » (النمل: 17).

و قال تعالى: «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها » - إلخ» (النمل: 19».

و قال تعالى: «وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ » - إلى قوله: «فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ » - إلى آخر الايات» (النمل: 22).

و قال تعالى فى سورة يس: «اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ »، و غيرها من الايات القرآنية.

و أمّا الأخبار فى تكلّم الحيوانات بل الجمادات لحجج اللّه تعالى و أوليائه فكثيرة جدّا.

قال العلاّمة البهائى قدّس سرّه فى أوائل المجلّد الثانى من الكشكول: العالم بأجزائه حىّ ناطق و إن من شىء إلاّ يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم، لكن نطق البعض يسمع و يفهم ككلام الاثنين المتّفقين فى اللّغة إذا سمع كلّ منهما كلام الاخر و فهمه، و نطق البعض يسمع و لا يفهم كالاثنين المختلفى اللّغة و منه سماعنا أصوات الحيوانات و سماع الحيوانات أصواتنا، و منه ما لا يسمع و لا يفهم كغير ذلك، و هذا بالنسبة الى المحجوبين، و أمّا غيرهم فيسمعون كلام كلّ شىء.

و قال فى آخر الكشكول (ص 625 من طبع نجم الدولة): روى العارف الربّانى المولا عبد الرزاق القاسانى فى تأويلاته: أنّ الصادق جعفر بن محمّد عليه السّلام خرّ مغشيّا عليه فى الصّلاة فسئل عن ذلك فقال: ما زلت اردّد الاية حتّى سمعتها من المتكلّم بها، ثمّ قال: نقل الفاضل الميبدى فى شرح الديوان عن الشّيخ السهروردى أنّه قال بعد نقل هذه الحكاية عن الصادق عليه السّلام: أنّ لسان الإمام فى ذلك الوقت كان كشجرة موسى عند قول: «إِنِّي أَنَا اللّهُ » و هو مذكور فى الإحياء فى تلاوة القرآن. انتهى.

قال الشّيخ العارف محيى الـدّين فى أوائل الفصّ الهودى: و كلّ ما سوى الحقّ فهو دابّـة لأنّه ذو روح و ما ثمّـة من يـدبّ بنفسه و إنّما يدبّ بغيره فهو يدبّ بحكم التبعيّة للذى هو على الصّراط المستقيم فانّه لا يكون صراطا إلاّ بالمشى عليه.

إذا دان لک الخلق فقد دان لک الحق و إن دان لک الحق فقد لا يتبع الخلق

فحقّق قولنا فيه فقولى كلّه حقّ فما فى الكون موجود تراه ماله نطق

و ما خلق تراه العين إلاّ عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ

و قال القيصـرى فى بيان قوله: فما فى الكون موجود تراه ماله نطق: أى ليس فى الوجود موجود تراه و تشاهده إلاّ و له روح مجرّد ناطق بلسان يليـق به، و قـال تعـالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و هـذا اللّسـان ليس لسـان الحـال كمـا يزعم المحجوبون، قال الشّيخ رضـى اللّه عنه فى آخر الباب الثانى عشـر من الفتوحات: و قـد ورد أنّ المؤذّن يشـهد له مـدى صوته من رطب أو يابس، و الشـرائع و النبوات من هذا القبيل مشحونة و نحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف فقد رأينا الأحجار رؤية عين بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال اللّه ممّا ليس يدركه كلّ إنسان، و إنّما اختفى نطق بعض الموجودات لعدم الاعتدال الموجب لظهور ذلک الفعل فلا يسمعه كلّ أحد فبقى نطقه باطنا و المحجوب يزعم أنّه لا نطق له و الكامل لكونه مرفوع الحجاب لشاهد روحانيّة كلّ شىء، و يدرک نطق كلّ حىّ باطنا و ظاهرا و الحمد للّه أوّلا و آخرا.

و أفاد العارف المولى عبـد الرزاق القاسانى فى المقام بقوله: إذا كان الحقّ هو المتجلّى فى كل موجود فلا موجود إلاّ هو ناطق بالحقّ لأنّه لا يتجلّى فى مظهر إلاّ فى صورة اسم من أسـمائه، و كلّ اسم موصوف بجميع الأسـماء لأنّه لا يتجزّى لكن المظاهر متفاوتـة فى الاعتـدال و التسوية، فإذا كانت التسوية فى غاية الاعتدال تجلّى بجميع الأسماء، و إذا لم يكن و لم يخرج عن هذا الاعتدال الإنسانى ظهر النطق و بطن سائر الأسماء و الكمالات و إذا انحطّ عن طور الاعتدال الإنسانى بقى النطق فى الباطن فى الجميع حتّى الجماد، فإنّ الّتى لم يظهر عليه من الأسماء

الإلهيّة و الصفات كانت باطنة فيه لعدم قابليّة المحلّ لظهوره فلا موجود إلاّ و له نطق ظاهرا أو باطنا، فمن كوشف ببواطن الوجود سمع كلام الكلّ حتّى الحجر و المدر. انتهى.

و قال القيصرى فى الفصل الرابع من مقدّماته على شرح الفصوص: و لا تظنّ أن مبدأ النطق الّذى هو النفس الناطقة ليس للحيوان لينضمّ معه فيصير الحيوان به إنسانا مع أنّه غير صالح للفصليّة لكونه موجودا مستقلا فى الخارج بل هذا المبدأ مع كلّ شىء حتّى الجماد أيضا فإنّ لكلّ شىء نصيبا من عالم الملكوت و الجبروت و قد جاء ما يؤيّد ذلک من معدن الرسالة المشاهد للأشياء بحقائقها صلوات اللّه عليه مثل تكلّم الحيوانات و الجمادات معه، و قال تعالى: «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » و ظهور النطق لكلّ واحد بحسب العادة و السنّة الإلهيّة موقوف على اعتدال المزاج الإنسانى، و أمّا للكمّل فلا لكونهم مطّلعين على بواطن الأشياء مدركين لكلامها، و ما قال المتأخّرون بأنّ المراد بالنطق هو إدراک الكلّيات لا التكلّم مع كونه مخالفا لوضع اللّغة لا يفيدهم لأنّه موقوف على أنّ الناطقة المجرّدة للإنسان فقط ، و لا دليل لهم على ذلک، و لا شعور لهم على أنّ الحيوانات، ليس لهم إدراک كلّى و الجهل بالشىء لا ينافى وجوده، و امعان النظر فيما يصدر منها من العجائب يوجب أن يكون لها إدراكات كلّيّة، و أيضا لا يمكن إدراک الجزئى بدون كلّيه إذ الجزئى هو الكلّى مع التشخّص، و اللّه الهادى.

و قال الحكيم المتألّه المولى صدرا قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبة من كتاب التوحيد من اصول الكافى: عن عاصم بن حميد قال: قال سئل علىّ بن الحسين عليهما السّلام عن التوحيد، فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ علم أنه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل اللّه تعالى «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » و الايات من سورة الحديد - إلى قوله: «وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » فمن رام وراء ذلک فقد هلک.

ص:236

ثمّ اعلم أنّ كلّ واحدة من هذه الايات السـتّة المشار إليها فى هذا الحديث متضمّنة لباب عظيم من علم التوحيد و الإلهيّة محتوية على أمر حكيم من الأحكـام الصـمديّة و الربوبيّـة لو أمهل الزّمان و ساعـد الـدّهر الخوّان لعارف ربّانى و حكيم إلهىّ أخـذ علمه من مشـكاة النّبوّة المحمّديّة على صادعها و آله أفضل الصّلاة و التحيّة و اقتبس حكمته عن أحاديث أصـحاب العصـمة و الطهارة و التزكية سلام اللّه عليهم لكـان من حقّه و حقّهمـا أن يكتب فى تفسـير كـلّ منها ما يثخن به مجلّدا كبيرا بل مجلّدات كثيرة، و لكن سـنذكر فى كلّ آيـة منها ما هو كالشاهد لما ادّعيناه و كالأنموذج لما شاهدناه فنقول:

أمّا الايـة الالى ففى الأخبار عن تسبيـح كلّ ما فى السـماوات و ما فى الأرض من الموجودات حتّى الجماد و النّبات و الأجساد و الموادّ و الأرض الموات و جثث الأموات للّه تعالى، و معرفة هذا التسبيح الفطرى و العرفان الكشـفى الوجودى من غوامض العلوم و دقائق الأسـرار الّتى عجزت عن إدراكهـا أذهـان جمهور العلماء و أكثر الحكماء فضـلا عن غيرهم و ليس عنـدهم فى هـذا الباب إلاّ مجرّد التقليـد، إيمانا بالغيب أو حمل التسبيـح على ما فيها من الأدلّة الدّالّة على وحدانيّة اللّه و تنزيهه (تنزّهه - خ ل) عن صـفات النقص من التجسّم و التغيّر و التكثّر.

و قال بعضـهم: إنّ كلمـة ما ههنا بمعنى من، و قيل: معناه كلّ ما يتأتّى منه التسبيح، هذا تمام كلام الأعلام فى هذا المقام، و لا يخفى عدم ملائمـة كلّ من الوجهين الأخيرين، بل كلّ ما قيل من التأويل و التخصـيص لكثير من الايات القرآنيّـة و الأخبار النبويّـة الدالّة على تسبيح المسمّى بالجماد و النّبات من الشجر و الحجر و الصخر و المدر فضلا عن المسمّى بالحيوان و الطير و البشر.

منهـا قوله تعـالى: «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمـاواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبالُ وَ الشَّجَرُ وَ الـدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ ».

و منها قوله: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلى ما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْ ءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمائِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَ هُمْ داخِرُونَ » و كذا نظائرها من الايات الدالّة على وقوع

التسبيح من جميع الموجودات حقيقة.

و حكاية تسبيح الحصى فى كفّ النبىّ صلى اللّه عليه و آله و سماعه و إسماعه مشهور، و فى ألسنة الرواة مذكور، و ما روى أيضا عن ابن مسعود أنّه قال: كنت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله بمكّة فخرجنا فى بعض نواحيها فما استقبله حجر و لا مدر إلاّ و يقول:

السّلام عليک يا رسول اللّه، و أمثاله كثيرة فى الروايات دالّة على أنّ هذا التسبيح و السجود و التسليم واقع على وجه التحقيق.

حتّى أنّ كثيرا من المنتسبين إلى الكشف و العرفان، زعموا أنّ النبات بل الجماد فضلا عن الحيوان له نفس ناطقة كالإنسان، و ذلک أمر باطل و البراهين ناهضة على خلافه من لزوم التعطيل و المنع عما فطر اللّه طبيعة الشىء عليه و دوام القصر على أفراد النوع و الإبقاء له على القوّة و الإمكان للشىء من غير أن يخرج إلى الفعليّة و الوجدان إلى غير ذلک من المفاسد الشنيعة المصادمة للبرهان و الحكمة.

بل هذا تسبيح فطرى و سجود ذاتى و عبادة فطرية نشأت عن تجلّ إلهى و انبساط نور وجودى على كافة الخلائق على تفاوت درجاتها و تفاضل مقاماتها فى نيل الوجود و درک الشهود و مع هذا التفاوت و التفاضل فى القرب و البعد و الشرف و الخسّة فأفراد العالم كلّه كأجزاء شخص واحد تنال من روح الحياة و روح المعرفة ما ناله الكلّ دفعة واحدة فأنطقها اللّه الّذى أنطق كلّ شىء فأحبّته و خضعته و سجدت له بسجود الكلّ و سبّحت له بتسبيحات هى تسبيح الكلّ «كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ ».

و الّذى يمنع عن هذه العبادة الفطريّة الأفكار الوهميّة و التصرّفات النفسانيّة لأكثر الانس الموجبة للخروج عن الفطرة الأصليّة و استحقاقيّة العذاب كما فى قوله تعالى: «وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذابُ ».

و بالجملة تحقيق هذا التسبيح الفطرى و إثبات هذه العبادة الذاتيّة ممّا يختصّ به الكاملون فى الكشف و العرفان الراسخون فى العلم و الإيقان، و أمّا سماع

اللّفـظ أو إسـماعه كمـا هو المروى عن النّبىّ صـلى اللّه عليه و آله و صـحبه فكـذلک من بـاب المعجزة الواقعـة نفسه القدسـيّة على إنشـاء الأصوات و الأشكال على موازنة المعانى و الأحوال انتهى كلامه طيّب اللّه رمسه فى المقام.

و قلت: الظـاهر من كلاـمه: حتّى أنّ كثيرا من المنتسبين - إلـخ - يوهـم التنـاقض بينه و بين كلام القيصـرى المـذكور آنفا حيث قال: «لأنّه موقوف على أنّ النّاطقـة المجرّدة للإنسان فقط ، و لا دليل لهم على ذلک» و لكن بعد التأمّل الدقيق فى كلامهما يظهر عدم التناقض بينهما و كلاهما يشـيران إلى معنى واحد، و بيان عدم التنافى بينهما يعلم بما قدّمنا من كلام المولى عبد الرزاق القاسانى فإنّک إذا أمعنت النظر فيه تدرى أنّ المولى صدرا و القيصـرى يسـلكان ما سـلكه القاسانى و يفيدان ما أفاده و لا اختلاف و لا تفرقة بينهم، و قد أجاد العارف صاحب المثنوى بقوله نظما:

گر تو را از غيب چشمى باز شد با تو ذرّات جهان همراز شد

نطق خاک و نطق آب و نطق گل هست محسوس حواسّ أهل دل

هر جمادى با تو مى گويد سخن كو ترا آن گوش و چشم أى بو الحسن

گر نبودى واقف از حق جان باد فرق كى كردى ميان قوم عاد

سنگ أحمد را سلامى مى كند كوه يحيى را پيامى مى كند

جملهٔ ذرات در عالم نهان با تو مى گويند روزان و شبان

ما سميعيم و بصير و با هشيم با شما نامحرمان ما خامشيم

از جمادى سوى جان جان شويد غلغل أجزاى عالم بشنويد

فاش تسبيح جمادات آيدت وسوسه تأويلها بزدايدت

چون ندارد جان تو قنديلها بهر بينش كرده اى تأويلها

فإذا دريت أنّ ما سواه آية له و مشـتقّ منه و منفطر منه، و أنّه إنّ من شـىء إلاّ أنّه حاک عنه و مثال و صورة له و للّه المثل الأعلى و أن الوجود لا ينفكّ عن آثاره النّوريّة، علمت أنّ ما يخاطبنا اللّه جلّ جلاله بكتابه و كلامه و يدعونا إلى

ما فيه خيرنا و سعادتنا كلقائه مثلا، فلا بدّ من أن يكون فطرتنا مناسبة و متشابهة له و لو بوجه و إلاّ لم يصحّ الخطاب و نزيدک فی ذلک بيانا.

و نقول: قال محيی الدّين فی الفصّ الادمیّ من الفصوص: و لما كان استناده - أی استناد الحادث - إلی من ظهر عنه لذاته اقتضی أن يكون علی صورته فيما ينسب إليه من كلّ شیء من اسم و صفة ما عدا الوجوب الذاتی فإنّ ذلک لا يصحّ للحادث، و إن كان واجب الوجود و لكن وجوده بغيره لا بنفسه.

و قال القيصری فی شرحه: أی اقتضی هذا الاستناد أن يكون الحادث علی صورة الواجب، أی يكون متّصفا بصفاته، و جميع ما ينسب إليه من الكمالات ما عدا الوجوب الذاتی و إلاّ لزم انقلاب الممكن من حيث هو ممكن واجبا، و ذلک لأنّه اتّصف بالوجود و الأسماء و الصفات لازمة للوجود، فوجب أيضا اتّصافه بلوازم الوجود و إلاّ لزم تخلّف اللاّزم عن الملزوم، و لأنّ المعلول أثر العلّة و الاثار بذاتها و صفاتها دلائل علی صفات المؤثّر و ذاته، و لا بدّ أن يكون فی الدليل شیء من المدلول لذلک صار الدليل العقلی أيضا مشتملا علی النتيجة، فإنّ إحدی مقدّمتيه مشتملة علی موضوع النتيجة، و الاخری علی محمولها، و الأوسط جامع بينهما، و لأنّ العلّة الغائيّة من إيجاد الحادث عرفان الموجد كما قال تعالی: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ» و العبادة تستلزم معرفة المعبود و لو بوجه، مع أنّ ابن عبّاس رضی اللّه عنه فسّرها هنا بالمعرفة و لا يعرف الشیء إلاّ بما فيه من غيره لذلک قال عليه السّلام حين سئل بم عرفت اللّه: عرفت الأشياء باللّه، أی عرفته به أوّلا ثمّ عرفت به غيره و لما كان وجوده من غيره صار أيضا وجوبه بغيره، و غير الإنسان من الموجودات، و إن كان متّصفا بالوجود لكن لا صلاحيّة له بظهور جميع الكمالات فيه. انتهی.

و قال العارف الجامی فی شرحه علی الفصوص: قوله: «فيما ينسب إليه من كلّ شیء من اسم و صفة» من اسم و صفة بيان لشیء، فحاصله أن يكون علی صفته تعالی فی كلّ اسم و صفة ينسب إليه تعالی يعنی كما أنه ينسب كلّ اسم و صفة إليه

تعالی کذلک ینسب إلی الحادث فإنّه بأحدیّة جمعه الأسـمائی متجلّ و سار فیه و لذا قیل کلّ موجود متّصف بصـفات السبع الکمالیّة لکن ظهورها فیه بحسب استعداده و قابلیّته.

و قال بعض المحشـیّین علی شرح القیصری: قوله: «لأنّه اتّصف بالوجود» یظهر من هذا أنّ ذات الواجب بصرافة ذاته لا یکون فی الممکن و إلاّ یلزم أن یکون الممکن متّصـفا بالوجوب الـذاتی أیضا بعین هـذا الـدلیل بأن یقال انّ الممکن متصف بالوجود الّذی یکون واجبا لذاته و الوجوب لازم للواجب فوجب اتصاف الممکن بـذلک اللازم أیضا، انتهی، یعنی أنّ الممکن غیر متصف بالوجود الصـرف الواجب الوجود حتّی یلزم انقلاب الممکن واجبا.

و أفاد بعض اساتیذنا و هو العالم المحقّق النحریر محمّد حسین ابن المولی عبد العظیم التونی الشهیر بالفاضل التونی تغمّده اللّه بغفرانه فی تعلیقته علی قول القیصری المنقول آنفا «و لا یعرف الشیء إلاّ بما منه فی غیره»:

لأنّه لا یعرف الغائب إلاّ بالشاهـد بمعنی أنه لا یمکن أن یعرف شـیء إلاّ أن یکون له مثال فی ذات العالم فاذا قیل لک کیف یکون الواجب تعـالی عالمـا بـذاته فـالجواب کما أنّک تعلم ذاتک فتفهم علمه تعالی بـذاته، و إذا قیل کیف یعلم الواجب تعالی غیره فیقال کما تعلم أنت غیرک، و إذا قیل کیف یعلم الواجب تعالی بعلم واحـد بسـیط سائر المعلومات فیقال کما تعلم جواب مسائل دفعة بدون تفصـیل ثمّ تنتقل بالتفصـیل، و إذا قیـل کیف علمه مبـدء لوجود الأشـیاء فیقال کما یکون توهمک للسـقوط عن الجـدار مبـدء للسـقوط و إذا قیل کیف یعلم الأشـیاء کلّهـا فیقـال کما یعلم المنجم الخسوف أو الکسوف من العلم بأسـبابها، و الحاصل أنّک لا تقـدر أن تفهم شـیئا من اللّه تعالی إلاّ بالمقایسـة إلی شـیء من نفسک فإذا لم یکن لشـیء نظیر فی نفسک فلا یمکنک العلم به کالوجوب الذاتی و الوجود بلا مهیّة و لمّا لم یکن لهمـا نظیر فی نفسـک لم یمکنـک العلم بهما فلا تتعب نفسک فی العلم بهما و لـذا قال تعالی «وَ یُحَذِّرُکُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ » انتهی کلامه رفع مقامه و له

قدس سرّه تعليقات أنيقة على شرح الفصوص القيصرى من بدو الكتاب إلى ختمه و قد طبع طائفة منها على مقدمات القيصرى على شرح الفصوص.

فبما قدّمنا علمت معنى قول ثامن الأئمة علىّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة و الثناء: «قد علم أولو الألباب أنّ ما هنالک لا يعلم إلاّ بما ههنا» و هذا الكلام الوجيز بعيد الغور جدّا، ككلام جدّه باب مدينة العلم أمير المؤمنين على عليه السّلام فى الصورة الإنسانية: «و هى الشاهدة على كلّ غائب» كما فى شرح الأسماء للمتأله السبزوارى ص 12 من الطبع الناصرى، كما علمت أن الإنسان متّصف بحسب استعداده و قابليته بأوصاف وجوديّة تحاكى عن أصلها قال عزّ من قائل:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها » و التفاوت بينها و بين الأصل كتفاوت مرحلتى الوجودين حيث انّ وجود الإنسان كغيره فيض من وجوده تعالى و فىء له و قائم به و واجب به و فقير إليه و كذا صفاته المنطبعة فى فطرته «فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِى فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها ».

و من بحثنا هذا تنتقل إلى أنّ دين الإسلام هو دين الفطرة ما ذا؟ و قد أفاد فى ذلک استادنا العلاّمة الطباطبائى البارع فى الحكمة الحقّة جزاه اللّه تعالى عنّا أفضل جزاء المعلّمين و أدام أيّام إفاضاته فى الجزء السابع من تفسيره القيّم:

الميزان، فى قوله تعالى: «إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً » (الأنعام 79) بقوله:

و فى تخصيص فطر السموات و الأرض من بين صفاته تعالى الخاصّة و كذا من بين الألفاظ الدّالة على الخلقة كالبارى و الخالق و البديع إشارة إلى ما يؤثره إبراهيم عليه السّلام من دين الفطرة و قد كرّر وصف هذا الدين فى القرآن الكريم بأنّه دين إبراهيم الحنيف و دين الفطرة أى الدين الّذى بنيت معارفه و شرائعه على خلقة الإنسان و نوع وجوده الّذى لا يقبل التبدّل و التغيّر فإنّ الدين هو الطريقة المسلوكة الّتى يقصد بها الوصول إلى السعادة الحقيقيّة و السعادة الحقيقيّة هى الغاية المطلوبة الّتى يطلبها الشىء حسب تركّب وجوده و تجهّزه بوسائل الكمال طلبا خارجيا واقعيّا، و حاشا أن يسعد الإنسان أو أى شىء آخر

من الخليقـة بـأمر و لـم يتهيّـأ بحسب خلقته له أو هيّئ لخلافه كأن يسـعد بترک التغـذّی أو النكاح أو ترک المعاشـرة و الاجتماع و قـد جهّز بخلافها، أو يسعد بالطيران كالطّير أو بالحياة فی قعر البحار كالسمک و لـم يجهّز بما يوافقه.

فالـدين الحقّ هو الذی يوافق بنواميسه الفطرة و حاشا ساحة الربوبيّة أن يهدی الإنسان أو أیّ مخلوق آخر مكلّف بالدين - إن كان - إلی غاية سعيدة مسـعدة و لا يوافق الخلقة أو لـم يجهّز بما يسـلک به إليها فإنّما الدين عند اللّه الإسلام و هو الخضوع للّه بحسب ما يهدی إليه و يدلّ عليه صنعه و إيجاده، انتهی ما أفاد مدّ ظلّه العالی فی المقام.

فتبصّـر بما قـدّمناه أنّ أصل المعرفة فطریّ للأشـياء و قال اللّه تعالی: «وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ » و إنّما ضـلّ عنهم المعرفة بالمعرفة و البصـيرة بالرؤية، و أنّ المعرفة و الرؤية القلبيّة ترجعان إلی أمر واحد و إنهما تثمران الايمان علی البصيرة، و لا نعنی من اللقاء إلاّ المعرفـة و الرؤية بهذا المعنی ففی التوحيد عن أبی بصـير عن أبی عبد اللّه عليه السّـلام قال قلت له: أخبرنی عن اللّه عزّ و جلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال عليه السّلام: نعم و قد رأوه قبل يوم القيامة فقلت:

متی ؟ قـال عليه السّـلام: حين قال لهم: أ لست بربكم قالوا بلی، ثمّ سـكت ساعـة ثمّ قال و انّ المؤمنين ليرونه فی الـدّنيا قبل يوم القيامـة، أ لست تراه فی وقتک هذا؟ قال أبو بصـير: فقلت له: جعلت فداک فاحدّث بهذا عنک ؟ فقال عليه السّـلام: لا فانک إذا حدّثت به فأنكره منكر جاهل بمعنی ما نقوله ثمّ قدّر أنّ ذلک تشبيه كفر و ليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالی عما يصفه المشبّهون و الملحدون.

و فی آخر باب نفی المكان و الزمان عنه تعالی من كتاب التوحيد أيضا ص 176 باسناده عن إسحاق السبيعی عن الحارث الأعور، عن علیّ بن أبی طالب عليه السّلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل (فاذا هو مرّ برجل - خ د) مولّيه ظهره يقول:

لاـ و الّـذی احتجب بالسـبع قـال اللّه يا أمير المؤمنين، قال أخطأت ثكلتک امّک انّ اللّه عزّ و جلّ ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا، قال: ما كفارة

ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ قال: أن تعلم أنّ اللّه معک حيث كنت قال: أطعم المساكين ؟ قال: لا إنما حلفت بغير ربّک.

و من سلک هذا المسلک فقد حيى بحياة طيّبة و يدخل فى ملک لا يبلى و جنّة الخلد الّتى وعد المتقون، ففى التوحيد عن الحارث بن المغيرة النضرى قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ : «كُلُّ شَيْ ءٍ هالِکٌ إِلاّ وَجْهَهُ » قال: كلّ شىء هالک إلاّ من أخذ طريق الحقّ .

و اعلم أنّ الوجود مع وحدة حقيقتها و كثرة تشأنّها، كلّ يوم هو شأن له مراتب طوليّة تختلف غنى و فقرا و سعة و ضيقا فتنتهى إلى ذات واجب الوجود الّذى تلک الكثرات مجاليه و مظاهره و مراياه و اللّه تعالى من ورائهم محيط فله تعالى مرتبة متحققة مجرّدة عن المظاهر و المجالى غير متناهية فى جميع الصفات النورية أشدّ و أقوى ممّا سواه وجودا، قال عزّ من قائل: «أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً » (فصّلت 16)، و لا يحيطون به علما لأن الدّانى لا يسعه الإحاطة بالعالى المحيط به، كما أنّ النفس مع كونها فى وحدتها كلّ القوى و كلّها مجاليها و مظاهرها ليست هى بمجموع تلک القوى الظاهرة و الباطنة تعلّقت بالبدن فحسب بل لها مرتبة فوقها أعلى و أشمخ منها رتبة و آثارا و هى جهتها المجرّدة الّتى تلى ربّها، و إن كانت تلک القوى مراتبها النازلة، و المرتبة النازلة منها كالواهمة مثلا لا تحيط بالمرتبة العالية كالعاقلة المحيطة بها.

قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى شرحه للهداية: و الصنف الثالث و هم الراسخون فى العلم من الحكماء قائلون بأنّ العالم ليس عبارة عن الممكن الصرف و لا عن الوجود الحقيقى الصرف بل من حيث هو موجود بالوجود الحقيقى له اعتبار و من حيث إنّه ينقسم إلى العقول و النفوس و غيرها له اعتبار آخر فالعالم زوج تركيبى من الممكن و السنخ الباقى الّذى هو بذاته موجود و وجود فليس العالم عبارة عن الذوات المتعدّدة كما حسبه المحجوبون بل ذاته واحد و هو الحقّ الّذى هو الوجود الحقيقى و لا وجود للممكنات إلاّ بارتباطها به لا بأن يفيض

عليها وجودات مغايرة للوجود الحقيقى و برهان ذلک مذكور فى كتابنا المسمّى بالأسفار الأربعة.

و قال فى مبحث العلة و المعلول من الأسفار: (ص 196 من الرحلى) تنبيه:

إنّ بعض الجهلة من المتصوّفين المقلّدين الّذين لم يحصّلوا طريق العلماء العرفاء و لم يبلغوا مقام العرفان توهّموا لضعف عقولهم و وهن عقيدتهم و غلبة سلطان الوهم على نفوسهم أن لا تحقق بالفعل للذّات الأحديّة المنعوتة بألسنة العرفاء بمقام الأحديّة و غيب الهوية و غيب الغيوب مجرّدة عن المظاهر و المجالى بل المتحقّق هو عالم الصورة و قواها الروحانيّة و الحسيّة و اللّه هو الظاهر المجموع لا بدونه و هو حقيقة الإنسان الكبير و الكتاب المبين الّذى هذا الإنسان الصغير أنموذج و نسخة مختصرة عنه، و ذلک القول كفر فضيح و زندقة صرفة لا يتفوّه به من له أدنى مرتبة من العلم و نسبة هذا الأمر إلى أكابر الصوفيّة و رؤسائهم افتراء محض و افک عظيم يتحاشى عنها أسرارهم و ضمائرهم، و لا يبعد أن يكون سبب ظنّ الجهلة بهؤلاء الأكابر اطلاق الوجود تارة على ذات الحقّ و تارة على المطلق الشامل و تارة على المعنى العام العقلى فإنّهم كثيرا ما يطلقون الوجود على المعنى الظلّى الكونى فيحملونه على مراتب التعيّنات و الوجودات الخاصّة فيجرى عليه أحكامها.

و بما تقدّم من أنّ ما سواه تعالى مظاهر أسمائه و صفاته و مجالى إشراقات نور وجهه و مرايا ظلّ ذاته علمت معنى الإخلاص فى التوحيد أعنى التوحيد الذاتى الّذى ينطق به الموحّدون و إمامهم علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام: أوّل الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه و من جزّاه فقد جهله و من جهله فقد أشار إليه و من أشار إليه فقد حدّه و من حدّ فقد عدّه إلخ (الخطبة الاولى من نهج البلاغة).

ص:245

و لا يخفى عليک أنّ كلامه عليه السّلام يشير إلى التوحيد الذاتى و اخلاصه تمحيض حقيقة الأحديّة عن شائبة الكثرة، قال العارف السيّد حيدر الاملى فى رسالة نقد النقود فى معرفة الوجود (ص 636): و اذا تحقّق هذا و ثبت أنّ الوجود المطلق موجود فى الخارج و ليس لغيره وجود أصلا، و ثبت أنّ هذا الوجود المطلق هو الحقّ تعالى فاعلم أنّ مرادهم بالوجود من حيث هو الوجود، الوجود الصرف و الذات البحت الخالص بلا اعتبار شىء معه أصلا أعنى تصوّره من حيث هو هو لا بشرط الشىء و لا بشرط اللا شىء أى مجردا عن جميع النسب و الإضافات و القيود و الاعتبارات.

و معلوم أنّ كلّ شىء له اعتباران: اعتبار الذات من حيث هى هى، و اعتبارها من حيث الصفات أى وصفها بصفة مّا أيّة صفة كانت، فهذا هو اعتبار الذات فقط أعنى اعتبار الذات بقطع النظر عن جميع الاعتبارات و الإضافات المخصوصة بالحضرة الأحديّة و أنّ مرادهم بالمطلق هو الذات المطلقة المنزّهة عن جميع هذه الاعتبارات، و ليس اطلاق لفظ المطلق على الوجود الصرف إلاّ من هذه الحيثيّة لا من جهة المطلق الّذى هو بازاء المقيد، و لا من جهة الكلى الّذى هو بازاء الجزئى، و لا من جهة العام الذى هو بازاء الخاص لأنه – أى الوجود الصرف – من حيث هو غنىّ عن إطلاق شىء عليه اسما كان أو صفة، سلبا كان أو ثبوتا، إطلاقا كان أو تقييدا، عامّا كان أو خاصّا، لأنّ كلّ واحد منها – اى من هذه الامور المتقابلة – يقتضى سلب الاخر، أو يقتضى التقيّد و التعيّن فيه، و هو أعنى الوجود المطلق المحض منزّه عن الكلّ حتّى عن الإطلاق و عدم الإطلاق لأنّ الإطلاق تقييد يقيّد الإطلاق، كما أنّ اللاّ إطلاق قيد بعدم الاطلاق و كذلک التعيّن و اللاّ تعيّن و غير ذلک من الصفات كالوجود و القدم و العلم و القدرة و أمثالها.

و عن هذا التنزيه النزيه و التقديس الشريف أخبر مولانا و إمامنا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فى قوله: أوّل الدين معرفته – إلخ و الغرض

ص:246

أنّ كلّ ذلک إشارة إلى إطلاقه و تجرّده و تنزّهه و تقـدّسه عن الكثرة الوجوديّـة و الإعتباريّة، لأنّ قوله عليه السّـلام و كمال الإخلاص له نفى الصـفات عنه إشارة إلى الوجود المطلق المحض و الذات البحت الخالص الّذى لا يمكن وصـفه بشـىء أصلا و لا يكون قابلا للإشارة أبدا كما أشار إليه عليه السّلام فى موضع آخر فى قوله:

الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة.

قلت: قوله عليه السّـلام: الحقيقة كشف سـبحات الجلال من غير إشارة، بعض حديث الحقيقة المخاطب به كميل بن زياد رضوان اللّه عليه سأله عليه السّـلام عن الحقيقـة بقوله: ما الحقيقـة ؟ قال عليه السّـلام: مالک و الحقيقـة ؟! قال: أ و لست صاحب سـرّک ؟ قال: بلى، و لكن يرشح عليک ما يطفح منّى، قال: أو مثلک يخيّب سائلا؟! قال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة، قال: زدنى فيه بيانا، قال:

محو الموهوم مع صـحو المعلوم، قال: زدنى فيه بيانا، قال: هتک الستر لغلبـة السـرّ قال: زدنى فيه بيانا، قال: جذب الأحديّة بصـفة التوحيد، قال: زدنى فيه بيانا قال: نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هياكل آثاره، قال: زدنى فيه بيانا قال: أطف السراج فقد طلع الصبح.

نقله العارف المـذكور فى جامع الأسـرار ص 170 و شـرحه فى عـدّة مواضع من ذلک الكتاب، و العلاّمـة الشّـيخ البهائى فى الكشـكول و القاضـى نور اللّه الشـهيد نوّر اللّه مرقده فى مجالس المؤمنين و العارف الشّـيخ عبد الرزاق اللاّهجى فى شرح گلشن راز، و الخوانسارى فى روضات الجنّات، و المحدّث القمّى فى سـفينة البحار و غيرهم من أساطين الحكمة و العرفان فى صـحفهم القيّمة، و شـرحه العلاّمة قطب الدين الشيرازى فى رسالة معمولة فى ذلک فقط ، و شرحه أيضا بعض أساتيذنا بالنظم الفارسى و لقد أحسن و أجاد، ألا و هو العارف الرّبانى محيى الدّين مهدى الالهى القمشئى أدام اللّه أيّام إفاضاته.

و قال العارف الاملى المـذكور فى جامع الأسـرار فى تعريف التوحيـد: اعلم أنّ حقيقـة التوحيـد أعظم من أن يعبّر عنها بعبارة أو يؤمى إلى تعريفها بإشارة

فالعبارة فی طریق معرفتها حجاب، و الإشارة علی وجه إشـراقها نقاب، لأنّها یعنی حقیقـة التوحیـد منزّهـة عن أن تصل إلی کنهها العقول و الأفهام، مقدّسة عن أن تظفر بمعرفتها الأفکار و الأوهام، شعر:

تجول عقول الخلق حول حمائها و لم یدرکوا من برقها غیر لمعة

و إلی صـعوبة إدراکها یعنی حقیقة التوحید و شدّة خفائها أشار مولانا و إمامنا أمیر المؤمنین و یعسوب المسلمین سلطان الأولیاء و الوصیین وارث علوم الأنبیـاء و المرسـلین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی قوله: ما وحّده من کیّفه، و لا حقیقته أصاب من مثّله، و لا إیّاه عنی من شبّهه، و لا قصده من أشار إلیه و توهّمه.

و فی قوله: هو الأحـد لا بتأویل عدد، و الخالق لا بمعنی حرکة و نصب و السـمیع لا بأداة، و البصـیر لا بتفریق آلة، و الشاهد لا بمماسّة، و البائن لا بتراخی مسافة، و الظاهر لا برؤیة، و الباطن لا بلطافة، بان من الأشـیاء بالقهر لها و القدرة علیها، و بانت الأشـیاء منه بالخضوع له و الرجوع إلیه، من وصـفه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال کیف فقد استوصفه، و من قال أین فقد حیّزه، عالم إذ لا معلوم، و ربّ إذ لا مربوب و قادر إذ لا مقدور.

و فی قوله: أوّل الدین معرفته - إلخ.

و کـذلک الشّیخ العارف الشـبلی البغـدادی رحمـة اللّه علیه فی قوله: من أجاب عن التوحیـد بعبارة فهو ملحـد، و من أشار إلیه باشارة فهو زندیق، و من أومی إلیه فهو عابد وثن، و من نطق فیه فهو غافل، و من سکت عنه فهو جاهل، و من وهم أنّه إلیه واصل فلیس له حاصل، و من ظنّ أنّه منه قریب فهو عنه بعیـد، و من به تواجـد فهو له فاقد، و کلّ ما میّزتموه بأوهامکم و أدرکتموه بعقولکم فی أتمّ معانیکم فهو مصـروف مردود إلیکم، محدث مصنوع مثلکم.

و لیس مرادهم من هـذه الإشـارات الامتناع من حصوله، و لا الیأس من وصوله بل المراد منها إعلاء أعلام منزلته، و ارتفاع أرکان درجته، و بیان أنّه لیس

بقابـل للإشارة و لا بمحلّ للعبارة، لأنّه عبارة عن الوجود المطلق المحض و الـذات الصـرف البحت المسـمّى بالحقّ جلّ جلاله الّـذى لا يقبـل الإشـارة أصـلا و رأسـا و لاـ العبـارة قولاـ و فعلا و ذلک لا يكون إلاّ عنـد فناء الطالب فى المطلوب و الشاهـد فى المشـهود و حين الاستغراق و الاستهلاک فى المطلق المحيط و لا شکّ أنّه لا يبقى مع ذلک لا الإشارة و لا المشير، و لا من الغير أثر فى العقل و الضمير.

و إليه أشار الإمام عليه السّلام بقوله أيضا: «الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة» اظهارا بأنّه لا ينكشف الحقّ حقيقة على أحد إلاّ عند ارتفاع الكثرة مطلقا اسـما كان أو صـفة و لهذا قال سبحات الجلال بدون الجمال لأنّ الجمال مخصوص بالأسماء و الصفات الّتى هى منشأ الكثرة لا الجلال، انتهى ما أردنا من نقل كلام العارف السيّد حيدر الاملى قدّس سرّه الشريف فى التوحيد الذاتى.

و الشّـيخ العارف المحقّق أبو إسـماعيل خواجه عبد اللّه بن إسـماعيل الأنصارى الهروى قد ذكر فى آخر كتابه الموسوم بمنازل السائرين بابا مفردا فى التوحيد و قسـمه على ثلاثة أوجه، و قد بذل الجهد فى ذلک جدّا، و لكنّه موجز يحتاج إلى البيان و قد شـرح ذلک الكتاب المولى العارف المحقّق كمال الدّين عبد الرزّاق الكاشانى يفضل ذلک الشـرح على سائر الشروح كفضله على سائر الشراح، و ذلک الباب باب إلى ما كنّا فى صـدده، و قد أشار الشارح المذكور إلى المتن بحرف الميم، و إلى الشـرح بحرف الشـين فنأتى بالباب على هديه و طريقته من غير تغيير وضعه و اسلوبه و هو مايلى:

(م) باب التوحيد، قال اللّه تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ ».

(ش) إنّما خصّ بعض الايـة بالـذكر لأنّ هـذا محض التوحيـد الجمعى و هو أن لا يكون معه شـىء فلو ذكر و الملائكـة و اولو العلم لكان نزولا عن الجميع إلى الفرق فيكون معه غيره فلا يبقى التوحيد المحض فهو الشاهد بنفسه لنفسه فلم يشـهد أن لا إله إلاّ هو غيره فمن تحقّق هذا بالذوق فقد شهد التوحيد بالحقيقة.

(م) التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جلّ عن الحدث و إنّما نطق العلماء بما نطقوا به

و أشار المحقّقون بما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من حال أو مقام فكلّه مصحوب العلل.

(ش) قوله: التوحيد تنزيه اللّه عزّ و جل عن الحدث. مجمل يتناول تنزيه العقلاء من الحكماء و المسلمين، و تنزيه العرفاء الموحّدين لأنّ جميع العقلاء و أهل الفكر يدّعون تنزيه اللّه تعالى مع كونهم مقيّدين لأنّ العقل لا يقول إلاّ بالتقييد و يثبتون الحدث و ينفونه عن الحقّ تعالى و ينزّهونه عنه، و أما العرفاء المحقّقون فلا يثبتون الحدث أصلا و رأسا فإنّ شهود التوحيد ينفيه عن أصله ثمّ يثبته بعد نفيه بالحقّ بمعنى تجلّى الحقّ مع الايات بوجوهه فى الصّور فيكون الحدوث عندهم ظهوره فى الصّور المختلفة بالتجلّيات المتعاقبة الغير المتكرّرة.

و مراد الشّيخ قدّس اللّه روحه هذا التنزيه و لا يهتدى العقل إلى طريق التوحيد الّذى لا يكون فيه مع الحقّ سواه و لا يرى الحقّ عين الكلّ و لا يرى الحقّ عين الكلّ بحيث لا يكون فى الوجود شىء غيره.

و إنما نطق العلماء بما نطقوا به و أشار المحقّقون إلى ما أشاروا إليه فى هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد أى ما نطقوا و ما أشاروا إلاّ لقصد تصحيح هذا المقام السنّى لأنّه المقصد الأقصى و الموقف الأعلى و ما دون ذلک من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا صحّة لها لبقاء الرسوم فيها و لو فى الحضرة الواحديّة و التجلّيات الأسمائية هذا ما ذهب إليه خاطرى.

و وجه آخر مبنىّ على أنّ «ما» فى إنّما نطق موصولة حقها أن تكتب مفصولة على معنى أنّ كلّ ما نطق به العلماء و أشار إليه المحقّقون لقصد تصحيح التوحيد و ما سواه من الأحوال و المقامات فكلّه مصحوب العلل لا يخلو منها يعنى أنّ التوحيد بالعلم لا يخلص عن العلل و كذا إثبات الأحوال و المقامات بطريق العلم و إشارات المحقّقين لا يخلو من العلل فإنّها مواجيد ذوقيّة لا تندرج تحت العبارات و لا يحيط به الإشارات و لا تفى ببيانها الكلمات و العلل هى الجهالات.

(م) و التوحيد على ثلاثة وجوه: الوجه الأوّل توحيد العامة الّذى يصحّ

بالشواهد، و الوجه الثانى توحيد الخاصّة و هو الّذى يثبت بالحقائق، و الوجه الثالث توحيد قائم بالقدم و هو توحيد خاصّة الخاصّة.

(ش) الشواهد هى الأكوان و المصنوعات الّتى يستدلّ بها على المكوّن الصانع و بالجملة الدلائل الّتى يستدلّ بها العلماء بالنظر و الفكر و براهين العقل فتوحيد العامّة إنّما يصحّ بالإستدلال مثل قوله تعالى: «لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا »، و لكن ما فسدتا فليس فيهما آلهة غير اللّه و أمثال ذلک.

و أما توحيد الخاصّة و هم المتوسطون فهو الذى يثبت بالحقائق المذكورة فى القسم التاسع و هى المكاشفة و المشاهدة و المعاينة و الحياة و القبض و البسط و السكر و الصحو و الإتّصال و الانفصال.

و أما توحيد خاصّة الخاصّة فهو التوحيد القائم بالقدم يعنى توحيد الحقّ لنفسه أزلا و أبدا كما قال: شهد اللّه أنّه لا إله إلاّ هو، و قيامه بالقدم أزليّة و امتناع قيامه بالحدث و إلاّ كان مثبتا للغير فلم يكن توحيدا و أهل هذا المقام هم المذكورون فى الدرجة الثالثة من كل باب من أبواب أقسام النهايات.

(م) فأما التوحيد الأوّل فهو شهادة أن لا إلاّ اللّه وحده لا شريک له الأحد الصمد الّذى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد، هذا هو التوحيد الظاهر الجلىّ الّذى نفى الشرک الأعظم و عليه نصبت القبلة، و به وجبت الذمّة، و به حقنت الدّماء و الأموال، و انفصلت دار الإسلام عن دار الكفر، و صحّت به الملّة العامّة و إن لم يقوموا بحقّ الاستدلال بعد أن سلموا من الشّبهة و الحيرة و الريبة بصدق شهادة صحّحها قبول القلب.

(ش) هذا ظاهر غنىّ عن الشرح و هو أصل التوحيد التقليدى الّذى صحّت به الملّة للعامّة بصدق شهادة صحّحها فى الشرع قبول قلوبهم لها تقليدا و إن لم يقدروا على الاستدلال بعد أن لم تعتورهم الشّبهة و الحيرة و الشک و سلمت قلوبهم من ذلک.

(م) هذا توحيد العامّة الّذى يصحّ بالشواهد، و الشواهد هى

الرسالة و الصنائع.

(ش) أى الأخبار الّتى وردت بها الرسالة و المصنوعات المتقنة المحكمة الدالّة بحسن صنعتها و إتقانها على وجود الصّانع و علمه و حكمته و قدرته.

(م) يجب بالسمع و يوجد بتبصير الحقّ و ينمو على مشاهدة الشواهد.

(ش) أى يجب قبول هذا التوحيد بالأدلّة السمعيّة و هى أخبار الكتاب و السنّة الّتى يسمعها من النّبى صلى اللّه عليه و آله كقوله: فاعلم أنّه لا إله إلاّ اللّه. و قوله:

و إلهكم إله واحد، و شهد اللّه، و سورة الإخلاص و أمثالها، و لا توجد حقيقته و حلاوته و إدراک معناه إلاّ بتبصير الحقّ إيّاه بنوره المقذوف فى قلب المؤمن و يزيد و ينمو بالمواظبة على مشاهدة الشواهد بنظر الإعتبار و التفكّر فيها و مطالعة حكمة صانعها فى أحوالها.

(م) و أمّا التوحيد الثانى الّذى يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصّة و هو إسقاط الأسباب الظاهرة و الصعود عن منازعات العقول و عن التعلّق بالشواهد و هو أن لا تشهد فى التوحيد دليلا، و لا فى التوكل سببا، و لا للنّجاة وسيلة.

(ش) إسقاط الأسباب الظاهرة هو أن لا يعلّق المسبّبات بالأسباب المعروفة بين الناس و لا يرى لها تأثيرا و لا لغير الحقّ فعلا، و يشهد بالحقيقة أن لا مؤثّر إلاّ اللّه، و الصعود عن منازعات العقول هو الترقّى إلى مقام الكشف و التخلّص عن منازعات العقول أحكام الشرع لعماها عن حكمها، و احتجابها بقياساتها، و عن منازعات بعض العقول بعضا، و مجادلاتها فى الأحكام لثبوت الأوهام إيّاها، و معارضاتها فى المناظرات باتّهامها فى الأحكام (بإتمامها فى الأحكام - خ ل) و تصفية الباطن عن المخالفات و المجادلات مجاوزا طور العقل إلى نور الكشف و عن التعلّق بالشواهد أى الصعود عن طور الاستدلال و التمسّک بالأدلّة استغناء عنها بنور التجلّى و العيان.

قوله: «و هو» إشارة إلى الصعود عن التعلق بالشواهد أى و ذلک الصعود أن لا تشهد فى التوحيد دليلا فيكون التوحيد عندک أجلى من كلّ دليل فإنّ نور

الحقّ إنما لا يدرک لشدّته و قوّة نوريّته کما قيل، شعر:

خفىّ لإفراط الظهور تعرّضت لإدراکه أبصار قوم أخافش

«و لا فى التوکّل سببا» أى و أن لا تشهد فى التوکّل سببا لقوّة يقينک فى أن لا مؤثّر إلاّ اللّه و رؤيتک الأفعال کلّها منه فيتلاشى الأسباب فى المسبّب فى شهودک لشهودک التّأثير منه دون السبب «و لا للنّجاة وسيلة» أى و أن لا تشهد للنّجاة من العذاب و العقوبة و الطرد وسيلة من الأعمال الصالحة و الحسنات.

(م) فتکون مشاهدا سبق الحقّ بحکمه و علمه و وضعه الأشياء مواضعها و تعليقه إيّاها بأحايينها، و إخفائه إيّاها فى رسومها و تحقّق معرفة العلل و تسلک سبيل إسقاط الحدث هذا توحيد الخاصّة الّذى يصحّ بعلم الفناء و يصفو فى علم الجمع و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

(ش) أى فتکون أنت مشاهدا أنّ الحقّ سبق بحکمه على الأشياء بما هى عليه فى الأزل فلا تکون إلاّ کما حکم به، و کذا سبق بعلمه و تقديره الأشياء على ما هى عليه، و حکمه تعالى على الأشياء تابع لعلمه فتکون الأشياء على مقتضى سابق علمه و قضائه، «و وضعه الأشياء مواضعها» أى و تکون مشاهدا لوضع الحقّ تعالى کلّ شىء فى موضعه بتقديره و حکمته فى الأزل، و کذا تشاهد «تعليقه إيّاها بأحايينها» فلا تقع إلاّ فى الوقت الّذى قدر وقوعها فيه، «و اخفائه إيّاها فى رسومها» أى و تکون مشاهدا سبق الحقّ بإخفائه الأشياء فى رسومها عن أعين المحجوبين فإنّهم لا يرون أنّها بفعل الحقّ و حکمه و تقديره فى القضاء السابق جارية على مجراها فينسبونها إلى أسبابها و مقتضيات رسومها الخلقيّة و طبائعها و أوقاتها، فيجعلون لکلّ تغيّر حال من أحوالها سببا، و يحتجبون بها عن التصرّف الالهىّ و التقدير الأزلىّ ، و ذلک هو إخفاؤها فى الرسوم.

قوله «و تحقّق» عطف على «فتکون» أى فتکون مشاهدا و تحقّق معرفة العلل و هى الوسائط و إسناد أحوالها إلى ما سوى اللّه تعالى من الأسباب و الرسوم الخلقية من الطبايع و اختيار الخلق و إرادتهم و قدرتهم و إلى حرکات الأفلاک

و أوضاع الكواكب و أمثالها، و كلّ ذلک علل يحتجب أهل العادات عن اللّه تعالى و توحيده.

و أما العرفاء الموحّدون فهم يعرفون هذه العلل و يسقطون الحدث و يسلكون سبيل علم القدم بإسقاط الحدث فلا يرون إلاّ سابقة حكم الأزل فيكونون مع الحقّ فى جريان الأحول و يشهدون تصريفاته للأشياء بفعله على مقتضى حكمه و تقديره و حكمته الأزليّة و قدرته و إرادته الأوليّة فيشاهدون الحقّ و أسماءه و صفاته لا غير.

هذا توحيد الخاصّة أى المتوسطين الّذى يصحّ بعلم الفناء لا بنفس الفناء الاتى بعده فإنّ علم الفناء يحصل بالفناء فى حضرة الصفات و الأسماء أى الحضرة الواحديّة قبل الفناء فى الذات الأحديّة الّتى هى عين الجمع و يصفو بعلم الجمع لا بعين الجمع و اضمحلال الرسوم بل قبله عند فناء علمه فى علم الحقّ و يجذب إلى توحيد أرباب الجمع الّذى يأتى فى قوله.

(م) و أما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصّه اللّه لنفسه و استحقّه بقدره و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته، و أخرسهم من نعته و أعجزهم عن بثّه.

(ش) اختصّه اللّه لنفسه أى استأثره اللّه به ليس لغيره منه نصيب و لا فيه قدم لأنّه إنّما يتحقّق بفناء الحقّ كلّهم و بقاء الحقّ وحده فلا يمكن لغيره عنه عبارة و لا إليه إشارة و لا شىء من أحكام الخلق و أوصافهم يصل إليه لحصوله بفنائهم و استحقّه بقدره أى لا يستحقّه بمقدار كنهه و حقيقته إلاّ هو و لا يبلغه غيره و ما قدروا اللّه حقّ قدره، و ألاح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته حال البقاء بعد الفناء فى عين الجمع لأنّهم حال الفناء قد استغرقوا فيه فانين عن أسرارهم غائبين عنها، و فى حال البقاء ردّوا إلى الخلق باقين به فعرفوا أنّ الحضرة الأحديّة لا نعت لها و كلّ ما ينعت به فهو من الحضرة الواحديّة فأخرسهم اللّه عن نعته لا بمعنى أنهم يعرفون نعته فمنعهم عن التكلّم به بل لأنّهم عرفوا أنّ حضرة النعوت تحت مقام الجمع فهو كقوله: شعر: على لا حب لا يهتدى بمناره، و كذا معنى قوله:

«و أعجزهم عن بثّه» أى عن إظهار ذلک اللاّئح و الإخبار به لأنّه لا يقبل الإخبار عنه كما لا يقبل النعت.

(م) و الـذى يشار به إليه على ألسن المشـيرين أنه إسـقاط الحـدث و إثبات القـدم، على أنّ هـذا الرمز فى ذلک التوحيـد علّة لا يصحّ ذلک التوحيد إلاّ باسقاطه.

(ش) «و الّذى يشار به إليه» مبتداء، خبره «أنّه إسـقاط الحدث» أى و أحسن ما يشار به إلى هذا التوحيد و ألطفه هو هذا الكلام المرموز، مع أنّ هذا الرمز فى ذلک التوحيد علّة لا يصحّ ذلک التوحيد إلاّ باسـقاطه فانّ الحدث لم يزل ساقطا، و إنّ القدم لم يزل ثابتا، فما معنى إسقاط ذلک و إثبات هذا و من المسقط و المثبت و ما ثمّ إلاّ وجه الحقّ تعالى ؟ فهذه علّة و هؤلاء ظنوا أنّهم قد حصّلوا تعريفه و ليسوا فى حاصل.

(م) هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء هذا الطريق و إن زخرفوا له نعوتا و فصّلوه فصولا فإنّ ذلک التوحيد يزيده العبارة خفاء، و الصفة نفورا و البسط صعوبة.

(ش) «هذا» أى قولهم إسقاط الحدث و إثبات القدم قطب مدار الإشارة إلى هذا الطريق و أعظم الإشارات و أحكمها و هو مع ذلک معلول يجب إسقاطه فى تصحيح هذا التوحيد و الباقى من المتن ظاهر.

(م) و إلى هـذا التوحيد شـخص أهل الرياضة و أرباب الأحوال و المعارف و له قصد أهل التعظيم و إيّاه عنى المتكلّمون فى عين الجمع، و عليه تصطلم الإشارات ثمّ لم ينطق عنه لسان و لم يشر إليه عبارة فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه حين، أو يقلّه سبب.

(ش) «و إلى هـذا التوحيد شـخص» أى ذهب «أهل الرياضة» السالكون «و عليه تصـطلم الإشارات» أى تنقطع و تسـتأصل «فإنّ التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن» أى مخلوق، لأنّه لا يصحّ إلاّ بفناء الرسوم كلّها و صفاء الأحديّة عن

الكثيرة العدديـة فلا مجال للإشارة فيه، «أو يتعاطاه حين» أى وراء ما يتـداوله زمان لأنّه فى عين القـدم فوق طور الزمان و الحـدث، «أو يقلّه سبب» أى وراء ما يحمله سبب لأنّه قائم بمسبّب الأسباب وحده فكيف يحمله سبب ؟ و كلامه ظاهر لا يحتاج إلى الشرح.

(م) و قد أجبت فى سالف الزمان سائلا سألنى عن توحيد الصوفيّة بهذه القوافى الثلاث:

ما وحّد الواحد من واحد إذ كلّ من وحّده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إيّاه توحيده و نعت من ينعته لاحد

(ش) يعنى ما وحّد الحقّ تعالى حقّ توحيده الذّاتى أحد إذ كلّ من وحّده أثبت فعله و رسـمه بتوحيده فقد جحده باثبات الغير إذ لا توحيد إلاّ بفناء الرسوم و الاثار كلّها «توحيد من ينطق من نعته عارية» إذ لا نعت فى الحضـرة الأحدية و لا نطق و لا رسم لشـىء و النطق و النعت يقتضـيان الرسم و كلّ ما يشمّ منه رائحـة الوجود فهو للحقّ عاريـة عنـد الغير فيجب عليه ردّها إلى مالكها حتّى يصحّ التوحيد و يبقى الحقّ واحـدا واحدا فلذلک أبطل الواحد الحقيقى تلک العارية الّتى هى ذلک التوحيد مع بقاء رسم الغير فإنّه باطل فى نفسه فى الحضـرة الأحديّة «توحيـده إيّاه توحيده» أى توحيد الحقّ ذاته بذاته هو توحيده الحقيقى «و نعت من ينعته لاحد» أى وصف الّذى يصـفه هو أنّه مشـرک جائز عن طريق الحقّ مائل عنه لأنّه أثبت النعت و لا نعت ثمّة و أثبت رسـمه باثبات النعت و لا رسم لشىء فى الحضرة الأحديّة و لا أثر و إلاّ لم تكن أحدية، انتهى.

فإن قلت: إنّ ما اسـتفيد ممّا تقدّم فى معنى التوحيد أنّه تعالى أحد لا بتأويل عدد، كما صـرّح به الأمير عليه السّلام فى كلامه المذكور آنفا و قد قال سـيّد الساجدين و زين العابدين علىّ بن الحسـين عليهما السّلام فى الدّعاء الثامن و العشـرين من الصحيفة السّجاديّة و هو كان من دعائه عليه السّلام متفزعا إلى اللّه عزّ و جلّ : «لک يا

إلهى وحدانيّة العدد، و ملكة القدرة الصمد، و فضيلة الحول و القوّة، و درجة العلوّ و الرّفعة، و من سواك مرحوم فى عمره، مغلوب على أمره، مقهور على شأنه، مختلف الحالات، متنقل فى الصفات، فتعاليت عن الأشباه و الأضداد و تكبّرت عن الأمثال و الأنداد، فسبحانک لا إله إلاّ أنت».

فكيف التوفيق بين قوله عليه السّلام: لک يا إلهى وحدانيّة العدد، و بين ما مرّ من أنّ اللّه تعالى منزّه عن الوحدة العدديّة ؟.

قلت: قد أفاد العالم المحقّق صدر الدّين المعروف بالسيّد على خان رضوان اللّه عليه فى شرحه ما أتلوه عليک أوّلا ثمّ أذكر ما عندى، قال رحمه اللّه تعالى:

تقديم المسند لإفادة قصر المسند إليه عليه، أى لک وحدانيّة العدد لا تتخطّاک إلى غيرک، و وحدانيّة الشىء كونه واحدا لأنّ ياء النسب إن الحقت آخر الاسم و بعدها هاء التأنيث أفادت معنى المصدر كالالوهية و الربوبية و الألف و النون مزيدتان للمبالغة.

و العدد قيل: هو كثرة الاحاد و هى صورة تنطبع فى نفس العادّ من تكرار الاحاد، و على هذا فالواحد ليس عددا، و قيل: هو ما يقع جوابا لكم فيكون الواحد عددا.

و قد اختلف أقوال الأصحاب فى معنى قوله عليه السّلام: لک يا إلهى وحدانيّة العدد، لمنافاتها ظاهرا وجوب تنزيهه تعالى عن الوحدة العدديّة نقلا و عقلا.

أمّا النقل فمستفيض من أخبارهم عليهم السّلام و منه قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبة له: الواحد بلا تأويل عدد، و قوله فى خطبة اخرى: واحد لا بعدد و دائم لا بأمد.

و منه ما رواه رئيس المحدّثين فى كتاب التوحيد أنّ أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال يا أمير المؤمنين أتقول انّ اللّه واحد؟ فحمل الناس عليه و قالوا: يا أعرابى أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: دعوه فإنّ الّذى يريده الأعرابى هو الّذى نريده من القوم

ثم قال: يا أعرابى إنّ القول بأنّ اللّه تعالى واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوزان على اللّه عزّ و جلّ ، و وجهان يثبتان فيه:

فأما اللّذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثة ؟.

و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه و جلّ ربّنا عن ذلک و تعالى.

و أما الوجهان اللّذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له فى الأشياء شبه كذلک ربّنا، و قول القائل: إنّه عزّ و جلّ أحدى المعنى يعنى به أنّه لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم كذلک ربّنا عزّ و جلّ .

و أما العقل فلأنّ الوحدة العدديّة إنّما تتقوّم بتكرّرها الكثرة العدديّة و يصحّ بحسبها أن يقال إنّ المتصف بها أحد أعداد الوجود أو أحد آحاد الموجودات و عزّ جنابه سبحانه أن يكون كذلک، بل الوحدة العدديّة و الكثرة العدديّة الّتى هى فى مقابلتها جميعا من صنع وحدته المحضة الحقيقيّة الّتى هى نفس ذاته القيّومة و هى وحدة حقّة صرفة وجوبيّة قائمة بالذات لا مقابل لها و من لوازمها نفى الكثرة كما أشار إليه أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه فى الحديث المذكور آنفا أنه أحدى المعنى لا ينقسم فى وجود و لا عقل و لا وهم.

إذا عرفت ذلک ظهر لک أنّ قوله عليه السّلام: لک يا إلهى وحدانيّة العدد، ليس مرادا به الوحدة العدديّة بل لا بدّ له من معنى آخر يصحّ تخصيصه به تعالى و قصره عليه كما يقتضيه تقديم المسند على المسند إليه.

فقال بعضهم: المراد به نفى الوحدة العدديّة عنه تعالى لا إثباتها له، و هو غير ظاهر.

و قيل: معناه انّ لک من جنس العدد صفة لوحدة و هو كونک واحدا لا شريک لک و لا ثانى لک فى الربوبيّة.

ص:258

و قيل: معناه إذا عددت الموجودات كنت أنت المتفرد بالوحدانيّة من بينها.

و قيل: اريـد به أنّ لک وحدانيّـة العدد بالخلق و الإيجاد لها فإنّ الوحدة العدديّة من صـنعه و فيض وجوده وجوده و لا يخفى أنه بمعزل عن المقام.

و قال بعضهم: أراد بوحدانيّة العدد جهة وحدة الكثرات و أحدية جمعها لا إثبات الوحدة العدديّة له تعالى.

و قيل: معناه أنّه لا كثرة فيک أى لا جزء لک و لا صفة لک يزيدان على ذلک و هو أنسب المعانى المذكورة بالمقام، و توضيح المراد أنّ قوله عليه السّلام لک يا إلهى وحدانيّة العدد يفسّره قوله عليه السّلام: و من سواک مختلف الحالات متنقل فى الصفات فإنّه عليه السّلام قابل كلّ فقرة من الفقرات الأربع المتضـمّنة للصـفات الّتى قصـرها عليه سـبحانه بفقرة متضـمّنة لخلافها فمن سواه على الطريق اللّف و النشـر الّذى يسمّيه أرباب البديع معكوس الترتيب و هو أن يذكر متعدد تفصيلا ثمّ تذكر أشياء على عدد ذلک كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم من غير تعيين ثقة بأنّ السامع يرد كلّ واحد إلى ما يليق به و يكون الأوّل من النشر للاخر من اللف و الثانى لما قبله و هكذا على الترتيب كعبارة الـدّعاء فـإنّ قوله عليه السّلام: مختلف الحالات متنقل فى الصـفات راجع إلى قوله: لک يا إلهى وحدانيّـة العـدد، و قوله: مقهور على شأنه راجع إلى قوله: و ملكة القدرة الصمد، و قوله:

مغلوب على أمره راجع إلى قوله: و فضيلة الحول و القوّة، قوله: مرحوم فى عمره راجع إلى قوله: درجة العلو و الرفعة.

إذا علمت ذلـک ظهر لـک أنّ المراد بوحدانيّـة العـدد له تعـالى معنى يخالف معنى اختلاف الحالات و التنقل فى الصـفات لغيره سـبحانه فيكون المقصود إثبات وحدانية ما تعدّد من صـفاته و تكثر من جهاته و أنّ عددها و كثرتها فى الاعتبارات و المفهومات لا يقتضـى اختلافا فى الجهـات و الحيثيات و لا تركيبا من الأجزاء بل جميع نعوته و صـفاته المتعـدّدة موجودة بوجود ذاته، و حيثيـة ذاته بعينها حيثيـة علمه و قدرته و سائر صفاته الإيجابيّة فلا تعدّد و لا تكثر فيها أصلا

بل هى وحدانية العدد موجودة بوجود واحد بسيط من كل وجه إذ كل منها عين ذاته فلو تعددت لزم كون الذات الواحدة ذواتا تعالى اللّه عن ذلک علوا كبيرا.

و هذا معنى قولهم واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات فجميع صفاته الإيجابيّة عين ذاته من غير لزوم تكثر.

فإن قلت: كيف تكون صفاته عين ذاته و مفهوم الصفة غير مفهوم الذات ؟ و أيضا فإنّ مفهوم كلّ صفة غير مفهوم صفة اخرى فكيف تتّحد بالذات ؟.

قلت: قد تكون المفهومات المتعدّدة موجودة بوجود واحد فالصفات بحسب المفهوم و إن كانت غير الذات و بعضها يغاير بعضها إلاّ أنها بحسب الوجود ليست أمرا وراء الذات أعنى أنّ ذاته الأحدية تعالى شأنه هى بعينها صفاته الذاتية بمعنى أنّ ذاته بذاته وجود و علم و قدرة و حياة و سمع و بصر، و هى أيضا موجود عالم قادر حىّ سميع بصير يترتّب عليها آثار جميع الكمالات و يكون هو من حيث ذاته مبدء لها من غير افتقار إلى معان اخر قائمة به تسمّى صفاتا تكون مصدرا للاثار لمنافاته الوحدة و الغناء الذاتيين و الإختصاص بالقدم فذاته صفاته و صفاته ذاته لا زائدة عليها كصفات غيره من المخلوقين فإنّ العلم مثلا فى غيره سبحانه صفة زائدة على ذاته مغايرة للسمع فيه و فيه نفسه تعالى و هو بعينه سمعه و قس على ذلک سائر الصفات الثبوتية.

فتبيّن أنّ المراد بقصر وحدانية العدد عليه تعالى هذا المعنى المخالف لصفات من سواه و حالاته فانّها كيفيات نفسانيّة انفعاليّة و حالات متغايرة و معان مختلفة له إذ كان يسمع بغير ما يبصر، و يبصر بغير ما يسمع إلى غير ذلک من صفاته المتعدّدة المتكثّرة الّتى توجب اختلاف الحالات و التنقل فى الصفات و بالجملة فمعنى قصر وحدانية العدد عليه سبحانه نفى التعدّد و التكثّر و الاختلاف عن الذات و الصفات على الاطلاق، و هذا المعنى مقصور عليه تعالى لا يتجاوزه إلى غيره، و اللّه أعلم بمقاصد أوليائه، و فى المقام كلام طويل طويناه على عزّه. انتهى كلامه رفع مقامه.

ص:260

أقول: أوّلا إنّ حـديث الأعرابى يوم الجمل قـد نقله العلاّمة الشّـيخ بهاء الدّين قدّس سـرّه أيضا فى أوائل المجلّد الثالث من الكشـكول (ص 258 من طبع نجم الدولـة) من كتاب أعلام الدّين تأليف أبى محمّد الحسن بن أبى الحسن الديلمى، عن مقداد بن شـريح البرهانى، عن أبيه قال: قام رجل يوم الجمل إلى علىّ عليه السّـلام - إلـخ، و ثانيا الحكم فى اصول العقائد و المعيار فيها هو العقل فحسب فما حكم به العقل الناصع فهو المتّبع فاذا ورد أمر من أهل بيت الوحى و خزنة أسـرار اللّه فإن كان ممّا يدركه العقل، و إلاّ فإن عجز عن إدراكه فإمّا كان العجز من حيث إنه كلام عال سام لا تبلغه العقول بلا تلطيف سـرّ و تـدقيق فكر و نور علم فلا بدّ من الورود فيها من أبوابها، أو من حيث إنّ ظاهره ينافى حكم صـريح العقل فلا بـدّ من التأمّل فيه حقّ التأمّل لأنّ الكلام حينئـذ ليس محمولا على ظاهره قطعا و ذلک للعلم القطعى بأنّ ما صـدر عن أوليـاء اللّه تعالى لا سـيّما عن حججه و وسائط فيضه ليس ما ينافى حكم العقل واقعا بل منطقهم عقل ليس إلاّ، فما يحرى على الفاحص مغزا كلامهم، و المسـتفيد من مأدبة مرامهم أن يسأل اللّه تعالى فهم ما أفاضوه، و نيل ما أفادوه، فقد روى ثقة الإسـلام الكلينى فى باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب من كتاب الحجّة من اصول الكافى بإسناده عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السّلام قال:

قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله: إنّ حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملک مقرّب أو نبىّ مرسل أو عبد امتحن اللّه قلبه للإيمـان، فمـا ورد عليكم من حـديث آل محمّـد صـلى اللّه عليه و آله فلاـنت له قلوبكم و عرفتموه فـاقبلوه، و مـا اشـمأزّت منه قلوبكم و أنكرتموه فردّوه إلى اللّه و إلى الرسول و إلى العالم من آل محمّد صـلى اللّه عليه و آله و إنما الهالک أن يحدّث أحدكم بشىء منه لا يحتمله فيقول: و اللّه ما كان هذا، و اللّه ما كان هذا و الإنكار هو الكفر (330 ج 1 من الكافى المشكول) و قريب منه ما قد أتى به السيّد الرضى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فى الخطبة 187 من النهج أوّلها: فمن الإيمان ما يكون ثابتا مستقرا فى القلوب.

فنقول: العقل حاكم على أنّه تعالى ليس بواحد عددىّ أى شخصىّ لأنّ

ما لا ثانى له لا يـدخل فى باب الأعـداد و الوحـدة العدديّـة معروضـها هويّات آحاد عالم الإمكان، على أنّه قد تحقق فى محلّه أنّ العدد لا يعرض المفـارق العقلى لا بالـذات و لا بالعرض و هو عارض للنفوس بواسـطة البـدن، بل اللّه تعالى واحـد بالوحـدة الحقّـة الّتى هى حقّ الوحدة إذ لا مهيّة له سوى الوجود البحت البسيط و الوجود هو الوحدة القائمة بذاتها و الوحدة هى الوجود.

فاعلم أنّ الوحدة هى ما يقال به لشـىء ما واحد، و العدد هو الكمّية المتألّفة من الوحدات، كما فى صدر المقالة السابعة من اصول أقليدس، فالوحـدة ليست بعـدد لأنّ العـدد ما فيه انفصال لأنّه كمّ و الكمّ يقبل الانقسام و الوحـدة لا تقبله، و من جعلها عـددا أراد بالعدد ما يدخل تحت العـدّ، كما قال العلاّمـة الخواجه الطوسـى فى الصـدر المـذكور: «و قـد يقال لكلّ ما يقع فى مراتب العـدّ عدد فيقع اسم العدد على الواحد أيضا بهذا الاعتبار» فالنزاع لفظى، و قد يحدّ العدد بأنّه نصف مجموع حاشـيته كالأربعة مثلا حاشـيتاها ثلاثة و خمسة و هى نصـف مجموعها، فيخرج الواحد منه أيضا.

و الوحـدة مبـدء العـدد المتقوم بها فالحق كما صـرّح به العلاّمـة الشّـيخ البهائى فى خلاصة الحساب أنّ الواحد ليس بعدد و إن تألفت منه الأعـدد كما أنّ الجوهر الفرد عنـد مثبتيه ليس بجسم و إن تألّفت منه الأجسام، مثلا أنّ العشـرة متقومة بالواحد عشـر مرّات و ليست متقومة بخمسة و خمسة و لا بسـتّه و أربعة و لا بسبعة و ثلاثة و لا بثمانية و اثنين لأن تركّبها من الخمستين ليس بأولى من تركّبها من الستّة و الأربعة و غيرها من أنواع الأعداد الّتى تحتها و لهذا قال الفيلسوف المقدم ارسطاطاليس - كما فى الخامس من ثالثة إلهيات الشفاء -: لا تحسبنّ أنّ ستّة ثلاثة و ثلاثة بل هو ستّة مرة واحدة.

و قال الشّـيخ فى الفصل المـذكور: و حـدّ كلّ واحـد من الأعداد إن أردت التحقيق هو أن يقال إنّه عدد من اجتماع واحد و واحد و واحد و تـذكر الاحاد كلّها و ذلک لأنّه لا يخلو إمّا أن يحـدّد العـدد من غير أن يشار إلى تركيبه ممّا ركّب منه بل بخاصـية من خواصّه فـذلک يكون رسم ذلک العدد لا حدّه من

جوهره، و إمّا أن يشار إلى تركيبه ممّا ركّب منه، فإن اشير إلى تركيبه من عددين دون الاخر مثلا أن يجعل العشرة من تركيب خمسة و خمسة لم يكن ذلک أولى من تركيب ستة مع أربعة و ليس تعلق هويّتها بأحدهما أولى من الاخر و هو بما هو عشرة مهية واحدة و محال أن تكون مهية واحدة و ما يدلّ على مهية من حيث هى واحدة حدود مختلفة فاذا كان كذلک فحدّه ليس بهذا و لا بذاک بل بما قلنا و يكون إذا كان ذلک كذلک فقد كان له التراكيب من خمسة و خمسة و من ستة و أربعة و من ثلاثة و سبعة لازما لذلک و تابعا فيكون هذه رسوما له.

فنقول: كما أنّ الوحدة مبدء العدد و ليست منه و تتألف منه الأعداد بكثرتها و لم تجد فى مراتبها المختلفة بعد الفحص و التفتيش غير الوحدة و قد علمت أن مفاهيم الأعداد تتحقّق بتكرّر المفهوم الوحدة لا غير كذلک الوحدة الحقّة الّتى هى حقّ الوحدة مبدء للحقائق و بتكرّر تجلّياته تتحقّق الحقائق بلا تكثر فى المتجلّى، و كأنّ ما فى زبور آل محمّد صلى اللّه عليه و آله من أنّ له تعالى وحدانيّة العدد يشير إلى هذا السرّ المكنون و قد سلک أهل السرّ هذا المسلک الأقوم و الطريق الأوسط .

فقال السيّد المحقّق الداماد قدّس اللّه روحه معناه: أنّ الوحدة العدديّة ظلّ لوحدة الحقّة الصرفة القيّومية، و قال مولانا محسن الفيض قدس سرّه:

وحدانيّة العدد أى جهة وحدة الكثرات و أحديّة جمعها لأنّ العدديّة منتفية عنه سبحانه تعالى البتّة و إنّما الثابت له معنى الوحدة ليس إلاّ الوحدة الحقيقيّة كما ثبت فى محلّه عقلا و نقلا.

و قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى الشواهد الربوبيّة: و من اللّطائف أنّ العدد مع غاية تباينه عن الوحدة و كون كلّ مرتبة منه حقيقة برأسها موصوفة بخواصّ و لوازم لا توجدان فى غيرها إذا فتّشت فى حاله و حال مراتبه المختلفة لم تجد فيها غير الوحدة.

و قال الحكيم المتألّه السبزوارى رضوان اللّه عليه فى الحاشية: فكلّ عدد من

الأعـداد الّتى من النسب الأربع فيه التباين مع الاخر ليس أجزاؤه إلاّ الواحـد فالاثنان واحد و واحد، و الثلاثة واحد و واحد و واحد و هكذا فالواحد رسم بتكراره الأعداد المتباينة و لو فى غاية التباين، و تكرار الشـىء ليس إلاّ ظهوره ثانيا و ثالثا بالغا ما بلغ، و ظهورات الشىء ليست مكثرة له فاذا ظهر زيـد فى البيت مرّة بعد اولى و كرّة غبّ اخرى لم يتعدّد تعدّدا شخصـيّا أو نوعيّا، و هذا الواحد لا بشـرط صار باللحاظات الكثيرة أعـدادا متباينـة لهـا أحكام و آثار متخالفـة ممّا هى مشـروحة فى علم الحساب و علم الأعـداد و غيرهما فمفهوم الواحـد فى مفاهيم الأعـداد كحقيقة الوجود بالنسـبة إلى أنحاء الوجودات و لعلّ هذا معنى قول سـيّد الساجدين علىّ بن الحسـين عليهما السّلام: يا الهى لک وحدانية العدد، أى لک وحدانية آيتها الوحدانية الّتى هى راسمة الأعداد و علّة قوامها و عادّها و مفنيها، انتهى.

و قـد نقلنا بيان هؤلاء العظام من تعليقـة الحكيم المتأله البارع الاخونـد الهيـدجىّ على الفريـدة الثالثـة من المقصـد الأوّل من غرر الفرائد للمتألّه السبزوارى قدّس سرّهما.

و أنت تعلم أنّ كلامهم مبنىّ على ذلک السـرّ المشار إليه و قـد بسط القول فيه غير واحـد من أجلّة المتالّهين منهم محيى الـدّين فى الفصّ الإدريسـى من كتاب فصوص الحكم، و منهم المولى صدرا فى الفصل الرابع من المرحلة الخامسة من السـفر الأوّل من الأسفار الأربعة، و منهم المولى محسن الفيض فى عين اليقين.

و نأتى بكلام الأوّلين تتميما للفائدة و تكميلا لها قال أوسطهم: فصل فى بعض الأحكام الوحدة و الكثرة، انّ الوحدة ليست بعدد و إن تألّف منها لأنّ العـدد كم يقبل الانقسام و الوحـدة لا يقبله و من جعل الوحـدة من العـدد أراد بالعـدد ما يدخل فى تحت العدّ فلا نزاع معه لأنّه راجع إلى اللفظ بل هى مبـدء للعـدد لأنّ العدد لا يمكن تقوّمه إلاّ بالواحدة لا بما دون ذلک العدد من الأعداد فإنّ العشـرة لو تقويت بغير الوحدات لزم الترجيح من غير مرجّح فإنّ تقوّمها بخمسة و خمسة ليس أولى من تقوّمها بستة و أربعة، و لا من تقوّمها بسبعة و ثلاثة

و التقوم بالجميع غير ممكن و إلاّ لزم تكرّر أجزاء المهيّة المستلزم لاستغناء الشيء عمّا هو ذاتى له لأنّ كلاّ منها كان فى تقوّمها فيستغنى به عمّا عداه، و إن أخذ تقويمها باعتبار القدر المشترک بين جميعها لا باعتبار الخصوصيّات كان اعترافا بما هو المقصود إذ القدر المشترک بينها هو الوحدات.

و من الشواهد أنّه يمكن تصوّر كل عدد بكنهه مع الغفلة عمّا دونه من الأعداد فلا يكون شيء منها داخلا فى حقيقته فالمقوّم لكلّ مرتبة من العدد ليس إلاّ الوحدة المتكرّرة فإذا انضم إلى الوحدة مثلها حصلت الاثنينيّة و هى نوع من العدد و إذا انضم إليها مثلاها حصلت الثلاثة و هكذا يحصل أنواع لا تتناهى بتزايد واحد واحد لا إلى نهاية إذا التزايد لا ينتهى إلى حدّ لا يزاد عليه فلا ينتهى الأنواع إلى نوع لا يكون فوقه نوع آخر.

و أمّا كون مراتب العدد متخالفة الحقائق كما هو عند الجمهور فلاختلافها باللوازم و الأوصاف من الصمم و المنطقيّة و التشارک و التباين و العاديّة و المعدودية و التجذير و المالية و التكعّب و أشباهها، و اختلاف اللوازم يدلّ على اختلاف الملزومات.

و هذا ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه فى باب الوجود من أنّ الاختلاف بين حقائقها إنّما نشأ من نفس وقوع كلّ حقيقة فى مرتبة من المراتب فكما أنّ مجرّد كون العدد واقعا فى مرتبة بعد الاثنينيّة هو نفس حقيقة الثلاثة إذ يلزمها خواصّ لا توجد فى غيره من المراتب قبلها أو بعدها فكذلک مجرّد كون الوجود واقعا فى مرتبة من مراتب الأكوان يلزمه معان لا توجد فى غير الوجود الواقع فى تلک المرتبة فالوحدة لا بشرط فى مثالنا بازاء الوجود المطلق، و الوحدة المحضة المتقدّمة على جميع المراتب العددية بازاء الوجود الواجبى الّذى هو مبدأ كلّ وجود بلا واسطة و مع واسطة أيضا، و المحمولات الخاصّة المنتزعة من نفس كلّ مرتبة من العدد بازاء المهيات المتّحدة مع كلّ مرتبة من الوجود، و كما أنّ الاختلاف بين الأعداد بنفس ما به الاتفاق فكذلک التفاوت بين الوجودات بنفس هويّاتها

ص:265

المتوافقة فى سنخ الموجوديّة.

و على ما قرّرنا يمكن القول بالتخالف النوعى بين الأعـداد نظرا إلى التخالف الواقع بين المعانى المنتزعة عن نفس ذواتها بذواتها و هى الّتى بازاء المهيات المتخالفة المنتزعة عن نفس الوجودات.

و يمكن القول بعـدم تخالفها النوعى نظرا إلى أنّ التفاوت بين ذواتها ليس إلاّ بمجرّد القلّة و الكثرة فى الوحدات و مجرّد التفاوت بحسب قلّة الأـجزاء و كثرتهـا فى شـىء لاـ يوجب الاختلاف النوعى فى أفراد ذلک الشـىء، و أمّا كون اختلاف اللوازم دليلا على اختلاف الملزومات فالحق دلالته على القدر المشترک بين التخالف النوعى و التخالف بحسب القوّة و الضعف و الكمال و النقص. انتهى كلامه رفع مقامه.

و أمّـا مـا أفـاده فى المقام أوّلهم فى الفصّ الإدريسـى، فلمّا كان كشف دقائقـة على طالبيه مبتنيا على زيادة إيضاح فالحرىّ بنا أن نأتى به مع شرح كاشف معضلات كتابه فصوص الحكم داود بن محمود القيصرى مشيرا إلى المتن بحرف الميم و إلى الشرح بالشين، كما يلى:

(م) فاختلطت الامور و ظهرت الأعداد بالواحد فى المراتب المعلومة.

(ش) أى فاختلطت الامور و اشـتبهت بالتكثر الواقع فيها على المحجوب الغير المنفتـح عين بصـيرته و إن كانت ظاهرة راجعـة إلى الواحد الحقيقى عنـد من رفعت الأسـتار عن عينه و انكشف الحق إليه بعينه، و الاختلاط بالتجلّيات المختلفة صار سـببا لوجود الكثرة كما ظهرت الأعـداد بظهور الواحـد فى المراتب المعلومـة، و لمّا كان ظهور الواحد فى المراتب المتعدّدة مثالا تامّا لظهور الحقّ فى مظاهره جعل هذا الكلام توطئـة و شـرع فى تقرير العدد و ظهور الواحد فيه ليسـتدلّ المحجوب به على الكثرة الواقعة فى الوجود المطلق مع عدم خروجه عن كونه واحدا حقيقيّا و قال:

(م) فأوجد الواحد العدد و فصل العدد الواحد.

ص:266

(ش) أى أوجـد الواحـد بتكرّره العـدد إذ لو لـم يتكرّر الواحـد لم يكن حصول العـدد، و فصل العـدد مراتب الواحد مثل الاثنين و الثلاثة و الأربعـة و غير ذلـک إلى مـا لا يتناهى لأنّ كلّ مرتبـة من مراتب الاحاد و العشـرات و المات و الالوف ليس غير الواحـد المتجلّى بها لأنّ الاثنين مثلا ليس إلاّ واحـدا و واحدا اجتمعا بالهيئة الوحدانيّة فحصل منها الاثنان فمادّته هو الواحد المتكرّر و صورته أيضا واحدة فليس فيه شىء سوى الواحـد المتكرّر فهو مرتبة من مراتبه و كذلک البواقى، فايجاد الواحد بتكراره العدد مثال لإيجاد الحق الخلق بظهوره فى الصورة الكونيّة، و تفصـيل العدد مراتب الواحد مثال لإظهار الأعيان أحكام الأسـماء الإلهيّة و الصفات الرّبانية و الارتباط بين الواحد و العدد مثال للارتباط بين الحق و الخلق و كون الواحـد نصف الاثنين و ثلث الثلاثـة و ربع الأربعة و غير ذلک مثال للنسب اللازمة الّتى هى الصـفات للحق.

(م) و ما ظهر حكم العدد إلاّ بالمعدود فالمعدود منه عدم و منه وجود، فقد يعدم الشىء من حيث الحسّ و هو موجود من حيث العقل.

(ش) أى العدد لكونه كمّا منفصـلا و عرضا غير قائم بنفسه لا بدّ أن يقع فى معدود ما سواء كان ذلک المعدود موجودا فى الحس أو معدوما فيه موجودا فى العقل و ظهور العدد بالمعدود مثال لظهور الأعيان الثابتة فى العلم بالموجودات و هى بعضـها حسيّة و بعضها غيبيّة كما أنّ بعض المعدود فى الحس و بعضه فى العقل.

(م) فلا بدّ من عدد و معدود و لا بدّ من واحد ينشئ ذلک فينشأ بسببه.

(ش) أى إذا كان لا يظهر حكم العـدد إلاّ بالمعـدود، و لا يتبيّن مراتب الواحـد إلاّ بالعـدد فلا بدّ من عدد و معدود، و لمّا كان العدد ينشـأ بتكرار الواحـد فلا بـدّ من واحـد ينشـئ ذلک العـدد فينشأ، أى يظهر الواحد فى مراتبه و مقاماته المختلفة بسـبب ظهور العدد فالسـبب هنا السبب القابلى، و لا بدّ من واحد ينشئ العدد فينشأ العدد بسبب ذلک الواحد فالسبب السبب الفاعلى و الأوّل أنسب.

(م) فإن كان كلّ مرتبـة من العدد حقيقة واحدة كالتسـعة مثلا و العشـرة إلى أدنى و أكثر إلى غير نهاية ما هى مجموع و لا ينفكّ عنها اسـم جمع الاحاد

ص:267

فإن الإثنين حقيقة واحدة و الثلاثة حقيقة واحدة بالغا ما بلغت هذه المراتب.

(ش) و فى بعض النسخ فإنّ لكلّ مرتبة من العدد حقيقة و الظاهر أنّه تصرّف ممّن لا يعرف معناه و مقصوده رضى اللّه عنه أن كان كلّ مرتبة حقيقـة واحـدة أى إن عبرنا فى كلّ مرتبة ما به يمتاز العدد المعيّن فيها من غيرها و هو ما به الاثنان اثنان و الثلاثة ثلاثة مثلا فما هى مجموع الاحـاد فقـط بـل ينضم إليهـا أمر آخر يميّزها عن غيرها و لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد لأنّه كالجنس لها فلا بـدّ منها فإنّ الاثنين حقيقة واحـدة ممتازة من الثلاثـة و هى أيضا كـذلک حقيقـة واحـدة متميزة عن الاخرى إلى ما لا نهاية له، فقوله: ما هى مجموع جواب الشـرط و الجملة الإسـميّة إذا وقعت جواب الشـرط يجوز حذف الفاء منه عند الكوفيين كقول الشاعر: من يفعل الحسنات اللّه يجزيها، و إن لم تعتبر الامور المتميّزة بعضـها عن بعضها و تأخذ القدر المشترک بين الكل الّذى هو جمع الاحاد و تعتبره لا يبقى الامتياز بين كلّ منها كما نعتبر الجنس الّـذى بين النوعين كالإنسان و الفرس فيحكم عليهما بأنهما حيوان فكـذلک يحكم فى الإثنين و الثلاثـة و الأربعـة بأنها مجموع من الاحاد مع قطع النظر عمّا به يمتاز بعضه عن البعض الاخر و هو المراد بقوله:

(م) و إن كانت واحدة فما عين واحدة منهنّ عين ما بقى.

(ش) و هـذا الشق يـدلّ على ما ذهبنا إليه من أنّ الأصـحّ فإن كان كلّ مرتبـة من العدد حقيقة أى و إن كانت المراتب كلّها واحدة فى كونها جمع الاحاد أو مجموعها فليس عين مرتبـة واحدة من تلک المراتب عين ما بقى منها لأنّ كل مرتبة منها حقيقة برأسـها موصوفة بخواصّ لا توجـد فى غيرها، و يجوز أن يكون ما بمعنى الّـذى أى و إن كانت المراتب كلّها واحدة بحسب رجوعها إلى حقيقة واحدة هى جمع الاحاد فالّذى عين واحدة من مراتب الاثنين و الثلاثة و غير ذلک عين ما بقى فى كونه عبارة عن جمع الاحاد و هذا أنسب بقوله:

(م) فالجمع يأخذها فيقول بها منها و يحكم بها عليها.

ص:268

(ش) أى إذا كـان لا ينفكّ عنها اسم جمع الاحاد فجمع الاحاد الّذى هو كالجنس لتلك المراتب يأخـذها و يجمعها و يتناولها و يصـدق عليها صدق الجنس على أنواعه فنقول بتلك المراتب من تلك الحقيقة الجامعة إياها و يحكم بها عليها أى الجامع بين المراتب يحكم عليها بما يعطيه من الأحكام كما يحكم الحقّ على الأعيان بما يعطيه من الأحوال.

(م) و قد ظهر فى هذا القول عشرون مرتبة فقد دخلها التركيب.

(ش) أى حصل فى هذا القول و هو أن كان كل مرتبة حقيقة عشـرون مرتبة أولها مرتبة الواحد المنشـئ للعدد، ثمّ مرتبة الاثنين إلى التسـعة فصار تسـعة ثمّ مرتبـة العشـرة و العشـرين إلى تسـعين و هى تسـعة اخرى فصار ثمانية عشـر، ثمّ مرتبة المائة و الألف و على الباقى يدخل التركيب و ضمير دخلها يرجع إلى المراتب العشرين.

(م) فما تنفكّ ثبت عين ما هو منفىّ عندك لذاته.

(ش) أى لاـ تزال ثبت فى كلّ مرتبـة من المراتب عين ما تنفيه فى مرتبـة اخرى كما ذكر من أنّ الواحـد ليس من العـدد باتفاق جمهور أهل الحساب مع أنّه عين العـدد إذ هو الّذى بتكرّره توجـد الأعداد فيلزمه فى كلّ مرتبة من مراتب العدد لوازم و خصوصـيّات متعدّدة و كذلك نقول لكلّ مرتبة أنها جمع الاحاد و نثبت أنّها ليست غير مجموع الاحاد مع أنّه منفىّ عندك بأنّها ليست مجموع الاحاد فقط .

(م) و من عرف ما قرّرناه فى الأعـداد و أنّ نفيها عين ثبتها علم أنّ الحقّ المنزّه هو الخلق المشـبّه و إن كان قـد تميّز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق و الأمر المخلوق الخالق.

(ش) أى و من عرف أنّ العـدد هو عبـارة عن ظهور الواحـد فى مراتب متعـدّدة و ليس من العـدد بـل هو مقوّمه و مظهره و العـدد أيضـا فى الحقيقة ليس غيره، و أنّ نفى العدديّة من الواحد عين إثباتها له لأنّ الأعداد ليست إلاّ عين مجموع الاحاد

مادّة و صورة علم أنّ الحق المنزه عن نقائص الإمكان بل عن كمالات الأكوان هو بعينه الخلق المشبّه، و إن كان قد تميّز الخلق بإمكانه من الخالق فالأمر الخالق أى الشىء الّذى هو الخالق هو المخلوق بعينه، لكن فى مرتبة اخرى غير المرتبة الخالقيّة، و الأمر المخلوق هو الخالق بعينه لكن باعتبار ظهور الحق فيه.

و اعلم أنّ الاثنين مثلا ليس عبارة إلاّ عن ظهور الواحد مرّتين مع الجمع بينهما، و الظاهر فرادى و مجموعا فيه ليس إلاّ الواحد فما به الاثنان اثنان و تغاير الواحد ليس إلاّ أمر متوهّم لا حقيقة له كذلك شأن الحقّ مع الخلق فإنّه هو الّذى يظهر بصور البسائط ثمّ بصور المركّبات فيظنّ المحجوب أنّها مغايرة بحقائقها و ما يعلم أنّها امور متوهّمة و لا موجود إلاّ هو.

(م) كلّ ذلك من عين واحدة لا بل هو العين الواحدة و هو العيون الكثيرة.

(ش) أى كلّ ذلك الوجود الخلقى صادر من الذات الواحدة الإلهيّة ثمّ أضرب عنه لأنّه مشعر بالمغايرة فقال: بل ذلك الوجود الخلقى هو عين تلك العين الواحدة الظاهرة فى مراتب متعدّدة و ذلك العين الواحدة الّتى هى الوجود المطلق هى العيون الكثيرة باعتبار المظاهر المتكثّرة، كما قال:

(م) سبحان من أظهرنا سوته سرّ سنا لاهوته الثاقب

ثمّ بدا فى خلقه ظاهرا فى صورة الاكل و الشارب

فانظر ما ذا ترى.

(ش) أى انظر أيها السالك طريق الحقّ ما ذا ترى من الوحدة و الكثرة جمعا و فرادى ؟ فإن كنت ترى الوحدة فقط فأنت مع الحقّ وحده لارتفاع الإثنينيّة، و إن كنت ترى الكثرة فقط فأنت مع الخلق وحده، و إن كنت ترى الوحدة فى الكثرة محتجبة و الكثرة فى الوحدة مستهلكة فقد جمعت بين الكمالين و فزت بمقام الحسنيين، هذا آخر ما أفاد هذا الفحل العارف المتأله فى المقام.

فبما قدّمنا ظهر لك سرّ كلام وليّ اللّه الأعظم زين العابدين و سيّد

الساجـدين علىّ بن الحسـين عليهما السّـلام: لک يا إلهى وحدانيـة العـدد، و كلام هؤلاء الأكابر سـيما الأخير منهم تفصـيل ذلک الكلام الموجز المفاض من صقع الملكوت و قد عرّفه جدّه قدوة المتألّهين و إمام العارفين و برهان السالكين علىّ أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: «إنّا لامراء الكلام، و فينا تنشبّت عروقه و علينا تهدّلت غصونه» (المختار 231 من خطب النهج)، و بقوله: «هم عيش العلم و موت الجهل إلخ» (المختار 237 من خطب النهج) فراجع إلى شرحنا عليهما فى المجلّدين الأوّل و الثانى من تكملة منهاج البراعة.

و حيث انجرّ البحث إلى التوحيد و ساقنا لقاء اللّه إليه فلنشـر إلى نبذة ممّا أودع فى سورة التوحيد أعنى سورة الإخلاص كى يسـتقرّ التوحيد على ما شاهده أهله فى قلوب مسـتعدّيه، و يتّضح معنى اللقاء المبحوث عنه أتمّ إيضاح لمبتغيه على أنّ هذه السورة نسـبته تبارک و تعالى و وصفه، و الحبيب يشتاق ذكر حبيبه و يلتذّ بوصفه كما يحبّ الخلوة معه، و الانس به، و آثاره من رسوله و كتابه و أوليائه.

ففى آخر الباب الحادى و العشـرين من إرشاد القلوب للـديلمى قـدس سـرّه فى الـذكر و المحافظة عليه: قال الصادق عليه السّـلام إنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله صـلّى على سـعد بن معاذ و قال: لقد وافى من الملائكة للصـلاة عليه تسـعون ألف ملک و فيهم جبرئيل يصـلّون عليه فقلت: يا جبرئيل بما استحقّ صلاتكم ؟ قال: يقرأ قل هو اللّه أحد قائما و قاعدا و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا.

و قـد انعقد الشّـيخ أبو جعفر الصّدوق رضوان اللّه عليه بابا فى كتاب التوحيد فى تفسـير سورة قل هو اللّه أحد و أتى من أئمة الدين بأحاديث قيّمة فليراجع الطالب إليه و إلى شـرح المقتبس من مشـكاة الولاية القاضـى السعيد القمّى أعلى اللّه درجاته على ذلک الكتاب، و لكنّا إنّما نكتفى بنقل بعضها، و بما أفاده العارف المتألّه الميرزا محمّد رضا القمشئى قدّس سرّه فى تعليقته على شرح الفصوص للقيصرى، و الحكيم البارع المولى صدرا قدس سرّه فى شرح اصول الكافى فى تفسير سورة الإخلاص لأنّ نقل جميع تلک الأحاديث ينجرّ إلى الإطالة لكونها

صعبا مستصعبا جدّا لا بدّ من تفسيرها و كشف معضلاتها.

فأمّا ما قال القمشئى رضوان اللّه عليه فى تعليقته على الفصل الأوّل من مقدّمات القيصرى على شرح الفصوص فى الإشارة إلى نبذ ممّا فى سورة التوحيد فهو مايلى:

اعلم أنّ الوجود لمّا كان حيث ذاته حيث التحقّق و الإنيّة فهو متحقّق بنفس ذاته و لما كان واجبا بذاته و الواجب بالذات مهيّته إنيّته فليس فيه سوى حيث الوجود حيث، و لما لم يكن فيه سوى حيث الوجود حيث فلم يكن معه شىء فكان اللّه و لم يكن معه شىء و الان كما كان و هذا هو الّذى يوهم أنّه وجود بشرط لا و الأمر كذلک إلاّ أنّ كونه بشرط لا من لوازم ذاته و لا دخل فى وجوب ذاته.

فإن قلت: فما معنى سريان تلک الحقيقة فى الواجب و الممكن ؟ أقول: معنى السريان الظهور فقد يكون ظاهرا بنفس ذاته لذاته و هذا سريانه فى الواجب و قد يكون ظاهرا فى ملابس الأسماء و الأعيان الثابتة فى العلم، و قد يكون ظاهرا فى ملابس أعيان الموجودات فى الأعيان و الأذهان، و هذا السريان فى الممكن و الكلّ شئونه الذاتيّة، فالوجود المأخوذ لا بشرط عين الوجود بشرط بحسب الهويّة و الإختلاف فى الاعتبار و إليه اشير فى قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فإنّ لفظة هو ضمير يشير إلى أنّه لا اسم له، و لفظة اللّه اسم للذات بحسب الظهور الذّاتى، و لفظة أحد قرينة دالّة على أنّ اسم اللّه هناک للذات فإنّه مشترک بينها و بين الذات الجامعة لجميع الصفات و فى الظهور الذاتى لا نعت له و لا صفة بل الصفات منفيّة كما قال عليه السّلام: و كمال التوحيد نفى الصفات عنه تعالى، أى الغيب المجهول هو الذات الظاهرة بالأحدية، و لمّا كان لفظة أحد قد يطلق لمعنى سلبى كما فى هذا الموضع فإنّه يسلب عنه جمع الأشياء بل الأسماء و الصفات أيضا فيوهم أنّه خال عن الأشياء فاقد لها بل عن النعوت و الكمالات و هو تعالى بوحدته كلّ الأشياء و جميع النعوت و الكمالات فاستدرک بقوله تعالى: «اَللّهُ الصَّمَدُ »

فانّ الصـمد هو الواحـد الجامع، ثمّ اسـتدل عليه بأنّه لم يلـد و لم يولـد أى لم يخرج عنه شـىء و لم يخرج عن شـىء ليكون ناقصا بخروج الشىء عنه أو بخروجه عن شىء فأحديّته بسلب تعيّنات الأشياء عنه، و صمديّته تثبت باندماج حقائقها فيه. انتهى كلامه.

قلت: ما أفاده قدّس سـرّه شـريف متين جدّا و تجد فى تلك المعانى الدقيقة الفائضة من عرش التحقيق إشارات أنيقة من أئمّة الدّين صلوات اللّه عليهم أجمعين و من تأمّل فى الجوامع الروائيّة الإماميّة رأى بالعيان أنّ أصل العرفان تنشبّت عروقه فيهم، و تهدّلت غصونه عليهم إلاّ أنّ الجهلـة من المتصوّفـة و أشـباه العرفاء و لا عرفاء إنّما ردّوا النّاس عن الـدّين القهقرى، و ما سـمعت من كلام هذا العارف الجليل فى «هو» مـأخوذ من خزنـة العلم و عيب أسـرار اللّه، فقـد روى أبو جعفر الصـدوق رضوان اللّه عليه فى بـاب تفسـير «قُلْ هُوَ اللّهُ » من كتابه التوحيد بإسـناده عن أبى البخترى وهب بن وهب القرشى، عن أبى عبد اللّه الصّادق جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علىّ الباقر عليهم السّلام فى قول اللّه تبارك و تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ »:

قال: «قل» أى أظهر ما أوحينا إليک و نبّأناک به بتأليف الحروف الّتى قرأتها لک ليهتدى بها من ألقى السمع و هو شهيد، و «هو» اسم مكنّى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه على معنى ثابت، و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أنّ قولک: هـذا إشارة إلى الشاهد عند الحواسّ ، و ذلک أنّ الكفّار نبّهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهـد المدرک، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشـر أنت يا محمّد إلهک الّـذى تـدعو إليه حتّى نراه و ندركه و لا نأله فيه، فأنزل اللّه تبارک و تعالى: «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فالهاء تثبيت للثابت، و الواو إشارة إلى الغائب عن درک الأبصار و لمس الحواسّ ، و أنّه تعالى عن ذلک، بل هو مـدرک الأبصار و مبدع الحواس، حدّثنى أبى، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السّـلام قال: رأيت الخضـر عليه السّـلام فى المنام قبل بدر بليلة، فقلت له: علّمنى شيئا أنصر به على الأعداء، فقال: قل: يا هو يا من لا هو إلاّ هو، فلما أصبحت قصصتها على رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله، فقال لى: يا علىّ علّمت الاسم الأعظم، فكان على لسانى يوم بدر

و أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قرأ «قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فلمّا فرغ قال: يا هو يا من لا هو إلاّ هو اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين، و كان علىّ عليه السّلام يقول ذلک يوم صفين و هو يطارد، فقال له عمّار بن ياسر: يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال: اسم اللّه الأعظم و عماد التوحيد للّه لا إله إلاّ هو، ثمّ قرأ: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ » و آخر الحشر - ثمّ نزل فصلّى أربع ركعات قبل الزوال.

بيان: قوله: و لا نأله فيه أى لا نتحيّر فيه من أله كفرح أى تحيّر، و قوله:

حدّثنى أبى عن أبيه من تتمّة الحديث و القائل هو الإمام محمّد بن علىّ الباقر يقول حدّثنى أبى زين العابدين علىّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علىّ ، عن أبيه أمير المؤمنين علىّ عليهم السّلام، و قوله: قبل بدر بليلة، يعنى قبل غزوة بدر بليلة.

و أمّا ما أفاده الحكيم المتألّه مولى صدرا فى تفسير السورة، فقال قدّس سرّه فى شرح الحديث الثالث من باب النسبة من كتاب التوحيد من اصول الكافى المذكور من قبل عن سيّد السّاجدين عليه السّلام فى سورة التوحيد و الايات من الحديد:

أمّا سورة التوحيد، فلا يخفى لمن تدبّر و تعمّق فيها اشتمالها على غوامض علوم التوحيد و لطائف أسرار التقديس، فقد علمت نبذا من أسرارها العميقة مع أنّ المذكور يسير من كثير ما علمناه، نزر حقير فى جنب ما ستر فيها من العلوم الأحديّة و الأسرار الصّمديّة.

و اعلم أنّ كثرة الأسامى و الألقاب يدلّ على مزيد الفضيلة و الشرف، كما لا يخفى فأحدها سورة التفريد، و الثانى سورة التجريد، و ثالثها سورة التوحيد، و رابعها سورة الاخلاص، لأنّه لم يذكر فى هذه السورة الصفات السلبيّة الّتى هى صفات الجلال، و لأنّ من اعتقدها كان مخلصا فى دين اللّه، و لأنّ غاية التنزيه و التفريد و التوحيد يستلزم غاية الدنوّ و القرب المستلزم للمحبّة و الاخلاص فى الدّنيا.

و خامسها سورة النجاة لأنّها تنجيک من التشبيه و الكفر فى الدّنيا، و عن

النـار فى الاـخرة، و سادسـها سورة الولايـة لأـنّ من قرأها عارفا بأسـرارها صار من أولياء اللّه، و سابعها سورة النسـبة لما روى أنّه ورد جوابا لسؤال من قال: انسب لنا ربّک، ثامنها سورة المعرفة، و روى جابر رضى اللّه عنه: أنّ رجلا صلّى فقرأ:

«قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » فقال النبىّ صلى اللّه عليه و آله: إنّ هذا عبد عرف ربّه فسمّيت سورة المعرفة لذلک.

و تاسـعها سورة الجمـال لأـنّ الجلال غير منفک عن الجمال كما أشـرنا إليه، و لما روى أنّه قال صـلى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه جميل يحبّ الجمال، سألوه عن ذلک فقال: أحد صـمد لم يلد و لم يولد، و عاشرها سورة المقشقشة، يقال: قشقش يقشقش المريض برأ، فمن عرفها تبرّأ من الشـرک و النفـاق لأـنّ النفـاق مرض كمـا فى قلوبهم مرض، الحادى عشـر المعوّذة، روى أنّه صـلى اللّه عليه و آله دخل على عثمان بن مظعون يعوذه بها و باللّتين بعدها، ثمّ قال: تعوّذ بهنّ فما تعوّذت بخير منها، و الثانى عشـر سورة الصـمد، و الثالث عشر سورة الأساس لما روى أنّه قال: اسّست السماوات السبع و الأرضون السبع على قل هو اللّه أحد، و ممّا يدلّ عليه أن القول بالثلاثة سبب لخراب السماوات و الأرض بـدليل قوله تعالى: «تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا » فوجب أن يكون التوحيد سـببا لعمارة العالم و نظامه.

و الرابع عشـر سورة المانعة لما روى أنّها تمنع فتانى القبر و نفخات النيران و الخامس عشـر سورة المحضرة لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرأت و السادس عشـر سورة المنفرة لأنّ الشـيطان ينفر عند قراءتها، السابع عشـر البراءة لانها تبرىء من الشـرک، و لما روى أنّه صلى اللّه عليه و آله رأى رجلا يقرأها فقال: أمّا هـذا فقد برىء من الشـرک، الثامن عشـر سورة المذكرة لأنها يذكر العبد خالص التوحيد التاسع عشـر سورة النور لأنّ اللّه نور السـموات و الأرض و السورة فى بيان معرفته و معرفته النور، و نوره المعرفة، و لما روى أنّه صلى اللّه عليه و آله قال: إنّ لكلّ شىء نورا و نور القرآن قل هو اللّه أحد، و نظيره أنّ نور الإنسان فى أصغر أعضائه و هو

الحدقة فصارت السورة للقرآن كالحدقة للإنسان.

العشـرون سورة الأمان قال صـلى اللّه عليه و آله: إذا قال العبد لا إله إلاّ اللّه دخل فى حصـنى و من دخل فى حصنى أمن من عذابى، فهذه عشرون اسما من أسامى هذه السورة و لها فضائل كثيرة و معانى و نكات غير محصورة، و ما روى فى فضل قراءتها و ثواب الصلاة المشتملة على عدد منها فلا يعدّ و لا يحصى.

فمن فضائلها أنّها ثلث القرآن و ذكروا لـذلک وجوها أجودها أنّ المقصود الأشـرف من جميع الشـرائع و العبادات معرفة ذات اللّه، و معرفة صفات اللّه و معرفة أفعاله و هذه السورة مشتملة على معرفة الذات فكانت معادلة لثلث القرآن.

و من فضائلها أيضا أنّ الدلائل و البراهين قائمة على أنّ أعظم درجات العبد و أجلّ سعاداته أن يكون قلبه مستنيرا بنور جلال اللّه و كبريائه و هو إنما يحصل بعرفان هذه السورة فكانت هذه السورة أفضل السور و أعظمها.

فإن قيل: صـفات اللّه تعالى مذكور فى سائر السور؟، قلنا: لكن لهذه السورة خصوصـيّة و هى أنّها مع و جازتها مشـتملة على عظائم أسـرار التوحيد فتبقى محفوظة فى القلب معقولة للعقل فيكون ذكر جلال اللّه حاضرا بهذا السبب فلا جرم امتازت عن سائر السور.

و أما المعانى و النكات فمنها ما سـبق، و منها وجوه اخرى كثيرة لو ذهبنا إلى تفسـير هـذه السورة مستقصـى لخرجنا عمّا نحن بصـدده من شرح الأحاديث و لكن نذكر أنموذجا ينبّه على الكثير لمن هو أهله فنقول:

قوله: هو اللّه أحـد ثلاثـة ألفاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات السالكين إليه تعالى: المقام الأوّل للمقرّبين و هم أعلى السائرين إلى اللّه تعـالى فهؤلاـء رأوا أنّ موجوديـة المهيّات بالوجود و أنّ أصل حقيقـة الوجود بـذاته موجود و بنفسه واجب الوجود متعيّن الـذات لا بتعيّن زائد فعلموا أنّ كل ذى مهيّة معلول محتاج و أنّه تعالى نفس حقيقة الوجود و الوجوب و التعيّن فلهذا

سمعوا كلمة هو علموا أنّه الحقّ تعالى لأنّ غيره غير موجود بذاته و ما هو غير موجود بذاته فلا إشارة إليه بالذات.

و المقام الثانى مقام أصحاب اليمين و هؤلاء شاهدوا الحقّ موجودا و الخلق أيضا موجودا فحصلت كثرة فى الموجودات فلا جرم لم يكن هو كافيا فى الإشارة إلى الحقّ بل لا بدّ هناک من مميّز يميّز الحقّ عن الخلق فهؤلاء احتاجوا إلى أن يقرن لفظة اللّه بلفظة هو فقيل لأجله هو اللّه لأنّ اللّه هو الموجود الّذى يفتقر إليه ما عداه و هو مستغن عن كلّ ما عداه فيكون أحديّ الذات لا محالة إذ لو كان مركبّا كان ممكنا محتاجا إلى غيره فلفظة الجلالة دال على الأحديّة من غير اقتران إلى لفظ أحد به.

المقام الثالث مقام أصحاب الشمال و هو أدون المقامات و أخسّها و هم الّذين يجوزون كثرة فى واجب الوجود أيضا كما فى أصل الوجود فقورن لفظ أحد بكلمة اللّه ردّا عليهم و ابطالا لمقالهم فقيل: قل هو اللّه أحد.

و ههنا بحث آخر أدق و أشرف و هو أنّا نقول كلّ ماله مهيّة غير انيّته فلا يكون هو هو لذاته و كلّما يكون مهيّته عين هويته و حقيقته نفس تعيّنه فلا اسم و لا حدّ له و لا يمكن شرحه إلاّ بلوازمه الّتى يكون بعضها إضافيّة و بعضها سلبيّة و الأكمل فى التعريف ما يجمع ذينک النوعين جميعا و هو كون تلک الهويّة إلها فإنّ الالهيّة يقتضى أن ينسب إليه غيره و لا ينسب هو إلى غيره، و المعنى الأوّل إضافى، و الثانى سلبى فلا جرم ذكر اللّه عقيب قوله هو.

ثمّ اعلم أنّ الّذى لا سبب له و إن لم يكن تعريفه بالحدّ إلاّ أنّ البسيط الّذى لا سبب له و هو مبدء الأشياء كلّها على سلسلة الترتيب النازل من عنده طولا ـ و عرضا فمن البيّن أنّ ما هو أقرب المجعولات إليه بل اللاّزم الأقرب المنبعث عن حاق الملزوم إذا وقع التعريف كان أشدّ تعريفا من غيره، و أقرب اللوازم له تعالى كونه واجب الوجود غنيّا عمّا سواه و كونه مبدءا و مفتقرا إليه الجميع و مجموع هذا الأمرين هو معنى الالهيّة فلأجل ذلک وقع قوله اللّه عقيب هو

ص:277

شرحا و تعريفا له.

و لمّا ثبت مطلوب الهليّة البسيطة بقوله هو الدال على أنّه الهو المطلق الّذى لا يتوقف هويته على غيره، و لأجل ذلک هو البرهان على وجود ذاته و ثبت مطلوب الهليّة البسيطة بقوله فحصلت بمجموع الكلمتين معرفة الإنيّة المهية اريد أن يذكر عقيبهما ما هو كالصفات الجلاليّة و الجماليّة فقوله تعالى: أحد مبالغة فى الوحدة، و الوحدة التامّة ما لا ينقسم و لا يتكثر بوجه من الوجوه أصلا لا بحسب العقل كالانقسام بالجنس و الفصل، و لا بحسب العين كالانقسام من المادّة و الصورة و لا فى الحسّ و لا فى الوهم كالانقسام بالأعضاء و الأجزاء و كان الأكمل فى الوحدة ما لا كثرة فيه تعالى أصلا فكان اللّه تعالى غاية فى الوحدة، فقوله تعالى أحد دلّ على أنّه واحد من جميع الوجوه و إنما قلنا أنه واحد كذلک لأنّه لو لم يكن كذلک لم يكن إلها لأنّ كل ما هو مركّب فهو مفتقر إلى أجزائه و أجزاؤه غيره فيكون مفتقرا إلى غيره فلم يكن واجب الوجود و لا مبدء الكلّ ثمّ إنّ هذه الصفة و هى الأحدية التامّة الخالصة عن شوب الكثرة كما توجب التنزّه عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة، و عن الجسميّة و المقدارية و الأبعاض و الأعضاء و الألوان و سائر الكيفيّات الحسيّة الانفعاليّة و كلّما يوجب قوّة أو استعدادا أو إمكانا لک يقتضى كل صفة كماليّة من العلم التام و القدرة الكاملة و الحياة السرمدية و الإرادة التامة و الخير المحض و الجود المطلق فإنّ من أمعن النظر و تأمل تأملا كافيا يظهر له أن الأحديّة التامّة منبع الصفات الكماليّة كلّها، و لو لا مخافة الإطناب لبيّنت استلزامها لواحدة واحدة منها لكنّ اللبيب يدرک صحّة ما ادّعيناه.

و قوله تعالى «اَللّهُ الصَّمَدُ » قد مرّ أنّ الصمديّة لها تفسيران أحدهما ما لا جوف له، و الثانى السيّد فمعناه على الأوّل سلبى و هو إشارة إلى نفى المهية فإنّ كل ماله مهيّة كان له جوف و باطن و كان من جهة اعتبار مهيّة قابلا للعدم و كلّ ما لا جهة و لا اعتبار له إلاّ الوجود المحض فهو غير قابل للعدم فواجب الوجود من

كلّ جهة هو الصمد الحقّ ، و على التفسير الثانى يكون معنى إضافيا و هو كونه سيّد الكلّ أى مبدأ الجميع فيكون من الصفات الإضافيّة.

و ههنا وجه آخر و هو أنّ الصـمد فى اللّغة هو المصمت الّذى لا جوف له و إذا استحال هذا فى حقّه تعالى فوجب حمله على الفرد المطلق أعنى الواحـد المنزّه عن المثل و النظير إما ابتداءا، أو بعد نقله إلى معنى الأحدية المسـتلزمة للواحديّة كما مرّ فيكون الصـمد إشارة إلى نفى الشريک كما الأحد إلى نفى الانقسام.

فـانظر كيف عرّف أوّلاـ هويّته و إنيّته، ثمّ عرّف أنه تعـالى خـالق لهـذا العـالم، ثمّ عرّف أنّ الامور الّتى لأجلها افتقر هـذا العالم إلى الخالق كالتركيب و الإمكان و المهيّة و العموم و الاشتراک و الاحتياج لا بدّ أن يكون منفيّا عنه تعالى لئلا يلزم الدور أو التسلسل.

ثمّ لمّا كان من عادة المحقّقين أن يـذكروا أوّلا ما هو الأصل و القاعـدة ثمّ يخرجون عليه المسائل فـذكر أوّلا كونه موجودا إلها ثمّ توصل به إلى كونه صـمدا ثمّ رتّب عليه أحكاما ثلاثة أحدها أنّه «لَمْ يَلِدْ » لاستيجاب التوليد للتركيب لأنّه عبارة عن انفصال بعض ناقص من أبعاضـه ثمّ يترقّى فيصـير مساويا له فى الـذات و الحقيقـة و من البيّن أنّ نقصان البعض يسـتلزم تركيب الكلّ ، و ثانيها قوله: «وَ لَمْ يُولَدْ » لاسـتلزامه للحـدوث و النقصان و الافتقار إلى العلل من جهات شتّى كالإعـداد و الإحـداث و الإبقاء و التربيّة و التكميل، و ثالثها قوله: «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » و بيانه أنّا لو فرضنا مكافيا له فى رتبة الوجود فذلک المكافى لو كان ممكن الوجود كان محتاجا إليه متأخّرا عنه فى الوجود فكيف يكون مكافيا له ؟ و إن كان واجب الوجود و قـد علمت أن تعدّده ينافى الأحديّة و أنّه يسـتلزم التركيب فهذا أنموذج من دقائق أسـرار التوحيد تحويها هذه السورة، انتهى كلامه قدّس سرّه الشريف.

خاتمة

نذكر فيها أمرين لمن أراد أن يتذكّر، و يسعى إلى لقاء ربّه و يتنعّم به

ص:279

أحدهما نقل عدّة أذكار و أدعيّة عن خزنة علم اللّه عزّ و جلّ و عيب وحيه الّذين أنعم اللّه عليهم بلقائه و كانوا يناجون بها ربّهم الجليل لأنّها جلاء القلوب عن رين علائقها الدّنياوية، و إرشاد للطالب إلى لقاء ربّه المتعال، و ثانيهما نبذة ممّا هى آداب مبتغى اللقاء و الفائزين به.

أمّا الأوّل فقد روى السيّد الأجلّ جمال العارفين ابن طاوس قدّس سرّه الشريف فى أعمال شعبان من كتابه القيّم الكريم المسمّى بالإقبال (ص 685 من الطبع الرحلى) عن ابن خالويه - إلى أن قال: إنّها مناجاة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و الأئمّة من ولده عليهم السّلام كانوا يدعون بها فى شهر شعبان:

اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و اسمع دعائى إذا دعوتک - إلى قوله عليه السّلام:

إلهى هب لى كمال الإنقطاع إليک و أنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليک حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة و تصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسک - إلى أن قال عليه السّلام: إلهى إن أنا متنى الغفلة عن الاستداد للقائک فقد نبّهتنى المعرفة بكرم آلائک - إلى أن قال عليه السّلام: و ألحقنى بنور عزّک الأبهج فأكون لک عارفا و عن سواک منحرفا و منک خائفا مراقبا يا ذا الجلال و الاكرام، و رواه العلاّمة المجلسى فى البحار أيضا (ص 89 ج 19 من طبع الكمبانى).

و قال السيّد المذكور فى أعمال شهر رجب من ذلک الكتاب (ص 646):

و من الدعوات فى كلّ يوم من رجب ما رويناه أيضا عن جدّى أبى جعفر الطوسى رضى اللّه عنه فقال: أخبرنى جماعة عن ابن عيّاش قال: ممّا خرج على يد الشّيخ الكبير أبى جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد رضى اللّه عنه من الناحية المقدّسة ما حدّثنى به خير بن عبد اللّه قال: كتبته من التوقيع الخارج إليه:

بسم الرّحمن الرّحيم ادع فى كلّ يوم من أيّام رجب: اللهمّ إنّى أسئلک بمعانى جميع ما يدعوک به ولاة أمرک المأمونون على سرّک المستبشرون [المستسرّون - خ ل] بأمرک الواصفون لقدرتک المعلنون لعظمتک، و أسألک

بمـا نطق فيهم من مشـيّتک، فجعلتهم معادن لکلماتک و أرکانا لتوحيـدک و آياتک و مقاماتک الّتی لا تعطيل لها فی کلّ مکان يعرفک بها من عرفک، لا فرق بينک و بينها إلاّ أنّهم عبادک و خلقک، فتقها و رتقها بيدک بدؤها منک و عودها إليک. إلخ.

قلت: هـذا التوقيع من أسـرار اللّه المکنونة المخزونة، و الحقائق المودعة فيها تدرک و لا توصف ينالها من کان له قلب و لو تصدّينا لشـرحه علی قدر باعنا القصيرة و بضاعتنا المزجاة لا نجرّ إلی تأليف کتاب علی حدة، و الضمير المجرور فی لها و بها و بينها راجعة إلی المقامات و کذلک الضـمير المنصوب فی إلاّ أنّهم عبادک و ضـميرهم لذوی العقول فالمقامات من ذوی العقول، و لا بأس بإتيان الضمير، تارة من غير ذوی العقول و تارة من ذوی العقول، و ذلک نحو قوله تبارک و تعالی:

«وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَةِ » أورد الضـمير ثانيا من ذوی العقول إشارة إلی أنّ الأسـماء ليست ألفاظا دالّة علی معانيها لأنّ معرفة الألفاظ تعدّ من العلوم الأدبيّة و هی لا توجب شرح الصدر و سعة الذات، بل المراد بها حقائق المخلوقات و مقامات دار الوجود علی ما هی عليه.

قوله عليه السّلام: لا فرق بينـک و بينهـا إلاّ أنّهم عبادک، قال القيصـری فی آخر الإشارة إلی بعض المراتب الکلّيـة من الفصل الأوّل من مقدّماته علی شـرح الفصوص (ص 11 من الطبع الناصـری): و مرتبـة الإنسان الکامل عبارة عن جمع جميع المراتب الإلهية و الکونيّة من العقول و النفوس الکلّية و الجزئية، و مراتب الطبيعة إلی آخر تنزلات الوجود و يسـمّی بالمرتبة العمائية أيضا فهی مضاهية للمرتبة الإلهيّة، و لا فرق بينهما إلاّ بالربوبيّة و المربوبيّة لذلک صار خليفة اللّه - إلخ.

إنّما نقلنا کلام القيصـری فی المقام لکی يعلم أنّ أصل ما تفوّه به العرفاء الشامخون مقتبس من مشـکاة بيت آل النّبی صـلی اللّه عليه و آله، نعم انهم و اللّه ينابيع الحکمة و المعرفة و العرفان و خزنة الحقائق کلّها.

و فی دعاء عرفة لمولانا الحسين بن علیّ صلوات اللّه عليهما، کما أتی به السيّد المذکور فی الإقبال أيضا (ص 348): إلهی تردّدی فی الاثار يوجب بعد

المزار فـاجمعنى عليک بخدمـة توصـلنى إليک کيف يسـتدلّ عليک بما هو فى وجوده مفتقر إليک ؟ أ يکون لغيرک من الظهور ما ليس لک حتى يکون هو المظهر لک ؟ متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليک ؟ و متى بعدت حتّى تکون الاثار، هى الّتى توصل إليک ؟ عميت عين لا تراک عليها رقيبا، و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّک نصيبا.

إلهى أمرت بالرجوع إلى الاثار فارجعنى إليک بکسوة الأنوار و هداية الاسـتبصار حتّى أرجع إليک منها، کما دخلت إليک منها مصون السرّ عن النظر إليها، و مرفوع الهمّة عن الاعتماد عليها إنّک على کلّ شىء قدير.

إلهى هـذا ذلّى ظاهر بين يـديک، و هـذا حالى لا يخفى عليک، منک أطلب الوصول إليک، و بک أسـتدلّ عليک، فاهـدنى بنورک إليک، و أقمنى بصدق العبودية بين يديک.

إلهى علّمنى من علمک المخزون، و صنّى بسرّک [بسترک - خ ل] المصون.

إلهى حقّقنى بحقائق أهل القرب، و اسلک بى مسلک أهل الجذب.

و روى ثقة الإسـلام الکلينى فى باب الدّعاء فى أدبار الصـلوات من الکافى (ص 399 ج 2 من المعرب) بإسـناده عن محمّد بن الفرج قال: کتب إلىّ أبو جعفر ابن الرّضا - يعنى الإمام الجواد عليه السّلام - بهذا الدّعاء و علّمنيه - إلى أن قال عليه السّلام: و أسألک الرضا بالقضاء و برکة الموت بعد العيش و برد العيش بعد الموت و لذّة المنظر إلى وجهک و شوقا إلى رؤيتک و لقائک من غير ضـرّاء مضـرّة و لا فتنة مضلّة. إلخ.

و فى دعاء يوم الاثنين للإمام موسـى بن جعفر الکاظم عليه السّلام: و أسألک خشـيتک فى السـرّ و العلانية و العدل فى الرضا و الغضب و القصـد فى الغنى و الفقر و أن تحبّب إلىّ لقاءک فى غير ضـرّاء مضـرّة و لا فتنة مضـلّة. إلخ. رواه الکفعمى رضوان اللّه عليه فى البلد الأمين (ص 118) و فى المصباح أيضا (ص 115).

و فى الدّعاء السابع و الأربعين من الصحيفة السجاديّة: و أخفنى مقامک و شوّقنى لقاءک.

و فی المناجاة الخمس عشرة لمولانا علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیه – و قال العلاّمة المجلسی رحمة اللّه علیه فی التاسع عشر من البحار (ص 105 من الطبع الکمبانی): و قد وجدتها مروية عنه علیه السّلام فی بعض کتب الأصحاب رضوان اللّه علیهم. انتهی.

و عدّها المحدث الخبیر و العالم الجلیل الشّیخ حرّ العاملی صاحب الوسائل فی الصحیفة الثانیة من الأدعیّة السجادیّة علیه السّلام و نسبها إلیه من غیر تردید.

ففی مناجاة الخائفین: و لیتنی علمت أمن أهل السعادة جعلتنی و بقربک و جوارک خصصتنی فتقرّ بذلک عینی و تطمئنّ له نفسی – إلی أن قال علیه السّلام: إلهی لا تغلق علی موحّدیک أبواب رحمتک و لا تحجب مشتاقیک عن النظر إلی جمیل رؤیتک.

و فی مناجاة الراغبین: إلهی إن کان قلّ زادی فی المسیر إلیک فلقد حسن ظنّی بالتوکّل علیک – إلی أن قال علیه السّلام: و إن أنا متنی الغفلة عن الاستعداد للقائک فقد نبّهتنی المعرفة [المغفرة – خ ل] بکرمک و آلائک – إلی أن قال علیه السّلام:

أسألک بسبحات وجهک و بأنوار قدسک، و أبتهل إلیک بعواطف رحمتک و لطائف برّک أن تحقق ظنّی بما اؤمّله من جزیل إکرامک و جمیل إنعامک فی القربی منک و الزلفی لدیک و التمتع بالنظر إلیک.

و فی مناجاة المطیعین للّه: اللهمّ احملنا فی سفن نجاتک و متّعنا بلذیذ مناجاتک و أوردنا حیاض حبّک، و أذقنا حلاوة ودّک و قربک.

و فی مناجاة المریدین: و لقاؤک قرّة عینی، و وصلک منی نفسی، و إلیک شوقی و فی محبّتک ولهی و إلی هواک صبابتی و رضاک بغیتی، و رؤیتک حاجتی و جوارک طلبی، و قربک غایة سؤلی، و فی مناجاتک انسی و راحتی [روحی – خ ل].

و فی مناجاة المحبّین: إلهی من ذا الّذی ذاق حلاوة محبّتک، فرام منک بدلا؟! و من ذا الّذی أنس بقربک فابتغی عنک حولا؟! إلهی فاجعلنا ممّن اصطفیته لقربک و ولایتک، و أخلصته لودّک و محبّتک، و شوّقته إلی لقاءک، و رضّیته

بقضائک، و منحته بالنظر إلی وجهک – إلی أن قال: و اجتبیته لمشاهدتک.

و فی مناجاة المتوسّلین: و اجعلنی من صفوتک الّذین أحللتهم بحبوحة جنّتک و بوّأتهم دار کرامتک، و أقررت أعینهم بالنظر إلیک یوم لقائک، و أورثتهم منازل الصدق فی جوارک.

و فی مناجاة المفتقرین: ولوعتی لا یطفیها إلاّ لقاؤک، و شوقی إلیک لا یبلّه إلاّ النظر إلی وجهک.

و فی مناجاة العارفین: فهم إلی أوکار الأفکار یأوون، و فی ریاض القرب و المکاشفة یرتعون – إلی أن قال: و قرّت بالنظر إلی محبوبهم أعینهم، إلی أن قال: ما أطیب طعم حبّک، و ما أعذب شرب قربک.

و فی مناجاة الذاکرین: فلا تطمئن القلوب إلاّ بذکراک، و لا تسکن النفوس إلاّ عند رؤیاک – إلی أن قال: و أستغفرک من کلّ لذّة بغیر ذکرک، و من کلّ راحة بغیر انسک، و من کلّ سرور بغیر قربک.

و فی مناجاة الزاهدین: و اقرر أعیننا یوم لقائک برؤیتک.

فعلیک بتلک المناجاة الخمس عشرة سیما مناجاة العارفین و مناجاة المحبّین منها فانّها جلاء للقلوب.

و فی آخر الدّعاء السابع و الأربعین من الصحیفة و کان من دعائه علیه السّلام فی یوم عرفة: و أ تحفنی بتحفة من تحفاتک، و اجعل تجارتی رابحة، و کرّتی غیر خاسرة، و أخفنی مقامک، و شوّقنی لقاءک – إلخ.

و فی باب فی أنه عزّ و جلّ لا یعرف إلاّ به من توحید الصّدوق رضوان اللّه علیه باسناده عن زیاد بن المنذر، عن أبی جعفر محمّد بن علیّ الباقر، عن أبیه، عن جدّه علیهم السّلام أنّه قال: إنّ رجلا قام إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام و قال: بماذا عرفت ربّک ؟ قال: بفسخ العزم، و نقض الهمم لما هممت فحیل بینی و بین همّی و عزمت فخالف القضاء عزمی علمت أنّ المدبّر غیری، قال: فبما ذا شکرت نعماه ؟ قال: نظرت إلی بلاء قد صرفه عنّی و أبلی به غیری فعلمت أنّه قد أنعم علیّ فشکرته، قال:

فبما ذا أحببت لقاه ؟ قال: لما رأيته قد اختار لی من دين ملائكته و رسله و أنبيائه علمت أنّ الّذی أكرمنی بهذا ليس ينسانی فأحببت لقاه.

روی الكلينی فی باب الاهتمام بامور المسلمين و النصيحة لهم و نفعهم باسناده عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: عليک بالنصح للّه فی خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه.

و اعلم أنّ ما تقدّم من التوقيع الشريف الصادر من الناحية المقدّسة و فيه قوله عليه السّلام: لا فرق بينک و بينها إلاّ أنهم عبادک و خلقک، و ما مرّ فی ذيله من كلام القيصری: لا فرق بينهما إلاّ بالربوبيّة و المربوبيّة كأنّما يفيدان وجها خامسا فی وحدة الوجود أعلی و أشمخ و أدقّ و أشرف من الأربعة المتقدّمة المبيّنة، و لعلّ كلام العارف الربّانی الخواجه صائن الدين علی تركه اصفهانی يشير إلی هذا الوجه المنيع حيث قال: فهو العابد باعتبار تعيّنه و تقيّده بصورة العبد الّذی هو شأن من شئونه الذاتيّة و هو المعبود باعتبار إطلاقه، اعلم أنّ الشهود الأتم الأكمل قضی أنّ كلّ ما يسمّی مرآة و مجلی و مظهرا و عينا و نحو ذلک ليس سوی تعينات صور أحوال الحقّ علی ما بينها من التفاوت فی الحكم و الحقّ من حيث هو باطن هويّته متجلی فی عين كل فرد فرد من أحواله المتميّزه الّتی تغيب و ظهرت له انتهی كلامه.

و اللّه تعالی أعلم بمراد أوليائه، اللّهم ارزقنا فهم ما أودعت فی كلماتک التامّة، قال عزّ من قائل: «يُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَ اللّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ».

ای برتر از خيال و قياس و گمان و وهم وز آنچه گفته اند و شنيديم و خوانده ايم

مجلس تمام گشت و باخر رسيد عمر ما همچنان در أوّل وصف تو مانده ايم

و أما الأمر الثانی فنقول: لا يعرج الإنسان إلی ذی المعارج إلاّ بجناحی العلم و العمل قال عزّ من قائل: «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعی وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُری » (النجم: 40) و قال تعالی: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعی » (النازعات: 35)، «وَ مَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَ سَعی لَها سَعْيَها وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً » (الاسراء: 20)

و قال تعالى: «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » (آخر الكهف).

ثمّ تأمّل تأمّلا كاملا فى قوله تعالى: «لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى »، فإن ما هو خارج عن ذاتک ليس لک حقيقة بل له ارتباط مّا إليک فاسع إلى ما هو لک بل هو أنت و أنت هو على الحقيقة لما ثبت بالبراهين العقلية المعاضدة بالأدلة النقلية من اتّحاد العاقل بمعقوله، و نعم ما أفاده الشّيخ أبو على الرئيس رضوان اللّه عليه فى النمط الثامن من كتاب الإشارات: كمال الجوهر العاقل أن يتمثل فيه جليّة الحقّ الأوّل قدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الّذى يخصّه ثمّ يتمثل فيه الوجود كلّه على ما هو عليه مجردا عن الشوب مبتدأ فيه بعد الحقّ الأوّل بالجواهر العقليّة العالية ثمّ الرّوحانيّة السماوية ثمّ ما بعد ذلک تمثّلا لا يمايز الذات.

فاعلم أنّ الخبر ليس كالمعاينة، و العلم بالشىء غير النيل لوصوله و وجدانه و حصوله، و لا يبلغ مرتبة علم اليقين مرتبة عين اليقين فضلا عن مرتبة حقّ اليقين بل الأوّل دون الثانى بمراحل و الثانى دون الثالث بمنازل، قال الشّيخ الرئيس قدّس سرّه فى أواخر النمط التاسع من كتاب الإشارات: من أحبّ أن يتعرّفها - يعنى أن يتعرّف الدرجات الّتى يجدها السالک - فليتدرّج إلى أن يصير من أهل المشاهدة دون المشافهة و من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر.

و قال الخواجه نصير الدين الطوسى رضوان اللّه عليه فى الشرح بعد كلام فى الدرجات: و اعلم أنّ العبارة عن هذه الدرجات غير ممكنة لأنّ العبارات موضوعة للمعانى الّتى يتصوّرها أهل اللغات ثمّ يحفظونها ثمّ يتذكرونها ثمّ يتفاهمونها تعليما و تعلّما، أما الّتى لا يصل إليها إلاّ غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ فضلا عن أن يعبّر عنها بعبارة، و كما أنّ المعقولات لا تدرک بالأوهام و الموهومات لا تدرک بالخيالات و المتخيلات لا تدرک بالحواس كذلک ما من شأنه أن يعاين بعين اليقين فلا يمكن أن تدرک بعلم اليقين فالواجب على من يريد ذلک أن يجتهد فى الوصول إليه بالعيان دون أن يطلبه بالبرهان.

قلت: قد مضى فى ذلک کلامنا آنفا و تقدّم قول الإمام الصّادق علیه السّلام فیه.

و لا یتیسّر الوصول إلى لقائه تعالى إلاّ بالعمل الصالح و الإخلاص فى عبادته کما فى آیة الکهف الکریمة و إنما یتأتّى لمن تخلّص عن العلائق النفسانیّة و الشواغل الدنیاویة و إلاّ لم یحصل معها ذوق اللذائذ العقلیّة حتّى یحصل الشوق إلیها فمن لم یعشق العبادة فإنّما لتمکن تلک العوائق فیه و نعم ما قال الشّیخ فى النمط الثامن من الإشارات: الان إذا کنت فى البدن و فى شواغله و علائقة فلم تشتق إلى کما لک المناسب أو لم تتألّم بحصول ضدّه فاعلم أنّ ذلک منک لا منه.

و ما قال المعلم الثانى أبو نصر الفارابى رضوان اللّه علیه فى الفصوص: إنّ لک منک غطاء فضلا عن لباسک من البدن فاجهد أن ترفع الحجاب فحینئذ تلحق فلا تسأل عمّا تباشره، فإن ألمت فویل لک، و إن سلمت فطوبى لک و نفسک و أنت فى بدنک کأنک لست فى بدنک و کأنک فى صقع الملکوت فترى ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر فاتّخذ لک عند الحقّ عهدا إلى أن تأتیه فردا.

قلت: قوله: فلا تسأل عمّا تباشره، کلام عمیق بعید الغور یفسّره قول الشّیخ الرئیس فى آخر النمط التاسع فى مقامات العارفین: و العارف ربما ذهل فیما یصار به إلیه فغفل عن کل شىء فهو فى حکم من لا یکلّف، و کیف و التکلیف لمن یعقل التکلیف حال ما یعقله و لمن اجترح بخطیئته إن لم یعقل التکلیف.

و قال الخواجه نصیر الدین الطوسى فى الشرح: و المراد أنّ العارف ربما ذهل فى حال اتّصاله بعالم القدس عن هذا العالم فغفل عن کلّ ما فى هذا العالم و صدر عنه إخلال بالتکالیف الشرعیّة فهو لا یصیر بذلک متأثّما لأنه فى حکم من لا یکلف لأنّ التکلیف لا یتعلّق إلاّ بمن یعقل التکلیف فى وقت تعقّله ذلک، أو بمن یتأثّم بترک التکلیف إن لم یکن یعقل التکلیف کالنائمین و الغافلین و الصبیان الّذین هم فى حکم المکلفین.

و إلى هذا المعنى أشار الخواجه عبد اللّه الأنصار بقوله: صاحب غلبهٔ عشق

از خود آگاه نیست آنچه مست می کند او را گناه نیست، و الخواجه شمس الدین الحافظ بقوله:

رشتهٔ تسبیحم ار بگسست معذورم بدار دستم اندر ساعد ساقی سیمین ساق بود

و بیانه أوضح من ذلک یطلب من شرح اللاّهیجی علی گلشن راز للشبستری (ص 198 من الطبع الأوّل)، و من شرح الأمیر إسماعیل الشنب غازانی التبریزی علی فصوص الفارابی (ص 71) رحمة اللّه علیهم.

و قوله: و أنت فی بدنک کانّک إلخ، و منه أخذ الشّیخ الرئیس أبو علی بن سینا کلامه فی أوّل النمط التاسع فی مقامات العارفین: فکأنّهم و هم فی جلابیب من أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها إلی عالم القدس إلخ، و کأنّ هذا الکلام مأخوذ من مشکاة الولایة العلویة حیث قال إمام الموحدین علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فی صفة الزّهاد: کانوا قوما من أهل الدّنیا و لیسوا من أهلها فکانوا فیها کمن لیس منها إلخ (نهج البلاغة آخر المختار 228 من باب الخطب) و حیث قال علیه السّلام لکمیل بن زیاد: صحبوا الدّنیا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلی إلخ (المختار 147 من باب الحکم و المواعظ من النهج)، و إلی هذا المعنی أشار السعدی بقوله:

هرگز وجود حاضر و غائب شنیده ای من در میان جمع و دلم جای دیگر است

و قوله: فتری ما لا عین رأت، مأخوذ من حدیث عن النّبی صلی اللّه علیه و آله أنّه قال: قال اللّه تعالی: أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر.

و قوله: فاتخذ لک عند الحقّ فردا، کأنّما إشارة إلی قوله تبارک و تعالی:

«لا یَمْلِکُونَ الشَّفاعَةَ إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً » (مریم: 88)، و قوله: إلی أن تأتیه فردا إشارة إلی قوله تعالی: «وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَرْداً » (مریم: 96).

ثمّ اعلم أنّ معرفة النفس هی مرقاة إلی معرفة الربّ ، و من عرف نفسه فقد عرف ربّه کما تقدّمت الإشارة إلیه إجمالا، و فی الخبر المروی تارة عن أمیر المؤمنین

علیّ علیه السّلام کما فی الصافی للفیض قدس سرّه، و اخری عن أبی عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق علیهما السّلام کما فی المجلی لابن جمهور الأحسائی رضوان اللّه علیه: الصورة الإنسانیـة هی أکبر حجـج اللّه علی خلقه، و هی الکتاب الّـذی کتبه بیده، و هی الهیکل الّذی بنـاه بحکمته، و هی مجموع صور العالمین، و هی المختصـر من اللوح المحفوظ ، و هی الشاهـدة علی کلّ غائب، و هی الحجّـة علی کلّ جاحد، و هی الطریق المستقیم إلی کلّ خیر، و هی الجسر (الصراط – خ ل) الممدود بین الجنّة و النّار.

و هذا الخبر الشـریف باب بل أبواب إلی معارف حقّة و أسـرار مکنونة و لعمری جدیر أن یقال فیه کلّ الصید فی جوف الفراء، شرحه یخرجنا إلی الإسـهاب، و یجرّنا إلی تألیف رسالـة علیحـدة أو کتاب، و حیث إنّ الصورة الإنسانیة هی مجموع صور العالمین قالوا فی حدّ الفلسـفة: هی معرفـة الإنسان نفسه، کما فی رسالـة الکنـدی فی حدود الأشـیاء و رسومها (ص 173 من طبع مصـر) و قـد أتی الکنـدی فیها فی حدّ الفلسـفة بسـتة حدود من القدماء و هذا أحدها، و قال بعد نقله الحدّ المذکور: و هذا قول شریف النهایة بعید الغور مثلا أقول: إنّ الأشیاء إذا کـانت أجساما و لا أجسام، و ما لا أجسام إما جواهر و إما أعراض، و کان الإنسان هو الجسم و النفس و الأعراض، و کانت النفس جوهرا لا جسـما فـإنّه إذا عرف ذاته عرف الجسم بـأعراضه و العرض الأوّل و الجوهر الّـذی هو لا جسم فإذن إذا علم ذلک جمیعا فقـد علم الکلّ ، و لهذه العلّة سمّی الحکماء الإنسان العالم الأصغر.

و قال العارف المتنزّه المیرزا جواد الملکی قدّس سرّه فی کتابه المسمّی بلقاء اللّه: انّ الإنسان له عوالم ثلاثة: عالم الحسّ و الشهادة، و عالم الخیال و المثال، و عالم العقل و الحقیقـة، فمن جهة أنّ إنیّته الخاصّة إنّما بدأت من عالم الطبیعة کما فی الایة الکریمة المبارکة «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ » صار عالمه هذا له بالفعل و عرف نفسه و حقیقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف أو عالم

عـالميه الاخرين أنكره، بل لو أخبره أحـد بصـفات عالمه العقلى لكفّره، و ذلک لأنّ عالمه الطبيعى له بالفعل و عالميه الاخرين بالقوّة، و لم ينكشف له بالكشف التام إلاّ عالم الطبيعة، و آثار من عالم المثال، و شىء قليل من عالمه العقلى.

و انسـانيته انمـا بعالمه العقلى و إلاّ فهو مشترک مع سائر بنى جنسه من الحيوان فى عالميه الاخرين، و إن كان عالماه الاخران أيضا من جهة المرتبة أشرف من عالمى سائر الحيوانات.

و بهذه العوالم الثلاثة و ترتيبها وقع التلويح بل التصـريح فى دعاء سـجدة ليلة النصف من شـعبان عن النّبى صلى اللّه عليه و آله حيث قال فيها: و سجد لک سوادى و خيالى و بياضى.

و بالجملة فعالمه الحسّى عبارة عن بدنه الّذى له مادّة و صورة، و عالمه المثالى عبارة عن عالمه الّذى حقائقه صور عارية عن المواد، و عالمه العقلى عبارة عن عالمه الّذى هو حقيقته و نفسه بلا مادّة و لا صورة.

و لكلّ من هـذه العوالم لوازم و آثار خاصّـة لازمة لفعليّتها، فمن انغمر فى عالم الطبيعة و تحقّقت باثارها و تحرّكت بحكمها و ضـعفت فيه آثـار عـالمه العقلى فقـد أخلـد إلى الأرض و صار موجودا بما هو حيوان بل أضلّ من الحيوان كما هو الصـريح فى قوله تعالى: «إِنْ هُمْ إِلاّ كَالْأَنْعـامِ بَـلْ هُمْ أَضَـلُّ سَبِيلاً»، و من ترقّى إلى العـالم العقلى و غلب آثاره على آثار عالميه الطبيعى و الخيالى و كان الحاكم فى مملكة وجوده العقـل يصـير موجودا روحانيا حتّى يتكامل فى العقلانيّـة و انكشف له حقيقته و نفسه و روحه فإذا ترتفع عنه الحجب الظلمانيـة بل النورانيّة أو غالبها بينه و بين معرفة اللّه جلّ جلاله و يتحقّق فى حقّه قوله صلى اللّه عليه و آله: من عرف نفسه فقد عرف ربّه.

و إذا تمهّد لک هذه الإجماليات فراجع إلى تفصيل لوازم كل عالم من العوالم و اشتغل بتدبير السفر و توكّل على الرب الرّحيم و استعن منه و توسّل بأوليائه فى كلّ جزئى و كلى من شئونک:

و اعلم أنّ هـذا العـالم الحسـى هو عـالم الموت و الفنـاء و الفقـد و الظلمـة و الجهل و هو ذات مادة و صورة سائلتين زائلتين دائم التغير و الانقسام و لا شـعور له و لا إشـعار إلاّ بتبعيـة العالمين الاخرين و إنّما ظهوره للحسّ بتوسط الأعراض من حيث وحـدته الإتصاليّـة أمّا من حيث كثرته المقداريـة المتجزّيـة عنـد فرض القسـمة فكل واحد من الأجزاء معدوم عن الاخر و مفقود عنه فالكلّ غائب عن الكلّ و معدوم عنه و ذلک من جهة أنّ المادّة مصحوبة بالعدم بل هو جوهر مظلم و أوّل ما ظهر من الظلام.

و لأنّهـا فى ذاتهـا بـالقوّة و بمـا لها فى أصـلها من عالم النور تقبل الصور النوريـة و تـذهب ظلماتها بنور صورها فهـذه النشأة اختلط نورها بظلامها و ضـعف وجودها و ظهورها و لضعفها احتاجت إلى مهد المكان و ظئر الزمان و أهلها المخصوصون بها أشقياء الجن و الإنس و الحيوان و النبات و الجماد، و فى الحديث القدسى: ما نظرت إلى الأجسام منذ خلقتها، و هم الّذين علومهم مختصّة بهذا العالم و يعلمون ظاهرا من الحيوة الـدّنيا و هم عن الاخرة غافلون، و لم يتجاوز علمهم عن المحسوسات و لم يعرفوا من العوالم العالية إلاّ الأسـماء، و كلما سمعوا حكاية منها قدروا له لوازم عالمهم و أنكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم.

و بالجملة مرعيهم و مأنسهم و وطنهم هذا العالم المحسوس و ملاذهم و مقاصدهم كلّها من مألوفات هذا العالم و هم الّذين قلنا إنّهم من الّـذين أخلـدوا إلى الأرض و هم يعتقدون أنّ أنفسـهم هو هذا البدن و أرواحهم هى الروح الحيوانى، و أنّ الجماد كلّها موجودات متأصّـلة متحقّقة و جواهر قائمة بذواتها مخلوقة فى عالمها و حيّزها، و أنّ موجودات العوالم الاخر على القول بها موجودات اعتبارية خياليّة لا حقيقة لها و أنّ اللّـذة إنّما هى فى المأكل و المشـرب و المنكـح و جاه هـذا العالم، و ذكرهم و فكرهم و خيالهم و آمالهم و علومهم كلّها متعلّقة بالمحسوسات و انسـهم بها يحبّونها و يسـتأنسون بها، و يشـتاقون لما لم يصلوا إليه من زخارفها و حلوها و خضرتها بل يعشقونها و شغفهم حبّها كالعاشق المستهتر.

ص:291

فمن كان منهم مع ذلک مؤمنا باللّه و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الاخر و لكن بايمان مستقر غير زائل عند الموت لضعفه و قلة نوره و شدّة ظلمة المعاصى و خلط مع ذلک عملا صالحا و آخر سيئا اولئک ممّن يرجى له المغفرة و لو بعد حين.

و أما الطائفة الاولى فهم الأشقياء الكافرون ليس لهم فى الاخرة إلاّ النار لأنهم من أهل السجين و يوم القيامة إذا ميّزت الحقائق و التحقت الفروع بالاصول التحق ما فى هذا العالم من النور إلى عوالمه و بقى ظلمتها و نارها و تبدّلت صور كل واحد من الأفعال و الأخلاق بما يناسب عالم القيامة من الحيات و العقارب و عذب بها فاعلها و مختلقها، و من كان يريد الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون اولئک ليس لهم فى الاخرة إلاّ النار.

و لو فرض لهم عمل خير يوفّ إليهم فى حياتهم الدنيا أو ينقص بقدره من عذابهم فى الاخرة و بالجملة أنّ الإنسان لما خلق ابتداء من هذه الأرض فإن بقى فيها بعد ما خلق فيه الروح و العقل و استأنس بها و ألف لذاتها كان ممّن أخلد إلى الأرض فيوم القيامة ملتحق بالسجّين.

و إن خلص منها بعد ذلک بمعنى أن تحقّق باثار العقل و الروح و صار جسدا عقلانيا، و هيكلا نورانيا فيوم القيامة يرتقى إلى أعلى عليّين، و بعبارة و ضحى خلق اللّه الإنسان فى أوّل ما خلق من سلالة من طين، و بقى مدة فى صورة السلالة و النطفة و العلقة و المضغة و العظم و اللحم، ثمّ أعطاه الحياة و بقى حيّا إلى أن وهبه قوّة الحركة و البطش، و بقى على ذلک حتّى وهبه قوّة التميّز بين النافع و الضار فأراد النافع و كره الضار فإن اتبع إرادته لإرادة اللّه جلّ جلاله فى جميع حركاته و سكناته و لم يبق له إرادة مخالفة لإرادته تعالى فهذا مقام الرضا و هذا الشخص دائما يكون فى الجنّة و لهم فيها ما يشاءون و لذلک كان اسم خازن الجنّة الرضوان.

و فى حديث المعراج انّ اللّه قال: فمن عمل برضاى ألزمته (الزمه – خ ل) ثلاث خصال: أعرفه شكرا لا يخالطه جهل، و ذكرا لا يخالطه النسيان، و محبة لا يؤثر على محبّتى محبّة المخلوقين.

ثمّ إن عرف أنّ قدرته منتفية فى قدرة اللّه و لم ير قدرة لغير اللّه لا لنفسه و لا لغيره فهو مقام التوكّل – و من يتوكّل على اللّه فهو حسبه.

ثمّ إن وفق مع ذلک أن ينفى علمه أيضا فى علم اللّه لئلا يكون بنفسه شيئا فهذا مقام الوحدة (التوحيد – خ ل) اولئک الّذين أنعم اللّه عليهم.

فإن اتبع إرادة نفسه و عمل فى حركاته و سكناته بهواه، و الحقّ لا يتبع بهوى غيره، فيخالف هواه مع هوى الحقّ فيكون هوى الحقّ و لا يكون هواه و حيل بينهم و بين ما يشتهون، إلى أن يوصله الهوى إلى الهاوية و يقيده بالأغلال و السّلاسل فى جميع مراداته و هذا شأن المماليک بالنسبة إلى مراداتهم و لذلک سمى خازن جهنم مالكا.

و إن تخلّف عن التوكّل يقع فى الخذلان، و إن تخلّف عن جليل مرتبة التوحيد (الوحدة – خ ل) ردّ إلى سفلى الدركات و هى دركة اللّعنة اولئک يلعنهم اللّه و يلعنهم اللاعنون، – إلى أن قال قدّس سرّه:

و لا يذهب عليک أنّ ما ذكرنا من العوالم إنّما هى داخل هذا العالم و ليس خارجا عنه بمعنى أنّ هذا العالم حالة و كيفية للموجودات فى حدّ و مرتبة من الوجود و عالم المثال حالة و كيفية اخرى ألطف من هذه الكيفيات فى باطن هذا العالم و ليس خارجا منه فمن كان له نور لعينه الحسيّة و اجتمع بنور الشمس أو القمر الحسيّين يرى العالم الحسّى بكيفيات حسيّة و صور حسيّة و من كان لعينيه المثاليّة نور مثالى و اجتمع نوره بنور الكواكب المثاليّة يرى مثال هذا العالم بكيفيّات مثاليّة و صور مثالية فإنّ كيفيات العوالم و صورها مختلفة كل بحسبها و مناسبتها و هكذا.

و يكشف عن هذا الإختلاف الرؤيا و تعبيرها بما يرى واقعة مطابقا لصورتها المثالية يرى النائم اللبن و يفسّره المعبّر بالعلم و يقع فى الواقع ما يرى على وفق التعبير.

و يكشف عن ذلک أيضا الأخبار الكثيرة الواردة فى أحوال البرزخ و القيامة و تجسيم الأعمال بما يناسبها من الصور، فحصل من جميع ما قلنا أنّ الموجود

الحقّ الواقعی إنّمـا هو الـذات جلّ جلاله فی عالمها و سائر العوالم انما هو شأن من شـئون و تجلی من تجلیاتها مثلا تجلی بالتجلی الأوّل فوجد منه العالم العقلی ثمّ تجلّی ثانیا فظهر العالم النفسـی، و هکذا إلی أن خلق هذا العالم الحسّی ففی الخارج موجود حقیقی حقّ ثابت و شـئونه فکل شأن من شـئونه عبارة عن عالم من العوالم تامّ فی مرتبته و لکلّ عالم آثار و صـفات حتّی ینتهی إلی أحسن العوالم و أکثفها و أضـیقها و هو هـذا العـالم المحسوس و هـذا العـالم کیفیـة خاصـة و صور و حـدود شتّی لازم لهـذه المرتبـة من الوجود، و وجوده و آثاره مخصوصة بعالمها و هکذا.

و عالم الرؤیاء إنّما هو من عالم المثال فکلما یری فیها فهو من هذا العالم أرضـها و سـماؤها و جمادها و نباتها بل و صور المرایا أیضا منه و الصور الخیالیة أیضا منه و هذا العالم عالم واسع بل عوالم کثیرة بل قیل إنّ فی عالم المثال ثمانیة عشر ألف عالم.

و حکی عن بعض العرفاء أنّ کلما ورد فی الشّرع ممّا ظاهره مجاز فی عالمنا فقد وجدناه فی بعض هذه العوالم حقیقة من غیر تجوز - فکما أن کلّما یراه النائم فی الرؤیا إنّما هو حال و کیف مثالی یظهر لنفسه فی عالم المثال فکـذلک ما یراه الیقظان فی عالمنا هـذا الحسّی حال و کیف حسّی یظهر لنفسه فی عالم الحس - إلی أن قال رضوان اللّه علیه:

و الإدراک لا یمکن إلاّ بنیل المـدرک لـذات المـدرک و ذلک إما بخروجه من ذاته إلی أن یصل إلیه أو بادخاله إیّاه فی ذاته و کلاهما محال إلاّ أن یتّحـد معه و یتصوّر بصورته فالـذات العالمة لیست بذاتها بعینها هی الذات الجاهلة، فالعلم بالأجسام لا یتعلق بوجوداتها الخارجیة لأنّ صورها بما هی هی لیست حاصـلة بهـذا النحو من الحصول الاتّحادی إلاّ لموادها و لیست حاصـلة لأنفسـها و حصولها لموادها لیس بنحو العلمی إذ هی أمر عـدمیّ لیست إلاّ جهـة القوّة فی الوجودات فلیس لها فی أنفسـها ذات یصـحّ أن یـدرک شـیئا و یعلمه و إذا لم یکن الصور الخارجیة للأجسام ممّا یصحّ أن یحصل لها شیء الحصول المعتبر فی العلم و لا هی حاصلة لما

يصحّ له أن يعلمها فليست هى عالمة بشىء أصلا و لا لشىء أن يعلمها بعينها كما هى فهى إذا معلومة بالقوّة بمعنى أن فى قوّتها أن ينتزع منها عالم صورا فيعلمها أى يتصور بمثل صورها لاستحالة انتقال المنطبعات فى الموادّ فالمعلوم بالذات من كل شىء ليس إلاّ صورا إدراكيّة قائمة بالنفس متّحدة معها لا مادة خارجيّة.

فالمعلوم بالفعل ليس إلاّ لعالمه فكل عالم معلومه غير معلوم عالم آخر و هو فى الحقيقة عالم و علم و معلوم، هذا.

و المقصود من التعرض بهذه التفصيلات التنبيه إلى الفكر فى معرفة النفس و كيفيّة الترقى منها إلى معرفة الربّ ، و الإستدلال بما يستحكم به تصديق ذلک و أن يتفطّن المبتدى لاصول تنفع فى فكره، و إلاّ فليس كيفيّة التفكر إلاّ أن يشتغل المتفكر تارة لتجزية نفسه، و اخرى لتجزية العالم حتّى يتحقّق له أن ما يعلمه من العالم ليس إلاّ نفسه و عالمه لا العالم الخارجى، و أنّ هذه العوالم المعلومة له إنّما هو مرتبة من نفسه و حتّى يجد نفسه لنفسه ما هى ؟! ثمّ ينقّى عن قلبه كلّ صورة و خيال و يكون فكره فى العدم حتّى تنكشف له حقيقة نفسه أى يرتفع العالم من بين يديه و يظهر له حقيقة نفسه بلا صورة و لا مادّة، و هذا هو أوّل معرفة النفس و لعلّ إلى ذلک اشير فى تفسير قوله تعالى: «أَ فَمَنْ شَرَحَ اللّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ » (الزمر: 24) حيث سئل عنه و قال عليه السّلام: نور يقذفه اللّه فى قلبه فيشرح صدره، قيل: هل لذلک من علامة ؟ قال عليه السّلام: علامته التّجافى عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت.

و لعلّ العامّة لا يعتقدون فى معنى التجافى إلاّ الزهد فى شهوات الدنيا، و لا يتصوّرون معنى للتجافى الحقيقى الّذى هو ارتفاع الغرور الواقع فى هذا العالم لأهله و عدم رؤية الأشياء كما هى الّذى هو شأن العامّة الّذين لم يبلغوا بعد معرفة النفس بهذه المعرفة، انتهى ما أردنا من نقل كلامه نوّر اللّه تعالى رمسه. و قد أجاد فيما أفاد و كتابه فى لقاء اللّه ممتّع جدّا للّه درّه مؤلّفا.

و كلامه – ره – فى النشات الثلاثة الإنسانيّة تشير إلى ما برهنه المتألّه المولى صدرا فى الرابع من الأسفار حيث قال قدّس سرّه:

حكمة عرشـية: إنّ للنفس الإنسانية نشـئات ثلاثة إدراكية: النشأة الاولى هى الصورة الحسـيّة الطبيعية و مظهرها الحواس الخمس الظاهرة و يقال لها الدنيا لدنوّها و قربها لتقدمها على الأخيرتين، و عالم الشـهادة لكونها مشـهودة بالحواس و شـرورها و خيراتها معلومة لكلّ أحد لا يحتاج إلى البيان و فى هذه النشأة لا يخلو موجود عن حركته و استحالته و وجود صورتها لا تنفک عن وجود مادّتها.

و النشأة الثانيـة هى الأشـباح و الصور الغائبـة عن هـذه الحواس و مظهرها الحواس الباطنة و يقال لها عالم الغيب و الاخرة لمقايسـتها إلى الاولى لأنّ الاخرة و الاولى من باب المضاف، و لهـذا لا يعرف إحداهما إلاّ مع الاخرى كالمتضايفين كما قال تعالى: «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ »، و هى تنقسم إلى الجنّة و هى دار السـعداء، و الجحيم و هى دار الأشـقياء، و مبادى السـعادات و الشـقاوات فيهما هى الملكات و الأخلاق الفاضلة و الرذيلة.

و النشأة الثالثـة هى العقليّـة و هى دار المقرّبين و دار العقل و المعقول و مظهرها القوّة العاقلـة من الإنسان إذا صارت عقلا بالفعل، و هى لا تكون إلاّ خيرا محضا و نورا صـرفا فالنشأة الاولى دار القوّة و الاسـتعداد و المزرعة لبذور الأرواح و نبات النيّات و الإعتقادات، و الاخريتان كلّ منهما دار التمام و الفعلية، و حصول الثمرات و حصاد المزروعات.

و قد أفاد قدّس سرّه هذا المطلب الأرفع الأعلى فى عدّة مواضع من الأسفار فراجع إلى ص 17، و ص 21، و ص 97، و ص 131 من ج 9.

و إذا دريت أنّ الصورة الإنسانيـة هى مجموع صور عـالمى الأـمر و الخلق فـادر أيضـا أنّ الإنسـان إذا كان مراقبا لقلبه و حارسا له عن ولوج الأجانب و الأغيار، و ناظرا إلى ربّه و مستشـعرا جانب اللّه عزّ و جلّ و منصرفا بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحقّ فى سرّه يلوح له ملكوت

السموات و الأرض و يرتقى إلى أعلى عليّين، و يصافحه الملائكة المقرّبين، قال عزّ من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِي الآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » (حم السجدة، فصّلت 31-33)، و قد تقدّم فى صدر الرسالة كلام العارف السهروردى: الفكر فى صورة قدسيّة يتلطّف بها طالب الأريحيّة.

و فى باب تنقل أحوال القلب من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص 309 ج 2 من المعرب) باسناده عن سلام بن المستنير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

أما إنّ أصحاب محمّد صلى اللّه عليه و آله قالوا: يا رسول اللّه نخاف علينا النفاق قال: فقال: و لم تخافون ذلک ؟ قالوا: إذا كنّا عندک فذكّرتنا و رغّبتنا و جلنا و نسينا الدنيا و زهدنا حتّى كأنا نعاين الاخرة و الجنّة و النار و نحن عندک، فإذا خرجنا من عندک و دخلنا هذه البيوت و شممنا الأولاد و رأينا العيال و الأهل يكاد أن نحوّل عن الّتى كنّا عليها عندک و حتّى كأنّا لم نكن على شىء أ فتخاف علينا أن يكون ذلک نفاقا؟ فقال لهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: كلاّ إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم فى الدنيا، و اللّه لو تدومون على الحالة الّتى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة و مشيتم على الماء - الخبر.

و روى عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لو لا- إنّ الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء، قال الكندى فى رسالته فى النفس: إنّ النفس بسيطة ذات شرف و كمال عظيمة الشّأن، جوهرها من جوهر البارى عزّ و جلّ كقياس ضياء الشمس من الشمس.

و قد بيّن أنّ هذه النفس منفردة عن هذا الجسم مباينة له و أنّ جوهرها جوهر إلهى روحانى بما يرى من شرف طباعها و مضادّتها لما يعرض للبدن من الشهوات و الغضب.

و ذلک أنّ القوّة الغضبيّة قد تتحرک على الإنسان فى بعض الأوقات

فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم فتضادّها هذه النفس و تمنع الغضب من أن يفعل فعله أو أن يرتكب الغيظ و ترته، و تضـبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا همّ أنّ يجمح به أو يمدّه.

و هـذا دليـل بيّن على أنّ القوّة الّتى يغضب بها الإنسان غير هـذه النفس الّتى تمنع الغضب أن يجرى إلى ما يهواه لأنّ المانع لا محالـة غير الممنوع لأنّه لا يكون شـىء واحد يضادّ نفسه، فأمّا القوّة الشـهوانية فقد تتوق فى بعض الأوقات إلى بعض الشـهوات ففكّر النفس العقليّة فى ذلک أنّه أخطأ و أنّه يؤدى إلى حال رديّة فتمنعها عن ذلک و تضادها، و هذا أيضا دليل على أنّ كلّ واحدة منهما غير الاخرى.

و هـذه النفس الّتى هى من نور البارى عزّ و جلّ إذا هى فارقت البـدن علمت كلّ ما فى العالم و لم يخف عنها خافيـة، و الـدليل على ذلک قول أفلاـطن حيث يقول: إنّ كثيرا من الفلاسـفة الطـاهرين القـدماء لما يتجرّدوا من الـدّنيا و تهاونوا بالأشـياء المحسوسـة و تفرّدوا بالنظر و البحث عن حقائق الأشياء انكشف لهم الغيب، و علموا بما يخفيه الناس فى نفوسهم و اطّلعوا على سرائر الخلق.

فإذا كان هذا هكذا، و النفس بعد مرتبطة بهذا البدن فى هذا العالم المظلم الّذى لو لا نور الشـمس لكان فى غاية الظلمة فكيف إذا تجرّدت هذه النفس، و فارقت البدن، و صارت فى عالم الحقّ الّذى فيه نور البارى سبحانه ؟!.

و لقـد صدق أفلاطن فى هذا القياس و أصاب به البرهان الصـحيح، ثمّ إنّ أفلاطن أتبع هذا القول بأن قال: فأمّا من كان غرضه فى هذا العالم التلـذّذ بالماكـل و المشارب المسـتحيلة إلى الجيف، و كان أيضا غرضه فى لـذّة الجماع فلا سبيل لنفسه العقليـة إلى معرفـة هـذه الأشـياء الشريفة و لا يمكنها الوصول إلى التشبّه بالبارى سبحانه.

ثمّ إنّ أفلاطن قاس القوّة الشهوانيّة الّتى للإنسان بالخنزير، و القوّة الغضبيّة بالكلب، و القوّة العقليّة الّتى ذكرنا بالملک، و قال: من غلبت عليه

الشـهوانيّة و كانت هى غرضه و أكثر همته فقياسه قياس الخنزير، و من غلب عليه الغضبيّة فقياسه قياس الكلب، و من كان الأغلب عليه قوّة النفس العقلية و كان أكثر أدبه الفكر و التمييز و معرفة حقائق الأشـياء، و البحث عن غوامض العلم كان انسانا فاضلا قريب الشبه من البارى سبحانه لأنّ الأشياء الّتى نجدها للبارى عزّ و جلّ هى الحكمة و القدرة و العدل و الخير و الجميل و الحقّ .

و قـد يمكن للإنسان أن يـدبّر نفسه بهـذه الحيلـة حسب ما فى طاقـة الإنسان فيكون حكيما عدلا جوادا خيّرا يؤثر الحقّ و الجميل، و يكون بذلک كلّه بنوع دخل دون النوع الّذى للبارى سـبحانه من قوّته و قدرته لأنّها إنما اقتبست من قربها قدرة مشاكلة لقدرته، فإنّ النفس على رأى أفلاطن و جلّة الفلاسفة باقية بعد الموت جوهرها كجوهر البارى عزّ و علا فى قوّتها إذا تجرّدت أن تعلم سائر الأشياء كما يعلم البارى بها أو دون ذلک برتبة يسيرة، لأنها اودعت من نور البارى جلّ و عزّ.

و إذا تجرّدت و فارقت هذا البدن و صارت فى عالم العقل فوق الفلک صارت فى نور البارى، و رأت البارى عزّ و جلّ و طابقت نوره و جلّت فى ملكوته فانكشف لها حينئـذ علم كلّ شـىء، و صارت الأشـياء كلّها بارزة لها كمثل ماهى بارزة للبارى عزّ و جلّ ، لأنّا إذا كنّا و نحن فى هـذا العالم الـدنس قد نرى فيه أشـياء كثيرة بضوء الشـمس فكيف إذا تجرّدت نفوسـنا، و صارت مطابقة لعالم الديموميّة و صارت تنظر بنور البارى فهى لا محالة ترى بنور البارى كلّ ظاهر و خفىّ و تقف على كلّ سرّ و علانية.

و كان أفسـقورس يقول: إنّ النفس إذا كانت و هى مرتبطة بالبدن تاركة للشهوات متطهّرة من الأدناس، كثيرة البحث و النظر فى معرفة حقائق الأشـياء انصـقلت صـقالة ظاهرة و اتّحـد بها صورة من نور البارى يحدث فيها و يكامل نور البارى بسـبب ذلک الصـقال الّذى اكتسـبه من التطهر فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلّها و معرفتها كما يظهر صور خيالات سائر الأشياء المحسوسة فى المرآة إذا

كانت صـقيلة، فهـذا قياس النفس لأنّ المرآة إذا كانت صدئة لم يتبيّن صورة شـىء فيها بتّة، فإذا زال منها الصدء ظهرت و تبيّنت فيها جميع الصور، كـذلک النفس العقليـة إذا كـانت صدئـة دنسـة كانت على غايـة الجهل و لم يظهر فيها صور المعلومات و إذا تطهّرت و تهـذّبت و انصـقلت، و صفاء النفس هو أنّ النفس تتطهّر من الدنس و تكتسب العلم ظهر فيها حينئذ صورة معرفة جميع الأشياء، و على حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالأشياء، فالنفس كلما ازدادت صقالا ظهر لها و فيها معرفة الأشياء.

و هذه النفس لا تنام بتّة لأنّها فى وقت النوم تترک استعمال الحواس و تبقى محصورة، ليست بمجرّدة على حدتها، و تعلم كلّ ما فى العوالم و كـلّ ظـاهر و خفى و لو كـانت هـذه النفس تنـام لما كان الإنسان إذا رأى فى النوم شـيئا يعلم أنه فى النوم بل لا يفرق بينه و بين ما كان فى اليقظة.

و إذا بلغت هذه النفس مبلغها فى الطهارة رأت فى النوم عجائب من الأحلام و خاطبتها الأنفس الّتى قد فارقت الأبدان و أفاض عليها البارى من نوره و رحمته فتلتذّ حينئذ لذّة دائمة فوق كل لذّة تكون بالمطعم و المشرب و النكاح و السماع و النظر و الشمّ و اللمس، لأنّ هذه لذات حسـيّة دنسـة تعقب الأذى، و تلک لـذّة إلهيّة روحانيّة ملكوتيّة تعقب الشـرف الأعظم، و الشـقى المغرور الجاهل من رضـى لنفسه بلذّات الحسّ و كانت هى أكثر أغراضه و منتهى غايته.

و إنما نجىء فى هـذا العالم فى شـبه المعبر و الجسـر الّـذى يجوز عليه السـيّارة ليس لنا مقام يطول، و أما مقامنا و مسـتقرّنا الّذى نتوقع فهو العالم الأعلى الشـريف الّذى تنتقل إليه نفوسـنا بعد الموت حيث تقرب من باريها، و نقرب من نوره و رحمته، و نراه رؤية عقليّة لا حسيّة، و يفيض عليها من نوره و رحمته، فهذا قول افسقورس الحكيم. انتهى ما نقلنا عن الفيلسوف الكندى.

و قـد صـدر هـذه النكات اللطيفـة الشـريفة عن قلوب نقيّة، و هى كلمات اقتبست من مشـكاة الأنبياء غاية الأمر بوسائط ، و الملهم المبتدع القديم حقّ عليم منّه عظيم.

ص:300

قوله: جوهرهـا من جوهر البارى، يعنى أنها من عالم الأمر الحكيم قال عزّ من قائل: «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » (الأسـراء: 86) «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى » (ص: 73).

و قوله كقياس ضياء الشمس من الشمس شريف جدا و قد قال الإمام كشّاف الحقائق وارث علوم النبيّين أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام: إنّ روح المؤمن لأشـدّ اتّصالا بروح اللّه من اتصال شـعاع الشـمس بها، رواه ثقـة الإسـلام الكلينى قدّس سـرّه فى باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الإيمان و الكفر من اصول الكافى (ص 33 ج 2 من المعرب).

قوله: إذا هى فارقت البدن علمت كلّ ما فى العالم، قال تبارك و تعالى:

«لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » (ق: 24).

و قوله: ثمّ إنّ افلاطن قاس القوّة الشـهوانيّة الّتى للإنسان بالخنزير إلخ كلام شريف أيضا و من هنا يعلم أيضا حشر الناس على صور نيّاتهم و أن الجزاء فى الاخرة بنفس العمل و قد وردت فى ذلک روايات كثيرة من بيت الوحى و العصمة و الطهارة ففى الحديث عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يحشـر الناس على صور نيّاتهم، و فى الاخر عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فى منزل أبى أيوب الأنصـارى فقـال معـاذ: يا رسول اللّه ما رأيت قول اللّه تعالى: «يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجاً »، الايات ؟ فقال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمر، ثمّ أرسل عينيه ثمّ قال: يحشر عشرة أصناف من امّتى أشتاتا قد ميّزهم اللّه من المسلمين و بدّل صـورهم: فبعضـهم على صـورة القردة و بعضـهم على صـورة الخنـازير، و بعضـهم منكسـون أرجلهم من فـوق و وجوههم من تحت ثمّ يسـحبون عليها، و بعضـهم عمى يتردّدون، و بعضـهم صمّ بكم لا يعقلون، و بعضـهم يمضـغون ألسـنتهم فيسـيل القيح من أفواههم لعابا يتقـذرهم أهل الجمع، و بعضـهم مقطّعـة أيـديهم و أرجلهم، و بعضـهم مصـلبون على جـذوع من نار، و بعضـهم أشدّ نتنا من الجيف، و بعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم.

فأما الّذين على صورة القردة فالقتّات من الناس، و أما الّذين على صورة

الخنـازير فأهل السـحت، و أما المنكسون على رؤوسـهم فاكلوا الربا، و العمى الجائرون فى الحكم، و الصمّ البكم المعجبون بأعمالهم، و الّذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاة الّذين خالف أعمالهم أقوالهم، و المقطعة أيديهم و أرجلهم الّذين يؤذون الجيران، و المصلبون على جـذوع من نار فالسّعاة بالناس إلى السـلطان و الّذين هم أشدّ نتنا من الجيف فالّذين يتمتّعون بالشـهوات و اللّذات و يمنعون حقّ اللّه تعالى فى أموالهم، و الّذين يلبسون الجباب فأهل التجبّر و الخيلاء.

و هـذا الحـديث قد رواه الفريقان فى الجوامع و كتب التفسـير و فى الحديث عنه صـلى اللّه عليه و آله: من خالف الإمام فى أفعال الصـلاة يحشـر و رأسه رأس حمـار، و قـد روى الكلينى فى بـاب الكبر من كتـاب الإيمـان و الكفر من اصول الكافى (ص 235 ج 2 من المعرب) باسـناده عن داود بن فرقـد عن أخيه قال: سـمعت أبا عبـد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ المتكبرين يجعلون فى صور الذرّ يتوطّأهم الناس حتّى يفرغ اللّه من الحساب.

و فى الحديث عنه صـلى اللّه عليه و آله: كما تعيشون تموتون و كما تنامون تبعثون و روى عن النّبى صـلى اللّه عليه و آله انه قال: رأيت ليلة أسـرى بى قومـا تقرض شـفاههم، و كلّما قرضت وفت، فقال لى جبرئيل: هؤلاء خطباء امّتک تقرض شـفاههم لأنّهم يقولون ما لا يفعلون، رواه علم الهدى سيّد المرتضى فى المجلس الأوّل من أماليه غرر الفوائد و درر القلائد (ص 6 من ج 1 من طبع مصر).

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى صفة بعض علماء السوء: فالصورة صورة انسان و القلب قلب حيوان.

و فى حديث الريّان بن شبيب عن ثامن الأئمّة علىّ بن موسى الرضا عليهما السّلام:

يا ابن شبيب إن سـرّک أن تكون معنا فى الـدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا و افرح لفرحنا و عليک بولايتنا، فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشـره اللّه تعالى معه يوم القيامة، رواه المجلسـى رحمة اللّه عليه فى عاشر البحار (ص 165 من طبع الكمبـانى) عن عيون أخبار الرضا و أمالى الصدوق.

قلت: كنت ذات ليلة متفكرا فى أمرى من حشرى معادى و ناظرا فى صحيفة عملى، و يوم عرضى للحساب و نحوها إذ رأيت فيما رأيت فى صقع نفسى شيئا لازبا بها جدّا، محشورا عندها غير منفك عنها، و لمّا أمعنت النظر فيه عرفته، و كان نسخة مخطوطة من كتاب، قد كنت احبّها شديدا فعندئذ حضر و خطر بالبال، قوله عليه السلام: فلو أنّ رجلا تولّى حجرا لحشره اللّه تعالى معه يوم القيامة، فإنّ الكتاب جماد كالحجر و لا فرق بينهما من هذه الحيثيّة.

و من تلك البراهين النقلية المعاضدة للعقلية قال أساطين الحكمة: إنّ حشر الخلائق فى الاخرة على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم و أخلاقهم فلقوم على سبيل الوفد، يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفدا، و لقوم على سبيل التعذيب و يوم يحشر أعداء اللّه إلى النار فهم يوزعون، و لقوم نحشر المجرمين يومئذ زرقا و لقوم و نحشره يوم القيمة أعمى، و بالجملة كل أحد إلى غاية سعيه و عمله و إلى ما يحبّه و يهواه حتّى أنّه لو أحبّ حجرا لحشر معه لقوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ »، و قوله تعالى: «اُحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْواجَهُمْ وَ ما كانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ ».

و المراد بأزواجهم الملكات و صورها فان تكرّر الأفاعيل يوجب الملكات و كلّ ملكة تغلب على نفس الإنسان تتصور فى القيامة بصورة تناسبها، قل كلّ يعمل على شاكلته، و لا شك أن أفاعيل الأشقياء المدبرين إنّما هى بحسب هممهم القاصرة النازلة فى مراتب البرازخ الحيوانية و تصوراتهم مقصورة على أغراض بهيميّة أو سبعيّة أو شيطانيّة تغلب على نفوسهم فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات، و إذا الوحوش حشرت، و فى الحديث عنه صلى اللّه عليه و آله يحشر بعض النّاس على صور يحسن عندها القردة و الخنازير، و فيه أيضا يحشر النّاس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركبانا، و مشاة، و على وجوههم.

و السرّ فى ذلك أن لكلّ خلق من الأخلاق المذمومة و الهيئات الردية المتمكنّة فى النفس صورة نوع من أنواع الحيوانات و بدن يختصّ بذلك كصور

أبدان الأسود و نحوها لخلق التكبّر و التهوّر مثلا، و أبدان الثعالب و أمثالها للخبث و الروغان، و أبدان القرود و نحوها للمحاكاة و السخريّة، و الخنازير للحرص و الشهوة إلى غير ذلک.

و ربما كان لشخص واحد من الإنسان عدد كثير من الأخلاق الردية على مراتب متفاوتة فبحسب ذلک تختلف الصور الحيوانيّة فى الاخرة قال اللّه عزّ و جلّ : «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ ».

قال المولى صدرا قدس سرّه فى مبحث الحشر من الأسفار: إنّ فى داخل بدن كلّ إنسان و مكمن جوفه حيوانا صوريا بجميع أعضائه و أشكاله و قواه و حواسّه هو موجود قائم بالفعل لا يموت بموت هذا البدن و هو المحشور يوم القيامة بصورته المناسبة لمعناه و هو الّذى يثاب و يعاقب و ليست حياته كحياة هذا البدن المركب عرضيّة واردة عليه من الخارج و إنما حياته كحياة النفس ذاتيه و هو حيوان متوسط بين الحيوان العقلى و الحيوان الحسىّ يحشر فى القيامة على صورة هيئات و ملكات كسبتها النفس بيدها العمالة، و بهذا يرجع و يؤول معنى التناسخ المنقول عن الحكماء الأقدمين كأفلاطن و من سبقه مثل سقراط و فيثاغورس و غيرهما من الأساطين، و كذا ما ورد فى لسان النبوات، و عليه يحمل الايات المشيرة إلى التناسخ، و كذا قوله تعالى: «وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ »، و قوله تعالى: «وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ »، و قوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ »، كلّ ذلک إشارة إلى انقلاب النفوس فى جوهرها و صيرورتها من أفواج الامم الصامتة و خروجها يوم النشور إذا بعثر ما فى القبور و حصّل ما فى الصدور على صورة أنواع الحيوانات من السباع و الموذيات و البهائم و الوحوش و الشياطين.

و قال فى المبدأ و المعاد: (ص 325) قال بعض العرفاء: كلّ من شاهد بنور البصيرة باطنه فى الدّنيا لرآه مشحونا بأصناف السباع و أنواع الهوام مثل الغضب

و الشـهوة و الحقـد و الحسـد و الكبر و العجب و الريـاء و غيرها و هى الّتى لا تزال تفترسه و تنهشه إن سـهى عنه بلحظـة إلاّ أنّ أكثر الناس لكونه محجوب العين عن مشاهدتها فإذا كشف الغطاء و وضع فى قبره عاينها و قد تمثلت له بصورها و أشكالها الموافقة لمعانيها فيرى بعينه العقارب و الحيات قد أحدقت به و إنما هى صـفاته الحاضـرة الان قد انكشـفت له صورها، فإن أردت يا أخى أن تقتلها و تقهرها و أنت قادر عليها قبل الموت فافعل و إلاّ فوطن نفسک على لدغها و نهشها بصميم قلبک فضلا عن ظاهر بشرتک و جسمک.

و قول الكندى كان أفسـقورس يقول إن النفس إلخ، يقصد بأفسقورس فيثاغورس الفيلسوف المشهور من أعاظم الحكماء الأقدمين قد استفاد من مشكاة النّبوة و له فى نضد العالم و ترتيبه على خواصّ العدد و مراتبه رموز عجيبة و أغراض بعيدة و له فى شأن المعاد مذاهب قارب فيها أبيـذ قلس من أنّ عالمـا فوق عـالم الطبيعـة روحانيا نورانيا لا يـدرک العقل حسـنه و بهاءه، و أنّ الأنفس الزكيـة تحتاج إليه، و أنّ كلّ انسان أحسن تقويمه بالتبرّؤ من العجب و التجبر و الرياء و الحسـد و غيرها من الشـهوات الجسدانيّـة فقـد صار أهلا أن يلحق بالعالم الروحانى و يطلع على ما شاع (يشاء خ ل) من جواهره من الحكمـة الالهيـة، و أنّ الأشـياء الملذّة للنفس تأتيه حشدا إرسالا كالألحان الموسـيقيّة الاتية إلى حاسّة السمع فلا يحتاج إلى أن يتكلف لها طلبا، نقلناه من تاريخ الحكماء للقفطى.

و من كلماته السامية: أنّک ستعارض لک فى أفعالک و أقوالک و أفكارک و سيظهر لک من كل حركة فكرية أو قولية او عملية صورة روحانية أو جسـمانية فإن كانت الحركة غضبيّة أو شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيک فى حياتک و يحجبک عن ملاقاة النور بعد وفاتک، و إن كانت الحركـة عقليـة صارت ملكا تلتذّ بمنادمته فى دنياک، و تهتدى به فى اخراک إلى جوار اللّه و دار كرامته، نقلناه من مبحث نشـر الصـحائف و ابراز الكتب من الأسفار.

و ما أفاد هؤلاء الأعاظم فى إنيّة النفس و تطوّراتها لطيف جدّا إلاّ أنّى ما

رأيت بعـد قول اللّه تعـالى و رسوله صـلى اللّه عليه و آله كلامـا فى النفس و أطوارهـا ألطف و أجمع و أتقن من كلام إمام الموحّـدين و راية السالكين و قـدوة المتألّهين علىّ أمير المؤمنين عليه السّـلام حيث قال لحبر من أحبار اليهود و علمائهم: من اعتدل طباعه صـفى مزاجه، و من صـفى مزاجه قوى أثر النفس فيه، و من قوى أثر النفس فيه سمى إلى ما يرتقيه، و من سمى إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية، و من تخلق بالأخلاق النفسانيـة فقد صار موجودا بما هو انسان دون أن يكون موجودا بما هو حيوان، و دخل فى الباب الملكى، و ليس له عن هذه الحالة مغيّر فقال اليهودى: اللّه أكبر يا ابن أبى طالب لقد نطقت بالفلسـفة جميعها، نقله العلاّمة الشّـيخ بهاء الدين العاملى قدّس سـرّه فى أواخر المجلّد الخامس من الكشكول (ص 594 من طبع نجم الدولة).

و قال فى المجلّـد الثانى منه (ص 246) عن كميـل بن زياد قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السّـلام فقلت: يا أمير المؤمنين اريـد أن تعرّفنى نفسى، فقال: يا كميل و أىّ الأنفس تريد أن اعرّفک ؟ قلت: يا مولاى و هل هى إلاّ نفس واحدة ؟!.

قال: يا كميل انما هى أربعـة: النامية النباتية، و الحسـيّة الحيوانيّة، و النّاطقة القدسـيّة، و الكليّة الإلهيّة، و لكل واحدة من هذه خمس قوى و خاصيّتان:

فالنامية النباتية لها خمس قوى: ماسكة، و جاذبة، و هاضمة، و دافعة و مربّية، و لها خاصيّتان: الزيادة و النقصان، و انبعاثها من الكبد.

و الحسيّة الحيوانية لها خمس قوى: سمع، و بصر، و شم، و ذوق، و لمس و لها خاصيّتان: الرّضا و الغضب، و انبعاثها من القلب.

و الناطقـة القدسـيّة لهـا خمس قوى: فكر، و ذكر، و علم، و حلم، و نباهـة، و ليس لها انبعاث و هى أشـبه الأشـياء بالنفوس الملكيّـة، و لها خاصيّتان:

النزاهة و الحكمة.

و الكليّة الالهيّة لها خمس قوى: بقاء فى فناء، و نعيم فى شـقاء، و عزّ فى ذلّ و فقر فى غناء، و صبر فى بلاء، و لها خاصيّتان: الرّضا و التسليم و هذه الّتى

مبـدؤها من اللّه و إليه تعود، قال اللّه تعالى: «وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي »، و قال اللّه تعالى: «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً »، و العقل وسط الكل.

و روى فى كتـاب الـدرر و الغرر أنّ أمير المـؤمنين عليه السّلام سـئل عن العـالم العلـوى فقـال: صور عاريـة عن المواد، عاليـة من القوّة و الاسـتعداد، تجلّى لها فأشرقت و طالعها فتلألأت، و ألقى فى هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله، و خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكّيها بالعلم و العقل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها و فارقت الأضداد فقد شارك بها السـبع الشداد (نقلناه من الكلمة التاسعة عشر من قرّة العيون فى أعزّ الفنون للفيض قدّس سرّه)، و قد رواه العالم الجليل ابن شهر آشوب فى المناقب أيضا.

و لنـذكر مـا حصـل لبعض الأعـاظم من التخلّص عن درن البـدن، و التنزّه عن رين الرذائل النفسانيّة فكوشف لهم ما وراء الطبيعـة ترغيبا للمشتاقين إلى السير فى عالم المجردات، و أنموذجا من عظم شأن النفس و شرفها للطالبين:

(1) قال الفيلسوف يعقوب بن إسـحاق الكندى فى رسالته فى النفس (ص 279 من رسائل الكندى): و قد وصف أرسـطاطاليس أمر الملك اليونـانى الّذى تحرّج بنفسه فمكث لا يعيش و لا يموت أيامـا كثيرة، كلّمـا أفـاق أعلم الناس بفنون من علم الغيب و حـدّثهم بما رأى من الأنفس و الصور و الملائكـة، و أعطاهم فى ذلك البراهين، و أخبر جماعـة من أهل بيته بعمر واحـد واحد منهم، فلمّا امتحن كلّ ما قال لم يتجاوز أحد منهم المقدار الّذى حدّه له من العمر، و أخبر أنّ خسفا يكون فى بلاد الأوس بعد سنة، و سيل يكون فى موضع آخر بعد سنتين فكان الأمر كما قال.

قال: و ذكر أرسـطاطاليس أنّ السبيل فى ذلك أنّ نفسه إنّما علمت ذلك العلم لأنّها كادت أن تفارق البدن، و انفصـلت عنه بعض الانفصال فرأت ذلك فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة ؟! لكانت قد رأت عجائب من أمر

الملكوت الأعلى.

فقـل للباكين ممّن طبعه أن يبكى من الأشـياء المخزونـة ينبغى أن يبكى و يكثر البكاء على من يهمل نفسه، و ينهك من ارتكاب الشـهوات الحقيرة الخسـيسة الدنيّـة المموّهة الّتى تكسـبه الشـرّة (الشـره – خ ل) و تميل بطبعه إلى طبع البهائم و يدع أن يتشاغل بالنظر فى هذا الأمر الشـريف و التخلّص إليه، و يطهّر نفسه حسب طـاقته، فـإنّ الطهر الحقّ هو طهر النفس لا ـ طهر البـدن فـإنّ العـالم الحكيم المبرّز المتعبد لباريه، إذا كان ملطّخ البدن باكماة فهو عند جميع الجهّال، فضلا عن العلماء أفضل و أشرف من الجاهل الملطّخ البدن بالمسک و العنبر.

و من فضيلة المتعبّد للّه الذى قد هجر الدّنيا و لذّاتها الدنيّة أنّ الجهّال كلّهم إلاّ من سخر منهم بنفسه يعترف بفضله و يجلّه و يفرح أن يطلع منه على الخطاء.

فيا أيها الإنسان الجاهل ألا تعلم أنّ مقامک فى هذا العالم إنما هو كلمحة ثمّ تصير إلى العالم الحقيقى، فتبقى فيه أبد الابدين ؟ انتهى كلام الكندى تغمده اللّه بغفرانه.

(2) و روى الكلينى أعلى اللّه مقـامه فى بـاب حقيقـة الإيمـان و اليقين من كتـاب الايمـان و الكفر من جـامعه الكـافى (ص 44 ج 2 من المعرب) باسـناده عن إسـحاق بن عمار قال: سـمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله صلّى بالنّاس الصبح فنظر إلى شابّ فى المسـجد و هو يخفق و يهوى برأسه، مصـفرّا لونه، قد نحف جسـمه، و غارت عيناه فى رأسه، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله كيف أصـبحت يـا فلان ؟ قال: أصـبحت يا رسول اللّه موقنا، فعجب رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله من قوله و قال: إنّ لكلّ يقين حقيقـة فما حقيقـة يقينک ؟ فقال: إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أحزننى و أسـهر ليلى و أظمأ هو اجرى فعزفت نفسـى عن الدّنيا و ما فيها حتّى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قـد نصب للحساب و حشـر الخلائق لـذلک و أنا فيهم، و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّـة يتنعّمون فى الجنّـة و يتعارفون و على الأرائک متكئون، و كأنّى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذّبون مصطرخون، و كأنّى الان أسمع زفير النار

يدور فى مسامعى، فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله لأصـحابه: هذا عبد نوّر اللّه قلبه بالإيمان ثمّ قال له: ألزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع اللّه لى يا رسول اللّه أن ارزق الشـهادة معک، فـدعا له رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النّبى صـلى اللّه عليه و آله فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر.

و روى بعده باسناده عن عبد اللّه بن مسكان عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: استقبل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله حارثة بن مالک بن النعمان الأنصارىّ فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالک ؟ فقال: يا رسول اللّه مؤمن حقّا، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله:

لكلّ شـىء حقيقـة فما حقيقة قولک ؟ فقال: يا رسول اللّه عزفت نفسـى عن الدّنيا فأسـهرت ليلى و أظمأت هو اجرى و كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد وضع للحساب و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون فى الجنّة، و كأنّى أسـمع عواء أهل النار فى النار، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: عبد نوّر اللّه قلبه، أبصـرت فأثبت، فقال: يا رسول اللّه ادع اللّه لى أن يرزقنى الشهادة معک فقال: اللهمّ ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلاّ أياما حتّى بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سريّة فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثمّ قتل.

و قال: و فى رواية القاسم بن بريد عن أبى بصير قال: استشهد مع جعفر بن أبى طالب بعد تسعة نفر و كان هو العاشر.

قلت: إنّما قال لرسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله: ادع لى أن ارزق الشـهادة معک لما فيها من فضيلة سامية و كفى فيها ما قال عزّ من قائل: «وَ لا ـ تَحْسَـ بَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْـدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ »، و أرى فى طلبه الشـهادة منه صـلى اللّه عليه و آله أنّ حفظ الحال أصعب من تحصيله كالمال قال شاعر العجم:

مال را هر كسى بدست آرد رنجش اندر نگاهداشتن است

و تأمّل فى كلام رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله حيث قال له: الزم ما أنت عليه، أو أبصـرت فاثبت، أمره بلزوم ما وجـده من الإيمان الكامل الّذى نوّر اللّه به قلبه و ثباته على ذلک، فإنّ للكمالات الحاصـلة آفات كثيرة و المراقبة فى حفظها و عدم زوالها لازمة جدّا لمن تنعّم بها، قال الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام

لهشام بن الحكم:

يـا هشام إنّ اللّه حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: «رَبَّنا لا تُزِغْ قُلُوبَنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنا وَ هَبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهّابُ » حين علموا أنّ القلوب تزيغ و تعود إلى عماها و رداها (رواه الكلينى – ره – فى كتاب العقل و الجهل من اصول الكافى الحديث 12).

قال الشّيخ العلاّمة البهائى قدّس سرّه كما فى سلافة العصر (ص 292):

سانحـة: قـد تهب من عالم القـدس نفحـة من نفحات الانس على قلوب أصـحاب العلائق الدينيّـة، و العلائق الدنيويّـة، فتقطر بذلک مشام أرواحهم و تجرى روح الحقيقـة فى رميم أشـباحهم، فيـدركون قيـح الأنفاس الجسـمانية، و يـذعنون بخساسـة الانتكاس فى مهاوى القيود الهيولانيـة، فيميلـون إلى سـلوک مسالـک الرشـاد و ينتبهـون من نوم الغفلـة عن البـداء و المعـاد، لكنّ هـذا التنـبيه سـريع الزوال، و وحى الإضـمحلال، فيا ليته يبقى إلى حصول جذبة إلهية تميط عنهم أدناس عالم الزور و تطهّرهم من أرجاس دار الغرور، ثمّ إنّهم عند زوال تلک النفحـة القدسـيّة، و انقضاء هاتيک النسـمة الإنسـية يعودون إلى الانعكاس فى تلک الأدناس، فيتأسّفون على ذلک الحال الرفيع المنال، و ينادى لسان حالهم بهذا المقال، إن كانوا من أصحاب الكمال:

تيرى زدى و زخم دل آسوده شد از ان هان اى طبيب خسته دلان مرهم دگر

و بالجملة كأنّ الشاب خاف من زيغ القلب و زوال النعمة فرأى أنّ خروجه من الدّنيا مع ذلک النور الإلهى أفضل و أحبّ إليه من البقاء فيها مع خوف زواله فاستحبّ الأوّل على الثانى، و اللّه تعالى أعلم.

و قد روى ابن الأثير فى اسد الغابة باسـناده عن أنس هذه الواقعة و نسـبها إلى حارثة أيضا (ص 355 ج 1)، و كذا الغزالى فى إحياء العلوم، لكن نسبها العارف الرّومى فى المجلّد الأوّل من المثنوى إلى زيد و الظاهر أنه زيد بن حارثة حيث قال:

ص:310

گفت پیغمبر صباحی زید را کیف أصبحت ای رفیق با صفا

إلی آخر الأبیات.

و نسبها أبو نعیم الأصفهانی فی حلیة الأولیاء (ص 242 ج 1) إلی معاذ بن جبل و رواها باسناده عن أنس بن مالک أیضا، و نسبها الدیلمی فی الباب السابع و الثلاثین من کتابه إرشاد القلوب إلی سعد بن معاذ و ألفاظهما واحدة و الاختلاف یسیر، و فی روایة أبی نعیم أنّ معاذ بن جبل رضی اللّه تعالی عنه دخل علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله فقال: کیف أصبحت یا معاذ؟ قال: أصبحت مؤمنا باللّه تعالی قال: إنّ لکلّ قول مصداقا و لکلّ حقّ حقیقة فما مصداق ما تقول ؟ قال: یا نبیّ اللّه ما أصبحت صباحا قط إلاّ ظننت أنّی لا أمسی، و ما أمسیت مساء قط إلاّ ظننت أنّی لا أصبح، و لا خطوت خطوة إلاّ ظننت أنّی لا أتبعها اخری، و کأنّی أنظر إلی کلّ امّة جاثیة تدعی إلی کتابها معها نبیّها و اوثانها الّتی کانت تعبد من دون اللّه و کأنّی أنظر إلی عقوبة أهل النار و ثواب أهل الجنّة، قال: عرفت فالزم.

(3) قال العارف المتنزه المتأله السیّد حیدر الاملی قدّس سرّه فی أوّل کتابه جامع الأسرار و منبع الأنوار: و اللّه ثمّ و اللّه لو صارت أطباق السماوات أوراقا، و أشجار الأرضین أقلاما، و البحور السبعة مع المحیط مدادا، و الجنّ و الإنس و الملک کتّابا لا یمکنهم شرح عشر من عشیر ما شدت من المعارف الإلهیة و الحقائق الربانیة، الموصوفة فی الحدیث القدسیّ «أعددت لعبادی الصالحین ما لا عین رأت و لا اذن سمعت و لا خطر علی قلب بشر»، المذکورة فی القرآن: فلا تعلم نفس ما اخفی لهم من قرّة أعین جزاء بما کانوا یعملون.

و لا یتیسّر لهم بیان جزء من أجزاء ما عرفت من الأسرار الجبروتیّة و الغوامض الملکوتیّة المعبّر عنها فی القرآن بما لم یعلم لقوله تعالی: «اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْاَکْرَمُ اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ » المومی إلیها أیضا بتعلیم الرّحمن، لقوله تعالی «اَلرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسانَ عَلَّمَهُ الْبَیانَ » المسمّاة بکلمات اللّه الّتی لا تبید و لا تنفد لقوله تعالی «قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ کَلِماتُ رَبِّی وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً »

و لقوله تعالى: «وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ».

(4) و فى سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر (ص 479) تأليف العلاّمة السيّد علىّ صدر الدين المدنى صاحب رياض السالكين فى شرح صحيفة سيّد الساجدين، و شرح الفوائد الصمدية فى النحو، و الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة و غيرها تبلغ إلى ثمانية عشر مؤلفا فى فنون متنوّعة: الأمير محمّد باقر بن محمّد الشهير بالداماد الحسنى - إلى أن قال صاحب السلافة فى ترجمته قدّس سرّه:

و من غريب رسائله رسالته الخليعة و هى ممّا يدلّ على تألّه سريرته، و تقدّس سيرته، و صورتها:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد كلّه للّه رب العالمين، و صلاته على سيّدنا محمّد و آله الطاهرين، كنت ذات يوم من أيّام شهرنا هذا و قد كان يوم الجمعة سادس عشر شهر رسول اللّه شعبان المكرّم لعام ثلاث و عشرين و ألف من هجرته المقدّسة فى بعض خلواتى أذكر ربّى فى تضاعيف أذكارى و أورادى باسمه الغنى فاكرّر يا غنى يا مغنى مشددها بذلك عن كلّ شىء إلاّ عن التوغل فى حريم سرّه و الانمحاء فى شعاع نوره و كأنّ خاطفة قدسيّة قد ابتدرت إلىّ ، فاجتذبتنى من الوكر الجثمانى ففككت حلق شبكة الحسّ ، و حللت عقد حبالة الطبيعة و أخذت أطير بجناح الروح فى وسط ملكوت الحقيقة، و كأنّى قد خلعت بدنى و رفضت عدنى، و مقوت خلدى، و نضوت جسدى، و طويت اقليم الزمان، و صرت إلى عالم الدهر فإذا أنا بمصر الوجود بجماجم امم النظام الجملى من الابداعيات و التكوينيّات و الإلهيات و الطبيعيّات و القدسيات و الهيولانيات و الدهريات و الزمنيات و أقوام الكفر و الإيمان، و أرهاط الجاهلية و الإسلام من الدارجين و الدارجات و الغابرين و الغابرات، و السالفين و السالفات، و العاقبين و العاقبات، فى الازال و الاباد، و بالجملة آحاد مجامع الإمكان و دارات عوالم الإمكان بقضّها و قضيضها و صغيرها و كبيرها باثباتها و بابدائها حالياتها و آتياتها و إذا الجميع زفة زفة و زمرة

زمرة يجذبهم قاطبة معاملون، وجوه ماهياتهم شطر بابه سبحانه شاخصون، بابصار نيّاتهم تلقاء جنابه جلّ سلطانه من حيث لا يعلمون، و هم جميعا بألسنة فقر ذواتهم الفاخرة، و ألسن فاقة هو يأتهم الهالكة فى صحيح الضراعة و صراخ الابتهال ذاكروه و داعوه و مستصرخوه و منادوه بياغنى يا مغنى من حيث هم لا يشعرون فطفقت فى تلك الضجّة العقليّة، و الصرخة الغيبيّة أخرّ مغشيا علىّ ، و كدت من شدّة الوله و الدهش أنسى جوهر ذات العاقلة و أغيب عن بصر نفسى المجردة و اهاجر ساهرة أرض الكون و أخرج من صقع قطر الوجود رأسا إذ قد ودعتنى تلك الخلسة الخالسة حينا حيونا إليها، و خطفتنى تلك الخطفة الخاطفة تائقا لهوفا عليها فرجعت إلى أرض التيار، و كورة البوار، و بقعة الزور، و قرية الغرور تارة اخرى.

هذا منتهى الرسالة المذكورة.

(5) قال صدر المتألّهين قدّس سرّه فى آخر الثانى من العاشر من رابع الأسفار: إنّى أعلم من المشتغلين بهذه الصناعة من كان رسوخه بحيث يعلم من أحوال الوجود امورا يقصر الأفهام الذكيّة عن إدراكها، و لم يوجد مثلها فى زبر المتقدّمين و المتأخرين من الحكماء، و العلماء، للّه الحمد و له الشكر.

و لا يخفى على العارف بأساليب الكلمات أنه أراد بقوله هذا نفسه الشريفة و قال المتألّه السبزوارى رضوان اللّه عليه: و الحقّ معه، و تحقيقاته الأنيقة أعدل شاهد على ما أفاده، شكر اللّه مساعيه.

(6) قال الشيخ الرئيس فى آخر السابعة من ثامن طبيعيات الشفاء (ص 417 ج 1): حكى لى رجل بيابان دهستان يخدّر نفسه و نفخه الحيات و الأفاعى الّتى بها و هى قتّالة جدّا و الحيّات لا تنكأ فيه باللسع و لا تلسعه اختيارا ما لم يقسرها عليه، فإن لسعته حية ماتت، و حكى أنّ تنينا عظيما لسعته فماتت و عرض له حمّى يوم، ثمّ إنّى لما حصلت ببيابان دهستان طلبته فلم يعش و خلف ولدا أعظم خاصيّة فى هذا الباب منه، فرأيت منه عجائب نسيت أكثرها و كان من جملتها أنّ الأفاعى تصد عن عزّه و يحتد عن نفسه و يخدّر فى يده، انتهى.

ص:313

و هذه الأحوال الّتى سمعتها نزر يسير ممّا رأينا فى الكتب المعتبرة من العجائب الصادرة عن النفس الناطقة الإنسانيّة، على أنّ هؤلاء العظام ممّن لم يبلغوا رتبة النّبوة و الإمامة بل جلّهم لو لا الكلّ اقتبسوا من مشكاة نبىّ أو وصىّ نبىّ فما ظنّک بالفائز إلى الخلافة الالهيّة من الأنبياء و الأوصياء صلوات اللّه عليهم أجمعين.

فلنأت بعدّة امور من مواعظ اللّه سبحانه و مواعظ رسوله و أهل بيته ممّا لا محيص عنها للسائر إلى اللّه تعالى فنقول:

1 - القرآن الكريم صورة الإنسان الكامل الكتبيّة، أعنى أنّه صورة الحقيقة المحمّدية صلى اللّه عليه و آله إنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، لقد كان لكم فى رسول اللّه اسوة حسنة، فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الكامل، فانظر إلى حظک منه فإنّ حقائق آياته درجات ذاتک و مدارج عروجک، و من وصيّة إمام الثقلين أبى الحسنين علىّ عليه السّلام لابنه محمّد ابن الحنفيّة رضى اللّه عنه كما رواه صدوق الطائفة المحقة فى الفقيه (الوافى ص 64 ج 14):

و عليک بتلاوة (بقراءة - خ) القرآن و العمل به و لزوم فرائضه و شرائعه و حلاله و حرامه و أمره و نهيه و التهجّد به و تلاوته فى ليلک و نهارک فإنّه عهد من اللّه تعالى إلى خلقه فهو واجب على كلّ مسلم أن ينظر فى كلّ يوم فى عهده و لو خمسين آية، و اعلم أنّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: اقرء و ارق، فلا يكون فى الجنّة بعد النبيّين و الصديقين أرفع درجة منه.

و انظر بنور العقل و العلم إلى ما أفاضه ولىّ اللّه الأعظم فى كلامه هذا فإنّ محاسنه و لطائفه فوق أن يحوم حولها العبارة.

و قد روى علم الهدى الشريف المرتضى فى الغرر و الدرر عن نافع عن أبى إسحاق الهجرىّ عن أبى الأحوص عن عبد اللّه بن مسعود عن سيّد البشر صلى اللّه عليه و آله انه قال: إنّ هذا القرآن مأدبة اللّه، فتعلّموا مأدبته ما استطعتم، و إنّ أصفر البيوت

لجوف أصفر من كتاب اللّه تعالى (المجلس 26 منه، ص 354 ج 1 من طبع مصر) قلت: تعبير القرآن بمأدبة اللّه تدرک حلاوته و لا توصف قال الشريف علم الهدى:

المأدبة فى كلام العرب هى الطعام يصنعه الرّجل و يدعو النّاس إليه فشبّه النّبى صلى اللّه عليه و آله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن و نفعه و عائدته عليه إذا قرأه و حفظ بما يناله المدعوّ من طعام الداعى و انتفاعه به، يقال: قد أدب الرّجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه، و يقال للمأدبة: المدعاة، و ذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا مأدبة بفتح الدال، و قد روى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة» و قال الأحمر: المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم.

و قال غيره: المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب، معناه أنّ اللّه تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق و تقويما لهم و إنما دخلت الهاء فى مأدبة و مأدبة و القرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس. و كما قال عنترة: و الكفر مخبثة لنفس المنعم، انتهى ما أردنا من نقل كلامه قدّس سرّه.

فيا إخوان الصفاء هلمّوا إلى مأدبة إلهية فيها ما تشتهى الأنفس و تلذّ الأعين و إلى مأدبة ليس وراءها أدب و مؤدّب و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال.

و فى فلاح السائل للسيّد الأجل ابن طاوس قدّس سرّه: فقد روى أنّ مولانا الصّادق عليه السّلام كان يتلو القرآن فى صلاة فغشى عليه فلمّا أفاق سئل ما الّذى أوجب ما انتهت حالک إليه ؟ فقال عليه السّلام ما معناه: ما زلت اكرّر آيات القرآن حتّى بلغت إلى حال كأنّنى سمعتها مشافهة ممّن أنزلها على المكاشفة و العيان، فلم تقم القوّة البشرية بمكاشفة الجلالة الالهيّة.

و اعلم أنّ القرآن محيط لا نفاد له كيف لا و هو مجلى الفيض الإلهى و قد تقدّم فى الرسالة عن الامامين الأوّل و السادس عليهما السّلام أنّ اللّه عزّ و جلّ تجلّى لخلقه فى كلامه و لكن لا يبصرون. قال الطريحى رحمة اللّه عليه فى مادّة جمع من مجمع البحرين: و فى الحديث اعطيت جوامع الكلم، يريد به القرآن الكريم لأنّ اللّه جمع بألفاظه اليسيرة المعانى الكثيرة حتّى روى عنه أنّه قال: ما من حرف

من حروف القرآن إلاّ و له سبعون ألف معنى، انتهى.

و قلت: إذا كان شكل واحد هندسى يعرف عند أهله بالشكل القطّاع يفيد «497664» أحكام هندسيّة كما برهن فى محلّه فلا بعد أن يكون لكلّ حرف من القرآن سبعون ألف معنى. و يطلب الكلام فى القطّاع فى رسالتنا المعمولة فى معرفة الوقت و القبلة.

يا عباد الرّحمن! هذه آيات آخر الفرقان من القرآن الفرقان لا تلكها بين فكّيک بل تدبّر فيها حقّ التدبّر فانّ كلّ آية منها دستور برأسه من عمل به فاز و نجا.

«وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً وَ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَ قِياماً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِکَ قَواماً وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِکَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً إِلاّ مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلاً صالِحاً فَأُوْلئِکَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً وَ مَنْ تابَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللّهِ مَتاباً وَ الَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً وَ الَّذِينَ إِذا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْها صُمًّا وَ عُمْياناً وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً أُوْلئِکَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزاماً ».

2 - روى الديلمى رضوان اللّه عليه فى الموضعين من كتابه إرشاد القلوب أحدهما فى أواخر الباب الثالث عشر، و ثانيهما فى أواخر الباب العشرين عن النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: قال اللّه تعالى: من أحدث و لم يتوضّأ فقد جفانى، و من أحدث و توضّأ و لم يصلّ ركعتين فقد جفانى، و من صلّى ركعتين و لم يدعنى فقد جفانى و من أحدث و توضّأ و صلّى ركعتين و دعانى فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه و دنياه

فقد جفوته و لست بربّ جاف.

و اعلم يا حبيبى أنّ الوضوء نور و الدوام على الطهارة سبب لارتقائک إلى عالم القدس. و هذا الدّستور العظيم النفع مجرّب عند أهله جدّا فعليک بالمواظبة عليها ثمّ عليک بعلوّ الهمّة و كبر النفس فاذا صليت الركعتين فلا تسأله تبارک و تعالى إلاّ ما لا يبيد و لا ينفد و لا يفنى فلا تطلب منه إلاّ إيّاه و ليكن لسان حالک هكذا:

ما از تو نداريم بغير از تو تمنّا حلوا بكسى ده كه محبّت نچشيده است

فإنّ من ذاق حلاوة محبّته تعالى يجد دونها تفها، على أنّ ما يطلب ممّا سواه كلّ واحد منها مظهر اسم من أسمائه فاذا وجد الأصل كانت فروعه حاضرة عنده، و قلت فى أبيات:

چرا زاهد اندر هواى بهشت است چرا بيخبر از بهشت آفرين است ؟!

و قال العارف المتألّه صدر الدين الدزفولى قدّس سرّه:

خدايا زاهد از تو حور مى خواهد قصورش بين بجنّت مى گريزد از درت يا رب شعورش بين

فاذا صلّيت فقل ساجدا: اللهمّ ارزقنى حلاوة ذكرک و لقاءک، و الحضور عندک و نحوها.

3 - قال عزّ من قائل: «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » (الأعراف: 32) و اعلم حبيبى أنّ فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، و يفضى إلى جموح النفس و طغيانها، و الجوع من أجلّ خصال المؤمن و نعم ما قال يحيى بن معاذ: لو تشفعت بملائكة سبع سماوات، و بمائة ألف و أربعة و عشرين ألف نبىّ و بكلّ كتاب و حكمة و ولىّ على أن تصالحک النفس فى ترک الدنيا و الدخول تحت الطاعة لم تجبک، و لو تشفعت إليها بالجوع لأجابتک و انقادت لک، نقل قوله هذا أبو طالب المكىّ فى علم القلوب ص 215 من طبع مصر.

فى الكافى عن الإمام الصّادق عليه السّلام: إنّ البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربّه عزّ و جلّ إذا خفّ بطنه، و أبغض ما يكون العبد إلى اللّه عزّ و جلّ إذا امتلأ بطنه.

4 – إيّاک و فضول الکلام فقد روی شیخ الطائفة الناجیة فی أمالیه بإسناد عن عبد اللّه بن دینار عن أبی عمر قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: لا تکثروا الکلام بغیر ذکر اللّه فإنّ کثرة الکلام بغیر ذکر اللّه قسو القلب إنّ أبعد النّاس من اللّه القلب القاسی، و قد جعله الشّیخ قدّس سرّه الخبر الأوّل من کتابه الأمالی فلا بدّ فی عمله هذا من عنایة خاصّة فی ذلک، و قد رواه الکلینی رضوان اللّه علیه فی باب الصمت و حفظ اللسان من اصول الکافی (ص 94 ج 2 من المعرب) باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کان المسیح علیه السّلام یقول: لا تکثروا – إلی آخر الخبر.

5 – و علیک بالمحاسبة، ففی باب محاسبة العمل من اصول الکافی (ص 328 ج 2 من المعرب) بإسناده عن أبی الحسن الماضی صلوات اللّه علیه – یعنی الإمام الکاظم علیه السّلام – قال: لیس منّا من لم یحاسب نفسه فی کلّ یوم، فإن عمل حسنا استزاد اللّه، و إن عمل سیّئا استغفر اللّه منه و تاب إلیه.

و فی الفصل الخامس من الباب الثانی من مکارم الأخلاق فی وصیّة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأبی ذر الغفاری رحمة اللّه علیه: یا أبا ذر لا یکون الرّجل من المتّقین حتّی یحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشریک شریکه، فیعلم من أین مطعمه و من أین مشربه و من أین ملبسه أمن حلّ ذلک أم من حرام.

6 – و المراقبة للّه تعالی، و هی العمدة فی الباب، و هی مفتاح کلّ سعادة و مجلبة کلّ خیر و هی خروج العبد عن حوله و قوّته مراقبا لمواهب الحق و متعرّضا لنفحات ألطافه و معرضا عمّا سواه، و مستغرقا فی بحر هواه و مشتاقا إلی لقائه، و إلیه قلبه یحنّ ولدیه روحه یئنّ و به یستعین علیه و منه یستعین إلیه حتّی یفتح اللّه له باب رحمة لا ممسک لها و یغلق علیه باب عذاب لا مفتّح له بنور ساطع من رحمة اللّه تعالی علی النفس به یزول عنها فی لحظة ما لا یزول بثلاثین سنة بالمجاهدات و الریاضات، یبدّل اللّه سیّئاتهم حسنات، للّذین أحسنوا الحسنی و زیادة و الزیادة حسنات ألطاف الحق، و ذلک فضل اللّه یؤتیه ما یشاء.

گدائی گردد از یک جذبه شاهی به یک لحظه دهد کوهی بکاهی

ص:318

فعليک بالمراقبـة، و عليک بالمراقبـة، و عليک بالمراقبـة، ففی الباب التاسع و الثلاثين من إرشاد القلوب للـديلمی رضوان اللّه عليه: قال اللّه تعالی: «وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ رَقِيباً »، و قال النّبی صلی اللّه عليه و آله لبعض أصحابه: اعبد اللّه كأنک تراه فإن لم تكن تراه فهو يراک، و هـذا إشارة إلی المراقبة لأنّ المراقبة علم العبد باطلاع الرب عليه فی كلّ حالاته و ملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، و أعظم مصالح العبـد اسـتحضاره مع عـدد أنفاسه أنّ اللّه تعالی عليه رقيب و منه قريب، يعلم أفعاله و يری حركاته و يسـمع أقواله و يطلع علی أسـراره و أنه ينقلب فی قبضته و ناصيته و قلبه بيده و أنّه لا طاقة له علی الستر عنه و لا علی الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: يا بنیّ إذا أردت أن تعصـی اللّه فاطلب مكانا لا يراک فيه إشارة منه لأنّک لا تجـد مكانا لا يراک فيه فلا تعصه و قال تعالی: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ».

و كـان بعض العلمـاء يرفع شابّـا علی تلاميـذه كلّهم فلاـموه فی ذلک فأعطی كلّ واحـد منهم طيرا و قال: اذبحه فی مكان لا يراک فيه أحد فجاءوا كلّهم بطيورهم و قد ذبحوها فجاء الشاب بطيره و هو غير مذبوح، فقال له: لم لم تذبحه ؟ فقال:

لقولک لا تذبحه إلاّ فی موضع لا يراک فيه أحد، و لا يكون مكان إلاّ يرانی الواحد الأحد الفرد الصـمد، فقال له: أحسنت ثمّ قال لهم: لهذا رفعته عليكم و ميزته منكم.

و من علامـات المراقبـة إيثـار مـا آثر اللّه و تعظيم مـا أعظم اللّه و تصـغير مـا صـغّر اللّه فالرجـاء يحثّک علی الطاعات و الخوف يبعـد عن المعاصـی، و المراقبة تؤدّی إلی طريق الحياء و تحمل علی ملازمة الحقائق و المحاسبة علی الدقائق، و أفضل الطاعات مراقبة الحقّ سبحانه و تعالی علی دوام الأوقات.

و من سـعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسـبة و المراقبـة و سياسـية نفسه باطّلاـع اللّه و مشاهـدته لها، و أنّها لا تغيب عن نظره و لا تخرج عن علمه، انتهی كلامه قدّس سرّه.

قلت: و من آداب المراقب أن يراقب أعمـال الأوقـات من الشـهور و الأيّام بل الساعات بل يواظب أن لا يهمل الانات و يكون علی الـدوام متعرضا لنفحات انسه

و نسائم قـدسه كما قال صـلّى اللّه عليه و آله: إنّ لربّكم فى أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها و لا تعرضوا عنها، و للعلم الاية المرزا جواد آقا الملكى التبريزى قدّس سرّه الشريف كتاب فى مراقبات أعمال السنة و هو من أحسن ما صنع فى هذا الأمر فعليک بالكتاب.

و فى خاتمـة إرشاد القلوب فيما سأل رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله ربّه ليلـة المعراج: يا أحمد هل تدرى أىّ عيش أهنى و أىّ حياة أبقى ؟ قال: اللهمّ لا، قال: أمّا العيش الهنىّ فهو الّذى لا يفتر صاحبه عن ذكرى و لا ينسى نعمتى و لا يجهل حقّى يطلب رضاى ليله و نهاره.

و أمّا الحياة الباقيـة فهى الّتى يعمل لنفسه حتّى تهون عليه الـدّنيا، و تصـغر فى عينيه، و تعظم الاخرة عنده، و يؤثر هواى على هواه، و يبتغى مرضاتى، و يعظم حقّ عظمتى، و يذكر علمى به و يراقبنى بالليل و النهار كلّ سيئة و معصية، و ينفى قلبه عن كلّ ما أكره، و يبغض الشيطان و وسـاوسه، و لاـ يجعل لإبليس على قلبه سـلطانا و سبيلا، فإذا فعل ذلک أسـكنت قلبه حبّا حتّى أجعل قلبه لى و فراغه و اشـتغاله و همّه و حديثه من النعمة الّتى أنعمت بها على أهل محبّتى من خلقى، و أفتح عين قلبه و سـمعه حتّى يسمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى و أضيق عليه الدّنيا، و أبغض إليه ما فيها من اللّذات، و أحذره من الدّنيا و ما فيها كما يحذر الراعى غنمه من مراتع الهلكة، فإذا كان هكذا يفرّ من النّاس فرارا و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء و من دار الشـيطان إلى دار الرحمن، يا أحمد لازيّنه بالهيبة و العظمة فهذا هو العيش الهنىّ و الحياة الباقية، و هذا مقام الراضين.

فمن عمـل برضـاى الزمه ثلاـث خصـال: أعرفه شـكرا لاـ يخـالطه الجهـل، و ذكرا لا يخالطه النسـيان، و محبّـة لا يؤثر على محبّتى محبّة المخلوقين، فـإذا أحبّنى أحببته و أفتـح عين قلبه إلى جلاـلى فلاـ أخفى عليه خاصّـة خلقى، فانـاجيه فى ظلم اللّيل و نور النهار حتّى ينقطع حديثه من المخلوقين و مجالستهم معهم، و اسمعه كلامه و كلام ملائكتى، و اعرّفه السرّ الّذى سترته عن خلقى و البسه الحياء حتّى

يستحيى منه الخلق كلّهم، و يمشى على الأرض مغفورا له، و اجعل قلبه واعيا و بصيرا و لا يخفى عليه شىء من جنّة و لا نار، و اعرّفه بما يمرّ على الناس فى يوم القيامة من الهول و الشدّة و ما احاسب به الأغنياء و الفقراء و الجهّال و العلماء و انوّر فى قبره، و انزل عليه منكرا و نكيرا حتّى يسألاه و لا يرى غمّ الموت و ظلمة القبر و اللحد و هول المطّلع حتّى أنصب له ميزانه و انشر له ديوانه ثمّ أضع كتابه فى يمينه فيقرأه منشورا ثمّ لا أجعل بينى و بينه ترجمانا، فهذه صفات المحبّين، الحديث.

فتأمّل يا مريد الطريق إلى اللّه تعالى فى قوله عزّ و جلّ لحبيبه خاتم النبيين من الجوائز الكريمة الّتى أعدّها للمراقبين و الراضين و المحبّين و من تلك المواهب الجزيلة و العطايا النفيسة العزيزة اليتيمة الثمينة فتح عين القلب و قد ذكرها لعظم شرفها و علوّ رتبتها مرّتين.

و نظير تلك المنح السنيّة ما وعد عباده فى النوافل و الفرائض من القرب حيث قال تعالى: و ما يتقرّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ ممّا افترضت عليه، و إنه ليتقرّب إلىّ بالنوافل حتّى احبّه فإذا أحببته كنت سمعه الّذى يسمع به و بصره الّذى يبصر به، و لسانه الّذى ينطق به، و يده الّذى يبطش بها، إن دعانى أجبته، و إن سألنى أعطيته.

نقله العلاّمة الشّيخ البهائى فى كتاب الأربعين، و هو الحديث الخامس و الثلاثون منه، بإسناده عن أبان بن تغلب عن الإمام جعفر بن محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام قال: لما أسرى بالنّبى صلى اللّه عليه و آله قال: يا ربّ ما حال المؤمن عندك ؟ قال: يا محمّد - إلى قوله: و ما يتقرّب إلىّ عبدى - إلخ و قال - قده -: و هذا الحديث صحيح السند و هو من الأحاديث المشهورة بين الخاصّة و العامّة و قد رووه فى صحاحهم بأدنى تغيير، فراجع إليه.

و قد رواه ثقة الإسلام الكلينى قدّس سرّه فى باب من أذى المسلمين و احتقرهم من أبواب الإيمان و الكفر (ص 263 ج 2 من المعرب) بطريقين، و روى فيه

حـديثا ثالثا يقرب منهما معنى، هـذا قرب النوافل الّذى يدور فى ألسـنة القوم أى القرب الّذى يحصل للعبد من النوافل، و أما قرب الفرائض فقال عزّ و جلّ ما يتقرّب إلىّ عبدى بشـىء أحبّ إلىّ ممّا افترضته عليه و ما زال يتقرّب إلىّ عبدى بالفرائض حتّى إذا ما احبّه و إذا أحببته كان سمعى الّذى أسمع به، و بصرى الّذى أبصر به، و يدى الّذى أبطش بها.

فـانظر إلى تفـاوة القربين ففى الأوّل كان اللّه سـمع العبـد و بصـره و لسانه و يـده، و فى الثانى كان العبـد سـمع اللّه تعالى و بصـره و يـده، فالواجبات أكثر ثوابا و أعلى مرتبة من المندوبات بتلك النسبة بين القربين.

قال العلاّمة المحقّق نصـير الدين محمّد الطوسى قدّس اللّه سرّه: العارف إذا انقطع عن نفسه و اتّصل بالحقّ رأى كلّ قدرة مستغرقة فى قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، و كلّ علم مسـتغرقا فى علمه الذى لا يعزب عنه شـىء من الموجودات و كلّ إرادة مسـتغرقة فى إرادته الّتى لا يتأبّى عنها شـىء من الممكنات، بل كلّ وجود و كلّ كمال وجود فهو صادر عنه، فائض من لدنه فصار الحق حينئذ بصـره الّذى به يبصـر، و سمعه الّـذى به يسـمع، و قـدرته الّتى بها يفعل، و علمه الّـذى به يعلم، و وجوده الّـذى به يوجـد فصار العارف حينئـذ متخلقا بأخلاق اللّه بالحقيقة.

نقلنا كلامه من الرابعة من الرابعة من قرّة العيون للفيض رضوان اللّه عليه و فى الثالثة من السابعة من ذلک الكتاب:

قال بعض العارفين إذا تجلّى اللّه سبحانه بذاته لأحد يرى كلّ الذوات و الصفات و الأفعال متلاشية فى أشعّة ذاته و صفاته و أفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها و هى أعضاؤها لا يلمّ بواحد منها شـىء إلاّ و يراه ملما به، و يرى ذاته الذات الواحدة و صفته صفتها و فعله فعلها لاسـتهلاكه بالكليّة فى عين التوحيد، و لمّا انجذب بصـيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات اسـتتر نور العقل الفارق بين الأشياء فى غلبة نور الذات القديمة و ارتفع التميز بين القدم و الحدوث لزهوق الباطل عند مجىء الحقّ ، و يسمّى هذه الحالة جمعا، و لصاحب

الجمع أن يضـيف إلى نفسه كلّ أثر ظهر فى الوجود و كلّ صـفة و فعل و اسم لانحصار الكلّ عنـده فى ذات واحـدة فتارة يحكى عن هذا و تارة عن حال ذاک و لا نعنى بقولنا قال فلان بلسان الجمع إلاّ هذا.

عشق بگرفت مرا از من و بنشست بجای سیّاتم ستدند و حسناتم دادند

ثمّ قال الفيض بعـد نقل كلام هذا العارف: و لعلّ هذا هو السـرّ فى صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام فى خطبة البيان و غيرها كقوله عليه السّلام:

أنا آدم الأوّل، أنا نوح الأوّل، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورق الأشجار، أنا مونع الثمار، أنا مجرى الأنهار - إلى أن قال عليه السّلام: أنا ذلک النور الّذى اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من فى القبور أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح و منجيه، أنا صاحب أيوب المبتلى و شافيه أنا أقمت السماوات بأمر ربّى - إلى آخر ما قال من أمثال ذلک صلوات اللّه و سلامه عليه.

و قد أجاد فى المقام العالم العارف الشهير داود بن محمود القيصرى فى الفصل الثامن من مقدّماته على شرح فصوص الحكم فى أنّ العالم هو صورة الحقيقة الإنسانية بقوله: إنّ الاسم اللّه مشتمل على جميع الأسماء و هو متجلّ فيها بحسب مراتبه فلهذا الاسم الإلهى بالنسبة إلى غيره من الأسماء اعتباران: اعتبار ظهور ذاته فى كلّ واحد من الأسماء، و اعتبار اشتماله عليها كلّها من حيث المرتبة الإلهية.

فبالأوّل يكون مظاهرها كلّها مظهر هذا الاسم الأعظم لأنّ الظاهر و المظهر فى الوجود شـىء واحد لا كثرة فيه و لا تعدّد و فى العقل يمتاز كلّ منهما عن الاخر كما يقول أهل النظر بأنّ الوجود عين المهية فى الخارج و غيره فى العقل فيكون اشتماله عليها اشتمال الحقيقة الواحدة على أفرادها المتنوّعة.

و بالثانى يكون مشتملا عليها من حيث المرتبة الالهيّة اشتمال الكلّ المجموعى على الأجزاء الّتى هى عينه بالاعتبار الأوّل.

و إذا علمت هـذا علمت أنّ حقـائق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقـة الإنسانيـة الّتى هى مظهر للإسم اللّه فأرواحها أيضا كلّها جزئيات الروح الأعظم الإنسانى سواء كان روحا فلكيّا أو عنصـريا أو حيوانيا و صورها صور تلك الحقيقـة و لوازمها لوازمها لـذلك يسـمى العالم المفصّل بالإنسان الكبير عند أهل اللّه لظهور الحقيقة الانسانيّة و لوازمها فيه، و لهذا الاشتمال و ظهور الأسرار الإلهيّة كلّها فيها دون غيرها استحقّت الخلافة من بين الحقائق كلّها و للّه درّ القائل: سبحان من أظهر ناسوته – إلى آخر البيتين المذكورين آنفا.

فأوّل ظهورها فى صورة العقل الأوّل الّذى هو صورة إجمالية للمرتبة العمائيّة المشار إليها فى الحديث الصحيح عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق ؟ قال عليه السّلام: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، لذلک قال عليه السّلام:

أوّل ما خلق اللّه نورى، و أراد العقل كما أيّـده بقوله: أوّل ما خلق اللّه العقل ثمّ فى صورة باقى العقول و النفوس الناطقـة الفلكيـة و غيرها، و فى صورة الطبيعة و الهيوا الكلّيّة و الصورة الجسميّة البسيطة و المركّبة بأجمعها.

و يؤيّد ما ذكرنا قول أمير المؤمنين وليّ اللّه فى الأرضـين قطب الموحّدين عليّ بن أبى طالب عليه السّـلام فى خطبة كان يخطبها للنّاس: أنا نقطـة بـاءبسم اللّه، أنـا جنب اللّه الّـذى فرطتم فيه، و أنا القلم، و أنا اللّوح المحفوظ ، و أنا العرش، و أنا الكرسـى، و أنا السـماوات السّـبع و الأـرضون، إلى أن صـحافى أثناء الخطبـة و ارتفع عنه حكم تجلّى الوحـدة و رجع إلى عالم البشـريّة، و تجلّى له الحقّ بحكم الكثرة فشـرع معتذرا فأقرّ بعبوديّته و ضعفه و انقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهيّة.

و لذلک قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحق فيها، و ذلک فى السفر الثالث الّذى من الحق إلى الخلق بالحق، و عند هذا السفر يتمّ كماله و به يحصل له حق اليقين.

و من ههنا يتبين أنّ الاخريّة هى عين الأوّليّة، و يظهر سرّ هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شىء عليم.

قال الشّيخ رضى اللّه عنه فى فتوحاته فى بيان المقام القطبى: إنّ الكامل الّذى أراد اللّه أن يكون قطب العالم و خليفة اللّه فيه إذا وصل إلى العناصر مثلا متنزلا فى السفر الثالث ينبغى أن يشاهد جميع ما يريد أن يدخل فى الوجود من الأفراد الإنسانيّة إلى يوم القيامة و بذلک الشهود أيضا لا يستحق المقام حتّى يعلم مراتبهم أيضا فسبحان من دبّر كلّ شىء بحكمته، و أتقن كلّ ما صنع برحمته، انتهى كلام القيصرى.

7 - الأدب مع اللّه تعالى فى كلّ حال، و قد كان بعض مشايخى و هو العالم المتنزّه المتألّه و الحكيم العارف الموّحد البارع الاية السيّد محمّد حسن القاضى الطباطبائى التبريزى الشهير بالإلهى أعلى اللّه تعالى مقاماته و رفع درجاته و جزاه عنّى خير جزاء المعلّمين كثيرا ما يوصينى فيما يوصى بالمراقبة للّه تعالى، و الأدب معه، و محاسبة النفس لا سيّما بالأولى منها، و لا أنسى نفحات أنفاسه الشريفة و بركات فيوضاته المنيفة.

قال عيسى روح اللّه و كلمته عليه السّلام: لا تقولوا العلم فى السماء من يصعد فيأتى به، و لا فى تخوم الأرض من ينزل فيأتى به، العلم مجهول فى قلوبكم تأدّبوا بين يدى اللّه باداب الروحانيين، و تخلّقوا بأخلاق الصديقين، يظهر من قلوبكم حتّى يعطيكم و يغمركم.

قال الإمام الجواد عليه السّلام كما فى الباب 49 من إرشاد القلوب للديلمى فى الأدب مع اللّه تعالى: ما اجتمع رجلان إلاّ كان أفضلهما عند اللّه آدبهما فقيل: يا ابن رسول اللّه قد عرفنا فضله عند الناس فما فضله عند اللّه ؟ فقال بقراءة القرآن كما انزل، و يروى حديثنا كما قلنا، و يدعو اللّه مغرما.

و فى ذلک الباب: قد روى أنّ اللّه تعالى يقول فى بعض كتبه: عبدى أمن الجميل أن تناجينى و تلتفت يمينا و شمالا و يكلّمک عبد مثلک تلتفت إليه و تدعنى ؟ و ترى من أدبک إذا كنت تحدث أخالک لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطنى فبئس العبد عبد يكون كذلک.

و فيه أيضا: روى أنّ النّبى صلى اللّه عليه و آله خرج إلى غنم له و راعيها عريان يفلى ثيابه فلمّا رآه مقبلا لبسها، فقال النّبى صلى اللّه عليه و آله: امض فلا حاجة لنا فى رعايتک، فقال إنا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدّب مع اللّه و لا يستحيى منه فى خلوته.

و الأدب مع اللّه بالاقتداء بادابه و آداب نبيّه صلى اللّه عليه و آله و أهل بيته عليهم السّلام و هو العمل بطاعته و الحمد للّه على السرّاء و الضّراء و الصبر على البلاء و لهذا قال أيوب ربّ إنّى مسّنى الضرّ و أنت أرحم الراحمين، فقد تأدّب هنا من وجهين أحدهما أنه لم يقل انک أمسستنى بالضرّ، و الاخر لم يقل ارحمنى بل عرض تعريضا فقال: و أنت أرحم الراحمين و انما فعل ذلک حفظا لمرتبة الصبر.

و كذا قال إبراهيم عليه السّلام: و إذا مرضت فهو يشفين، و لم يقل إذا مرضتنى حفظا للأدب.

و قال أيوب عليه السّلام فى موضع آخر: إنّى مسّنى الشيطان بنصب و عذاب، أشار بذلک إلى الشيطان لأنّه كان يغرى النّاس فيؤذونه و كل ذلک تأدّب منهم مع اللّه تعالى فى مخاطبتهم.

قلت: و تأدّب آدم و زوجه عليهما السّلام بقولهما: ربّنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكوننّ من الخاسرين، و ترک ابليس الأدب معه تعالى بقوله: فبما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطک المستقيم.

8 - و العزلة، قال الإمام الصّادق عليه السّلام: صاحب العزلة متحصّن بحصن اللّه تعالى و متحرّس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سرا و علانيّة، و فى العزلة صيانة الجوارح و فراغ القلب و سلامة العيش و كسر سلاح الشيطان و المجانبة من كلّ سوء و راحة، و ما من نبىّ و لا وصىّ إلاّ و اختار العزلة فى زمانه إما فى ابتدائه و إما فى انتهائه - نقلناه من مصباح الشريعة.

و فى كشكول العلاّمة البهائى (ص 155 من طبع نجم الدوله) عن سفيان الثورى قال: سمعت الصّادق جعفر بن محمّد يقول: عزّت السلامة حتّى لقد خفى مطلبها فإن تكن فى شىء فيوشک أن تكون فى الخمول، فإن لم توجد فى الخمول

فیوشک أن تکون فی التخلّی و لیس کالخمول، و إن لم تکن فی التخلّی فیوشک أن تکون فی الصمت و لیس کالتخلّی، و إن لم توجد فی الصمت فیوشک أن یکون فی کلام السلف الصالح، و السعید من وجد فی نفسه خلوة.

و تأمّل فی قوله تعالی: «وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا » (مریم 18)، و العزلة هی الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء و الإنقطاع و أصلها عزل الحواس بالخلوة عن التصرف فی المحسوسات فإنّ کلّ آفة و فتنة و بلاء ابتلی الروح بها دخلت فیه بروازن الحواس فبالخلوة و عزل الحواس ینقطع مدد النفس عن الدنیا و الشیطان و إعانة الهوی و الشیطان.

9 - و التهجّد، قال اللّه تعالی: «وَ مِنَ اللَّیْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَکَ عَسی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقاماً مَحْمُوداً وَ قُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِی مُدْخَلَ صِدْقٍ وَ أَخْرِجْنِی مُخْرَجَ صِدْقٍ وَ اجْعَلْ لِی مِنْ لَدُنْکَ سُلْطاناً نَصِیراً » (الأسراء 81)، و قال تعالی: «إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی جَنّاتٍ وَ عُیُونٍ آخِذِینَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ کانُوا قَبْلَ ذلِکَ مُحْسِنِینَ کانُوا قَلِیلاً مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعُونَ وَ بِالْأَسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ » (الذاریات 18)، و قال تعالی: «یا أَیُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّیْلَ إِلاّ قَلِیلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِیلاً أَوْ زِدْ عَلَیْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلاً إِنّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلاً ثَقِیلاً إِنَّ ناشِئَةَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلاً إِنَّ لَکَ فِی النَّهارِ سَبْحاً طَوِیلاً وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ وَ تَبَتَّلْ إِلَیْهِ تَبْتِیلاً »، و قال تعالی: «وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ بُکْرَةً وَ أَصِیلاً وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً إِنَّ هؤُلاءِ یُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ وَ یَذَرُونَ وَراءَهُمْ یَوْماً ثَقِیلاً » (الانسان 28).

و روی الشّیخ الصدوق قدّس سرّه فی باب معنی التوحید و العدل من کتاب التوحید (ص 84) عن سلمان الفارسی رحمه اللّه تعالی انّه أتاه رجل فقال: یا أبا عبد اللّه إنّی لا أقوی علی الصلاة باللیل، فقال: لا تعص اللّه بالنهار، و فیه أیضا: جاء رجل إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی قد حرمت الصلاة باللیل، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: أنت رجل قد قیّدتک ذنوبک.

و روى الكلينى – قـده – فى باب الذنوب من كتاب الايمان و الكفر (ص 290 ج 2 من المعرب) بإسناده عن ابن بكير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل و إنّ العمل السيئ أسرع فى صاحبه من السكين فى اللحم.

روى الشّيخ الصدوق رضوان اللّه عليه فى الأمالى بإسناده عن المفضل قال:

سمعت مولاـى الصّـادق عليه السّـلام يقول: كـان فيمـا ناجى اللّه عزّ و جلّ به موسـى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كـذب من زعم أنه يحبّنى فـاذا جنّه الليل نام عنّى أليس كلّ محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟ ها أنا ذايا ابن عمران مطّلع على أحبّائى إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، و مثّلت عقوبتى بين أعينهم يخـاطبونى عن المشاهـدة و يكلّمونى عن الحضور، يـا ابن عمران هب لى من قلبک الخشوع و من بدنک الخضوع، و من عينيک (عينک – خ ل) الدّموع فى ظلم الليل و ادعنى فإنک تجدنى قريبا مجيبا.

10 – و التفكّر، قـال تعالى: «اَلَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هـذا باطِلاً سُـبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ » (آل عمران: 192)، و روى الكلينى فى الكافى (ج 2 ص 45 من المعرب) عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قـال: أفضـل العبادة إدمان التفكّر فى اللّه و فى قـدرته، و روى عن معمّر بن خلاّد قال: سـمعت الرضا عليه السّـلام يقول: ليس العبادة كثرة الصلاة و الصوم، إنما العبادة التفكّر فى أمر اللّه عزّ و جلّ ، و روى عن ربعى قال قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: إنّ التفكّر يدعو إلى البرّ و العمل به.

و روى العلاّمة البهائى فى الحديث الثانى من كتابه الأربعين باسـناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: من عرف اللّه و عظّمه منع فاه من الكلام، و بطنه من الطعام، و عنى نفسه بالصيام و القيام، قالوا: بابائنا و امّهاتنا يا رسول اللّه هؤلاء أولياء اللّه ؟ قال: إنّ أولياء اللّه سكتوا فكان سكوتهم فكرا و تكلّموا فكان كلامهم ذكرا، و نظروا فكان نظرهم عبرة، و نطقوا فكان نطقهم حكمة، و مشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لو لا الاجال الّتى قد كتبت عليهم لم

تستقرّ أرواحهم فی أجسادهم خوفا من العذاب و شوقا إلی الثواب، و رواه ثقة الإسلام الکلینی فی الکافی بأدنی تفاوت (الحدیث 25 من باب المؤمن و علاماته و صفاته من کتاب الإیمان و الکفر: ص 186 ج 2).

11 - و ذکر اللّه تعالی فی کل حال قلبا و لسانا قال تعالی: «وَ اذْکُرْ رَبَّکَ فِی نَفْسِکَ تَضَرُّعاً وَ خِیفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ وَ لا تَکُنْ مِنَ الْغافِلِینَ إِنَّ الَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ لا یَسْتَکْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ یُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ یَسْجُدُونَ » (آخر الأعراف).

و روی عن النبیّ صلی اللّه علیه و آله قال: ارتعوا فی ریاض الجنّة، فقالوا: و ما ریاض الجنّة ؟ فقال: الذکر غدوّا و رواحا فاذکروا، و من کان یحبّ أن یعلم منزلته عند اللّه فلینظر کیف منزلة اللّه عنده فانّ اللّه تعالی ینزل العبد حیث أنزل اللّه العبد من نفسه، ألا إنّ خیر أعمالکم و أزکاها عند ملیککم و أرفعها عند ربّکم فی درجاتکم و خیر ما طلعت علیه الشمس ذکر اللّه سبحانه و تعالی أخبر عن نفسه فقال: أنا جلیس من ذکرنی، و أیّ منزلة أرفع من منزلة جلیس اللّه تعالی. (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للدیلمی).

و فی کتاب الدّعاء من الکافی: فیما ناجی اللّه تعالی به موسی علیه السّلام قال:

یا موسی لا تنسنی علی کلّ حال فإنّ نسیانی یمیت القلب (ص 361 ج 2).

و فیه أیضا قال اللّه عزّ و جلّ لعیسی علیه السّلام: یا عیسی اذکرنی فی نفسک أذکرک فی نفسی و اذکرنی فی ملإک [ملئی - خ ل] اذکرک فی ملإ- خیر من ملإ- الادمیّین یا عیسی ألن لی قلبک و أکثر ذکری فی الخلوات، و اعلم أنّ سروری أن تبصبص إلیّ و کن فی ذلک حیّا و لا تکن میّتا. (ص 364 ج 2).

و فی الباب الأوّل من توحید الصّدوق رحمة اللّه علیه: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله ما قلت و لا قال القائلون قبلی مثل لا إله إلاّ اللّه.

و فیه أیضا قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: خیر العبادة قول لا إله إلاّ اللّه.

و فیه أیضا قال أبو عبد اللّه علیه السّلام: قول لا إله إلاّ اللّه ثمن الجنّة.

و فيه أيضا قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه جلّ جلاله: لا إله إلاّ اللّه حصنى فمن دخله أمن من عذابى.

و فيه أيضا عن زيد بن أرقم عن النّبىّ صلى اللّه عليه و آله، و كذا بإسناده عن محمّد بن حمران، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا دخل الجنّة و إخلاصه أن يحجزه لا إله إلاّ اللّه عمّا حرّم اللّه عزّ و جلّ .

و الذكر هو الخروج عن ذكر ما سوى اللّه بالنسيان عن غيره، و كلمة لا إله إلاّ اللّه ذكر معجون مركّب من النفى و الإثبات فبالنفى تزول الموادة الفاسدة الّتى يتولّد منها مرض القلب و قيود الروح، و باثبات إلاّ اللّه تحصل صحّة القلب و سلامته عن الرذائل من الأخلاق.

12 - و الرياضة فى طريقى العلم و العمل على النهج الّذى قرّره الشريعة المحمّديّة صلى اللّه عليه و آله فحسب، فدونها لا يوجب إلاّ بعدا و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال لما قد دريت آنفا أنّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم، و اعلم أنّ العلم و العمل بمنزلة جناحين للإنسان و لولاهما لما يقدر على الطيران إلى أوج الكمال و العروج إلى المعارج.

و النفس بالاعتبار الأوّل تسمّى نظرية و بالاعتبار الثانى عمليّة توضيحه أنّ لها باعتبار تأثّرها عمّا فوقها من المبادى باستفاضتها عنها ما تتكمّل به من التعقلات قوّة تسمّى نظرية، و لها أربع مراتب، و أنّ لها باعتبار تأثيرها فى البدن لتفيد جوهره كمالا تأثيرا اختياريا قوّة اخرى تسمّى عمليّة و لها أيضا أربع مراتب، على أنّ هذا الكمال الّذى يحصل للبدن بسببها فى الحقيقة تعود إليها لأنّ البدن آلة لها فى تحصيل العلم و العمل.

أما مراتب القوّة النظرية فلأنّ النفس فى مبدء الفطرة خالية عن العلوم كلّها لكنّها مستعدّة لها و إلاّ لامتنع اتّصافها بها و حينئذ تسمّى عقلا هيولانيا تشبيها لها بالهيولى الخالية فى نفسها عن جميع الصور القابلة إيّاها، ثمّ إذا استعملت آلاتها أعنى الحواسّ الظاهرة و الباطنة حصل لها علوم أوّليّة و استعدّت لاكتساب النظريات

و حينئـذ تسـمّى عقلاـ بالملكـة لأنّهـا حصـلت لها بسـبب تلك الأوليات ملكـة الانتقال إلى النظريات، ثمّ رتّبت العلوم الأوليـة و أدركت النظريات و حصـلت لها ملكـة الاسـتحضار بحيث تستحضـرها متى شاءت من غير كسب جديد لأجل تكرار الاكتساب لكن لا تشاهدها بالفعل بل صارت مخزونة عندها فهو العقل بالفعل لحصول قدرة الاسـتحضار للنفس بالفعل و إذا استحضرت العلوم مشاهدة إيّاها تسمّى عقلا مسـتفادا لأنّ النفس الانسانيّة فى آخر المراتب تصير عقلا لكن لا فعّالا للكمالات بل عقلا منفعلا بحسب قبول الكمالات من العقل الفعّال.

و أما مراتب القوّة العمليّـة فاوليها تهـذيب الظاهر باسـتعمال الشـرائع النّبويـة و النواميس الالهيّـة، و هـذه المرتبة تسـمّى عندهم التجلية – بالجيم، و بعبارة واضحة التجلية أن تورد النفس قواها و أعضائها بالمراقبة الكاملة تحت انقياد الأحكام الشرعيّة و النواميس الالهية و إطاعتها فتطيع أوامر الشـرع و تجتنب عن المنـاهى حتّى يظهر آثار الطهارة الظاهريـة فى الظاهر أعنى البـدن، و يحصل للنفس أيضا على التـدريج ملكـة التسـليم و الانقياد للسـلوك إلى طريق الحقّ تعالى و المتكفّل لحصول هـذه المرتبة هو علم الفقه على الطريقة الحقّة الجعفريّة ليس إلاّ.

و ثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الرديّة و نفض آثار شواغله عن عالم الغيب و تسـمّى هذه المرتبة التّخلية بالخاء، و بعبارة اخرى التّخلية أن يعرض النفس عن المضار الاجتماعيـة و الانفرادية و مفاسدهما يحذر من عواقبهما الوخيمة دنيوية و اخرويّة كالحسد و الحرص و الكبر و العجب و غيرهـا من الأخلاـق الرذيلـة المبيّنـة فى الكتب الأخلاقيّـة، و رفض تلك الرذائل عن النفس بمنزلـة علاج البـدن من الأمراض الجسـمانية، و شـرب المسـهل و الـدواء لقلعها فكما أنّ الجسم ما كان مريضا لم ينفعه غـذاء طيّب مقوّ و على الطبيب أن يداوى الجسم و يعالجه أوّلا ثمّ يقوّيه بالأغذيـة المقويّة كذلك الأمراض الروحيّة أعنى تلك الرذائل الأخلاقيّة ما لم يقلع من النفس و لم يسـلم النفس منها لم ينفعه الملكات الفاضلة.

ص:331

و ثالثها ما يحصل بعـد اتصالها بعالم الغيب و هو تحلّى النفس بالصور القدسـية و تسـمّى هـذه المرتبـة التّحليـة بالحاء المهملة، و بعبارة اخرى التّحلية أن تتحلّى النفس بعد حصول التخليه بحليّ الأخلاق الحميدة و الملكات الفاضلة الجميلة ممّا هى فى نظام الاجتماع و رشد الفرد و تكامله مؤثر جدّا فالتحلية طهارة معنوية و ما لم يتحقّق هذه الطهارة للانسان فهو ليس بطاهر حقيقة و إن كان ظاهره متّصفا بالطهارة و اتّصاف النّفس بها بمنزلة تقوية المريض بالأغذية المقويّة بعد خلاصه من الأمراض.

و رابعتها ما يتجلّى له عقيب ملكـة الإتّصال و الانفصال عن نفسه بالكلّيـة و هو ملاحظـة جمال اللّه و جلاله و قصـر النظر على كماله حتّى يرى كلّ قـدرة مضـمحلّة جنب قـدرته الكاملـة، و كلّ علم مسـتغرقا فى علمه الشامل بل كلّ وجود فائضا من جنابه، و تسـمّى هذه المرتبة بالفناء فى الحقّ ، رزقنا اللّه و جميع المؤمنين تلك النعمة العظمى و بلغنا إلى تلك الغاية القصوى، و له أيضا ثلاث مراتب: محو و طمس و محق المحو، فنـاء أفعال العبـد فى فعل الحقّ ، و الطمس، فناء صـفاته فى صـفات الحقّ و المحق، فناء وجوده فى ذات الحق، ففى الأوّل لا يرى فى الوجود فعلا لشـىء إلاّ للحق، و فى الثانى لا يرى لشىء من الوجود صفة إلاّ للحقّ ، و فى الثالث لا يرى وجودا لشىء إلاّ للحقّ ، و الفناء قسـمان: فناء اسـتهلاک كفناء أنوار الكواكب فى نور الشـمس، و حينئذ يبقى عين الفانى و ذاته و يرتفع حكم إنّيته، و فناء هلاک كفناء الأمواج عند سكون البحر، و حينئذ يزول الفانى و يرتفع عينه و لا يبقى أثره.

و نزيدک بيانا و نقول: غبّ ما حصـلت المراتب الثلاثة التجلية و التخلية و التحلية للسالک تحصل له ببركة الطهارة و الصفاء، جاذبة المحبّة و العشق إلى جناب الحقّ جلّ جلاله فتصير محبّا لما هو كمال له حقيقة من الحضور دائما عنده تعالى و عبادته و الخلوة معه و الانس به، و ذكره قلبا و لسانا، فتوجب تلک الأحوال تشديد المحبّة تدريجا و اشتعال نار المحبّة يسيرا يسيرا حتّى يذهل عن نفسه

و لا ـ يرى إلاّ هو، و يبلغ بحق اليقين إلى أنّه تعالى هو الأوّل و الاخر و الظّاهر و الباطن، و إلى أنه هو الظاهر لا غير، و أنّ الظاهر هو لا غير، و إلى أنّ البـاطن هو الظاهر، و أنّ الأوّل هو الاخر و الاخر هو الأوّل، و الكلّ تحت اسم الظاهر تـدوينا و تكوينا لفظا و عينا، و هـذه الحالة للعارف تسمّى بالفناء فى اللّه فالفناء ملاحظة جمال اللّه و جلاله و قصر النظر على كماله.

و للفناء ثلاث درجات: الاولى، الفناء فى الأفعال فيرى العارف فى هـذه الدرجـة المؤثّرات و المبادى و الأسـباب و العلل من المجرّدات و المادّيـات و من الطبيعيّـات و الإراديّات باطلـة بلا أثر، ألا كلّ شـىء ما خلا اللّه باطل، و لا يرى مؤثّرا إلاّ الحقّ جلّ جلاله و لا يرى قـدرة عاملـة و لا إرادة نافـذة فى الكائنات إلاّ قـدرته و إرادته، فيشـهد ذاتا غير متناهيـة، و إرادة و قـدرة غير متناهيتين حاكمة على الجميع، و عنت الوجوه للحىّ القيّوم، فيرى بعين الشـهود بلاـ شوب ريب حقيقـة الكريمـة: و مـا رميت إذ رميت و لكنّ اللّه رمى، فيكون لسان حاله مترنّما بمقـال لاـ حول و لاـ قوّة إلاّ باللّه، بلا شائبـة خيال و وهم بل بعين بصـيرة و قلب مستيقظ نبيه، و فى هـذا المقام يحصل له اليأس عمّا سواه تعـالى و الرجاء الواثق التامّ إليه تعالى، و يساوى عنـده بل يتّحـد قـدرة أعظم ملوك الأرض و قـدرة أخسّ ذوى النفوس كالبقّ مثلا، و هـذه الدرجة تسمّى بالمحو و إليه أشار صاحب المثنوى بقوله:

اين سببها بر نظرها پرده ها است كه نه هر ديدار صنعش را سزا است

ديده اى بايد سبب سوراخ كن تا حجب را بر كند از بيخ و بن

تا مسبّب بيند اندر لا مكان هرزه بيند جهد و أسباب دكان

و الثانية، الفناء فى الصـفات، فيرى العارف فى هذه الدرجة جميع أسـمائه تعالى و صفاته من صفات اللطف كالرحمن و الرّحيم و الرّازق و المنعم، و صفات القهر كالقهّار و المنتقم مستهلكة فى غيب الذات الأحديّة، و لا يرى إلاّ الذات

الأحديّة و لا يرى تعيّنا، و حينئذ يرتفع اختلاف المظاهر كالجبرئيل و العزرائيل و موسى و فرعون من عين صاحب هذا المقام، و يتّحد عنده و لا يتفاوت له اللطف و القهر و البسط و الغضب و العطاء و المنع و الجنّة و النّار و الصحّة و المرض و الفقر و الغنى و العزّة و الذلّة، و إلى هذه المرحلة أشار العارف المصقع بقوله:

گر وعده دوزخ است و يا خلد غم مدار بيرون نمى برند تو را از ديار دوست

و هذه الدرجة تسمّى بالطمس.

و اعلم أنّ صفاته تعالى إما ايجابيّة و إما سلبيّة و يقال لنعوته الإيجابيّة لكونها وجودية جماله تعالى، و لنعوته السلبيّة صفات الجلال لتجليله بأنّه المترفّع عن التركيب و الجوهرية و العرضيّة و الجسميّة و يقال: انّه ليس بمركب و ليس بعرض و ليس بجسم و ليس له ماهية و نحوها فلزم أن لا يكون مرئيا و مشاهدا بل و لا مدركا و لذا نسب الاحتجاب إلى صفة الجلال كما قيل:

جمالک فى كلّ الحقائق سائر و ليس له إلاّ جلالک ساتر

و قال المتأله السبزوارى قدّس سرّه:

پرده ندارد جمال غير صفات جلال نيست بر اين رخ نقاب نيست بر اين مغز پوست

و الصفات الجمالية و الجلاليّة يقال بمعنى آخر أيضا قال القيصرى فى الفصل الثانى من مقدماته على شرح الفصوص: انّ ذاته تعالى اقتضت بحسب مراتب الالوهيّة و الربوبيّة صفات متعددة متقابلة كاللطف و القهر و الرحمة و الغضب و الرضا و السخط و غيرها و تجمعها النعوت الجمالية و الجلالية إذ كلّ ما يتعلق باللطف فهو الجمال، و ما يتعلق بالقهر فهو الجلال.

و لكلّ جمال أيضا جلال كالهيمان الحاصل من الجمال الإلهى فإنّه عبارة عن انقهار العقل منه و تحيّره فيه، و لكلّ جلال جمال و هو اللطف المستور فى القهر الإلهى كما قال اللّه تعالى: «وَ لَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ »، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: سبحان من اتّسعت رحمته لأوليائه فى شدّة نقمته، و اشتدّت نقمته لأعدائه فى سعة رحمته، و من هنا يعلم سرّ قوله عليه السّلام: حفّت الجنّة بالمكاره

و حفّت النار بالشهوات، انتهى كلام القيصرى.

و الثالثة الفناء فى الذات، و العارف فى هذا المقام يرى جميع أنواع الكائنات المختلفة متّحدة كما أنّ الجاهل يحسبها متكثرة، إذ تعيّن كلّ واحد منها كالملك و الفلك و الإنسان و الحيوان و الأشجار و المعادن أو همه إلى الكثرة فظنّ أنها متبدّدة متعدّدة و لكن العارف فى ذلك المشهد العظيم يشاهد من عرش التجرد الأعلى إلى مركز التراب بصورة نجارستان انتقش بقلم التجلّى على جدرانه و سقفه و على جميع ما فى ذلك النجارستان عكوس علمه تعالى و قدرته و حياته و رحمته، و نقوش لطفه و قهره، و أشعة جماله و جلاله، و يشاهد جميع ما فى دار الوجود من برّها و بحرها و عاليها و دانيها و مجرّدها و مادّيها متّصلا بعضها ببعض و مرتبطا أحدها باخر و منضما هذا بذاك كهيكل انسان واحد مثلا، يخبر الجميع بنغمة موزونة واحدة عن عظمة العالم الربوبىّ ، و فى هذا المقام يتحقّق بحقيقة التوحيد و كلمة لا إله إلاّ اللّه الطيّبة، قائلا بلسان الحقيقة يا هو يا من ليس إلاّ هو، فإذن لا يبقى له و لا للممكنات الاخرى هويّة، بل هويّة الكلّ مضمحلّ و متلاش فى تجلّى حقيقة الحقّ سبحانه، لمن الملك اليوم للّه الواحد القهّار، و تسمّى هذه الدرجة بالمحق.

و ما حرّرنا فى مراتب القوّة العمليّة نبذة من إفاضات مولانا المكرّم و رشحة من فيوضات استاذنا العليم، الاية العظمى الميرزا أبى الحسن الرفيعى القزوينى متّع اللّه تعالى المسلمين بطول بقائه و أدام أيام افاداته - مع بعض إفاضات منّا مزيدا للإيضاح، و الحمد للّه باسط الرزق فالق الإصباح.

و اعلم أنّ الطهارة الحقيقيّة للنفس إنما هى حاصلة فى الثالثة من الدرجات لأنّها تطهير النفس عمّا عداه تعالى، قد أفلح من زكّيها.

و أنّ لسان الغيب الخواجه شمس الدّين الحافظ قدّس سرّه أشار فى بيته:

ساقى حديث سرو و گل و لاله مى رود اين بحث با ثلاثة غسّاله مى رود

إلى هذه الدرجات الثلاث فعبّرها بالثلاثة الغسّالة لتغسيلها النفس عن الأنجاس و الأدناس فبالفناء فى الأفعال ينبت الورد فى روضة سرّ القلب، و يستشمّ

العارف من رياض القدس ريح الورد، و بالفناء فى الصفات ينبت الشقائق فيها إشارة إلى تكامل الورد، و بالثالث ينبت السّر و فيها فيحيط أثر العمل شراشر وجود السالک فالجزاء مرتّب على وفق العمل فكلّما كان العمل أصعب و أشدّ كان جزاؤه أشرف و أسدّ، جزاء بما كانوا يعملون، نقل هذه اللطيفة المحقّق النراقى قدّس سرّه فى الخزائن عن الشّيخ محمّد الدارابى (ص 413 طبع علمية اسلامية 1380 ه ق).

و أنّ العلاّمة البهائى قدّس سرّه نقل فى أواخر المجلّد الأوّل من الكشكول (ص 143 من طبع نجم الدولة) عن النّبى صلى اللّه عليه و آله قال: خير الدّعاء دعائى و دعاء الأنبياء من قبلى و هو: «لا إله إلاّ اللّه وحده وحده وحده، لا شريک له، له الملک و له الحمد يحيى و يميت، و هو حىّ لا يموت، بيده الخير، و هو على كلّ شىء قدير»، و روى ثقة الإسلام الكلينى فى كتاب الدّعاء من الكافى (ص 375 ج 2 من المعرب) بإسناده عن علىّ بن النعمان، عمّن ذكره، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال جبرئيل عليه السّلام لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: طوبى لمن قال من امّتک: «لا إله إلاّ اللّه وحده وحده وحده»، و رواه الشّيخ الجليل الصدوق فى باب ثواب الموحّدين و العارفين من كتاب التوحيد باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى، عن أبى جعفر عليه السّلام (ص 8) و تثليث قول وحده فيها باعتبار توحيد الذات و الصفات و الأفعال، أفاده العالم المتأله السعيد القاضى السعيد فى شرح توحيد الصدوق.

فإذا زكيت نفسک فقد أفلحت و لاح فيک ما وعد اللّه تعالى عباده الصالحين و لم يكن حجابک إلاّ أنت، قال عزّ من قائل: «كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ كَلاّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » (المطفّفين: 16) قال الخواجة صائن الدّين على التركة فى آخر قواعد التوحيد: إنّ العلوم كلّها موجودة فينا لكنّها مختفية بالحجب المانعة عن الظهور، و لا يخفى عليک أنّ ظهورها تارة يكون بالحركات اللطيفة الفكريّة الروحانيّة بعد تسليط القوّة القدسيّة على قوّتى الوهميّة و المتخيّلة و سائر القوى الجسمانيّة و تهذيب الأخلاق و تزيين النفس بالأخلاق الحسنة، و تارة اخرى بتسكين المتخيّلة و المتوهّمة و إلجامهما و منعهما

عن الحركات المضطربة المشوشة بعد تسخير القوى الجسمانيّة بالتزكية و التصفية و كلا الطريقين حقّ عند أكثر المحقّقين من أهل النظر و أصحاب المجاهدة.

خذا بطن هرشى أو قفاها فإنّه كلا جانبى هرشى لهنّ طريق

و من اعتقد أنّه لا اعتبار بالتزكية و التصفية فى طريق التعلم و النظر ركب متن الهوى و الهوس حسب هذه العقيدة الفاسدة، و غلبت على نفسه الشهوة و الغضب و استولت عليه الرّذائل الطبيعة المهلكة، و حرمت عليها الفضائل الملكية المحيية و اشتغل بقراءة كتب مقلّدى الفلاسفة و زبر المتكلمين من أصحاب الجدل و المشاغبة و ضيّع عمره فى ضبط الاراء المتناقضة و حفظ الأحوال و الأقوال المتقابلة فأوقع نفسه فى لجج الخيالات الفاسدة و الأوهام الباطلة عند تلاطم أمواج الشكوك و الشبهات المفرقة فاضمحلّ نور قلبه و عميت بصيرته بتراكم الكدورات المظلمة و العقائد الفاسدة و ازداد فيه الجهل و التردد و حصل له البهت و التحيّر و لا يدرى أين يذهب فلحق به من الحق الغضب و ظنّ أن الكمال ما حصل له و وصل إليه و ليس ورائه حالة مرغوبة كمالية و لا سعادة باقية فتيقّن خبث هذه العقيدة و وجه ضررها من لطفه و استعذابه من مكره و غضبه.

13 - و عليک بما نقصّ عليک من قصص ثلاث هى من أحاسن القصص دستورا أما الاولى فقد روى ثقة الإسلام الكلينى فى باب المؤمن و علاماته و صفاته من كتاب الإيمان و الكفر من الكافى (ص 186 ج 2 من المعرب): أنّ الحسن بن علىّ صلوات اللّه عليهما خطب الناس فقال: أيها الناس أنا اخبركم عن أخ لى كان من أعظم الناس فى عينى، و كان رأس ما عظم به فى عينى صغر الدنيا فى عينه كان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد، و لا يكثر إذا وجد، كان خارجا من سلطان فرجه فلا يستخفّ له عقله و لا رأيه، كان خارجا من سلطان الجهالة فلا يمدّ يده إلاّ على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهّى و لا يتسخّط و لا يتبرّم، كان أكثر دهره صمّاتا فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل فى مراء و لا يشارک فى دعوى و لا يدلى بحجّة حتّى يرى قاضيا، و كان لا يغفل عن اخوانه و لا يخصّ نفسه بشىء دونهم، كان ضعيفا مستضعفا

فإذا جاء الجدّ كان ليثا عاديا، كان لا يلوم أحدا فيما يقع العذر فى مثله حتّى يرى اعتذارا، كان يفعل ما يقول و يفعل ما لا يقول، كان إذا بتزّه أمران لا يـدرى أيهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشـكو وجعا إلاّ عند من يرجو عنده البرء، و لا يستشـير (يسترشد - خ) إلاّ من يرجو عنـده النصـيحة، كان لا يتبرّم و لا يتسـخّط و لا يتشـكّى و لا يتشـهّى و لا ينتقم و لا يغفل عن العـدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمـة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلّها فأخذ القليل خير من ترک الكثير، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه، و هذا الحديث قد نسـبه الشـريف الرضـى رضوان اللّه عليه إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام و أتى به فى القسم الثالث من النهج أعنى فى باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام و هو المختار 289.

و رواه أبو محمّد الحسن بن علىّ بن شـعبة الحرّانى رحمة اللّه عليه عن أبى محمّد الامام الحسن بن علىّ المجتبى عليهما السّلام أيضا، كما فى الكافى و فى هامش نسـخة مخطوطة عتيقة من النهج توجد فى مكتبتنا: قال السـيّد الإمام السـعيد أبو الرضا رضـى اللّه عنه: وجدت هذا الفصل فى أدب ابن المقفع، و وجـدت فى كتاب آخر هـذا الكلام منسوبا إلى الحسن بن علىّ صـلوات اللّه عليهما، و نقل ذلک الحـديث العلاّمه البهائى أيضا فى أوائل المجلّد الثالث من كشكوله (ص 249 طبع نجم الدولة) من النهج أيضا من غير تعرّض فيه.

قلت: إذا دار الأـمر بين الجـامع الكافى و بين غيره من الجوامع الروائيـة فضـلا عن غيرها فلا ريب أنّ المتعيّن هو الأوّل، على أنّ روايـة ابن شعبة موافقة له و معاضدة، و بين النسخ تفاوت فى الجملة و نحن نقلناها من نسـخة مخطوطة مصـحّحة من الكافى مزدانة بعلائم المقابلة و التصـحيح من أوّلها إلى آخرها و بتعليقات أنيقـة رشـيقة، و بخط صـدر الدين السـيّد على خان المدنى قدّس سـرّه الّذى تقدّم ذكره فى هذه الرسالة غير مرّة على ظهرها و هذه صورته: «الحمد للّه سـبحانه، على هذه النسـخة الشريفة المعتمدة خط السيّد نصير الملة و الدين و خط ابن أخيه و صهره السيّد محمّد معصوم و خط ابنه والدى الأمير نظام الدين أحمد، و قد

قرأها على السيّد العلاّمة نور الدين ابن عليّ بن أبى الحسن العلوى قدّس اللّه سبحانه أسرارهم، كتب عليّ الصدر المدنى عفى عنه».

و أما الثانية فقد نقلها العلاّمة الشّيخ البهائى قدّس سرّه فى أوّل المجلّد الثالث من كتابه القيّم النفيس المسمّى بالكشكول (ص 245 من طبع نجم الدولة) حيث قال: من خط س(1) عن عنوان البصرى و كان شيخا قد أتى عليه أربع و تسعون سنة، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين فلمّا قدم جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام اختلفت إليه و أحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال يوما لى: إنّى رجل مطلوب و مع ذلك لى أوراد فى كل ساعة من آناء الليل و النهار فلا تشغلنى عن وردى و خذ عن مالك، و اختلف إليه كما كنت تختلف.

فاغتممت من ذلك، و خرجت من عنده، و قلت فى نفسى: لو تفرّس لى خيرا لما زجرنى عن الاختلاف إليه و الأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى اللّه عليه و آله و سلّمت عليه ثمّ رجعت من الغد إلى الروضة، و صلّيت فيها ركعتين و قلت: أسألك يا اللّه يا اللّه، أن تعطف عليّ قلب جعفر و ترزقنى من علمه ما أهتدى به إلى صراطك المستقيم، و رجعت إلى دارى مغتمّا و لم أختلف إلى مالك بن أنس لما اشرب فى قلبى من حبّ جعفر عليه السّلام فما خرجت من دارى إلاّ إلى الصّلاة المكتوبة حتّى عيل صبرى، فلمّا ضاق صدرى تنعّلت و تردّيت و قصدت جعفرا عليه السّلام و كان بعد ما صلّيت العصر، فلمّا حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك ؟ فقلت: السلام على الشريف، فقال: هو قائم فى مصلاّه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلاّ يسيرا إذا خرج خادم فقال: ادخل على بركة اللّه.

فدخلت و سلّمت عليه فردّ عليّ السّلام، و قال: اجلس غفر اللّه لك فجلست فأطرق مليّا، ثمّ رفع رأسه فقال: أبو من ؟ قلت: أبو عبد اللّه، قال: ثبّت اللّه

1- (1) هكذا فى ذلك الطبع بالسين المهملة فى الاول و الاخر، و فى طبع قم بالشين المعجمة و قال صديقنا الفاضل محمد صادق النصيرى زاده اللّه تعالى نصرا فى تعاليقه على الكشكول، كلمة شين المعجمة اشارة الى مجموعة الشهيد الثانى - ره -، منه.

كنيتک و وفّقک يا أبا عبد اللّه ما مسئلتک ؟ فقلت فى نفسى: لو لم يكن لى فى زيارته و التسليم عليه غير هذا الدّعاء لكان كثيرا.

ثمّ رفع رأسه فقال: ما مسئلتک ؟ قلت: سألت اللّه أن يعطف علىّ قلبک و يرزقنى من علمک و أرجو أنّ اللّه تعالى أجابنى فى الشريف ما سألته.

فقال: يا أبا عبد اللّه ليس العلم بالتعلّم و إنّما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارک و تعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أوّلا فى نفسک حقيقة العبودية و اطلب العلم باستعماله، و استفهم اللّه يفهمک.

قلت: يا شريف، قال: يا أبا عبد اللّه، قلت: يا أبا عبد اللّه ما حقيقة العبوديّة ؟ قال: ثلاثة أشياء أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله اللّه ملكا لأنّ العبيد لا يكون لهم ملک، يرون المال مال اللّه يضعونه حيث أمرهم اللّه به، و لا يدبّر العبد لنفسه تدبيرا و جعل اشتغاله فيما أمره اللّه تعالى به و نهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوّله اللّه ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره اللّه تعالى أن ينفق فيه و إذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبّره هان عليه مصائب الدنيا، و إذا اشتغل العبد بما أمره اللّه تعالى و نهاه لا يتفرّغ منهما إلى المراء و المباهاة مع الناس، و إذا أكرم اللّه العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدّنيا و إبليس و الخلق، و لا يطلب الدّنيا تكاثرا أو تفاخرا و لا يطلب ما عند النّاس عزّا و علوّا و لا يدع أيّامه باطلا، فهذا أوّل درجة التّقى، قال اللّه تعالى: «تِلْکَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ».

قلت: يا أبا عبد اللّه أوصنى، فقال: اوصيک بتسعة أشياء فانّها وصيّتى لمريدى الطريق إلى اللّه تعالى، و اللّه أسأل أن يوفّقک لاستعماله:

ثلاثة منها فى رياضة النّفس، و ثلاثة منها فى الحلم، و ثلاثة منها فى العلم فاحفظها، و إيّاک و التهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبى له.

قال: أمّا اللّواتى فى الرّياضة: فايّاک أن تأكل ما لا تشتهيه فانّه يورث الحماقة و البله، و لا تأكل إلاّ عند الجوع، و إذا أكلت فكل حلالا، و سمّ اللّه

و ذكّر حديث الرسول صلى اللّه عليه و آله: ما ملأ آدميّ وعاء شرّا من بطنه فإن كان و لا بدّ فثلث لطعامه، و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه.

فأمّا اللّواتى فى الحلم: فمن قال لک إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل له إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، و من شتمک فقل إن كنت صادقا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لى، و إن كنت كاذبا فيما تقول فأسئل اللّه أن يغفر لک، و من وعدک بالخنى فعده بالنصيحة و الدّعاء.

و أمّا اللّواتى فى العلم: فاسئل العلماء ما جهلت، و إيّاک أن تسئلهم تعنّتا و تجربة، و إيّاک أن تعمل برأيک شيئا، و خذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا، و اهرب من الفتيا هربک من الأسد، و لا تجعل رقبتک فى النّاس جسرا قم عنّى يا أبا عبد اللّه فقد نصحت لک و لا تفسد علىّ وردى فإنى امرؤ ضنين بنفسى و السّلام على من اتّبع الهدى، منقول كلّه من خطّ س. انتهى ما أتى به الشّيخ - ره - فى الكشكول.

قلت: تأمّل يا باغى السداد و طالب الرشاد و سالک الطريق إلى ربّ العباد فى هذه الصحيفة المكرّمة الّتى كتبت بقلم الولاية و انتقشت بما كلّه نور و هداية.

و اخاطب نفسى الخاطئة فأقول لها: أيتها الهالكة ما غرّک بربّک الكريم تعمل عنده الأعمال الفاضحة، قومى و سافرى إلى من خلقک فسوّاک فعدلک فى أىّ صورة مّا شاء ركّبک، ألا ترى أنّ ما سواه معتكف ببابه و مالک لا تطير إلى جنابه، صرفت العمر فى قيل و قال، و ضيّعته فى الجواب و السئوال، قومى فاغتنمى الفرصة، و اخلصى من الغصّة، إيّاک و التسويف فإنّه مبير الوضيع و الشريف، عليک بالحضور عند ربّک الغفور فإنّ الحضور يورث النور بل النور على النور و اللّه نور السموات و الأرض و جمالهما جلّ جلاله و عمّ نواله، أما قرأت الكتاب الحكيم القرآن العظيم يقول قائله عزّ اسمه و له الأسماء الحسنى: من جاهد فينا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا »، ألا رأيت كلام إمامک كشّاف الحقائق أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد الصّادق: ليس العلم بالتعلّم و إنما هو نور يقع على قلب من يريد اللّه تبارک و تعالى أن يهديه.

ص:341

اگر بودی کمال اندر نویسائی و خوانائی چرا آن قبلهٔ کل نانویسا بود و ناخوانا

إلی متی فی فراش الغفلة و اتخذی لک الخلوة، و انتبهی من النّوم، و توبی نصوحا فی الیوم، و علیک بالسکوت و الصوم، و قومی عن العشیرة و القوم، و یا نفسی الاثمة الجانیة و ازهدی فی الدّنیا الفانیة فإنّ حبّها جبّ کلّ عطیّة و رأس کلّ خطیئة، أعرضی عن دار الغرور، و توجهی إلی نور کلّ نور، لعلّ اللّه یحدث بعد ذلک أمرا، و عسی أن تأتیه فردا.

ای شده مغرور بدار غرور قد خسر الغافل یوم النشور

ای که فتادی ز ره عشق دور ألا إلی اللّه تصیر الامور

از چه نداری خبر از خویشتن یار حضور و تو نداری حضور

و ما إخالک بناج لما یداک قد حصّلنا من شرور

و لا تخافنّ سوی نفسکا ترس تو بیجا است ز مرگ و ز گور

و اللّه قد أظهر آیاته بیخبر است گر چه دل و دیده کور

هر چه توانی بره عشق کوش کامده از عشق همه در ظهور

دست ز أنبان شکم باز دار تا که دلت نور دهد همچو هور

هل کان عبد البطن عبد الإلاه ظلمتی از پرتو و نور است دور

آن بطلب کو بود أصل مراد إیّاک و الزّهد لوجدان حور

باش همی در ره دیدار یار إن شئت عیشا دائما فی السرور

این سر بیهوش تو از خیرگی لما یفیقنّ إلی نفخ صور

این دل زنگار تو را راه نیست فی ساحة القدس من اللّه نور

نعم لئن تبت نصوحا عسی أن یغفر اللّه الرّحیم الغفور

فی ظلمة اللیل تناجی الإلاه تکلّم اللّه کموسی بطور

و ابک بکاء عالیا قانتا عند صلاة لیلک بالحضور

نیست گرت مرده دلی بهر چه لست لربّک بعبد شکور

مرد خدا را حسنا روی دل سوی حضور است نه حور و قصور

فیامن خلقنی من العدم، یا من کرّم بنی آدم یا نور المستوحشین فی الظلم یا شاهد کلّ نجوی، یا من إلیه الکل یسعی، یا من هو بدّنا اللازم، یـا من جری فی الخلق حکمه الجـازم، یـا من إلی بـابه ألوذ، یـا من به من شـرّ نفسـی أعوذ، یا من تحیّر فیه ما سواه، یا من نطق به الألسن و الأفواه.

ای که زبانها به تو گویاستی ایکه دل و دیدهٔ بیناستی

ای که صفات تو و ذاتت نکو است ای که ز هر عیب مبرّاستی

ای که ز نور رخ زیبای تو روی همه خرّم و زیباستی

ای که سزای دل شوریدگان شورشی از عشق تو برپاستی

ای که ز تو مرغ شباهنگ را نالهٔ جانسوز سحرهاستی

دست حسن گیر و رهائیش ده ای که ز راز دلش آگاستی

و أمّا الثالثة فهی مکاتبة جرت بین العالمین الشّیخ أبی سـعید بن أبی الخیر و الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا و لمّا رأینا کثرة فوائدها أتینا بها مزیدا للفائدة و قد نقلها الشّیخ البهائی فی أواخر الکشکول (ص 623 من طبع نجم الدولة و ص 595 ج 2 من طبع قم)، و لکنّ صورتها علی طبع قم مشوشـة بل مشوهـة جـدّا، و هی منقوله أیضا فی نامه دانشوران فی ترجمـة الشّیخ الرئیس أکمل ممّا فی الکشـکول و قـد نقل القاضی نور اللّه الشهید نبذة من کلام الشّیخ الرئیس فی مجالس المؤمنین و هذه صورتها:

کتب الشـیخ أبو سعید بن أبی الخیر إلی الشّیخ الرئیس أبی علیّ بن سینا أیها العالم وفّقک اللّه لما ینبغی، و رزقک من سعادة الأبد ما تبتغی، إنّی من الطریق المسـتقیم علی یقین إلاّ أنّ أودیـة الظنون علی الطریق المسـتجدّ (الجد - خ) متشـعبّة، و إنّی من کلّ طالب طریقه لعلّ اللّه یفتح لی من باب حقیقة حاله بوسیلة

تحقيقه و صدقة تصديقه، و إنّک بالعلم وفقت لموسوم، بمذاكرة أهل هذا الطريق مرسوم، فأسمعنى ما رزقت، و بيّن لى ما عليه وقفت، و إليه وفّقت، و اعلم أنّ التذبذب بداية حال الترهّب، و من ترهّب ترأب، و هذا سهل جدّا، و عسر إن عدّ عدّا، و اللّه ولىّ التوفيق.

فأجابه الشيخ الرئيس: وصل خطاب فلان مبيّنا ما صنع اللّه تعالى لديه (إليه - خ) و سبوغ نعمه عليه، و الاستمساک بعروة الوثقى، و الاعتصام بحبله المتين و الضرب فى سبيله، و التولية شطر التقرب إليه، و التوجه تلقاء وجهه، نافضا عن نفسه غبرة هذه الخربة، رافضا بهمّته الاهتمام بهذه القذرة - أعزّ وارد و أسرّ واصل و أنفس طالع و أكرم طارق، فقرأته و فهمته و تدبّرته و كرّرته و حقّقته فى نفسى و قرّرته فبدأت بشكر اللّه واهب العقل و مفيض العدل، و حمدته على ما أولاه، و سألته أن يوفّقه فى اخراه و اولاه، و أن يثبّت قدمه على ما توطّاه، و لا يلقيه إلى ما تخطّاه، و تزيده إلى هدايته هداية، و إلى درايته الّتى آتاه دراية، إنّه الهادى المبشّر و المدبّر المقدّر، عنه يتشعّب كلّ أثر، و إليه يستند الحوادث و العبر (الغير - خ) و كذلک تقضى الملكوت، و يقضى الجبروت و هو من سرّ اللّه الأعظم يعلمه من يعلمه و يذهل عنه من لا يعصمه، طوبى لمن قاده القدر إلى زمرة السعداء، و حادبه عن رتبة الأشقياء، و أوزعه استرباح البقاء من رأس مال الغنى، و ما نزهة هذا العاقل فى دار يتشابه فيها عقبى مدرک و مفوّت، و يتساويان عند حلول وقت موقّت، دار أليمها موجع، و لذيذها مشبع، و صحّتها قسر الأضداد (قران الأضداد - خ) على وزن و اعداد، و سلامتها استمرار فاقة إلى استمراء مذاقة، و دوام حاجة إلى مجّ مجاجة.

نعم و اللّه ما المشغول بها إلاّ مثبّط ، و المتصرّف فيها إلاّ مخبّط ، موزّع البال بين ألم و يأس، و نقود و أجناس، أخيذ حركات شتّى، و عسيف أوطار تترى و أين هو من المهاجرة إلى التوحيد، و اعتماد النظام بالتفريد، و الخلوص من التشعب إلى التّراب، و عن التذبذب إلى التهذّب، و عن ناد (باد - خ) يمارسه إلى

أبد يشارقه، هناک اللذّة حقّا، و الحسن صدقا، سلسال كلّما سقيته على الرّىّ كان أهنى و أشفى، و رزق كلّما أطعمته على الشبع كان أغذى و أمرىء، رىّ استبقاء لارىّ إباء، و شبع استشباع لا شبع استبشاع.

و نسأل اللّه تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوة، و عن قلوبنا القساوة، و أن يهدينا كما هداه، و يؤتينا ممّا آتاه، و أن يحجز بيننا و بين هذه الغارّة الغاشّة البسور فى هيأة الباشّة، المعاسرة فى حلية المياسرة، المفاصلة فى معرض المواصلة و أن يجعله إمامنا فيما آثر و أثّر، و قائدنا إلى ما صار إليه و سار، إنّه ولىّ ذلک.

فأمّا ما التمسه من تذكرة ترد منّى و تبصرة تأتيه من قبلى و بيان يشفيه من كلامى فكبصير استرشد من مكفوف، و سميع استخبر عن موقور السمع غير خبير فهل لمثلى أن يخاطبه بموعظة حسنة، و مثل صالح، و صواب مرشد، و طريق أسنّه له منفذ، و إلى غرضه الّذى أمّه منفذ؟.

و مع ذلک فليكن اللّه تعالى أوّل فكره و آخره، و باطن اعتباره و ظاهره و لتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه، و قدمها موقوفة على المثول بين يديه مسافرا بعقله فى الملكوت الأعلى، و ما فيه من آيات ربّه الكبرى، فإذا انحطّ إلى قراره فلير اللّه فى آثاره فإنّه باطن ظاهر تجلّى بكلّ شىء لكلّ شىء.

ففى كلّ شىء له آية تدلّ على أنّه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكة، و هذه الخصلة وتيرة، انطبع فى فصّه نقش الملكوت، و تجلّى له آية قدس اللاّهوت، فألف الأنس الأعلى، و ذاق اللذّة القصوى، و أخذ عن نفسه إلى من هو به أولى، و فاضت عليه السكينة، و حفّت به الطمأنينة، و اطّلع على الأدنى اطّلاع راحم لأهله مستوهن بحبله (بخيله - خ):

مستخفّ لثقله، مستحسن لفعله، مستطل لطرفه، و يذكر نفسه و هى بهجة فتعجّب منهم تعجّبهم منه، و قد ودعها و كان معها كمن ليس معها.

و ليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاة، و أمثل السكنات الصيام، و أرفع (أنفع - خ) البرّ الصدقة (و أفضل البرّ العطا - خ) و أزكى السّير الاحتمال، و أبطل السعى

ص:345

الرياء (و أفضل السعى المراياة – على نسخة مجالس المؤمنين)، و لن تخلص النفس عن البدن ما التفتت إلى قيل و قال، و مناقشة و جدال، و انقلعت بحالـة من الأحوال، و خير العمل ما صـدر عن مقام نيّـة (عن خالص نيّة – خ) و خير النيّة ما ينفرج عن جناب علم، و الحكمة ام الفضائل، و معرفة اللّه أوّل الأوائل، إليه يصـعد الكلم الطيّب، و العمل الصالح يرفعه، أقول قولى هذا و أسـتغفر اللّه و أستهديه و أتوب إليه و أستكفيه، و أسأله أن يقرّبنى إليه إنّه سميع مجيب.

ثمّ يقبل على هذه النفس المزيّنة بكمالها الذاتى، و يحرسـها عن التلطّخ بما يشـينها من الهيئات الانقيادية للنقوش المادية الّتى إذا بقيت فى النفس المزينـة كـانت حالهـا عنـد الانفصـال كحالهـا عنـد الاتصال، إذ جوهرها متثاوب و لا مخالطـة و إنّما يدنّسـها هيئـة الانقياد لتلك الصواحب بل يفيـدها هيئات الاستيلاء و الاسـتعلاء و الرياسـة و لـذلک يهجرا كـذب قولک، و يخلّى حتّى تحـدث للنّفس هيئـة صـدوقة فيصدّق الأحلام و الرؤيا و اللذّات، فليستعملها على اصلاح الطبيعة و إلقاء الشخص و النوع و السياسة.

و أمّا المشروب فأن يهجر شربه ملهيا بل تشفّيا تداويا، و يعاشر كلّ فرقة بعادته و رسمه، و يسمح بالمقدور من المال و يترک لمساعدة النّاس كثيرا ما هو خلاف طبعه، ثمّ لا يقصـر فى الأوضاع الشـرعيّة، و تعظيم السنن الإلهيّة و المواظبات على التعبدات البدنيّة، و يكون دوام عمره إذا خلاـ و خلص من المعاشـرين، نظر بالرويّـة و الفكرة فى الملوک الأول و ملكها، و اكبس عن عثار النّاس من حيث لا تقف على النّاس، عاهد اللّه أن تسير بهذه السيرة و تدين بهذه الدّيانة، و اللّه وليّ الّذين آمنوا حسبنا اللّه نعم الوكيل.

هذا آخر المكاتبة، و قد نقل منها الشّـيخ فى الكشـكول – إلى قوله: إنّه سميع مجيب، و نقلنا بعده من نامهٔ دانشوران، و نقل القاضى نور اللّه الشـهيد نوّر اللّه مرقده فى المجالس بعد قوله: إنّه سـميع مجيب، هذا السطر أيضا: و الحمد للّه ربّ العالمين، و الصّلاة و السّلام على خير خلقه محمّد و آله أجمعين.

ص:346

14 - کن عالی الهمّة، علی حدّ لا تعبد إلاّ إیّاه تعالی، و لا تکن فی إعراضک عن متاع الدّنیا و طیّباتها معاملا و لا فی عباداتک أجیرا، و کن کما نطق به الناطق بالصواب میزان یوم الحساب، و فصل الخطاب أمیر المؤمنین و سیّد الوصیّین علیّ علیه السّلام: ما عبدتک خوفا من نارک و لا طمعا فی جنّتک بل وجدتک أهلا للعبادة فعبدتک.

تو بندگی چو گدایان بشرط مزد مکن که خواجه خود صفت بنده پروری داند

و فی الباب التاسع عشر من مصباح الشریعة: قال النبیّ صلی اللّه علیه و آله: قال اللّه تعالی:

من شغله ذکری عن مسئلتی أعطیته أفضل ما أعطی للسائلین.

و روی ثقة الإسلام الکلینیّ فی باب العبادة من کتاب الإیمان و الکفر من اصول الکافی (ص 68 ج 2 من المعرب) باسناده عن هارون بن خارجة عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: إنّ العبّاد ثلاثة: قوم عبدوا اللّه عزّ و جل خوفا فتلک عبادة العبید و قوم عبدوا اللّه تبارک و تعالی طلب الثواب فتلک عبادة الاجراء، و قوم عبدوا اللّه عزّ و جلّ حبّا له فتلک عبادة الأحرار و هی أفضل العبادة.

و رواه ابن شعبة رحمة اللّه علیه فی تحف العقول عن سیّد الشهداء أبی عبد اللّه الحسین علیه السّلام أیضا، حیث قال علیه السّلام: إنّ قوما عبدوا اللّه رغبة فتلک عبادة التجار و إنّ قوما عبدوا اللّه رهبة فتلک عبادة العبید، و إنّ قوما عبدوا اللّه شکرا فتلک عبادة الأحرار و هی أفضل العبادة، و هذا بعینه منقول فی النهج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام (المختار 237 من باب حکمه علیه السّلام).

فکن من أهل اللّه لا من أهل الدّنیا و لا من أهل الاخرة، و حقیقة الزهد أن یزهد فی الدّنیا و الاخرة، کما قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: الدّنیا حرام علی أهل الاخرة، و الاخرة حرام علی أهل الدّنیا، و هما حرامان علی أهل اللّه.

و فی ذلک الباب من الکافی بإسناده عن عمرو بن جمیع، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله: أفضل النّاس من عشق العبادة فعانقها و أحبّها بقلبه

و باشرها بجسده و تفرّغ لها، فهو لا يبالى على ما أصبح من الدّنيا على عسر أم على يسر.

أقول: هـذه الروايـة قـد نطقت بالعشق، و فى عشق من سـفينة البحار للمحدث القمّى رحمة اللّه عليه: النبوى صـلى اللّه عليه و آله أنّ الجنّة لأعشق لسلمان من سلمان للجنّة.

و فى تاسع البحار (ص 580) عن الخرائج: روى عن أبى جعفر عليه السّلام، عن أبيه قال: مرّ علىّ عليه السّلام بكربلا فقال لما مرّ به أصحابه و قد اغرورقت عيناه يبكى و يقول: هذا مناخ ركابهم، و هذا ملقى رحالهم، ههنا مراق دمائهم، طوبى لک من تربة عليها تراق دماء الأحبّة، و قال الباقر عليه السّلام خرج علىّ يسـير بالنّاس حتّى إذا كان بكربلا على ميلين أو ميل تقـدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يقال له المقدفان فقال: قتل فيها مائتا نبىّ و مائتا سبط ، كلّهم شهداء و مناخ ركاب و مصارع عشّاق شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم و يلحقهم من بعدهم.

و كم نرى من المقدّسـين الخشـک يطعنون فى أهـل اللّه باطلاـقهم العشق و مشـتقاته قائلين بأنّ أىّ خبر نطق به ؟ و هـذا خبرهم بل هـذه أخبارهم، على أنّه لو لم يأت به أثر فى الجوامع الروائية لكانت حجتهم داحضة و كلمتهم سفلى.

و فى الباب الرابع و الخمسين من إرشاد القلوب للديلمى و هو آخر أبواب الكتاب فيما سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ربّه ليلة المعراج: يا أحمـد وجوه الزاهـدين مصـفرّة من تعب الليل و صوم النهار، و ألسـنتهم كلال من ذكر اللّه تعالى، قلوبهم فى صدورهم مطعونة من كثرة صمتهم قد أعطوا المجهود من أنفسـهم لا من خوف نار و لا من شوق جنّة و لكن ينظرون فى ملكوت السـموات و الأرض فيعلمون أنّ اللّه سبحانه أهل للعبادة، يا أحمد هذه درجة الأنبياء و الصديقين من امّتک و امّة غيرک و أقوام من الشهداء - إلخ.

و فى بـاب اتباع الهوى من كتاب الايمان و الكفر من اصول الكافى (ص 251 ج 2 من المعرب) عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: يقول اللّه عزّ و جلّ : و عزّتى و جلالى و عظمتى و كبريائى و نورى و علوّى و ارتفاع مكانى لا يؤثر

عبـد هواه على هواى إلاّ شـتّت عليه أمره و لبست عليه دنياه و شـغلت قلبه بها و لـم اوته منها إلاّ ما قـدّرت له، و عزّتى و جلالى و عظمتى و نورى و علوّى و ارتفاع مكانى لا يؤثر عبـد هواى على هواه إلاّ اسـتحفظته ملائكتى و كفّلت السـموات و الأرضـين رزقه و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر و أتته الدّنيا و هى راغمة.

و إذا ذقت حلاوة ذكره تعالى و أنست به و رزقت جنّة اللقاء لا تطلب منه تعالى إلاّ إيّاه و تنسـى غيره، كما فى الباب التاسع عشر من مصباح الشـريعة قال الصّادق عليه السّلام: لقد دعوت اللّه مرة فاستجاب لى و نسيت الحاجة لأنّ استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم و أجلّ ممّا يريد منه العبد و لو كانت الجنّة و نعيمها الأبدى، و ليس يعقل ذلک إلاّ العاملون المحبّون العارفون صفوة اللّه و خواصّه انتهى.

و كأنما الشّيخ العارف السـعدى رضوان اللّه عليه يشـير إلى قوله عليه السّلام، حيث زيّن مطلع گلستانه بو رد بيانه: يكى از صاحبدلان سر بجيب مراقبت فرو برده و در بحر مكاشفت مستغرق گشته، حالى كه از آن حالت باز آمد، يكى از دوستان گفت: در اين بوستان كه بودى ما را چه تحفه آوردى ؟ گفت بخاطر داشتم كه چون بدرخت گل رسم دامنى پر كنم هديّهٔ أصحاب را، چون برسيدم بوى گلم چنان مست كرد كه دامن از دست برفت، و لقد أجاد، طيّب اللّه رمسه و قدّس سرّه.

فمن عبد اللّه تعالى طلب الثواب أو خوفا من العقاب فهو محروم عن اللذّة الحقيقيّة، بل إنّک إن فتّشته لم تجده إلاّ عابد هواه إن عبده تعالى رغبة، أو محبّا لنفسه لا لمولاه إن عبده رهبة، و قد أفاد الشّيخ الرئيس أبو علىّ بن سينا تغمّده اللّه بغفرانه فى مقامات العارفين بقوله:

المستحلّ توسيط الحقّ مرحوم من وجه فإنه لم يطعم لذّة البهجة به فيستطعمها إنّما معارفته مع اللذّات المخدجة فهو حنون إليها غافل عمّا ورائها، و ما مثله بالقياس إلى العارفين إلاّ مثل الصبيان بالقياس إلى المحنكين، فانّهم لمّا

غفلوا عن طيّبات يحرص عليها البالغون، و اقتصرت بهم المباشرة على طيّبات اللعب صاروا يتعجّبون من أهل الجدّ إذا زورّوا عنها عائفين لها عاكفين على غيرها، كذلک من غضّ النقص بصره عن مطالعة بهجة الحقّ أعلق كفّيه بما يليه من اللذّات لذّات الزور، فتركها فى دنياه عن كره، و ما تركها إلاّ ليستأجل أضعافها و إنّما يعبد اللّه تعالى و يطيعه ليخوّله فى الاخرة شبعه منها فيبعث إلى مطعم شهىّ و مشرب هنىء و منكح بهىّ ، و إذا بعثر عنه فلا مطمح لبصره فى اولاه و اخراه إلاّ إلى لذّات قبقبه و ذبذبه، و المستبصر بهداية القدس فى شجون الإيثار قد عرف اللذّة الحقّ و ولّى وجهه سمتها مسترحما على هذا المأخوذ عن رشده إلى ضدّه، و إن كان ما يتوخاه بكدّه مبذولا له بحسب وعده.

15 - التوبة و هى لا تنفک عمّن استبصر و إلاّ فليس بمستبصر، و لا أنسى عذوبة كلام سيّدنا الاستاذ محمّد حسن الإلهى المقدّم ذكره قدّس سرّه، و لطافة بيانه فى التوبة حيث قال: التوبة الحقيقيّة أن تتوب من خيرک و شرّک، و بعد تأمّل قليل قلت له: أمّا التوبة من الشرّ فلا كلام فيها، و أما التوبة من الخير فما مراد جنابک منها؟ فقال رضوان اللّه عليه: ما نحسبها خيرا من صلاتنا و صيامنا و قراءتنا القرآن و دراستنا و غيرها لو تأمّلنا فيها لرأيناها مخدجة غير كاملة - و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصة، و أن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الّذى يتقبّل اللّه و انما يتقبّل اللّه من المتقين، فما حسبناه خيرا ليس بخير حقيقة، فطوبى لمن وفّق بالتوبة ممّا حسبه خيرا و عمل ما هو خير واقعا.

و التوبة تذهب بدرن القلب، و تزيل رينه فإذا يستبصر التائب بدائه و دوائه و يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امّه، قال الامام الباقر عليه السّلام: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، و إذا تخلّصت النفس من الرذائل و تنزهت من أوساخ الذنوب فقد قبلت توبته، و أمّا البحث الكلامى عن التوبة فقد أشبعنا الكلام فيه فى شرحنا على المختار 235 من خطب النهج من كتابنا تكملة منهاج البراعة (ص 171 - إلى - 201

ص:350

من ج 15).

و قال السيّد بن طاوس قدّس سرّه الشريف فى أعمال شهر ذى القعدة من كتابه الإقبال: فصل: فيما نذكره ممّا يعمل فى يوم الأحد من الشهر المذكور و ما فيه من الفضل المذخور وجدنا ذلک بخطّ الشّيخ علىّ بن يحيى الخيّاط رحمه اللّه و غيره فى كتب أصحابنا الامامية و قد روينا عنه كلّما رواه و خطّه عندنا بذلک فى إجازة تاريخها شهر ربيع الأوّل سنة تسع و ستمائة فقال ما هذا لفظه:

روى أحمد بن عبد اللّه، عن منصور بن عبد الحميد، عن أبى أمامة، عن أنس بن مالک قال: خرج رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوم الأحد فى شهر ذى القعدة فقال: يا أيها الناس من كان منكم يريد التوبة ؟ قلنا: كلّنا يريد التوبة يا رسول اللّه، فقال عليه السّلام:

اغتسلوا و توضّأوا و صلّوا أربع ركعات و اقراوا فى كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة قل هو اللّه أحد ثلاث مرات و المعوذتين مرّة ثمّ استغفروا سبعين مرّة ثمّ اختموا بلا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم ثمّ قولوا: يا عزيز يا غفار اغفر لى ذنوبى و ذنوب جميع المؤمنين و المؤمنات فانّه لا يغفر الذّنوب إلاّ أنت.

ثمّ قال عليه السّلام: ما من عبد من امّتى فعل هذا إلاّ نودى من السماء يا عبد اللّه استأنف العمل فإنک مقبول التوبة مغفور الذنب.

و ينادى ملک من تحت العرش أيها العبد بورک عليک و على أهلک و ذرّيتک.

و ينادى مناد آخر أيها العبد ترضى خصماؤک يوم القيامة.

و ينادى ملک آخر أيها العبد تموت على الإيمان و لا أسلب منک الدين و يفسح فى قبرک و ينوّر فيه.

و ينادى مناد آخر أيها العبد يرضى أبواک و إن كانا ساخطين و غفر لأبويک ذلک و لذريتک و أنت فى سعة من الرزق فى الدنيا و الاخرة.

و ينادى جبرئيل عليه السّلام: أنا الّذى آتيک مع ملک الموت عليه السّلام أن يرفق بک و لا يخدشک أثر الموت انما تخرج الروح من جسدک سلاّ (سلاما - خ).

قلنا: يا رسول اللّه لو أنّ عبدا يقول فى غير الشهر؟ فقال عليه السّلام: مثل ما وصفت

و إنما علّمنی جبرئیل علیه السّلام هذه الکلمات أیّام اللّه ربّی (أیّام اسری بی – خ).

و نـذیّل الرسالـة بقصـیدة الفارسـیّة تفوّه بها هذا الراجی لقاء ربّه الرّحیم و قد فرغ منها فی أوائل ذی الحجّة 1388 ه ق، و سـمّاها بالقصیدة اللّقائیّة:

ای دل بدر کن از سرت کبر و ریا را خواهی اگر بینی جمال کبریا را

تا با خودی بیگانه ای از آشنایان بیگانه شو از خود شناسی آشنا را

عنقای أوج قاف قرب دلبر من در زیر پر بگرفته کلّ ما سوا را

در پایتخت کشور دل پادشاهی منگر مگر سلطان یهدی من یشا را

مرآت أسماء و صفات حق بود دل مشکن چنین آیینهٔ ایزد نما را

ای همدم کرّ و بیان عالم قدس از خود بدر کن لشکر دیو دغا را

تا از سواد و از خیال و از بیاضت فانی شوی بینی جهان جان فزا را

گر جذبه ای از جانب جانانه یابی بازیچه خوانی جذب کاه و کهربا را

گاهی ز اشراق رخ مهر آفرینش بر آسمان جان دهد رشک ضیا را

گاهی ز زلف مشکسای دلربایش آشفتهٔ خود می کند أحوال ما را

دل در میان اصبعین او است دائم از قبض و بسطش فهم کن این مدّعا را

اللّه قد خلقکم أطوارا أی قوم کیف فلا ترجون للّه وقارا

در آستان لطف آن محبوب یکتا دریوزه گر بینم همه شاه و گدا را

تسبیح گوی ذات پاک لا یزالیش بنگر ز ذرّات ثریّا تا ثری را

بنیوش از من باش دائم در حضورش تا در حضور او چه ها یابی چه ها را

گر تار و پود بودم از هم بر شکافی جز او نخواهی یافت این دولت سرا را

در چشم حق بینم من او او من نباشد یکتاپرستم من نمی دانم دو تا را

عشق منش از گفتهٔ استاد نبود نوشیده ام با شیر مادر این غذا را

تنها نه من سرگشته ام ز ان رو که بینم نالان و سرگردان او أرض و سما را

تنها نه من در حیرتم از سرّ انسان بل صار فیه القوم کلّهم حیاری

فکری بکن بنگر که ای و در کجائی هم از کجا بودی و می خواهی کجا را

ص:352

دردا که ما را آگهی از خویش نبود ور نه بما کردی عطا کشف غطا را

دردت اگر باشد پی درمان دردت از چه نجوئی از طبیب خود دوا را

یارت دهد اندر حریم خویش بارت مر آزمونرا گوی از اخلاص یا را

بیدار باش و در ره زاد أبد کوش بگسل ز خود دام هوسها و هوا را

بر آب زن اوراق نقش این و آنرا بر دل نشان أحکام قرآن و دعا را

در خلوت شبهای تارت می توانی آری بکف سرچشمهٔ آب بقا را

گوئی خلیل آسا اگر وجّهت وجهی گردد بتو راز نهانی آشکارا

تسلیم باش و سر بنه اندر رضایش بر بند لب از گفتن چون و چرا را

از رحمت بی انتهای خویش دارد وابستهٔ دام بلا أهل ولا را

زاهد بود سوداگر و عابد أجیری محو است و طمس و محق أرباب وفا را

آیین مردان خدا تقوی است تقوی مرزوق عند اللّه بین أهل تقی را

ره رو چنانکه مردم هشیار رفتند راهی مبین جز راه و رسم مصطفی را

گر مشکلی پیش آیدت ایسالک ره ناد علیّا آن شه مشکل گشا را

خواهی روی اندر منای عاشقانش بار سفر بر بند سوی کربلا را

گفتار نیکو باید و کردار نیکو تا در جزای این و آن یابی لقا را

أبناء نوعت را ز خود خوشنود می دار خواهی ز خود خوشنود أر داری خدا را

بیچاره ایم ای چارهٔ بیچاره گانت جز تو که یارد دست ما گیرد نگارا

عارم بود از این کلیمی أربعینم از جود تو دارم من امید عطا را

تسخیر خود کن نجم را آنسان که کردی تسخیر خود مهر و مه و استاره ها را

و قد فرغنا من تألیف هذه الرسالة اللقائیة فی بلدنا الامل وقت السحر من لیلة الاثنین السادسة عشر من ربیع المولود من شهور سنة تسع و ثمانین و ثلاثمائة بعد الألف من الهجرة علی هاجرها الف تحیّة و سلام، رزقنا اللّه تعالی القرب منه و نعمة لقائه.

و من كتاب له عليه السلام الى أهل البصرة و هو

اشارة

المختار التاسع و العشرون من باب المختار

من كتبه و رسائله

و قد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم ما لم تغبّوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم فإن خطت بكم الأمور المردية، و سفه الاراء [الأراء - معا] الجائرة إلى منابذتى و خلافى فها أنذا [أناذا - نسخة] قد قرّبت جيادى و رحلت ركابى. و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلاّ كلقعة لاعق، مع إنّى عارف لذى الطّاعة منكم فضله و لذى النّصيحة حقّه، غير متجاوز متّهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ .

المصدر

رواه أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفىّ الكوفىّ المتوفّى 283 ه - ق فى كتاب الغارات.

بعث أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام جارية بن قدامة إلى أهل البصرة على ما يأتى تفصيله فى المعنى، و كتب معه هذا الكتاب إليهم، و هذا المختار بعض ذلک الكتاب و هذه صورته الكاملة:

ص:354

من عبـد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هـذا من ساكنى البصـرة من المؤمنين و المسـلمين: سـلام عليكم أمّا بعد فإنّ اللّه حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبـة قبل البيّنة، و لا يأخذ المذنب عند أوّل وهلة، و لكنّه يقبل التوبة، و يسـتديم الأناة، و يرضـى بالإنابة، ليكون أعظم للحجّة، و أبلغ فى المعذرة.

و قـد كان من انتشار حبلكم و شـقاقكم ما لم تغبّوا عنه فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مـدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتى، و تقبلوا نصـيحتى، و تستقيموا على طاعتى، أعمل فيكم بالكتاب و السنّة و قصد الحق و اقيم فيكم سبيل الهدى، فو اللّه مـا أعلم أنّ واليا بعـد محمّـد صـلى اللّه عليه و آله أعلم بـذلک منّى و لا أعمل بقولى، أقول قولى هـذا صادقا غير ذامّ لمن مضـى، و لا متنقص لأعمالهم.

و إن خطت بكم الأهواء المردية، و سفه الاراء الجائرة إلى منابذتى تريدون خلافى فها أنا ذا قد قرّبت جيادى، و رحلت ركابى، و أيم اللّه لئن ألجأتمونى إلى المسـير إليكم لأوقعنّ بكم وقعـة لا يكون يوم الجمل إليها إلاّ كلعقـة لاعق، مع أنّى عارف لذى الطاعة منكم فضـله، و لذى النصيحة حقّه، غير متجاوز متّهما إلى برىء، و لا ناكثا إلى وفىّ .

و إنّى لظانّ أن لا تجعلوا إن شاء اللّه على أنفسـكم سبيلا، و قـد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجّة عليكم و لن أكتب إليكم من بعده كتابا، إن أنتم استغششتم نصيحتى، و نابذتم رسولى حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام.

اللغة

(الحبل)كنايـة عن العهد و(الانتشار)كناية عن نقضه. قال الراغب فى المفردات: الحبل معروف، قال عزّ و جلّ :«فِى جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ »و شـبّه به من حيث الهيئة حبل الوريد و حبل العاتق و الحبل المستطيل من الرمل و استعير للوصل و لكلّ ما يتوصّل به إلى شىء، قال عزّ و جلّ :«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ »

ص:355

«جَمِيعـاً »فحبله هو الّـذى معه التوصّـل به إليه من القرآن و العقـل و غير ذلک ممّا إذا اعتصـمت به أدّاک إلى جواره، و يقال للعهـد: حبل. انتهى.

(لم تغبوا عنه) ذهب الشرّاح و المترجمين إلى أنّ كلمة تغبوا مشتقّة من غبى فهى فى الأصل ناقصة اللاّم، قال الفاضل الشارح المعتزلى: ما لم تغبوا عنه أى لم تسـهوا عنه و لم تغفلوا، يقال: غبت عن الشـىء أغبى غباوة إذا لم يفطن، و غبى الشـىء علىّ كذلک إذا لم تعرفه، و فلان غبىّ على فعيل، أى قليل الفطنـة، و قد تغابى، أى تغافل، يقول لهم: قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعة و نشـركم حبل الجماعة و شقاقكم إلى ما لستم أغبياء عنه فعفوت و رفعت السيف و قبلت التوبة.

انتهى كلامه، و هكذا قد حذا حذوه غيره من الشراح.

قلت: الكلمـة مشـتقة من الإغباب فهى فى الأصل مضاعف، و هى مختار الشـريف الرضـى، كما فى نسـخة الّتى قوبلت و صـحّحت على نسخته، و قد مرّ ذكرها غير مرّة، و الكلمة المشكولة فى تلک النسخة بضمّ التاء و كسر الغين المعجمة و تشديد الباء الموحّدة، قال ابن الأثير فى النهايـة: و فى حـديث هشـام كتب إليه الجنيـد يغبّ عن هلاـک المسـلمين أى لم يخبره بكثرة من هلـک منهم مأخوذ من الغبّ الورد فاستعاره لموضع التقصير فى الإعلام بكنه الأمر، و قيل: هو من الغبّة و هى البلغة من العيش. انتهى.

(خطت بكم) أى تجاوزت من الخطو، (المرديـة): المهلكة، (الجائرة) المائلة عن الحق (المنابذة) المخالفة و المظاهرة للعداوة (فها أنذا) أو فهأنذا، أصلهما فها أناذا.

(جيـاد) جمع جواد، أى فرس سـريع الجرى رائع، (الركـاب): الابـل، رحل البعير من باب منع أى شـدّ على ظهره الرحل، و الرحل مركب للبعير أصغر من القتب، و فى منتهى الأرب: رحل البعير رحلا پالان بر نهاد بر شتر.

(اللعقة)بفتح اللاّم فعلة للمرّة من اللعق بمعنى اللحس، و فى بعض النسخ

ص:356

مشكولة بضمّها كلقمه و هى اسم ما تأخذه فى الملعقة أو الأصبع، و القليل ممّا يلعق و لكنّ الاولى مطابقة لمختار الرضى و هى كناية عن قلّة اللّبث، (و لا ناكثا) أى ناقضا لعهده.

الاعراب

(ما لم تغبوا عنه) كلمة ما اسم كان اخّر عن الخبر المقدّم لتوسع الظروف (فهأنذا) جواب إن الشرطية فى قوله: فإن خطت (إلى منابذتى) متعلّق بقوله:

خطت، اللاّم فى (لئن ألجأتمونى) تسمّى اللاّم المؤذنة و الموطّئة أيضا و هى اللاّم الداخلة على أداة الشرط و أكثر ما تدخل على إن، سمّيت المؤذنة للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط سواء كان ذلک القسم مذكورا أو مقدرا، و سمّيت المؤطّئة لأنها وطّأت أى مهّدت الجواب للقسم، و اللاّم فى لأوقعنّ لام جواب القسم، و جملة: لا يكون يوم الجمل، إلخ، صفة للوقعة.

(غير) منصوب حال بضمير إنّى (متّهما) على صيغة المفعول.

المعنى

قد علمت أنّ أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام بعث جارية بن قدامة إلى أهل البصرة و كتب معه هذا الكتاب إليهم قال كاتب الواقدى محمّد بن سعد فى الطبقات الكبرى (ص 56 ج 7 من طبع مصر): جارية بن قدامة السعدىّ بن زهير بن الحصين بن رزاح ابن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

قال: أخبرنا عبد اللّه بن نمير قال: حدّثنا هشام بن عروة عن أبيه عن الأحنف بن قيس عن ابن عمّ له يقال له جارية بن قدامة أنّه سأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فقال: يا رسول اللّه قل لى قولا ينفعنى و أقلل لى لعلىّ أعيه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله: لا تغضب، ثمّ أعاده عليه فقال: لا تغضب، حتّى أعاد عليه مرارا كلّ ذلک يقول له: لا تغضب.

قال: و جارية بن قدامة فيمن شهد قتل عمر بن الخطّاب، قال: و كنّا آخر

من دخل عليه فسألناه وصيّة و لم يسألها إيّاه أحد قبلنا.

و لجارية بن قدامة أخبار و مشاهد كان عليّ بن أبى طالب عليه السّلام بعثه إلى البصرة و بها عبد اللّه بن عامر بن الحضرمى خليفة عبد اللّه بن عامر بن كريز فحاصره فى دار سنيبل رجل من بنى تميم و كان معاوية بعثه إلى البصرة يبايع له، انتهى كلام ابن سعد.

قلت: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام إلى أهل البصرة هذا الكتاب مع جارية فى الواقعة الّتى أشار إليها ابن سعد و سيأتى تفصيل ذلک.

قوله عليه السّلام:(و قد كان من انتشار حبلكم-إلى قوله:و قبلت من مقبلكم)لمّا نقض أهل البصرة عهدهم الّذى عاهدوه أمير المؤمنين عليّا عليه السّلام و نكثوا بيعتهم إيّاه فى وقعة الجمل عبّر عن فعلهم هذا بقولهانتشار حبلكمفالحبل كناية عن العهد و الانتشار عن النكث كقوله تعالى:«وَ لا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً »(النحل 93)، و قوله عليه السّلام: ما لم تغبّوا عنه أى كنتم عالمين بما فعلتم من نقض عهدكم، ثمّ نبّههم بما فعل بعد ظفره عليهم من الاكرام و الاحسان فى إزاء ما أساءوا به بقوله: فعفوت عن مجرمكم و قد مضى ذكر سيرته عليه السّلام فى أهل البصرة فى شرحنا على المختار الثانى من باب الكتب (ص 93 ج 17) و سيرته عليه السّلام فى كلّ موطن لقيه عدوّ فى شرحنا على المختار الرابع عشر من ذلک الباب (ص 133 ج 18).

قوله عليه السّلام:(فإن خطت بكم الامور - إلخ) لمّا كان معاوية بعث بعد وقعة الجمل عبد اللّه بن عامر الحضرميّ إلى البصرة ليبايعهم له و كان سفه آرائهم الجائرة و امورهم المهلكة يجرّ أهلها إلى مخالفة أمير المؤمنين عليه السّلام و نقض عهده ثانيا أخبرهم موعدا بقوله فإن خطت اه، اى إن عدتم إلى الفتنة و نقض العهد بتلک الامور و الاراء من أهل الهوى و الضلال فها أناذا قد استعدت للقتال و الكرّة حتّى قرّبت جيادى و رحلت ركابى و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لاوقعنّ بكم وقعة أى حربا لا يكون وقعة الجمل بالنسبة إليها فى الحقارة و الخفّة إلاّ كلحسة لا حس و كأنّ فى كلامه عليه السّلام لئن ألجأتمونى إشارة إلى العفو عمّا مضى منهم أى إن كنتم

إلى الان اتّبعتم تلک الاراء فإن تبتم وعدتم إلى الحقّ عفوت عنکم و إلاّ فلا بدّ لی إلاّ المسير إليکم فاوقعن بکم کذا و کذا.

قوله عليه السّلام:(مع إنّی عارف - إلخ) أردف کلامه فی الإيعاد و التهديد بالتحبيب و التأليف فقال مع إنّی عارف بفضل ذی الطاعة منکم و حق ذی النصيحة منکم لا آخذ متّهما ببرىء، و لا ناکثا بوفیّ .

نعم إنّ من هو سلطان العالم الأرضی و خليفة اللّه فيه و ربّ إنسانیّ فائز بالخواصّ النبويّة فهو يؤتی کلّ ذی حقّ حقّه و لا يتصور فيه أن يتجاوز متّهما إلى برىء أو ناکثا إلى وفیّ و انما التجاوز من داب أبناء الدّنيا و عبيد الهوى، هذا هو زياد بن أبيه خطب بالبصرة الخطبة المشهورة الّتی تدعی البتراء ذکرها أبو عثمان الجاحظ فی البيان و التبيين ج 2 ص 61، و ابن قتيبة فی عيون الأخبار ج 2 ص 341، و أبو جعفر الطبری فی حوادث سنة 45 من تاريخه، و أبو علی القالی فی ذيل الأمالی ص 185 من طبع مصر، و أتی بها صاحب العقد الفريد أيضا.

قال الجاحظ : قال أبو الحسن المدائنی و غيره ذکر ذلک عن مسلمة بن محارب و عن أبی بکر الهذلیّ قالا: قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبی سفيان و ضمّ إليه خراسان و سجستان فخطب خطبة بتراء لم يحمد اللّه فيها و لم يصلّ علی النبیّ .

أما بعد فإنّ الجهالة الجهلاء و الضلالة العمياء و الغیّ الموفی بأهله علی النار ما فيه سفهاؤکم و يشتمل عليه حلماؤکم - إلى أن قال: و إنّی لأقسم باللّه لاخذنّ الولیّ بالولیّ (و فی نسخة العقد: لاخذن الولیّ بالمولی)، و المقيم بالظّاعن و المقبل بالمدبر، و المطيع بالعاصی، و الصحيح منکم فی نفسه بالسقيم حتّی يلقی الرجل منکم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلک سعيد، او تستقيم لی قناتکم - إلى آخر الخطبة.

قال: فقام إليه أبو بلال مرداس بن اديّة، و هو يهمس و يقول: أنبأنا اللّه بغير ما قلت، فقال: «وَ إِبْراهِيمَ الَّذِی وَفّی أَلاّ تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْری وَ أَنْ لَيْسَ »

«لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعى » و أنت تزعم أنک تأخذ البرىء بالسقيم، و المطيع بالعاصى و المقبل بالمدبر فسمعه زياد فقال: إنّا لا نبلغ ما نريد فيک و فى أصحابک حتّى نخوض إليكم الباطل خوضا.

و قال الجاحظ فى أوّل الجزء الثانى من البيان و التبيين: إنّ خطباء السّلف الطيّب، و أهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمّون الخطبة الّتى لم تبتدء بالتحميد و تستفتح بالتمجيد البتراء، و يسمّون الّتى لم توشّح بالقرآن و تزيّن بالصّلاة على النّبى صلى اللّه عليه و آله الشوهاء.

و أمّا ذكر تفصيل الواقعة فقد أفاد الفاضل الشارح المعتزلى فى الجزء الرابع من شرحه على المختار السادس و الخمسين من باب الخطب من النهج أوّله: و لقد كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلک إلاّ إيمانا و تسليما إلخ، بقوله: و هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى قصة ابن الحضرمى حيث قدم البصرة من قبل معاوية و استنهض أمير المؤمنين أصحابه إلى البصرة فتقاعدوا، قال: قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن سعيد بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات: حدّثنا محمّد بن يوسف قال: حدّثنا الحسن بن علىّ الزعفرانى عن محمّد بن عبد اللّه بن عثمان عن ابن أبى سيف عن يزيد بن حارثة الأزدى عن عمرو ابن محصن أنّ معاوية لما أصاب محمّد بن أبى بكر بمصر و ظهر عليها دعا عبد اللّه بن عامر الحضرمى فقال له: سر إلى البصرة فإنّ جلّ أهلها يرون رأينا فى عثمان و يعظمون قتله و قد قتلوا فى الطلب بدمه فهم متودّدون حنقون لما أصابهم ودّوا لو يجدون من يدعوهم و يجمعهم و ينهض بهم فى الطلب بدم عثمان و احذر ربيعة و انزل فى مضر و تودّد الأزد فإنّ الأزد كلّها معک إلاّ قليلا منهم و إنهم إنشاء اللّه غير مخالفيک.

فقال عبد اللّه الحضرمى له: أناسهم فى كنانتک و أنا من قد جربت و عدوّ أهل حربک و ظهيرک على قتلة عثمان فوجّهنى إليهم متى شئت، فقال: اخرج غدا إنشاء اللّه، فودّعه و خرج من عنده.

ص:360

فلمّا كان الليل جلس معاوية و أصحابه يتحدثون فقال لهم معاوية: فى أىّ منزل ينزل القمر الليلة ؟ فقال: بسعد الذابح، فكره معاوية ذلک و أرسل إليه أن لا تبرح حتّى يأتيک أمرى، فأقام و رأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص و هو يومئذ بمصر عامله عليها يستطلع رأيه فى ذلک، فكتب إليه و قد كان تسمّى بامرة المؤمنين بعد يوم صفين و بعد تحكيم الحكمين:

من عبد اللّه معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام عليک أما بعد فإنّى قد رأيت رأيا هممت بإمضائه و لم يخذلنى عنه إلاّ استطلاع رأيک فإن يوافقنى أحمد اللّه و أمضيه، و إن يخالفنى فإنّى أستخير اللّه و أستهديه إنّى نظرت فى أمر أهل البصرة فوجدت معظم أهلها لنا وليّا و لعلىّ و شيعته عدوا و قد اوقع علمه بهم الواقعة الّتى علمت فأحقاد تلک الدماء ثابتة فى صدورهم لا تبرح و لا تريم، و قد علمت أن قتلنا ابن أبى بكر و وقعتنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب علىّ فى الافاق و رفعت رءوس أشياعنا أين ما كانوا من البلاد، و قد بلغ من كان بالبصرة على مثل رأينا من ذلک ما بلغ الناس و ليس أحد ممّن يرى رأينا أكثر عددا و لا أضرّ خلافا على علىّ من اولئک فقد رأيت أن ابعث إليهم عبد اللّه بن عامر الحضرمى فينزل من مضر و يتودّد الأزد و يحذر ربيعة و يبتغى دم ابن عفان و يذكرهم وقعة علىّ بهم الّتى أهلكت صالحى إخوانهم و آبائهم و أبنائهم فقد رجوت عند ذلک أن يفسد على علىّ و شيعته ذلک الفرج من الأرض و متى يؤتى من خلفهم و أمامهم يضلّ سعيهم و يبطل كيدهم فهذا رأيى فما رأيک ؟ فلا تحبس رسولى إلاّ قدر مضى الساعة الّتى ينتظر فيها جواب كتابى هذا أرشدنا اللّه و إيّاک و السلام عليک و رحمة اللّه و بركاته.

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية أما بعد فقد بلغنى رسولک و كتابک فقرأته و فهمت رأيک الّذى رأيته فعجبت له و قلت: إنّ الّذى ألقاه فى روعک و جعله فى نفسک هو الثائر بابن عفّان و الطالب بدمه و انّه لم يک منک و لا منا منذ نهضنا فى هذه الحرب و نادينا أهلها و لا رأى الناس رأيا أضرّ على عدوّک و لا أسرّ لوليّک من هذا

الأمر الّذى الهمته، فامض رأيک مسدّدا فقد وجهت الصليب الأريب الناصح غير الظنين و السلام.

فلمّا جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضـرمى، و قد كان ظنّ حين تركه معاوية أياما لا يأمره بالشخوص أنّ معاوية قد رجع عن إشخاصه إلى غير ذلک الوجه فقال: يا ابن الحضـرمى سـر على بركـة اللّه إلى أهل البصـرة فانزل فى مضـر و احذر ربيعة و تودّد الأزد و انع ابن عفّان و ذكّرهم الوقعة الّتى أهلكتهم و منّ لمن سمع و أطاع دينا [دنيا] لا تفنى و أثرة لا تفقدها حتّى يفقدنا أو نفقده.

فودّعه ثمّ خرج من عنده و قد دفع إليه كتابا و أمره إذا قدم أن يقرأه على الناس، قال عمرو بن محصن: فكنت معه حين خرج فلمّا خرجنا سرنا ما شاء اللّه أن نسـير فسنح لنا ظبى اعضب عن شمائلنا فنظرت إليه فو اللّه لرأيت الكراهية فى وجهه ثمّ مضينا حتّى نزلنا البصرة فى بنى تميم فسمع بقدومنا أهل البصرة فجاءنا كلّ من يرى رأى عثمان فاجتمع إلينا رءوس أهلها.

فحمـد اللّه ابن الحضـرمى و أثنى عليه ثمّ قـال: أمـا بعـد ايهـا الناس فإنّ إمامكم إمام الهـدى عثمان بن عفّان قتله علىّ بن أبى طالب ظلما فطلبتم بدمه و قاتلتم من قتله فجزاكم اللّه من أهل مصـر خيرا و قد اصيب منكم الملاء الأخيار و قد جاءكم اللّه باخوان لكم لهم بأس يتقى و عـدد لا يحصـى فلقوا عـدوكم الّـذى قتلوكم فبلغوا الغايـة الّتى أرادوا صابرين و رجعوا و قد نالوا ما طلبوا فما لؤهم و ساعدوهم و تذكروا آثاركم لتشفوا صدوركم من عدوّكم.

فقام إليه الضّحاک بن عبد اللّه الهلالى فقال: قبح اللّه ما جئتنا به و ما دعوتنا إليه جئتنا و اللّه بمثل ما جاء به صاحباک طلحة و الزبير، اتيانا و قـد بايعنا عليا و اجتمعنا له فكلمتنا واحدة و نحن على سبيل مسـتقيم فدعوانا إلى الفرقة و قاما فينا بزخرف القول حتّى ضـربنا بعضـنا ببعض عـدوانا و ظلما فاقتتلنا على ذلک، و ايم اللّه ما سـلمنا من عظيم و بال ذلک و نحن الان مجمعون على بيعـة هـذا العبـد الصالح الّذى أقال العثرة و عفا عن الشىء [المسىء] و أخذ بيعة غائبنا و شاهدنا أ فتأمرنا الان أن نختلع

أسيافنا من أغمادها ثمّ يضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية أميرا و تكون له وزيرا و نعدل بهذا الأمر عن علىّ عليه السّلام و اللّه ليوم من الأيّام علىّ مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله خير من بلاء معاوية و آل معاوية لو بقوا فى الدّنيا، ما الدّنيا باقية.

فقام عبد اللّه بن حازم السلمى فقال للضحّاک: اسكت فلست بأهل أن تتكلّم فى أمر العامّة، ثمّ أقبل على ابن الحضرمى فقال: نحن يدک و أنصارک و القول ما قلت و قد فهمنا عنک فادعنا أنّى شئت.

فقال الضّحاک لابن حازم: يا ابن السوداء و اللّه لا يعزّ من نصرت، و لا يذلّ بخذلانک من خذلت، فتشاتما، قال صاحب كتاب الغارات: و الضحّاک هذا هو الّذى يقول:

يا ايها ذا لسائلى عن نسبى بين ثقيف و هلال منصبى

امّى اسماء و ضحّاک أبى

قال: و هو القائل فى بنى العبّاس:

ما ولدت من ناقة لفحل فى جبل نعلمه و سهل

كستّة من بطن ام الفضل أكرم بها من كهلة و كهل

عمّ النّبى المصطفى ذى الفضل و خاتم الأنبياء بعد الرسل

قال: فقام عبد الرّحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثمّ التّيمى فقال: عباد اللّه إنا لم ندعكم إلى الاختلاف و الفرقة لا نريد أن تقتلوا و لا تتنابزوا و لكنّا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم و توازروا إخوانكم الّذين هم على رأيكم، و أن تلموا شعثكم و تصلحوا ذات بينكم فمهلا مهلا و رحمكم اللّه استمعوا لهذا الكتاب و أطيعوا الّذى يقرأ عليكم.

ففضّوا كتاب معاوية و إذا فيه: من عبد اللّه معاوية أمير المؤمنين إلى من قرئ كتابى هذا عليه من المؤمنين و المسلمين من أهل البصرة: سلام عليكم أمّا بعد فإنّ سفک الدّماء بغير حلّها، و قتل النفوس الّتى حرّم اللّه قتلها هلاک موبق و خسران

مبين، لا يقبل اللّه ممّن سفكها صرفا و لا عدلا و قد رأيتم رحمكم اللّه آثار ابن عفان و سيرته و حبّه للعافية و معدلته و سدّه للثغور و إعطاءه فى الحقوق و إنصافه للمظلوم و حبّه للضعيف حتّى توثب عليه المتوثبون و تظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمان صائما لم يسفك فيهم دما، و لم يقتل فيهم أحدا، و لا يطلبونه بضربة سيف و لا سوط ، و انما ندعوكم أيّها المسلمون إلى الطلب بدمه، و إلى قتال من قتله، فانا و إيّاكم على أمر هدى واضح، و سبيل مستقيم إنّكم إن جامعتمونا طفئت النائرة و اجتمعت الكلمة و استقام أمر هذه الامّة و أقرّ الظالمون المتوثبون الّذى قتلوا إمامهم بغير حق فاخذوا بجرائرهم و ما قدّمت أيديهم انّ لكم أن أعمل فيكم بالكتاب و ان أعطيتم فى السّنة عطائين و لا أحتمل فضلا من فيئكم عنكم أبدا فسارعوا إلى ما تدعون رحمكم اللّه، و قد بعث إليكم رجلا من الصالحين كان من امناء خليفتكم المظلوم ابن عفّان و عمّاله و أعوانه على الهدى و الحق جعلنا اللّه و إيّاكم ممّن يجيب إلى الحق و يعرفه و ينكر الباطل و يجحده، و السلام عليكم و رحمة اللّه.

قال: و لما قرئ عليهم الكتاب قال معظمهم: سمعنا و أطعنا.

قال: و روى محمّد بن عبد اللّه بن عثمان، عن علىّ بن أبى طالب، عن أبى زهير عن أبى منقر الشيبانى قال: قال الأحنف لمّا قرئ عليهم كتاب معاوية: أمّا أنا فلا ناقة لى فى هذا و لا جمل و أعتزل أمرهم ذلك، و قال عمرو بن مرحوم من عبد القيس: أيّها النّاس ألزموا طاعتكم و لا تنكثوا بيعتكم فيقع بكم واقعة و تصيبكم قارعة و لا يكن بعدها لكم بقية ألا إنّى قد نصحت لكم و لكن لا تحبّون الناصحين.

قال إبراهيم بن هلال: و روى محمّد بن عبد اللّه عن ابن أبى سيف، عن الأسود بن قيس، عن ثعلبة بن عباد: إنّ الّذى كان سدّد لمعاوية رأيه فى تسريح ابن الحضرمى كتاب كتبه إليه عبّاس بن صخّار العبدى، و هو ممّن كان يرى رأى عثمان و يخالف قومه فى حبّهم عليّا و نصرتهم إيّاه و كان الكتاب: أما بعد فقد بلغنا و قعتک بأهل مصر الّذين بغوا على إمامهم و قتلوا خليفتهم طمعا و بغيا

فقرّت بذلک العیون و شفیت بذلک النفوس و بردت أفئدة أقوام کانوا لقتل عثمان کارهین و لعدوّه مفارقین و لکم موالین و بک راضین، فان رأیت تبعث إلینا أمیرا طیّبا زکیّا ذا عفاف و دیّن إلی الطلب بدم عثمان فعلت فإنّی لا إخال النّاس إلاّ مجمعین علیک، و إنّ ابن عبّاس غائب عن المصر و السلام.

قال: فلمّا قرأ معاویة کتابه قال: لا عزمت رأیا سوی ما کتب به إلیّ هذا، و کتب إلیه جوابه:

أمّا بعد فقد قرأت کتابک فعرفت نصیحتک، و قبلت مشورتک، رحمک اللّه و سدّدک اثبت هداک اللّه علی رأیک الرشید فکأنک بالرجل الّذی سألت قد أتاک و کأنک بالجیش قد أظلّ علیک فسررت و حببت و السّلام.

قال إبراهیم: و حدّثنا محمّد بن عبد اللّه قال: حدّثنی علیّ بن أبی سیف عن أبی زهیر قال: لما نزل ابن الحضرمی فی بنی تمیم أرسل إلی الرءوس فأتوه فقال لهم: أجیبونی إلی الحق و انصرونی علی هذا الأمر قال: و إنّ الأمیر بالبصرة یومئذ زیاد بن عبید قد استخلفه عبد اللّه بن عبّاس و قدم علی علیّ علیه السّلام إلی الکوفة یعزّیه عن محمّد بن أبی بکر قال: فقام إلیه ابن صخّار فقال: إی و الّذی له أسعی و إیّاه أخشی لننصرنّک بأسیافنا و أیدینا.

و قام المثنی بن مخزمة العبدی فقال: لا و الّذی لا إله إلاّ هو لإن لم ترجع إلی مکانک الّذی أقبلت منه لنجاهدنّک بأسیافنا و أیدینا و نبالنا و أسنّة رماحنا نحن ندع ابن عمّ رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و سیّد المسلمین و ندخل فی طاعة حزب من الأحزاب طاع ؟ و اللّه لا یکون ذلک أبدا حتّی تسیر کتیبة و نفلق السیوف بالهام.

فأقبل ابن الحضرمی علی صبرة بن شیمان الأزدی فقال: یا صبرة أنت رأس قومک و عظیم من عظماء العرب و أحد الطلبة بدم عثمان رأینا رأیک، و رأیک رأینا و بلاء القوم عندک فی نفسک و عشیرتک ما قد ذقت و رأیت فانصرنی و کن من دونی.

فقال له: إن أنت أتیتنی فنزلت فی داری نصرتک و منعتک.

فقال: إنّ أمیر المؤمنین معاویة أمرنی أن أترک فی قومه من مصر، فقال: اتّبع

ما أمرک به، و انصـرف من عنده و أقبل الناس إلی ابن الحضرمی و کثر تبعه ففزع لذلک زیاد و هاله و هو فی دار الإمارة فبعث إلی الحصین بن المنـذر و مالک بن مسـمع فـدعاهما فحمـد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال: أما بعد فإنّکم أنصار أمیر المؤمنین و شـیعته وثقته و قد جاءکم هذا الرجل بما قد بلغکم فأجیرونی حتّی یأتینی أمر أمیر المؤمنین و رأیه.

فأما مالک بن مسمع فقال: هذا أمر فیه نظر أرجع إلی من ورائی و أنظر و أستشیر و ألقاک.

و أمـا حصـین بن المنـذر فقـال: نحن فاعلون و لن نخـذلک و لن نسـلمک، فلم یر زیاد من القوم ما یطمئنّ إلیه فبعث إلی صبرة بن شـیمان الأزدی فقال: یا ابن شـیمان أنت سـیّد قومک و أحد عظماء هذا المصر فإن یکن فیه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاک، أفلا تجیرنی و تمنعنی و تمنع بیت مال المسـلمین فإنّما أنا أمین علیه ؟ فقال: بلی إن تحمّلت حتّی تنزل فی داری منعتک، فقال: إنّی فاعل فارتحل لیلا حتّی نزل دار صبرة بن شیمان، و کتب إلی عبد اللّه بن عبّاس و لم یکن معاویة ادعی زیادا بعد، لأنّه إنّما ادّعاه بعد وفاة علیّ علیه السّلام:

للأمین عبـد اللّه بن عبّاس من زیاد بن عبید سـلام علیک أما بعد فإنّ عبد اللّه ابن عامر بن الحضـرمی قبل من قبل معاویة حتّی نزل فی بنی تمیم، و نعی ابن عفّان و دعا إلی الحرب فبایعه جلّ أهل البصـرة فلمّا رأیت ذلک اسـتجرت بالأزد بصبرة ابن شـیمان و قومه لنفسی و لبیت مال المسلمین و رحلت من قصر الامارة فنزلت فیهم و انّ الأزد معی، و شیعة أمیر المؤمنین من فرسان القبائل یختلف إلیّ ، و شیعة عثمان یختلف إلی ابن الحضرمی، و القصر خال منّا و منهم فارفع ذلک إلی أمیر المؤمنین لیری فیه رأیه و أعجل إلیّ بالذی تری أن تکون منه فیه و السّلام علیک و رحمة اللّه و برکاته.

قـال: فرفع ذلـک ابن عبّـاس إلی علیّ علیه السّـلام و شاع فی النّاس بالکوفـة ما کان ذلک، و کانت بنو تمیم و قیس و من یری رأی عثمان قد أمروا ابن

الحضـرمی أن یسـیر إلی قصـر الأمارة حین خلاه زیاد، فلمّا تهیّأ لـذلک و دعا أصـحابه رکبت الأزد و بعثت إلیه و إلیهم إنا و اللّه لا ندعکم تأتون القصـر فتنزلون فیه من لا یرضـی و من نحن له کارهون حتّی یأتی رجل لنا و لکم رضا فأبی أصحاب ابن الحضرمی إلاّ أن یسیروا إلی القصر، و أبت الأزد إلاّ أن یمنعوهم فرکب الأحنف فقال لأصحاب ابن الحضرمی: إنّکم و اللّه ما أنتم بأحق بقصر الأمارة من القوم و مالکم أن تؤمر علیهم من یکرهونه فانصـرفوا عنهم ففعلوا، ثمّ جاء إلی الأزد فقال: إنّه لم یکن ما تکرهون و لا یؤتی إلاّ ما تحبّون فانصـرفوا رحمکم اللّه ففعلوا.

قال إبراهیم: و حدّثنا محمّد بن عبد اللّه بن أبی سـیف عن الکلبی: أنّ ابن الحضرمی لمّا أتی البصرة و دخلها نزل فی بنی تمیم فی دار سبیل و دعا بنی تمیم و اخلاط مضر، فقال زیاد لأبی الأسود الدؤلی: أما تری ما صنعوا أهل البصرة إلی معاویة و ما فی الأزد لی مطمع ؟ فقال: إن کنت ترکتهم لم ینصروک و إن أصبحت فیهم منعوک.

فخرج زیاد من لیلته فأتی صبرة بن شـیمان الحدانی الأزدی فأجاره، و قال له حین أصـبح: یا زیاد انّه لیس حسـنا بنا أن تقیم فینا مختفیا أکثر من یومک هذا، فأعدّ له منبرا و سـریرا فی مسـجد الحدان و جعل له شـرطا و صـلّی بهم الجمعة فی مسجد الحدان، و غلب ابن الحضرمی علی ما یلیه من البصرة و جباها و أجمعت الأزد علی زیاد فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه ثمّ قال:

یا معشـر الأزد إنّکم کنتم أعدائی فأصـبحتم أولیائی، و أولی الناس بی و إنّی لو کنت فی بنی تمیم و ابن الحضـرمی فیکم لم أطمع فیه أبدا و أنتم دونه، فلا یطمع ابن الحضـرمی فیّ و أنتم دونی، و لیس ابن آکلـة الأکباد فی بقیّـة الأحزاب و أولیاء الشـیطان بأدنی إلی الغلبـة من أمیر المؤمنین فی المهاجرین و الأنصار و قـد أصـبحت فیکم مضـمونا و أمانـة مرادّة و قد رأینا وقعتکم یوم الجمل فاصبروا مع الحق صبرکم مع الباطل فانّکم لا تحمدون إلاّ علی النجدة و لا تعذرون علی الجبن.

ص:367

فقام شـيمان أبو صبرة و لم يكن شـهد يوم الجمل و كان غائبا فقال: يا معشـر الأزد ما أبقيت عواقب الجمل عليكم إلاّ سوء الذكر و قد كنتم أمس على عليّ فكونوا اليوم له، و اعلموا أنّ إسـلامكم ذلّ ، و خـذلانكم إيّـاه عـار، و أنتم حيّ مضـماركم الصبر، و عاقبتكم الوفاء، فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم و إن استمدّوا معاوية فاستمدّوا عليّا، و إن وادعوكم فوادعوهم.

ثمّ قام صبرة ابنه فقال: يا معشـر الأزد إنّا قلنا يوم الجمل نمنع مصـرنا و نطيع امنا، فنطلب دم خليفتنا المظلوم فجـدّدنا فى القتال و أقمنا بعد انهزام النـاس حتّى قتـل منّا من لا خير فينا بعـده، زياد جاركم اليوم و الجار مضـمون و لسـنا نخاف من عليّ ما نخاف من معاويـة فهبوا لنا أنفسكم و امنعوا جاركم أو فابلغوه مأمنه.

فقـالت الأـزد: إنما نحن لكم تبع فأجيروه، فضـحک زياد و قال: يا صبرة أ تخشون أن لا تقوموا لبنى تميم ؟ فقال صبرة: إن جاءونا بالأحنف جئناهم بأبى صبرة، و إن جاءوا بالحباب جئت أنا و إن كان فيهم شباب كثير، فقال زياد: إنما كنت مازحا.

فلمّا رأت بنو تميم أنّ الأزد قد قامت دون زياد بعثت إليهم أخرجوا صاحبكم و نحن نخرج صاحبنا فأىّ الأميرين غلب عليّ أو معاوية دخلنا فى طاعته و لا نهلک عامّتنا.

فبعث إليهم أبو صبرة إنما كان هـذا يرجى عندنا قبل أن نجيره، و لعمرى ما قتل زياد و إخراجه إلاّ سوءا و أنّكم لتعلمون أنّا لم نجره إلاّ كرما، فالهوا عن هذا.

قال: و روى أبو الكنود أنّ شـبث بن ربعى قال لعليّ عليه السّلام: يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحيّ من تميم فادعهم إلى طاعتک و لزوم بيعتک و لا تسلّط عليهم أزدعمان البعداء البغضاء فإنّ واحدا من قومک خير لک من عشرة من غيرهم.

فقال له مخنف بن سـليم الأزدى: إنّ البعيد البغيض من عصى اللّه و خالف أمير المؤمنين و هم قومک، و إنّ الحبيب القريب من أطاع اللّه و نصر أمير المؤمنين و هم قومى و أحدهم خير لأمير المؤمنين من عشرة قومک.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: مه تناهوا أيها النّاس و ليردعكم الإسلام و وقاره عن التباغى و التهاذى، و لتجمع كلمتكم، و ألزموا دين اللّه الّذى لا يقبل من أحد غيره، و كلمة الإخلاص الّتى هى قوام الدّين، و حجّة اللّه على الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلا مشركين متباغضين متفرقين فألّف بينكم بالإسلام فكثرتم و اجتمعتم و تحابيتم فلا تفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تتباغضوا بعد إذ تحابيتم، و إذا رأيتم النّاس و بينهم النائرة و قد تداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهامهم و وجوههم بالسيف حتّى يفزعوا إلى اللّه و إلى كتابه و سنة نبيّه فأما تلك الحميّة من خطرات الشياطين فانتهوا عنها لا أبا لكم تفلحوا و تنجحوا.

ثمّ إنّه عليه السّلام دعى أعين بن صبيعة المجاشعى و قال: يا أعين ألم يبلغك أنّ قومك وثبوا على عاملى مع ابن الحضرمى بالبصرة يدعون إلى فراقى و شقاقى و يساعدون الضلاّل القاسطين علىّ .

فقال: لا تساء يا أمير المؤمنين و لا يكن ما تكره ابعثنى إليهم فأنا لك زعيم بطاعتهم و تفريق جماعتهم و نفى ابن الحضرمى من البصرة أو قتله.

قال: فاخرج الساعة، فخرج من عنده و مضى حتّى قدم البصرة، هذه رواية ابن هلال صاحب كتاب الغارات.

و روى الواقدى أنّ عليّا عليه السّلام استنفر بنى تميم أيّاما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمى و يردّ غادية بنى تميم الّذين أجاروه بها فلم يجبه أحد فخاطبهم و قال: أليس من العجب أن ينصرنى الأزد و تخذلنى مضر؟ و أعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بى و خلاف تميم البصرة علىّ ، و أن استنجد بطائفة منها بشخص إلى إخوانها فيدعوهم إلى الرشاد فإن أجابت و إلاّ فالمنابذة و الحرب فكأنّى اخاطب صمّا بكما لا يفقهون حوارا، و لا يجيبون نداء، كلّ هذا جبنا عن البأس و حبّا للحياة لقد كنّا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله نقتل آباءنا و أبنائنا - الفصل إلى آخره.

قال: فقام إليه أعين بن صبيعة المجاشعى فقال: أنا إنشاء اللّه أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفل لك بقتل ابن الحضرمى أو إخراجه عن البصرة

فأمره بالتهيّوء للشخوص، فشخص حتّى قدم البصرة.

قال إبراهيم بن هلال: فلمّا قدمها دخل على زياد و هو بالأزد مقيم فرحّب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له عليّ عليه السّلام و ما ردّ عليه و ما الّذى عليه رأيه فإنّه يكلمه إذ جاءه كتاب من عليّ عليه السّلام فيه:

من عبد اللّه عليّ أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد: سلام عليک أمّا بعد فإنّى قد بعثت أعين بن صبيعة ليفرق قومه من ابن الحضرمى فارقب ما يكون منه فإن فعل و بلغ من ذلک ما يظنّ به و كان فى ذلک تفريق تلک الأوباش فهو ما تحبّ و إن ترامت الامور بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانبذ من أطاعک إلى من عصاک فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت و إلاّ فطاولهم و ماطلهم فكان كتائب المسلمين قد أطلت عليک فقتل اللّه المفسدين الظالمين و نصر المؤمنين المحقّين و السلام.

فلمّا قرأه زياد أقرأه أعين بن صبيعة فقال له: إنّى لأرجو أن يكفى هذا الأمر إن شاء اللّه.

ثمّ خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار، و إنّى و اللّه ما جئتكم حتّى عبّيت إليكم الجنود فإن تنيبوا إلى الحقّ يقبل منكم و يكفّ عنكم، و إن أبيتم فهو و اللّه استيصالكم و بواركم.

فقالوا: بل نسمع و نطيع، فقال: انهضوا الان على بركة اللّه عزّ و جلّ ، فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمى فخرجوا إليه مع ابن الحضرمى فصافوه و وافقهم عامة يومه يناشدهم اللّه و يقول: يا قوم لا تنكثوا بيعتكم و لا تخلفوا إمامكم، و لا تجعلوا على أنفسكم سبيلا، فقد رأيتم و جربتم كيف صنع اللّه بكم عند نكثكم بيعتكم و خلافكم، فكفّوا عنه و لم يكن بينه و بينهم قتال، و هم فى ذلک يشتمونه و ينالون منه، فانصرف عنهم و هو منهم منتصف.

فلمّا رأى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ النّاس أنهم خوارج فضربوه بأسيافهم

و هو على فراشه و لا ـ يظنّ أنّ الّذى كان يكون فخرج يشتدّ عريانا فلحقوه فى الطريق فقتلوه فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمى حين قتل أعين بجماعة من معه من الأزد و غيرهم من شيعة علىّ عليه السّلام فأرسل بنو تميم من الأزد، و اللّه ما غرضنا لجاركم إذ أجرتموه و لا لمال هو له و لا لأحد ليس على رأينا فما تريدون إلى حربنا و إلى جارنا فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم.

فكتب زياد إلى علىّ عليه السّلام أما بعد يا أمير المؤمنين فإنّ أعين بن صبيعة قدم علينا من قبلك بجدّ و مناصحة و صدق و يقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثّهم على الطاعة و الجماعة، و حذّرهم الخلاف و الفرقة ثمّ نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامة النهار فهال أهل الخلال تقدمه و تصدع عن ابن الحضرمى كثير ممّن كان يريد نصرته فكان كذلك حتّى أمسى فأتى فى رحله فبنيه نفر من هذه الخارجة المارقة فاصيب رحمه اللّه فأردت أن اناهض القوم ابن الحضرمى عند ذلك فحدث أمر قد أمرت صاحب كتابى هذا أن يذكره لأمير المؤمنين و قد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة فإنّه نافذ البصيرة و مطاع فى العشيرة شديد على عدوّ أمير المؤمنين فإن يقدم يفرّق بينهم بإذن اللّه، و السّلام على أمير المؤمنين و رحمة اللّه و بركاته.

فلمّا جاء الكتاب دعا جارية بن قدامة فقال له: يا ابن قدامة تمنع الأزد عاملى و تبيت مالى و تشاقنى مضر و تنابذنى و بنا ابتدأها اللّه تعالى بالكرامة و عرفه الهدى و تداعوا إلى المعشر الّذين حادّوا اللّه و رسوله و أرادوا إطفاء نور اللّه سبحانه حتّى علت كلمة اللّه و هلك الكافرون، فقال: يا أمير المؤمنين ابعثنى إليهم و استعن باللّه عليهم، قال: قد بعثتك إليهم و استعنت باللّه عليهم.

قال إبراهيم: فحدثنا محمّد بن عبد اللّه قال: حدثنى ابن أبى السيف عن سليمان ابن أبى راشد عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة فى خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى و كنت شديد التشيّع فقلت لجارية: إن شئت كنت معك، و إن شئت ملت إلى قومى، فقال: بل معى فو اللّه لوددت

أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس.

قال: و روى كعب بن قعين أنّ عليّا عليه السّلام كتب مع جارية كتابا و قال اقرأه على أصحابک، قال: فمضينا معه فلمّا دخلنا البصرة بدأ بزياد فرحّب به و أجلسه إلى جانبه و ناجاه ساعة و سائله ثمّ خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال: احذر على نفسک و اتّق أن تلقى ما لقى صاحبک القادم قبلک.

و خرج جارية من عنده فقام فى الأزد فقال: جزاكم اللّه من حىّ خيرا، ما أعظم عناءكم، و أحسن بلاءكم، و أطوعكم لأميركم! لقد عرفتم الحقّ إذ ضيّعه من أنكره، و دعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه، ثمّ قرأ عليهم و على من كان معه من شيعة على عليه السّلام و غيرهم كتاب علىّ عليه السّلام فإذا فيه:

من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصرة من المؤمنين و المسلمين - إلى قوله عليه السّلام: حتّى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء اللّه تعالى و السّلام، كما تقدّم فى المصدر.

قال: فلمّا قرئ الكتاب على الناس قام صبرة بن شيمان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جارية قومک بقومک فذاک، و إن أحببت أن ننصرک نصرناک.

و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلک و نحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم فقام زياد فى الأزد فقال:

يا معشر الأزد إنّ هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا و إن كنتم حربا فأصبحتم سلما و إنّى و اللّه ما اخترتكم إلاّ على التجربة و لا أقمت فيكم إلاّ على الأمل فما رضيتم إذ أجرتمونى حتّى نصبتم لى منبرا و سريرا و جعلتم لى شرطا و أعوانا و مناديا و جمعة فما فقدت بحضرتكم شيئا إلاّ هذا الدرهم لا اجبه اليوم فإن لا اجبه اليوم اجبه غدا إن شاء اللّه، و اعلموا أنّ حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم فى الدّنيا و الدّين من حربكم أمس عليّا، و قد قدّم عليكم جارية بن قدامة و إنّما أرسله علىّ ليصدع أمر قومه و اللّه ما هو بالأمير المطاع و لو أدرک أمله فى قومه لرجع إلى

أمير المؤمنين و لكان لى تبعا، و أنتم الهامّة العظمى و الجمرة الحامية فقدّموه إلى قومه فإن اضطرّ إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلک.

فقام أبو صبرة بن شيمان فقال: يا زياد إنّى و اللّه لو شهدت قومى يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا عليّا و قد مضى الأمر بما فيه و هو يوم بيوم و أمر بأمر و اللّه إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيّئ و التوبة مع الحقّ و العفو مع الندم و لو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدّماء و استيناف الامور و لكنّها جماعة دماؤها حرام و جروحها قصاص و نحن معک نحبّ ما أحببت.

فعجب زياد من كلامه و قال: ما أظنّ فى النّاس مثل هذا.

ثمّ قام صبرة ابنه فقال: إنّا و اللّه ما اصبنا بمصيبة فى دين و لا دنيا كما اصبنا أمس يوم الجمل، و إنّا لنرجو اليوم أن يمحص ذلک بطاعة اللّه و طاعة أمير المؤمنين و ما أنت يا زياد فو اللّه ما أدركت أملک فينا، و لا أدركنا ما أملنا فيک دون ردّک إلى دارک و نحن رادّوک إليها غدا إن شاء اللّه تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بک منّا فإنّک إلاّ تفعل لم تأت ما يشبهک، و إنّا و اللّه نخاف حرب علىّ فى الاخرة ما لا نخاف من حرب معاوية فى الدّنيا فقدّم هواک و أخّر هوانا فنحن معک و طوعک.

ثمّ قام خنفر الجمّانى فقال: ايّها الأمير إنّک لو رضيت منّا بما ترضى به من غيرنا لم نرض ذلک لأنفسنا سربنا إلى القوم إن شئت، و أيم اللّه ما لقينا يوما قطّ إلاّ اكتفينا بعفونا دون جهدنا إلاّ ما كان أمس.

قال إبراهيم: فأمّا جارية فإنّه كلّم قومه فلم يجيبوه و خرج إليهم منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد و خرج إليهم ابن الحضرمى و على خيله عبد اللّه بن حازم السلمى فاقتتلوا ساعة و أقبل شريک بن الأعور الحارثى و كان من شيعة علىّ عليه السّلام و صديقا لجارية بن قدامة فقال ألا اقاتل معک عدوّک ؟ فقال: بلى فما لبثوا بنى تميم أن هزموهم و اضطرّوهم إلى دار سبيل السعدى فحصروا ابن الحضرمى

و حـدود مأتى رجل من بنى تميم و معهم عبـد اللّه بن حازم السـلمى فجاءت امّه و هى سوداء حبشـيّة اسـمها عجلى فنادته فأشـرف عليها فقالت يا بنىّ أنزل إلىّ فأبى فكشفت رأسها و أبدت قناعها و سألته النزول فأبى، فقالت: و اللّه لتنزلنّ أو لأتعرين و أهوت بيدها إلى ساقها فلمّا رأى ذلک نزل فذهبت به و أحاط جارية و زياد بالدّار، و قال جارية: علىّ بالنّار فقالت الأزد: لسـنا من الحريق بالنّار فى شـىء و هم قومک و أنت أعلم.

فحرق جاريـة الدّار عليهم فهلک ابن الحضـرمى فى سـبعين رجلا أحدهم عبد الرّحمن بن عمير بن عثمان القرشـىّ ثمّ التميمىّ ، و سـمّى جارية منذ ذلک اليوم محرقا، و سارت الأزد بزياد حتّى أوطنوه قصـر الإمارة و معه بيت المال، و قالت له: هل بقى علينا من جوارک شـىء؟ قال: لا، قالوا: فبرءنا منه ؟ فقال: نعم فانصرفوا عنه.

و كتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام: أما بعـد فإنّ جاريـة بن قدامـة العبـد الصالح قدم من عندک فناهض جمع ابن الحضـرمى بمن قصـره و أعانه من الأزد ففضّه و اضـطرّه إلى دار من دور البصـرة فى عدد كثير من أصـحابه فلم يخرج حتّى حكم اللّه تعالى بينهما فقتل ابن الحضـرمى و أصـحابه منهم من أحرق بالنار، و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه، و منهم من قتل بالسـيف، و سـلم منهم نفر أنابوا و تابوا فصفح عنهم، و بعدا لمن عصى و غوى، و السّلام على أمير المؤمنين و رحمة اللّه و بركاته.

فلمّا وصل كتاب زياد قرأه علىّ عليه السّلام النّاس و كان زياد قد أنفذه مع ظبيان ابن عمارة، فسـرّ علىّ عليه السّلام بذلک و سـرّ أصحابه و أثنى على جارية و على زياد و على الأزد البصـرة فقال: إنها أوّل القرى خرابا إمّا غرقا و إمّا حرقا حتّى يبقى مسـجدها كجؤجؤ سفينة، ثمّ قال لظبيان: أين منزلک منها؟ فقال: مكان كذا، فقال: عليک بضواحيها.

الترجمة

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بأهل بصره نوشت:

از گسیختن رشتهٔ پیمان و دشمنی خود آگاهید، که من از گناهکارتان درگذشتم و از گریزندهٔ شما شمشیر برداشتم، و به پوزش روی آورنده را پذیرفتم، پس اگر کارهای تباه کننده، و بیخردی اندیشه های بیجا، شما را به جنگ و خلاف با من براه انداخت، این منم که اسبان تازی را هوار کارزاری خود را نزدیک گردانیده ام و دم دست آورده ام، و بر شتران سواری خود پالان نهادم.

و اگر مرا بامدن ناچار کنید با شما کاری و کارزاری کنم که جنگ جمل در پیش آن چون لیسیدن لیسندهٔ انگشت خود را پس از خوراک، بیش نباشد، با این که به پایهٔ فرمانبردار، و به حقّ نیکخواه شما آشنایم، بدون این که از گناهکار درگذرم و بجای آن بی گناه را بگیرم، و یا از پیمان شکن بگذرم و به آن که پیمان را بسر برده مؤاخذه کنم.

و من کتاب له علیه السّلام الی معاویة - و هو المختار

اشارة

الثلاثون من باب المختار من کتبه و رسائله

فاتّق اللّه فیما لدیک، و انظر فی حقّه علیک، و ارجع إلی معرفة ما لا تعذر بجهالته فإنّ للطّاعة أعلاما واضحة، و سبلا نیّرة، و مهجّة نهجة [نهجة - معا]، و غایة مطلّبة یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس، من نکّب عنها جار عن الحقّ ، و خبط فی التّیه، و غیّر اللّه نعمته، و أحلّ به نقمته، فنفسک نفسک فقد

ص:375

بيّن اللّه لک سبيلک، و حيث تناهت بک أمورک فقد أجريت إلى غاية خسر، و محلّة كفر، و إنّ نفسک قد أوحلتک شرّا، و أقحمتک غيّا، و أوردتک المهالک، و أوعرت عليک المسالک.

المصدر

هذا الفصل اختاره الشريف الرضى رضوان اللّه عليه على دأبه من كتاب له عليه السّلام إلى معاوية و هذه صورته الكاملة:

أمّا بعد فقد بلغنى كتابک تذكر مشاغبتى، و تستقبح مواربتى، و تزعمنى متجبّرا، و عن حقّ اللّه مقصّرا، فسبحان اللّه، كيف تستجيز الغيبة ؟ و تستحسن العضيهة ؟ و إنّى لم اشاغب إلاّ فى أمر بمعروف، أو نهى عن منكر و لم أتجبّر [و لم أضجر - نسخة] إلاّ على باغ مارق، أو ملحد منافق، و لم آخذ فى ذلک إلاّ بقول اللّه سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ ».

و أما التقصير فى حقّ اللّه تعالى فمعاذ اللّه! و المقصّر فى حقّ اللّه جلّ ثناؤه من عطّل الحقوق المؤكّدة، و ركن إلى الأهواء المبتدعة، و أخلد إلى الضلالة المحيّرة.

و من العجب أن تصف يا معاوية الإحسان، و تخالف البرهان، و تنكث الوثائق الّتى هى للّه عزّ جل طلبة، و على عباده حجّة، مع نبذ الإسلام، و تضييع الأحكام و طمس الأعلام، و الجرى فى الهوى، و التّهوس فى الرّدى.

فاتّق اللّه فيما لديک، و انظر فى حقّه عليک - إلى آخر الفصل المختار من النهج، و إنّ للنّاس جماعة يد اللّه عليها، و غضب اللّه على من خالفها، فنفسک نفسک قبل حلول رمسک، فإنّک إلى اللّه راجع، و إلى حشره مهطع، و سيبهظک كربه و يحلّ بک غمّه، يوم لا يغنى النّادم ندمه، و لا يقبل من المعتذر عذره، يوم لا يغنى

مولى عن مولى شيئا و لا هم ينصرون.

قلت: إنّ كلامه عليه السّلام أما بعد فقد بلغنى كتابک تذكر مشاغبتى، صريح فى أنّ هذا الكتاب جواب عن كتاب كتبه معاوية إليه و لكن لم نظفر عليه مع كثرة الفحص و التتبّع، و كتاب أمير المؤمنين على عليه السّلام هذا نقله الشارح المعتزلى و الشارح البحرانى فى المقام و علم الهدى ابن المولى المحسن الفيض فى معادن الحكمة «ص 159 ج 1» و أحمد زكى صفوت فى جمهرة رسائل العرب «ص 433 ج 1» و لم ينقلوا كتاب معاوية بل الأخيرين نقلا كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام هذا من الأوّلين و أتى به المجلسى فى ثامن البحار «ص 540» ناقلا عن البحرانى أيضا.

اللغة

(مشاغبتى) الشّغب تهييج الشرّ كالتشغيب و شاغبه شارّه، (مواربتى) المواربة:

المداهاة و المخاتلة كما فى القاموس، و فى غير واحد من النسخ موازرتى، (متجبرا) بالجيم و الباء الموحدة كما فى عدّة نسخ و فى نسخ اخرى متحيرا بالحاء المهملة و الياء المثناة من تحت و الأوّل أنسب بما يأتى من قوله عليه السّلام: و لم أتجبّر إلاّ على باغ مارق، و منه يعلم رجحان أتجبّر على أضجر أيضا.

(العضيهة): بالفتح البهيّة و هى الإفک و البهتان كما قاله الجوهرى فى الصحاح قال المتوكّل الليثى:

احذر وصال اللئيم إنّ له عضها إذا حبل وصله انقطعا

و البيت من الحماسة (الحماسة 442) قال المرزوقى فى شرحه عليها: العضه ذكر القبيح كذبا و زورا، و يقال عضهته إذا رميته بالزّور، و أعضه الرجل أتى بالعضيهة و هى الإفک، و من كلامهم يا للعضيهة و يا للأفيكة.

(ركن) إليه من بابى علم و نصر أى مال إليه و سكن و وثق به.

(أخلد إلى الضلالة) قال الجوهرى: أخلدت إلى فلان أى ركنت إليه، و منه قوله تعالى: «وَ لكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ »، (الطمس) ازالة الأثر بالمحو، قال تعالى:

«فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ » «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ » أى أزل صورتها «وَ لَوْ نَشاءُ لَطَمَسْنا عَلى أَعْيُنِهِمْ » أى أزلنا ضوأها و صورتها كما يطمس الأثر قاله الراغب فى المفردات.

(التهوّس فى الردى) تهوّس: مشى ثقيلا ـ فى أرض ليّنة كما عن اللّسان، و قال الجوهرى فى الصّحاح: الهوس السوق اللين، يقال: هست الإبل فهاست أى ترعى و تسير.

(المحجّة) الطريق الواضحة، و (النهجة) الطريق الواضحة أيضا و أنهج الطريق أى استبان و صار نهجا واضحا بيّنا، أى جادّة مستبينة.

(مطلبة) بتشديد اللاّم المفتوحة، كما فى نسخة الرضى أى مطلوبة، و فى غير واحدة من النسخ مطلوبة، و قال المجلسى فى البحار: النسخ المصحّحة متّفقة على تشديد الطّاء، فالكلمة على هذا من اطّلب كافتعل، يقال: اطّلبه أى طلبه قال الجوهرى فى الصّحاح: طلبت الشىء طلبا و كذلك اطّلبته على افتعلته، و قال الشارح البحرانى: مطّلبة بتشديد الطاء و فتح اللاّم، أى مطلوبة جدّا منهم بناء على أنّ كثرة المبانى تدلّ على كثرة المعانى، قال الرضى فى شرح الشافية:

اعلم أنّ المزيد فيه لغير الإلحاق لا ـ بدّ لزيادته من معنى لأنّها إذا لم يكن لغرض لفظى، كما كانت فى الإلحاق، و لا لمعنى كانت عبثا. انتهى.

و قرأها الشارح المعتزلى على سكون الطاء و كسر اللاّم، حيث قال: قوله غاية مطلبة أى مساعفة لطالبها بما يطلبه، تقول: طلب فلان منّى كذا فأطلبته أى اسعفته به، ثمّ خطّأ الراوندى بقوله: قال الراوندى: مطلبة بمعنى متطلّبة يقال: طلبت كذا و تطلبته و هذا ليس بشىء يخرج الكلام أن يكون له معنى. انتهى.

قلت: التطلّب طلب الشىء مرّة بعد اخرى مع تكلّف، و يأبى سياق الكلام عن حمله على هذا المعنى، و لذا قال الشارح المذكور ردّا على الراوندى:

و هذا ليس بشىء يخرج الكلام عن أن يكون له معنى.

ثمّ إنّ ما اختاره الشارح المعتزلى ليس بسديد أيضا لأنّ قول أمير المؤمنين عليه السّلام: يردها الأكياس و ما بعده يبيّن لنا أنّ الكلمة بمعنى المطلوبة سواء

كانت بتشديد اللاّم، كما فى نسخة الرضى، أو بتشديد الطّاء و فتح اللاّم كما فى البحار.

و عاضد ما اختاره الشارح المذكور الفاضل أحمد زكى صفوت فى جمهرة رسائل العرب بقوله: و يجوز أن تكون مطلبة بسكون الطاء و كسر اللاّم من أطلبه إذا أعطاه ما طلبه أى تؤتى أصحابها ما يطلبون من ثواب اللّه و رحمته و هذا أحسن. انتهى. و لقد علمت ما فيه.

(الأكياس) جمع كيّس كجيّد أى العاقل و يجمع على الكيسى أيضا إجراء له مجرى ضده أحمق و حمقى، قال إبراهيم النّخعى لمنصور بن المعتمر:

سل مسألة الحمقى، و احفظ حفظ الكيسى كما فى البيان و التبيين (ج 1 ص 299).

(الأنكاس)جمع النّكس بكسر النّون فالسّكون قال رجل من بنى أسد:

و ما أنا بالنّكس الدّنىّ و لا الّذى إذا صدّعنّى ذو المودّة أحرب

و البيت من أبيات الحماسة (الحماسة 91) و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس أصله فى السهام و نقل إلى الضعيف من الرّجال، يقال: نكسته نكسا ثمّ يسمّى المنكوس نكسا، كما يقال: نقضته نقضا ثمّ يسمّى المنقوض نقضا بكسر النون كأنّ السهم انكسر فوقه فنكس فسمّى نكسا، فيقول: ما أنا بالمستضعف اللئيم و لا الّذى إذا انحرف عنه من يوادّه دعا بالويل و الحرب فقال و احرباه.

و فى الحماسة 397، قالت امرأة من بنى الحارث:

فارس ما غادروه ملحما غير زمّيل و لا نكس و كل

و قال المرزوقى فى شرحه: النّكس المقصّر عن غاية النجدة و الكرامة و أصله فى السّهام و هو الّذى انكسر فجعل أسفله أعلاه فلا يزال ضعيفا.

و فى الحماسة 714، قال عمرو بن الإطنابة.

ليسوا بأنكاس و لا ميل إذا ما الحرب شبّت أشعلوا بالشّاعل

و قال المرزوقى فى شرحه: الأنكاس جمع النّكس، و النّكس أصله فى السّهام تنكسر فيجعل أسفلها أعلاها فتضعف، انتهى. قلت: و يقال للأحمق أنكس

شبيها بـذلک السـهم النّکس،و فی المفردات للراغب: النّکس السـهم الّـذی انکسـر فوقه فجعل أعلاه أسـفله فیکون ردیئا و لرداءته یشـبّه به الرجل الدّنیّ ، (نکب عنها) من باب نصر و فرح أی عدل عنها، یقال: نکبت الریح إذا مالت عن مهابّ الرّیاح، فالرّیح نکباء.

و الفعل فی نسـخة الرضـی کان بتشدیـد الکاف و قـد اخترناه، یقال: نکّب عن الطریق بالتشدید إذا عدل و تنحّی، و نکّب الشـیء نحّاه، لازم متعدّ، و یقال: نکّبه الطریق، و نکّب به الطریق، و نکّب به عن الطریق أی عدّله و نحّاه، و فی المقام بمعناه الأوّل.

(جار عن الحقّ) من الجور کما مضی فی المختار المقدّم قوله علیه السّلام:

و سفه الاراء الجائرة، قال الجوهری: الجور المیل عن القصد یقال: جار عن الطریق، انتهی کلامه.

(خبط) مشـی علی غیر هدی و اسـتقامة، و (التیه): الضـلال، (نقمته) بفتح النون و کسر القاف کما فی نسخة الرضی، و فیها وجهان آخران بفتح النون و سـکون القاف، و بکسـر النون و سکون القاف أیضا و هی اسم من الانتقام و هی المکافأة بالعقوبة یقال: حلّت به النقمة، تجمع علی نقم و نقم و نقمات.

(تناهت) أی بلغت، قال الجوهری: الإنهاء الإبلاغ و أنهیت الخبر فانتهی و تناهی أی بلغ.

(أجریت) یقال: أجری فلان إلی غایة کذا أی قصدها بفعله و أصله من إجراء الخیل للمسابقة، و المحلة: المنزلة.

(أوحلتک) بالواو فالحاء المهملة کما فی نسـخة الرضـی رضوان اللّه علیه و فی نسخ قد أولجتک، و فی بعضـها: قد أوجلتک، و المختار هو الأوّل، أی أورطتک فی الوحل، قال الجوهری: الوحل بالتحریک الطین، و وحل الرجل بالکسر وقع فی الوحل، و أوحله غیره.

(أقحمتک) أی أدخلتک، و الاقتحام الدخول فی الأمر بشدّة و عنف،

و يقال: أقحم فرسه النهر، أى أوقعه و أدخله فيه بعنف.

(الغىّ): الضلال و الانهماک فى الباطل، و قال الراغب فى المفردات: الغىّ جهل من اعتقاد فاسد و ذلک أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادا لا صالحا و لا فاسدا، و قد يكون من اعتقاد شىء فاسد و هذا النحو الثانى يقال له غىّ ، قال تعالى: «ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى »... «وَ إِخْوانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ »، و قوله:

«فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا » أى عذابا فسمّاه الغىّ لما كان الغىّ هو سببه و ذلک كتسمية الشىء بما هو سببه كقولهم للنبات: ندى.

(اوعرت) من الوعر اى الصعب وزنا و معنى: يقال: مكان وعر و طريق وعر و مطلب وعر، و أوعرت عليک المسالک أى اخشنت و صعبت (رمسک) الرمس القبر، قال الفيومىّ فى المصباح: رمست الميت رمسا من باب قتل و فى لغة من باب ضرب دفنته، و الرمس: التراب تسمية بالمصدر ثمّ سمّى القبر به و الجمع رموس مثل فلس و فلوس، قال مسور بن زيادة الحارثى:

أبعد الّذى بالنّعف نعف كويكب رهينة رمس ذى تراب و جندل

و البيت من الحماسة (64) قال المرزوقى فى الشرح: الرمس القبر، و الأصل فى الرمس التغطية يقال: رمسته بالتراب و منه الرياح الروامس، و قال المتلمّس:

أ لم تر أنّ المرأ رهن منيّة صريع لعافى الطير أو سوف يرمس

و البيت من الحماسة أيضا (الحماسة 220) و قال المرزوقى: و معنى يرمس يدفن و الرمس الدفن و الرياح الروامس منه و توسّعوا فى الدّفن فقيل: ارمس هذا الحديث، كما يقال: ادفن.

(مهطع) قال ابن الأثير فى النهاية: فى حديث علىّ عليه السّلام سراعا إلى أمره مهطعين إلى معادة: الإهطاع الاسراع فى العدو، و قال الراغب: هطع الرجل ببصره إذا صوّبه، و بعير مهطع إذا صوّب عنقه، قال تعالى: «مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ »... - «مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ » انتهى، و الإهطاع لا يكون إلاّ مع خوف و ذلّ و خشوع يقال: أهطع فى السير إذا أسرع و أقبل مسرعا خائفا كهطع كما يستفاد من قوله

تعالى: «وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ » (إبراهيم: 44)، و قوله تعالى:

«يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدّاعِ يَقُولُ الْكافِرُونَ هذا يَوْمٌ عَسِرٌ » (القمر: 9)، و قوله تعالى: «فَما لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ عِزِينَ » قال أحمد بن يحيى: المهطع الّذى ينظر فى ذلّ و خشوع لا يقلع بصره كما فى مجمع البيان، و قال: قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشىء لا يزايله و ذلک من نظر العدو.

و فى القاموس هطع كمنع هطعا و هطوعا أسرع مقبلا خائفا أو أقبل ببصره على الشىء لا يقلع عنه.

(سيبهظک) قال الجوهرى فى الصحاح: بهظه الحمل يبهظه بهظا أى أثقله و عجز عنه فهو مبهوظ و هذا أمر باهظ أى شاقّ ، قال زياد بن حمل كما فى الحماسة أو زياد بن منقذ كما فى مادة قزم من صحاح اللّغة فى أبيات منها:

و كان عهدى بها و المشى يبهضها من القريب و منها النّوم و السّأم

قال المرزوقى: و معنى يبهضها يثقل عليها و يشقّ .

الاعراب

(معاذ اللّه) منصوب مفعول مطلق لفعله المحذوف العامل فيه كسبحان اللّه قال الجوهرى فى الصحاح: قولهم: معاذ اللّه أى أعوذ باللّه معاذا، تجعله بدلا من اللفظ بالفعل لأنّه مصدر و إن كان غير مستعمل مثل سبحان اللّه و يقال أيضا معاذة اللّه و معاذة وجه اللّه و معاذ وجه اللّه و هو مثل المعنى و المعناة و المأتى و المأتاة، و يقال عوذ باللّه منک أى أعوذ باللّه منک.

(فان للطاعة) الفاء فى مقام التعليل لقوله: لا تعذر بجهالته، و ضمير يردها و يخالفها و عنها راجع إلى السبل و المهجّة، و أمكن أن يرجع إلى الطّاعة

و الغاية أيضا على توسّع.

(فنفسک نفسک) منصوب من باب الإغراء و هو أن تحمل المخاطب على فعل شيء محبوب نحو قول الشاعر:

أخاک أخاک إنّ من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

و الفعل يقدّر فى كلّ موضع بحسبه ففى الشعر يقتضى الزم مثلا و فى الغزال الغزال يناسب ارم، و ههنا احفظ و ارحم و انقذ و نحوهما.

قوله:(و حيث تناهت بک امورک) أفاد الفاضل الشارح المعتزلى بقوله:

الأولى أن لا يكون هذا معطوفا و لا متّصلا بقوله: فقد بيّن اللّه لک سبيلک، بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف: حيث أنت، أى قف حيث أنت فلا يذكرون الفعل، و مثله قولهم: مكانک، أى قف مكانک.

المعنى

قوله عليه السّلام:(فاتّق اللّه فيما لديک) ما كان لديه هو تولّى امور المسلمين غصبا و طغيانا، فإنّ ما كان فى يده هو حقّ اللّه و حقّ رسوله و حقّ اولى الأمر و حقّه سبحانه مفوّض إلى نبيّه أو وصىّ نبيّه و لا يتولّى ذلک المنصب إلاّ نبىّ أو وصىّ أو شقىّ ، و الشقى من غصب حقّ الإمام الحقّ أى حقّ اللّه و رسوله، و لذا أمره الأمير عليه السّلام باتقائه اللّه فى ذلک، و صرّح باسم اللّه سبحانه لأنّه عليه السّلام كأنّما يقول له: اتّق اللّه فى تصرّفک حقّه سبحانه عدوانا، كما نقول نحن لمن خان زيدا مثلا: استح من زيد فى خيانتک فى عرضه و ماله.

قوله عليه السّلام:(و انظر فى حقّه عليک) حقّه تعالى عليه أن لا يعصيه فيما أمره، و ممّا أمره به هو قوله سبحانه: «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » (النساء: 60) اللهمّ إلاّ أن يقال انّ الاية مصدّرة بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » و مذيّلة بقوله سبحانه: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ » فمعاوية و أترابه خارجة عن الخطاب رأسا.

و فی رسالة إمامنا سیّد السّاجدین و زین العابدین علیّ بن الحسین صلوات اللّه علیهما المعروفة برسالة الحقوق، قد نقلها کاملة المحدّث الخبیر ابن شعبة الحرّانی قدّس سرّه فی تحف العقول: اعلم رحمک اللّه أنّ للّه علیک حقوقا محیطة بک فی کلّ حرکة تحرّکتها، أو سکنة سکنتها، أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها، أو آلة تصرّفت بها، بعضها أکبر من بعض، و أکبر حقوق اللّه علیک ما أوجبه لنفسه تبارک و تعالی من حقّه الّذی هو أصل الحقوق و منه تفرّع.

فالویل ثمّ الویل لمن لم یطع اللّه سبحانه فی حقّه علیه، فضلا عن أن یغاصب حقّه.

قوله علیه السّلام:(و ارجع إلی معرفة ما لا تعذر بجهالته) أمره أن یرجع إلی معرفة ما لا یقبل عذره بجهالته من وجوب طاعة اللّه سبحانه و رسوله و طاعة الإمام الحقّ ، و لمّا أخرجته هوی النفس عن الطاعة إلی العصیان و الطغیان و عن نور المعرفة إلی ظلمة الجهالة و حیرة الضلالة، أمره بالرجوع إلی معرفة ما أی الحقّ الّذی لا یسمع تجاهله فیه.

قوله علیه السّلام (فإنّ للطاعة أعلاما واضحة - إلخ) الأعلام جمع العلم بفتحتین و هو شیء منصوب فی الطریق یهتدی به و غایة الطاعة القرب منه تعالی و الغایة ما إلیه الحرکة، و وصف علیه السّلام الأعلام بالواضحة و تالییها بالنیّرة و النهجة لحسم العذر أصلا و سدّ طرق العذر من جمیع الجوانب، فانّ السبل إذا کانت نیّرة و المهجة نهجة و أعلامها واضحة و کانت غایتها مطلّبة، فمن أین یعتذر المتمرّد عن الطاعة، و ما مستمسکه فی العذر، و بأیّ باب یدخل لذلک ؟ و قد دریت من بحثنا عن الإمامة فی المختار 237 من باب الخطب (ص 35 - إلی ص 175 من ج 16) أنّ القرآن و رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله و آله هم الأئمة الحقّ و الأعلام الواضحة و السّبل النیّرة و المهجة النهجة لا غیر، فراجع إلی ذلک المبحث الشریف حتّی یتبیّن لک بالعیان أنّ الال هم الّذین اختارهم اللّه و اجتباهم و اصطفاهم أعلاما واضحة للطریقة الّتی هی أقوم، إنّ هذا القرآن یهدی للّتی هی أقوم.

قوله علیه السّلام:(یردها الأکیاس و یخالفها الأنکاس) قد دریت فی اللّغة

أنّ الأكياس بمعنى العقلاء، و إنما يردها الأكياس لأنّ العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، و أنّ الأنكاس جمع النكس و هو الرجل الدّنى المنكوس على ما بيّن فى اللّغة مشبعا، و إنّما يخالفها الأنكاس لأنّهم لدناءة طبعهم، و قصور همّتهم ألفوا بقاذورات الدّنيا الدّنيّة و أوساخ الامال النفسانيّة الشيطانيّة فهم ناكسوا رؤوسهم إلى اللّذائذ الحيوانيّة الداثرة الفانية أقرب شىء شبها بهم الأنعام السائمة، و فى كتاب العقل و الجهل من الكافى: بإسناده عن محمّد بن عبد الجبّار عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما العقل ؟ قال: ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان، قال: قلت: فالّذى كان فى معاوية ؟ فقال:

تلک النكراء تلک الشيطنة و هى شبيهة بالعقل و ليست بالعقل، و قد مضى بحثنا عن هذا الحديث و شرحه فى المختار السابع باب الكتب و الرسائل فراجع إلى (ص 225 ج 17).

و قد تقدّم فى رسالتنا فى لقاء اللّه تعالى أنّ حشر الخلائق حسب أعمالهم، و أنّ كلّ أحد إلى غاية سعيه و عمله و إلى ما يحبّه و يهواه، فحيث إنّ الأنكاس أدبروا ههنا عن أمر اللّه تعالى و طاعته و لقائه و أقبلوا إلى الشهوات النفسانية و لم يرفعوا رؤوسهم عن معلفهم و مرعيهم فهم فى النشأة الاخرة أيضا ناكسون لأنّ الدّنيا مزرعة الاخرة قال عزّ من قائل: «نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ » (الواقعة 61-63)، و فى الكافى كما فى الصافى عن السّجاد عليه السّلام: العجب كلّ العجب لمن أنكر النشأة الاخرى و هو يرى النشأة الاولى.

و قال عزّ من قائل: «وَ لَوْ تَرى إِذِ الْمُجْرِمُونَ ناكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنا أَبْصَرْنا وَ سَمِعْنا فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ » (الم السجدة: 13).

و روى ثقة الإسلام الكلينى فى باب ظلمة قلب المنافق و إن أعطى اللسان و نور قلب المؤمن و إن قصر بلسانه من كتاب الإيمان و الكفر (ص 309 ج 2 من المعرب) بإسناده عن المفضل عن سعد عن أبى جعفر عليه السّلام: قال إنّ القلوب أربعة: قلب فيه

نفاق و ايمان، و قلب منكوس، و قلب مطبوع، و قلب أزهر أجرد فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأمّا المطبوع فقلب المنافق، و أما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر و إن ابتلاه صبر، و أما المنكوس فقلب المشرك ثمّ قرأ هذه الاية: «أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الملک: 22) فأما القلب الّذى فيه إيمان و نفاق فهم قوم كانوا بالطائف فإن أدرک أحدهم أجله على نفاقه هلک و إن أدركه على إيمانه نجى.

و قال العلم الحجّة المولى صالح المازندرانى قدّس سرّه فى بيانه: (ص 130 ج 10) القلب المنكوس كالكوز المقلوب - إلى أن قال: و قيل: القلب المنكوس القلب الناظر إلى الدّنيا و المتوجّه إليها لأنّ الدّنيا تحت الاخرة و الاخرة فوقها فالناظر إليها منكوس رأسه، و الاية من باب التمثيل بالأشياء المحسوسة تقريبا للفهم و الاستشهاد باعتبار أنّ المشرک يمشى مكبّا على وجهه لكون قلبه مكبوبا، مقلوبا و المؤمن يمشى سويّا لكون قلبه على وجه الفطرة مستقيما عارفا بالحق كما يرشد إليه قوله تعالى: «عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ».

قوله عليه السّلام:(من نكّب عنها - إلخ) أى من عدل و تنحّى عنها مال عن الوسط و العدل و القصد، و مشى على غير هداية و استقامة فى الضلال.

قوله عليه السّلام:(و غير اللّه نعمته و أحلّ به نقمته فنفسک نفسک) إنّما أمره بحفظ نفسه و كرّره تأكيدا و تشديدا لما قال سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ » (الرعد: 12)، و قال تعالى: «فَما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (التوبة: 71).

فى باب محاسبة العمل من كتاب الايمان و الكفر من الكافى (ص 329 ج 2 من المعرب): قال أبو عبد اللّه عليه السّلام لرجل: إنّک قد جعلت طبيب نفسک، و بيّن لک الداء، و عرّفت آية الصحة، و دللت على الدواء، فانظر كيف قيامک على نفسک.

و فى ذلک الباب عنه عليه السّلام أيضا: اقصر نفسک عمّا يضرّها من قبل أن تفارقک واسع فى فكاكها كما تسعى فى طلب معيشتک فإنّ نفسک رهينة بعملک.

و فيه عنه عليه السّلام أيضا قال: كتب رجل إلى أبى ذرّ رضى اللّه عنه يا أبا ذر أطرفنى بشىء من العلم، فكتب إليه: أنّ العلم كثير و لكن إن قدرت أن لا تسيئ إلى من تحبّه فافعل، قال: فقال له الرجل: و هل رأيت أحدا يسيئ إلى من يحبّه ؟ فقال له: نعم نفسک أحبّ الأنفس إليک فإذا أنت عصيت اللّه فقد أسأت إليها.

قوله عليه السّلام:(و حيث تناهت بک امورک - إلخ) قال بعضهم: حيث عطف على سبيلک، أى فقد بيّن اللّه لک مالک و منقلبک، قال تعالى: «وَ سَ يَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »، فهو عليه السّلام يحذّره عن عاقبته الوخيمة، و يخوّفه عن جزاء أعماله الفاضحة، ثمّ كأنّما قيل: و إلى ما تناهت به اموره و أىّ شىء يترتّب على أفعاله ؟ فأجاب عليه السّلام: فإنّه قد أجرى إلى غاية خسر إلخ، فما تناهت به اموره جزاء أعماله السيئة.

هذا غاية ما يمكن أن يقرّر معنى العبارة على قول هذا البعض، و لكنّ الإنصاف أنّ الصواب هو ما أفاده الفاضل الشارح المعتزلى كما تقدّم فى بيان الإعراب، أى قف حيث أنت لأنک قد أجريت إلى غاية خسر فالفاء فى فقد فى معرض التعليل للفعل المحذوف أعنى قف، و الكلام على هذا الوجه خال عن التكلّف دون الأوّل.

و لا يخفى لطافة قوله عليه السّلام: و إنّ نفسک قد أوحلتک شرا، و قد علمت أنّ معنى أوحلتک أورطتک فى الوحل، فالويل ثمّ الويل لمن أطاع نفسه و نسى حظّه، فإنّ النفس لأمّارة بالسوء ينسى مطيعه ذكر اللّه تعالى كما قال تعالى: «اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللّهِ »، و قال تعالى: «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً قالَ كَذلِکَ أَتَتْکَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِکَ الْيَوْمَ تُنْسى وَ كَذلِکَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَ لَمْ يُؤْمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ وَ لَعَذابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَ أَبْقى » (طه: 125).

هذا آخر المجلّد الخامس من تكملة منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة و به انتهى المنهاج إلى المجلّد التاسع عشر، و للّه الحمد على ما أولانا، و له الشكر بما تفضّل علينا من إفاضة مننه، و إسبال نعمه علينا، و كيف أشكره تعالى حقّ شكره و ليس من شكر أشكره به إلاّ و هو نعمة جزيلة أنعم بها علىّ ، اللّهم ارزقنا قلبا

ذاکرا و لسانا شاکرا، اللّهم ثبّت قلوبنا علی دینک، اللّهم ارزقنا نعمة الحضور عندک، اللّهم یا عاصم قلوب المؤمنین خلّصنا من شرور أنفسنا و وفّقنا بالتنعّم من مأدبتک القرآن الفرقان العظیم، و باتّباع سنّة نبیک الکریم، و اطاعتک و اطاعة رسولک و اولی الأمر الّذین هم وسائط فیضک و أبواب رحمتک یا أرحم الراحمین.

و قد حصل الفراغ من تألیف هذا السفر الکریم بید العبد الراجی لقاء ربّه الرّحیم: نجم الدّین الحسن بن عبد اللّه الطبری الاملی فی الامل، لیلة الأربعاء الثامنة عشر من ربیع المولود من شهور سنة تسع و ثمانین و ثلاثمائة بعد الألف من هجرة خاتم النبیّین صلّی اللّه علیه و علی آله الطیبین الطاهرین، و الحمد للّه، و آخر دعویهم أن الحمد للّه ربّ العالمین.

الترجمة

این نامه ایست که أمیر علیه السّلام بمعاویة نوشت:

در آنچه که در دست داری از خدا بترس، و حقّ خدا را بر خود بنگر و بشناختن آنچه که عذرت در ندانستن آن پذیرفته نمی شود باز گرد، زیرا برای بندگی و طاعت نشانها و پرچمهای روشن، و راههای هویدا، و جادّهٔ آشکار و نتیجه و غایت مطلوبست خردمندان بدان در آیند، و سفلگان از آن روی گردانند، هر که از آنها بازگشت از حقّ برگشت، و در وادی گمراهی بسر برد، و خدای نعمتش را بر وی دگرگون کرد، و او را در عذابش افکند پس خویشتن را دریاب و خود را باش که خدا راه را برایت روشن کرد، و چون کارها بدست تو افتاد نهایت زیان را از دست خویش جاری کردی و در وادی کفر در آمدی، نفست تو را به شرّ کشانید و از دست وی بگل درماندی و تو را بگمراهی در آورد و به نابودیها رسانید و راهها را بر تو دشوار کرد.

إلی هنا انتهی الجزء التاسع عشر من هذه الطبعة النفیسة القیمة و تمّ تصحیحه و ترتیبه بید العبد - السید ابراهیم المیانجی - عفی عنه و عن والدیه فی الیوم السابع من شهر رجب الأصبّ - 1389 - و یلیه انشاء اللّه الجزء العشرون و أوله: المختار الحادی و الثلاثون و الحمد للّه کما هو أهله.

ص:388

درباره مرکز

بسمه تعالی

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه موفق به تولید نرم‌افزارهای تلفن همراه، کتاب‌خانه‌های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملا مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارك امام علیه السلام پشتیباني مي‌شود.

براي خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می‌دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوییم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک 129/34- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 88318722 ـ 021

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109

مرکز تحقیقات رایانه‌ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹